

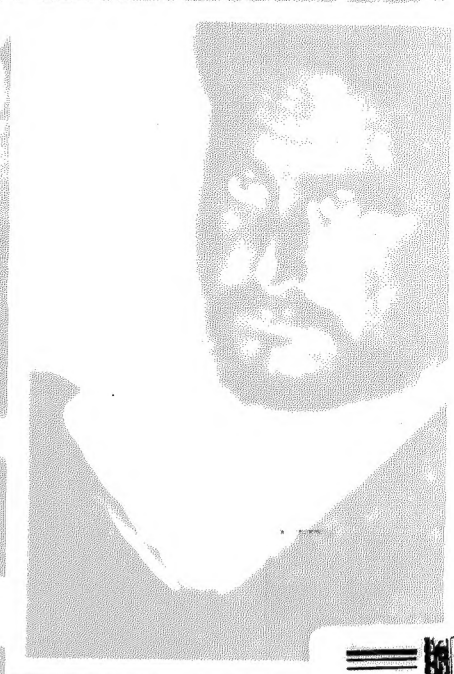
جورج أوكيد

اليسار الفرنسي

والحركة الوطنية المغربية

1905 - 1955

2



المعرفة التاريخية

د. الشريفة وعبد الجليل ناظم
اللطيف المنوني

دار النشر



جورج أوليفيد

باحث فرنسي، خصص فترة طويلة من حياته لدراسة قضايا الدول السائرة في طريق النمو. وقد كان مستشاراً اقتصادياً ومالياً للحكومة المغربية بعد الاستقلال من 1956 إلى 1961. حاصل على الدكتوراة في الآداب، ثم الإجازة في الفلسفة، ودبلوم الدراسات العليا في القانون العام والاقتصاد السياسي، وخريج المدرسة الوطنية للإدارة. يشغل حالياً منصب مستشار عام للحكومة الحسابات بباريس.

دار توبقال للنشر

عمارة معهد السبيل التطبيقي - ساحة محطة القطار

القنيطرة، الدار البيضاء 09 - المغرب

الهاتف : 24 06 05/82

الصورتان، طنطا، في فرنسا
وعبد الكريم الخطابي

**اليسار الفرنسي
والحركة الوطنية المغربية
1905 - 1955**

Georges OVED
La Gauche Française
et le nationalisme marocain
1905 – 1955
Ed. L'harmattan, Paris, 1984

ننشر هذا الكتاب باتفاق خاص مع دار لارماتان (باريس)

جورج أوش

**اليسار الفرنسي
والحركة الوطنية المغربية
1905 - 1955**

الجزء الثاني

ترجمة: محمد الشرقي

مراجعة: عبد اللطيف المنوني وعبد الجليل ناظم

تَمَّ نَشْرُ هَذَا الْكِتَابِ ضِمْنَ سِلْسِلَةِ
المعرفة التاريخية

الطبعة الأولى 1988
جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع القانوني : 1987/621

مقدمة

إن الحرب الكبرى لم توقف العمليات العسكرية في المغرب. إذ يتقلصها للوسائل المتروكة تحت تصرف ليوطي، عملت فقط على إبطاء تقدم القوات الفرنسية. وقد ظلت هذه الأخيرة تصطدم فعلاً بمقاومات عنيفة. وستسمح الهزيمة الألمانية، تدريجياً، باستئناف مخطط احتلال مُنظَّم للبلاد. لقد قدم ليوطي في 1921، أثناء اجتماع لجنة برلمانية «ضمانة أن يكون المغرب هادئاً خلال سنتين أو ثلاث سنوات، إلا إذا وقع ما ليس في الحسبان»^(١). إلا أن «ماليس في الحسبان» هذا سيكون كبيراً، بما أن العمليات ستتواصل حتى سنة 1934. أمام هذا الانهاء الطويل، واللامتبي، للغزو، يبدو اليسار مُنقسماً على نحو عميق. إن الأمر لم يعد يتعلق بالنسبة للراديكاليين والاشتراكيين بشجب الاحتلال الفرنسي في المغرب. لقد صار واقعاً قائماً بالنسبة للعديد منهم، لكنه لا يكتسي نفس الدلالة لدى هؤلاء وأولئك. عازّاديكاليوي يبدون أكثر انتباهاً للاعتبارات الاستراتيجية والاقتصادية، بينما يَظهرُ الاشتراكيون أكثر حساسيةً بمآل المغاربة وتحول وضعيتهم. لكنهم جميعهم منشغلون بمستقبل التعمير الفرنسي في إفريقيا الشمالية ويتفقون على أن فرنسا تلعب دوراً لا يُعوّض في الامبراطورية الشريفة. غير أنه بينما لا يوضع الراديكاليون أيّ أمدٍ للنظام الاستعماري، يعتبر قسَمٌ من الاشتراكيين على الأقل أن الوصاية الفرنسية لا تغدو مُبررةً إلا بشرط السماح لـ «المُحميين»، بواسطة مجهود تربوي طويل، بأن يتسلّموا يوماً زمام إدارة شؤونهم الخاصة. إن حرب الريف واستمرار المقاومة المغربية في جبال الأطلس وفي مناطق الجنوب سيكونان مناسبةً للبعض لكي يُفصحوا عن مخاوفهم، وللآخر لكي يؤكدوا إيمانهم بمغرب فرنسي. لكن مهما تكن اختلافاتهم، ومهما تكن أحياناً انتقاداتهم لإدارة يرون أنها جَدّ خاضعةٌ للسلطة العسكرية، فإنهم ينتظرون من باريس، أي من الحكومة نفسها، أن تعمل على تصحيح الأخطاء وعِثْقِ المغاربة.

عندما نزل أليكساندر ميلران، رئيس الجمهورية، في 5 أبريل 1922، بالدار البيضاء، واحتفل بعد عشر سنوات من توقيع معاهدة الحماية بـ «نهضة المغرب»، صممت الجريدة الاشتراكية لوبولير * بالفعل عن هذا السّفر، بينما انتهرت الصّحف الرّاديكالية الفرصة لاستحسان عمل فرنسا دون تحفظات (2). في المُقابل، وبعد بضعة أسابيع من ذلك، وُجّه «نداء» سعى للردّ على سّفر ميلران نقراً فيه: إن الحضارة الفرنسية، في إفريقيا تُمارسُ بواسطة «اضطهاد شرس، وعبء ضرائب لا يُحتمَل، والفقر الذي لا يُوصَف للبروليتاريين المُزارعين والعَمال»، لكن «نَجَر التحرير يلوح للبروليتاريين العرب (...)» فالحرب الامبريالية قد أثارت روح التمرد في تونس والجزائر، كما في مصر والهند. ويتزامن مع المطالب الوطنية، نسمع، بإلحاح يزداد أكثر فأكثر، مطالب طبقية». لقد أعلن أصحاب هذا النداء أنهم مُتأكّدون من تضامن البروليتاريا الفرنسية مع الأهالي، فعلى هؤلاء أن يعلموا بأنّ لهم من الآن فصاعداً «حليفاً قويا وواثقاً يأخذ قضيتهم في يده وسيساندها حتى النصر: إنه حزب البروليتاريا، الحزب الشيوعي الفرنسي، فرع الأُممية الشيوعية» (3).

هذا النداء مُوقَّع، بالفعل، في موسكو، من طرف اللجنة التنفيذية للأُممية الشيوعية. إنه يشهد بأنّه منذ الثورة الروسية وتأسيس الكومنترن، طرأ تغيير جذري على شروط السياسة والعمل المناهضين للاستعمار. إن قِطاعاً من اليسار الفرنسي، مُنظماً داخل الحزب الشيوعي، سيُجهّد نفسه لتطبيق توجيهات الأُممية الثالثة الرّامية إلى تحرير الدّول الواقعة تحت السّيطرة. لقد أكّد الشيوعيون تضامنهم مع المغاربة في الكفاح، وطالبوا بالاستقلال والجلاء عن بلدهم. وهذا الموقف، الذي لن يتخلّوا عنه حتى 1935، قادهم الى محاربة أحزاب اليسار الأخرى بعنف، لا سيما وأنه بَعْدَ فترة وجيزة من المعارضة، عَمَدَ الرّاديكاليون، الذين تسلموا السلطة، بمفردهم تارةً وبموازرة الاشتراكيين تارةً أخرى، وبالرغم من بعض الاحتجاجات، الى ممارسة مسؤوليات بارزة في سِير العمليات العسكرية بالمغرب.

هل ينبغي أن نقصر هذه الدّعاية ضدّ الحرب على موقف الحزب الشيوعي؟ أو لَمْ تقده الرغبة في وضع حدّ لنظام الحماية إلى أن يُطوّر في المغرب، بارتباط مع العناصر الوطنية، عملاً ثورياً؟ لقد أثبتت هذه الفكرة في مناسبات عديدة بين 1920 و1935. وشكّلت خلفية الكفاحات والجدالات التي أثارها وقتذاك كُُلّ تحريض يُعتَبَر يسارياً وكذا كل حركة وطنية في المغرب. يبدو لنا من الضروري إذن القيام بفحصها قبل دراسة تصرّف مختلف عائلات اليسار الفرنسي تجاه حُزْب الرّيف وعمليات إخماد الفتن.

* Le Populaire

- 2 انظر أوامر، 17، 24 مارس، 14 أبريل 1912، لوراديكال، فاتح أبريل 1922.
- 3 مراسلة دولية، 7 يونيو 1922، ص ص 340 - 341 لسجل بأن هذا النداء لم يعد نشو من طرف الصحافة الشيوعية الفرنسية.

الفصل الرابع

«المؤامرة البلشفية» العمل الشيوعي في المغرب : من الواقع الى الأسطورة

بين 1920 و1935، أتاح النشاط الشيوعي في البلدان المستعمرة الفرصة لقيام أسطورة؛ أسطورة مؤامرة محبوكة من طرف موسكو ضد «الملكيات الفرنسية»، وفي الحالة التي تعنيها، ضد المصالح الفرنسية في المغرب. وهناك في الأرشيفات عناصر تاريخ حقيقي للسياسة الشيوعية في المغرب مرتبطة أشد الارتباط بعناصر هذه القصة الأسطورية. إن هذه الأخيرة تسمح لنا بفهم ردود فعل الرأي العام والطبقة السياسية تجاه المشاكل المغربية : مقاومة الاحتلال الفرنسي، ثم ميلاد وتطور الحركة الوطنية.

الوقائع

أسس مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي من الاستعمار

يستعيد لينين، والشيوعيون الفرنسيون من بعده، إلى حد كبير، تحليل الاشتراكيين الفرنسيين والأجانب قبل الحرب الكبرى للامبريالية. وقد أدخلوا عليه قوة خاصة. لكن مساهمتهم الأصلية تلبو في الاستراتيجية التي نبعت من ذبك جتليل وفي أسيس منظمة جديدة. ولندكر بخطوطها العريضة (١).

نجل على النصوص التي كانت تدرس وقتذاك شكل خاص من طرف الشيوعيين الفرنسيين، أي لينين الامبريالية كمرحلة عليا للرأسمالية، بيانات وأطروحات ومقررات مؤتمرات الأمية الشيوعية ومؤتمرات الحرب الشيوعي الفرنسي وكلنا المقالات والدراسات المنشورة من طرف مراسلة دولية و النشرة الشيوعية التي تلقها دلائر البلشفية.

الامبريالية

نعرف أن الامبريالية تشكّل بالنسبة للينين مرحلة حتمية من تطوّر الرأسمالية، تتميز بتشكّل الاحتكارات وهيمنة رأس المال المُمَوَّل. وتفسر ضرورة العثور على مواد أولية جديدة وعلى منافذ جديدة لِسِلْعِهَا ورساميلها كيف أن هيمنتها امتدت، منذ نهاية القرن التاسع عشر، إلى كل مناطق الأرض تقريباً. وفي بَلَد مُصَنِّع، تعبّر الامبريالية عن رغبة الرأسمالية في الحفاظ على نظام مُؤَسَّس على استغلال العَمَال والتغلب على مصاعبها بتنمية أسس قوتها. وتتميز على الصعيد الدّولي بالتنوع إلى تقسيم العالم إلى دُول مُضَطَّهدة ودُول مُضَطَّهدة، وداخل الحقل الرأسمالي، بمقاومة المتنافسات بين القوى العظمى. إن ثورة 1917 هزّت هذه الخطاطة : فقد جعلت من روسيا السوفياتية، في نفس الوقت، حليف الشّعاليين داخل بَلَد مُصَنِّع وحليف الشعوب المُسَيَّطَر عليها من طرف الامبريالية.

بالنسبة للشيوعيين، يبدو الاستعمار، تبعاً لذلك، تجلياً أساسياً للامبريالية. إنه يسمح بَمَدِّ الهيمنة الرأسمالية إلى مناطق جديدة. ويميل هذا التحليل، الذي يلتقي بتحليل الكيدين، إلى الأخذ بالجوانب الاقتصادية ويُشَهَّر بِكُلِّ البواعث الأخرى المُقدِّمة من طرف المُستعمرين، باعتبارها ذرائع وهمية.

إن العلاقات بين الامبريالية والدول التي تسيطر عليها لا ينبغي أن تُخفي تطوّر العلاقات الاقتصادية والاجتماعية داخل الدول المُسَيَّطَر عليها. فبإمكان المُستعمر العثور لدى الطبقات الأكثر تخلفاً، من النمط الفئودالي، أو لدى الشرائع العليا للبورجوازية المحلية، على حلفاء، بالقدر الذي يُتيح توزيعه للسلطات والأعباء طوّاء أن يحافظوا على نفوذهم ونسق استغلالهم الخاص. وفي الواقع، يبدو التحليل الشيوعي في هذا التقصّي لتقدير التغيرات التي جلبتها الامبريالية للبنيات الاقتصادية والاجتماعية التقليدية، ذو فائدة خاصة.

السياسة

تنبع الاستراتيجية السياسية للشيوعيين على صعيد القضايا الاستعمارية من تحليلهم للامبريالية : وهذا التحليل يَأْمُرُ المناضلين في جميع البلدان بالعمل على تحرير الشعوب المُستَعمَرة. إن هذا التحرير يبدو، قبل كل شيء، شرطاً لاضعاف الامبريالية ويتموقع، في الحال، في سياق وطني ودولي. فالانخضاعُ المزدوج للشعوب المُسَيَّطَر عليها ولبروليتاريي الدّول الصناعيّة يُنَبِّه إلى الطابع التضامني لعملهم. إن مصلحة البروليتاريا لا تكمن فحسب في انزعاجها من الرأسمالية لقسط مهمّ من أرباحها (2)، بل أيضاً في منعها لحكومات البورجوازية

• أنصار حول كيد وهو زعيم اشتراكي.

2 انظر بيانات وأطروحات ومقررات المؤتمرات العالمية الأربع الأولى للأمة الشيوعية، 1919 - 1923 (المؤتمر الثاني)، ص. 159، ودلاتر ايهلشفية. 0 يناير 1925، ص ص 473 - 476.

من استعمال الأهالي ضد الحركات الشعبية (3). فهذا التضامن لا يعبر فقط عن حقيقة اقتصادية واجتماعية؛ بل يترجم حقيقة إنسانية. إنه يسمح باكتشاف عبثية الأحكام المسبقة حول الجنس واللون : إذ بتقسيمهما للعمال، تلعب كل من العنصرية ومعاداة السامية لعبة الامبريالية (4). غير أن التعبير عن هذا التضامن لم ينجح في خطابات وكتابات الشيوعيين من الانسجام بنزوع أوربي — مركزي، أي بفكرة كون تحرير الشعوب المستعمرة يمر قبل ذلك بالثورة في أوربا (5). وستطبع هذه الفكرة، التي كافحها بعض مناضلي ما وراء البحار (6)، السياسة الاستعمارية للشيوعيين بشكل عميق.

لتحرير المستعمرات طابع مزدوج : فهو يجب أن يكون اجتماعيا ووطنيا، ذلك أن الامبريالية ليست فحسب ذلك المستغل للشغاليين المستعمرين؛ بل سعت هيمنتها تدريجيا الى تدمير المميزات الوطنية للشعوب المسيطر عليها. إن هذين العنصرين، العنصر الاجتماعي والعنصر الوطني، حاضران أيضا، بالنسبة للأهمية الثالثة، منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، في كفاحات البلدان المستعمرة الأكثر تطورا. لكن على الشيوعيين أن يسهروا، مهما كان الأمر، على ألا يقصبي المطلب الوطني الايديولوجيا الطبقية الى الخلف. من جهة أخرى، وذلك لأنها لا تدخل في حسابها البعد الثقافي للمعركة التي تخوضها الشعوب المسيطر عليها، وتميل الأهمية الشيوعية الى الاستخفاف بالقوى الدينية، المعتبرة في مجملها رجعية وحليفة للامبريالية. إن الاسلام، على الخصوص، يقابل بمحذر كبير — تغديته الكفاحات التي تخوضها داخل روسيا السوفياتية الشعوب المسلمة — ويتم انتقاد الجامعة الاسلامية دون تحفظات (7).

- 3 أنظر لوماني، 6 دحر 1923 (لوزولسكي).
- 4 انظر النشرة الشيوعية، 18 يناير 1924، ص 93 — 96 (تقرير من أجل مؤتمر ليون).
- 5 «أيها العبيد المستعمرين لافريقيا وآسيا : إن ساعة دكتاتورية البروليتاريا في أوربا ستق من أجلكم مثلما ساعة الخلاص»، المؤتمر الأول للأهمية الشيوعية (بيان الأهمية الشيوعية الى بروليتاريي العالم قاطبة 1)، مشار اليه، ص. 32.
- 6 «سيكون من الخطأ الاعتقاد بأنه يجب انتظار الثورة الشيوعية في أوربا لتحرير جماهير الشعوب المستعمرة من النير الامبريالي. إذ لا تطلب الشعوب المستعمرة، المستغلة بشاعة سوى الطرد الفوري للمازي» (الحرايري، دلائل البلشفية، مقال مشار اليه).
- 7 انظر المؤتمر الثاني للأهمية الشيوعية، مشار اليه، ص 58. «إن الحركة الاسلامية حركة موحدة الى تحويل الجماهير المسلمة عن كفاحها المعادي للامبريالية» ومراسلة دولية، 14 و 31 دحتر 1931 إن التقرير من أجل مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي لـ 1924 شمع بـ «الاكليسيكية المشوشة» للاسلام، لكن احتارا «لقابلية الأهالي للتأثر» طلب ألا تتم محاكمته إلا بشكل «لطيف ومعتدل» النشرة الشيوعية، 18 يناير 1924، ص 93 — 96. وقد نسب هنا التحفظ بعد نضع سبوت الى طبيعة المرحلة التي تم فيها، وانتقد الحزب الشيوعي الحرايري لكونه «روح أفكارا حاكمة تماما وحطوة حول «الدور الثوري» للديانة الاسلامية» دلائل البلشفية، فاتح مارس 1932، ص 934 — 337.

إن هذه الاستراتيجية المقدمة من طرف الشيوعيين تتعارض مع تصورات الأهمية الثانية والسياسة المتقلدة من طرف الأحزاب الاشتراكية. فقد تكشفت هذه الأخيرة كحليفة «موضوعية» للامبريالية، وذلك بعد رفضها لمسألة تحرير الشعوب. ينبغي التشهير بها إذن على هذا الأساس ومحاربتها بقوة (8).

لقد لاقت هذه الاستراتيجية مقاومة أكيدة داخل الحركة الشيوعية الفرنسية. وصدرت في البدء عن مناضلين من أصل ميتروبوليتاني يعيشون في مُستعمرات، خاصة في الجزائر، واعتبروا أن انضمام أغلب الاشتراكيين للأغلبية الشيوعية لا يتضمن موافقتهم على الأطروحات الخاصة بالاستعمار للأهمية الجديدة (9). لقد اعتبر العديد منهم أن التوجهات التي ترمي إلى تحرير الشعوب الواقعة تحت السيطرة تُترجم تجاهلاً كلياً للوضعية الاستعمارية. إنهم يرون بأن «الأهالي» ليسوا ناضجين للاستقلال وأن الوصاية الفرنسية لاتزال ضرورية (10). سوف يشجب كل من تروتسكي ومانويلسكي أمام الأهمية (11)، والحاج علي، وهو مناضل جزائري مسلم ولوزون، وهو مناضل فرنسي من تونس، على أعمدة بولستان كومينست، في هذا الموقف ذهنية «رقية» (12). لقد كان بعض المناضلين المعنيين متشغلين، دون ريب، وقبل كل شيء، بالحفاظ على الوضع الاستعماري. ومع ذلك، ربما لا ينبغي ازسئخفاف بلسنيد الذي يمكن أن تجده هه المقاومة في التقليد الكيدي والعُمالوي الذي لا يزال مُتأصلاً في الحركة الفرنسية.

- 8 انظر المؤتمر الثاني للأهمية الشيوعية، مشار إليه، ص ص 59 — 60. انظر أيضا تقرير إيركولي (توغالي)، أمام المؤتمر السادس حول «الاشتراكية الديمقراطية والمسألة الاستعمارية»، مراسلة دولية، 4 أكتوبر 1928. إن المحطات ضد السياسة الاستعمارية للحزب الاشتراكي، سبقوها دوريو داخل الحزب الشيوعي الفرنسي، بشكل أكثر قوة انظر بالخصوص دافتر اللشفة، 31 يناير 1928، «الاشتراكيون الفرنسيون والمسألة الاستعمارية» وأنثري فوا (انظر بالخصوص لومانتي، 9 عشت 1933 «الأحزاب الاشتراكية في نجدة الاستعمار»).
- 9 انظر ش.ر. احورون : «الشيوعيون الفرنسيون أمام المسألة الجزائرية من 1921 الى 1924»، مولمون سوسيال، يناير — مارس 1972، ص ص 7 — 37.
- 10 تقرير مقدم الى المؤتمر الين فدرالي الشيوعي الثاني لشمال إفريقيا، النشرة الشيوعية، 7 و 14 دجنر 1922، ص ص 939 — 940 و 954 — 955.
- 11 خطاب تروتسكي أمام المؤتمر الرابع للأهمية الشيوعية (فاتح دجنر 1922)، النشرة الشيوعية، 11 — 18 يناير 1923، ص ص 30 — 35، مراسلة دولية، 10 مارس 1923، وخطاب مانويلسكي أمام المؤتمر الخامس (30 Bulletin communiste * يونيو 1924) مراسلة دولية، 27 عشت 1924.
- 12 14 دحمر 1922 و 4 يناير 1923.

لقد أتاح الموقف الذي كان على الشيوعيين أن يتخلوه تجاه حركات وطنية داخل البلدان الواقعة تحت السيطرة الفرصة لمناقشات طويلة داخل الأمانة الثالثة (١٣). فالمبدأ الذي دافع عنه لينين، والقاضي بعقد حلف مؤقت مع البورجوازية المحلية، لم تقبله المؤتمرات الأولى إلا تحت شرط التمييز. بين مختلف فصائلها وتحفظ يقضي بأن تصون الاتفاقات المحتملة خصوصية المنظمات الشيوعية. لقد انعقد المؤتمر السادس في سنة 1928، في جو مشحون بوسواس الحرب. وقد وضع في مقدمة انشغالاته الدفاع عن الاتحاد السوفياتي، وكان أن انخرطت سياسته حول الاستعمار في هذا السياق. إن فشل تكتيك تعاون الشيوعيين الصينيين مع الكومنتونغ ومذبحة عمال شنغهاي دفعه الى التشنيع بالبورجوازيات الوطنية الاصلاحية، ودعا مختلف الأحزاب الشيوعية الى مزيد من الصرامة بحيث يمكنها ضمان هيمنتها في قيادة الحركات المناهضة للامبريالية. وفي 1935، قرّر المؤتمر السابع بأن الكفاح ضد الفاشية الدولية يتطلب أن تتخذ المنظمات الشيوعية في جميع البلدان المستعمرة تكتيكاً أكثر مرونة، ومفتوحاً على التحالفات مع البورجوازية (١٤).

لقد كانت الأمانة الشيوعية تذكر أعضائها مراراً بضرورة القيام بدراسة يّقظة للشروط الاقتصادية والاجتماعية لكل مستعمرة. لكننا نلاحظ مع ذلك بأن التكتيكات المهيأة تبعاً ترتكز على تحليل الوضعية في عدد قليل من الدول : الهند، الصين، مصر، بينما تظل الاشارات للدول الأخرى سطحية. هكذا لم تخضع الدول الثلاث لافريقيا الشمالية لأي استقصاء يسمح بتقدير تركيبة وتوجه بورجوازياتها الوطنية وعلاقتها مع العالم العمالي والفلاحي. وتكشف هذه التكتيكات، من جهة أخرى، عن تبعية مستفحلة أكثر فأكثر تجاه المحيط الدولي، إذ صارت قضية الأمانة البروليتارية تنزع لأن تتطابق مع ضرورات السياسة السوفياتية.



ماذا ينبغي أن يكون المحتوى العملي للعمل الشيوعي في المستعمرات ؟ فإن تدعو الأمانة الشيوعية للهيجان الثوري، وأن يكون على الشيوعيين أن يظلوا على أهبة حمل الأسلحة ذات يوم، هذا إعلان مبدئي نوذي به من طرف الأمانة دون أن تلح عليه (١٥). لكن هذا

13 نجل بالخصوص على تحليل هيلون كابر — ديكوس وستراوت شرام، الماركسية وآسيا، 1853 — 1964، باريس، 1965.

14 كان هذا التعبير لتكتيك الأمانة الشيوعية قد اعتاد بشكل واسع في 1934 وفي أوائل 1934 نادي أندري فيوا الى تحقيق «حبة واحدة معادية للامبريالية في الدول الاستعمارية»، دفاقر البلشفية، 15 فبراير 1935، ص ص 237 — 242.

15 المؤتمر الثالث، أطروحات حول بية الأحزاب الشيوعية وأساليبها وعملها، مشار اليه، ص ص 121 — 122.

الخطاب، في الواقع، لم يتم استصداره من طرف الحزب الفرنسي. فقد رأى فايان كوتوريي منذ 1920، أنه من الضروري التعليق على الشرط الثامن لقبول الأحزاب في الأمية، والذي يُلزم بـ «مسائكة كل حركة تحرر في المستعمرات، لا بالكلام، بل بالفعل»، «المساعدة بالفعل، تعني إدخال الدعاية الشيوعية، بكل الوسائل، في المُستعمرات والحمايات؛ والمساعدة بالفعل، تعني الشروع أخيراً في دعائية جديّة للحصول على رَفْضٍ صَنعٍ أو ثَقَلٍ العناد الحربي المُوجّه للحفاظ على الوضع البورجوازي بين السكان المنهوبين» (16). ستُظهر التجربة بأن الحزب الفرنسي سيكون أكثر ارتياحاً في تطوير دعائية وتحريض مناهضة للاستعمار داخل موطنه منه داخل بلدان ماوراء البحر. إن السياسة القمعية للسلطات المحلية ليست وحدها المُتَّهمة. فالعمل في وسط أهلي يصطدم، حتى من جانب المناضلين الشيوعيين، بأحكام مُسبقة تقوّمها الوضعية الممتازة نسبياً للشغّالين الأوربيين بالمقارنة مع الشغّالين الأهلين (17). وعليه، فقد دأبت الأجهزة العليا للحزب الشيوعي الفرنسي، مثلها في ذلك مثل الأمية الشيوعية، على التذكير دورياً بضرورة النضال قرب السكان المستعمرين، والقيام باستقطابات بين الأهالي وعدم التردد في تفويض بعض المسؤوليات إليهم في قيادة الحركة (18). إن التحرير الاجتماعي والاستقلال الوطني يُعدّان يتعيّن على المناضل جعلهما مألوفين لدى الجماهير بعمل تربوي طويل وصبور. ولا يمكن لتطوير الأطروحات الشيوعية أن يعفي من النضال لصالح المطالب الفورية، إن على الصّعيد السياسي أو على الصّعيد الاقتصادي والاجتماعي. إن الحزب الشيوعي الفرنسي يلح على الارتباط بين هذين الجانبين: «إلا أن الأول يهدف الى تفضيل حديث يضرب بجلوره في لاشعور جماعي وطني. أما الثاني فيتركز على ظروف عيش الجماهير الشقيّة وهم الحصول على تحسين للوضعية. هكذا طورت الدعاية استقطاباً مزدوجاً. من جهة نحو الاتحاد السوفياتي المُقَدّم كنموذج لمجتمع نجح في تحرير الشغّالين وكُمْدافع عن الشعوب المُضطهدة» (19). ومن جهة أخرى، نحو فرنسا، الى الحدّ الذي تهدف فيه المطالب الفورية أساساً المساواة في الحقوق مع الشغّالين الفرنسيين (إلغاء التبعية الأهلية، الانتخاب العام، ولوج التقابلات) ومَدّ الترتيبات ذات الطابع الاجتماعي السارية في الوطن الأصلي الى المُستعمرة (ظروف العمل، التعليم المجاني والاجباري).

16 لوماني، 21 أكتوبر 1920.

17 النشرة الشيوعية، 4 أكتوبر 1923 (لورون).

18 أنظر في الموضوع نفسه، 14 دجنر 1922 (الحاج علي)، 18 يناير 1924، ص ص 93 - 96 (تقرير من أجل مؤتمر ليون) ودفاتر البلشفية، أبريل 1930، ص ص 439 - 446.

19 «الإنساني أبداً نسيان جعل هُمس موصكو ساطعة في عيون الأهالي» (مشدد عليه في النص)، نقرأ في «مشروع برنامج عمل» مقدّم الى المؤتمر الفدرالي للجزائر لـ 14 يناير 1923، النشرة الشيوعية، 11 - 18 يناير 1923. انظر أيضاً نداء اللجنة التنفيذية للأمية الشيوعية، عماسية القكوى العاشرة لثورة أكتوبر، مراسلة دولية، 9 نوسر 1927.

العظيم

لقد ابتكرت سياسة الحركة الشيوعية تجاه الاستعمار ونوقشت وقُبلت و تُقَدَّت من طرف تنظيم سنذكر بعناصره الأساسية.

لقد تم تأمين وحدة المذهب والعمل المناهضين للاستعمار على الصعيد العالمي من طرف الأهمية الثالثة التي انتمت إليها جميع الأحزاب الشيوعية التي قبلت شروط الدخول، ومن بينها الالتزام بالتشهير بالامبريالية، ومساندة حركات تحرر المستعمرات والعمل من أجل استقلالها. إن الأهمية الشيوعية تتوفر على تنظيم دائم انتقل تدريجياً من بنية شبه فدرالية — حيث كانت الأحزاب الرئيسية تعين ممثليها بنفسها — الى بنية جد متركزة — يعين فيها المؤتمر أعضاء اللجنة التنفيذية — مع احتفاظه بمكان متفوق للحزب الشيوعي البلشفي. لقد كان بإمكان اللجنة التنفيذية أن تجتمع في جلسة عامة «جلسة مكتملة موسعة» بدعوتها للممثلي الفروع الوطنية المعنية على الخصوص بمجول الأعمال. لِنُوضَحْ منذ الآن بأن مسألة المغرب لم تُناقش أبداً من طرف مختلف مؤتمرات الأهمية ابشيوعية (20). لكن يبدو في المقابل، أنها عُولِجَتْ أو على الأقل أُثبِت مرتين من طرف الجلسة المكتملة، أولاً، في 1923 (21) والثانية في 1933 (22) وخمس مرات من طرف اللجنة التنفيذية، بين أبريل 1925 ومارس 1926، بمناسبة حرب الريف (23).

لقد كان تنفيذ سياسة الأهمية الشيوعية في دول ما وراء البحر الواقعة تحت السيطرة الفرنسية مُؤَمَّنًا من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي. وارتفعت داخل الأهمية أصوات ترجو إقامة تنظيمات شيوعية مستقلة في المستعمرات، تكون مرتبطة مباشرة بالكومينترن (24). غير

20 لقد أثبت فقط، بشكل عرضي، في مؤتمر شعوب الشرق، لأكو، في 1920، انظر ح. كزيماديلس، الحزب الشيوعي الفرنسي والمغرب، 1920 — 1938، أطروحة سلك ثالث، كتابات مرقوبان، تولوز، 1975، الجزء الأول، ص. 66

21 من طرف أبايسو، المدبوب الاساني، الذي أثار الراف الفرنسي — الانجليزي في الحماية ضرورة إطلاق حملة لمغادرة المغرب، إريك كاولي بيشل وشيارا روبرتاري، الأهمية الشيوعية والمشاكل الاستعمارية، 1919 — 1935، باريس، 1968، ص. 107.

22 في تقرير مقدم من طرف بياتينسكي يبالغ الوصف في آسيا وفي المستعمرات، نفسه، ص. 515.

23 نفسه، ص. 160. لقد نشرت صحيفتا الأهمية الشيوعية، مراسلة دولية وآلبيكو، أربعين مقالاً حول المغرب بين 1920 و1935 من بينها خمسة وعشرون حول حرب الريف، خمسة حول مشاكل اساتيا وخمسة حول مسألة طنجة. إن بعض هذه المقالات وقعت بالأحرف الأولى أو بأسماء مستعارة. ومع ذلك يمكن أن نتعرف فيها على خمسة صادرة عن مناضحين روس، ثمانية عن ماضلين إسبان، وثلاثة عشر عن ماضلين فرنسيين (خاصة سيمار، فايك — كوتوري، مارتق، تراك، ل. جيزو، روسي، بيري).

24 انظر تدخل كوستين أمام المؤتمر السادس (جلسة فاتح شتر 1928)، مراسلة دولية، 30 نونبر 1928، ص. 1663.

أنه بسبب الضعف العددي لهذه التنظيمات وسبب نقص تجربتها، اعتبر أنه من الأفضل تشكيلها مؤقتاً كفروع للحزب الشيوعي الفرنسي (25). وستدوم هذه الوضعية المؤقتة من حيث المبدأ، إلى غاية 1936 بالنسبة للحزب الشيوعي الجزائري، وحتى غداة الحرب العالمية الثانية بالنسبة للحزب الشيوعي المغربي. وقد دأب الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يتوفر على مندوب دائم في الجزائر، على تنظيم مهام مؤقتة في المستعمرات الأخرى. وانشغل أيضاً بإقامة مصلحة سرية ما أمكن، للاتصال معها، وذلك باستعماله على الخصوص للمناضلين المستخدمين في البريد والمواصلات السلكية واللاسلكية، وفي السكك الحديدية والمواصلات البحرية.

بعد مؤتمر تونز * بقليل، وبإيعاز من فايان كوتوري على الخصوص، وضعت أسس لجنة للدراسات الاستعمارية، وذلك «لأعداد الأدوات التي ستخدم النشاط المناهض للاستعمار للحزب» (26). وسيرسم المؤتمر الوطني الأول المنعقد بمارسيليا في دجنبر 1921، هذه البادرة، مع توضيحه بأن الجهاز الجديد ينبغي أن يتركب من مناضلين «يعرفون المستعمرات لكونهم سبق أن عاشوا فيها» (27). وهكذا وبعد فترة كانت اللجنة فيها منشطة أساساً من طرف مناضلين متحدين من ما وراء البحر (28)، تغيرت وأخذت تسمية المجلس المركزي المناهضة للاستعمار. وتكلف لوزيرا في بداية 1925 بسكرتاريته (29)، وفي 1926، تجلست تركيبتها كلياً، باستثناء دوريو الذي ظل يقوم فيه بدور أساسي. لقد اشترك فيه حينئذ، إلى جانب نائب سان - دوني، هيركلي وإيلور وترويان وبن لكحال. كما أن لجناً فرعية، انضم إليها أعضاء آخرون، تشكلت حسب كل مجموعة من المستعمرات (30). إن إعادة التنظيم هذه كانت فرصة للمناضل الجزائري الحاج علي لكتي يشجب المكانة المتفوقة الممنوحة للعناصر

25 دلائل البلشفية، أبريل 1930، ص 439 - 446 (عمل الحزب الفرنسي في المستعمرات).

* مؤتمر تونز هو ذلك المؤتمر التاريخي الذي انشق فيه الاشتراكيون الفرنسيون وأدى إلى بزوغ الحزب الشيوعي الفرنسي.

26 لوت سوبال، 3 شتنبر 1921 (مقال ساروت، ص 4)

27 النشرة الشيوعية، 14 فبراير 1922، ص 22 - 23.

28 AN SOM SLOT FOM IX 3 (مذكرة مفروسة الشرطة لـ 16 مايو 1922).

29 لقد كانت اللجنة تضم وقتذاك، بالإضافة إلى لوزيرا، أربعة أعضاء ثابتين : دوريو، علي، كزيمي ولانير، ونالبا : فيران. أرشيفات معهد موريس طويرز، سلسلة 92 (محضر اجتماع اللجنة المركزية في 3 فبراير 1925).

30 إن اللجنة المصغرة من أجل مجال إفريقيا مكونة كالتالي : بلكحال، رئيس (في شتنبر 1926، كان أحدهم يدعى فضولة هو الذي يشغل هذا المنصب)، الحاج علي، بورالي، سيدون، إسعاد، معروف، جان (من الشبيبة الشيوعية)، ليهيك (C.G.T.U)، كيو، فواسان، وعضو غير مشار إليه من المجموعة البرلمانية. نفسه، سلسلة 172. اللجنة المركزية والاستعمار (جلسة 14 أبريل 1906).

الفرنسية داخل المجلس ولكي يهاجم دوريو على الخصوص (31). لقد عُيِّن بعد بضعة أسابيع عضواً في المجلس (32)، ومع ذلك لا يبدو أن الصعوبات القائمة بين العناصر الفرنسية والعناصر المنحدرة من شمال إفريقيا قد ذلَّت (33). لقد أتى روجيه كايار ليساعد دوريو، ثم عوّضه عملياً ابتداءً من 1929 (34). غير أنه بدأ دون مستوى مهمته، وفي شتبر 1931 عُيِّن أندري فيرا مسؤولاً عن الفرع الاستعماري؛ وسيظل في هذا المنصب إلى غاية 1936 (35). إننا نميز من بين مُعاونيه هنرييت كارليي التي اشتغلت خصوصاً بالمشاكل الإفريقية (36).

قاد تطبيق سياسة الحزب الشيوعي المناهضة للاستعمار إلى تأسيس أو إلى التشجيع على تأسيس نوعين من المنظمات المختصة، وكان النوع الأول محكوماً بضرورات الدعاية والتحريض بين الشغّالين المُستعمرين في فرنسا. هكذا سبى النور في 1922 «الاتحاد بين استعماري»، رابطة المُتَحَدِّين من كل المُستعمرات»، الذي بدأ، خلال العامين الأولين من وجوده، أنه قام أساساً بجمع هندصينيين، آتئين، سنغاليين، ومدغشقرين، و عدد قليل من المنحدرين من شمال إفريقيا (37). وألح نداءه الأول على اللامساواة في معاملة المُستعمرين

31 لقد ذكرت رسالة من الحرب الشيوعي الفرنسي في 10 يونيو 1926 إلى سكرتارية الأمانة الشيوعية الحملة التي يقودها الحاج علي، مذكراً بأن هذا الأخير كان قد قدم للأمانة مشروعاً اعتبر «غير مقبول من طرف الحزب» بغضى إلى خلق حزب عملي حقيقي (يتروى على فروع مستقلة نقابية، والتحريض، والدعاية، إلخ) داخل الحزب الفرنسي، نفسه.

32 نفسه، (جلسة 9 شتبر 1926).

33 في 1928، يبدو أن الحاج علي قد وحه بواسطة رفاقه الجزائريين المسلمين، عناسة اعقاد المؤتمر العالمي السادس، رسالة جديدة إلى الأمانة، تشهر بـ «شوفينية» من بعض مناصب اللجنة الاستعمارية والحزب نفسه. AN F7 13170 (مذكرة 18 يناير 1929).

34 محادثات مع أندري فيرا. إن التاريخ ليس أكيداً. من بين الأعضاء الآخرين للفرع المعادي للاستعمار، كما سيقال بعد ذلك نقيلاً، كان يوجد كورمون، الذي سيهجر مدبراً لـ لومالتي وسيطر من الحزب بسبب حيانه، حوير الذي سيفادر عما قرب الحزب الشيوعي («عون البوليس الفرنسي» كما ستوضح لاحقاً لومالتي، 30 عشت 1932) وبالأخص لوزيراى الذي سيصبح بسبب الدعم الذي قدمه «للمعاعة بارلي — سيلور».

35 أندري فيرا، مزداد في 1902، ودوس بيليس. انحرف في الحزب في 1921، وصار أحد قادة الشبيبة الشيوعية. وقد كان تحت طائلة المحاكمة منذ 1927، وأحد يماضيل في السرية؛ اعتقل في مارس 1932 وأطلق سراحه في يوليو/بعض عفو. لقد استطاع في شتبر 1932 فعلاً أن يؤس قيادة الفرع المعادي للاستعمار. وفي 1936، تم طرد أندري فيرا من الحزب لاختلافه مع سياسة اللجنة الشعبية.

36 هنرييت كايي، من أصل ألماني، وصلت إلى فرنسا حوالي 1924، وكانت تشغل في مصانع رونو قبل أن تصير مداومة للحزب. وقد وقعت مقالات عديدة بالاسم المستعار هري كارتيي.

Union intercoloniale

37 لقد ضمت أول لجنة تنفيذية سبعة أعضاء يمثلون الهند الصينية (نكيان ات كوك)، هو شي منه المقل، لانيونون، لودامومي، لاكودالوب، مارتنيك، لاسيان، ومدغشقر. AN SOM SLOT FOM III,3 (بيان تمهيدي للاتحاد ضد الاستعمار، غير مؤرخ، لكن من المحتمل حداً أن يكون في 1922 أو 1923).

والفرنسيين وعلى ضرورة تظافر جهودهم مع جهود «الأخوان المضطَّهدين للميطروبول» (38). وانطلاقاً من 1924، دخلت العناصر الجزائرية، مثل الحاج علي وبن لكحال علي، إلى القيادة، وأخذت أهمية متعاظمة في الرابطة. إنهم، بمجموعهم تقريباً، يتواجدون في نجم شمال إفريقيا «، المنشأة في 1926، والتي كانت تحظى، خلال سنواته الأولى، بمودة الحزب الشيوعي.

من جهة أخرى، وطلباً لتوصيات الأمانة التي دعت مختلف الأحزاب الشيوعية لأن تطور بشكل أوسع، لدى الجماهير، سياسة مُساندة لصالح حركات التحرر الوطني، تشكلت، عَقِبَ المؤتمر اللّوئي لبروكسيل في 1927، عصبة فرنسية ضِدَّ الاضطهاد الاستعماري والامبريالية (39). لقد انفتحت لجتتها القيادية الأولى على مختلف تيارات اليسار. وقد قامت العصبة بإصدار نشرة، لكن عملها ظل خجولاً جداً وبلزم انتظار 1931 لكي تتحرك، بمبادرة من الشيوعيين، بتنظيمها في باريس لمعرض استعماري مُضادّ، وهو المعرض المُعادي للامبريالية. إلّا أن ارتداد العناصر غير الشيوعية حدّ من إمكانياتها (40)، رغم الدفعة الجديدة التي أعطتها إياها، ابتداءً من النصف الثاني من 1933، كلٌّ من فرنسيس جوردان وليو واري (41). حيثُ فقط عَمَدَتِ العصبة الى إقامة علاقات مُباشرة مع بعض المُستعمرات : الجزائر ومدغشقر، وكذا مع سوريا. ولم يكن لها أي ارتباط بالمغرب (42).

38 هذا النداء لـ 28 مايو 1922، طبع خلف تشريعات الاتحاد بين استعماري. نفسه.

L'Etoile nord-africaine

39 أنظر نشرة العصبة، عدد محصص لمعرض مظاهرة بروكسيل، في AN SOM SLOT FOM V-1. إن هذا المعرض لا يشير الى متلوث معرني، وتقدير الشرطة الذي يتحدث عن تدخل في المسبة لحسن المطار، أحد الرعايا المعاربة، يبدو لنا أن من الضروري أخذه بحذر. AN F7 13166 (مذكراً شهيرة عن الدعاية القوية في بلدان ما وراء البحار).

40 حسب معلومات مستقاة من مصدر بوليسي، كان المكتب المركزي للعصبة يضم في 1932 روجي كايار (الذي سيصبح بعد ذلك بوقت قريب بمناضل شيوعي آخر هو ألبير باهي، السمي كيزو)، أرغون، علي، بيدي، دوماي، مليك كوفورو، هنريو، جوردان وبريكا. وحسب تلك المعلومات ألح داناهي وفرنسيس جوردان، على ألا تدو العصبة تابعة للحزب الشيوعي الذي كان هنريو يريد أن يقطع معه صراحة. إن وِز مناضلي الحزب الشيوعي داخل الحزب لم يكونوا مائضاً للحساس القليل الذي كان لقيادة الحزب في دعم هذه المنظمة، مثلما اشتكى أرغون من ذلك AN F7 13166 و AN SOM SLOT FOM III, 133.

41 لقد أطلقوا صحيفة حديثة للعصبة جريدة الشعوب المضطَّهدة، وهي شهيرة مطبوعة، موجهة لأن تعرض لنشرة لم تكن سوى مرقونة، وقد صدر منها ثلاثة عشر عدداً من نونبر 1933 الى فبراير 1935 (مجموعة في AN SOM SLOT FOM V 27). عن ليو واري، انظر أدناه.

42 حياة العصبة، نشرة اتصال مرقونة، عدد دوت تاريخ، لكن من المحتمل جداً أن يكون قد ظهر بين ديسمبر 1933 ومارس 1934. في AN SOM SLOT FOM III, 50.

الحضور الشيوعي في المغرب حتى 1935

تعود أول إشارة واضحة لنشاط شيوعي في المغرب إلى حرب الريف (43). فقد ارتبطت باكتشاف مناشير من أصل فرنسي، في الأوساط الأهلية، ثمّجد عبد الكريم وتطالب بالجلالة عن المغرب (44). وتعرض ثلاثة فرنسيين، وهم ألامي، وهو رسام بالسكك الحديدية، وبيني، وهو مطبخي، وسيلور، وهو مستخدم، اشتبهوا جميعا بكونهم وراء توزيع تلك المناشير (45)، لاجراءات إبعاد اتخذها في حقهم ليوطي بنفسه في 30 ماي 1925 (46). بعد أسبوعين من ذلك تم إبعاد إدمون تاذي، وهو موظف بالضرائب، بدوره من المغرب، بتهمة «مناورات شيوعية» (47).

إن واجداً من الذين طردوا من المغرب على هذا النحو، وهو بيير سيلور، سينجح، عند عودته إلى فرنسا، كما نعرف، بسرعة في الحزب (48)، قبل أن يُطرد منه سنة 1932. لقد كان الاجراء المتخذ في حقه عندئذ يستهدف نشاطه في الأجهزة القيادية للحزب الشيوعي الفرنسي؛ لكن الحزب رأى بأن تفسير «حياته» موجود في تصرفه بالمغرب. إن كاشان يؤكد هذا (49)، ودوريو هو الذي تكلف بتقديم البرهنة عليه. ففي رأيه، يُعتبر طرد سيلور

- 43 أدى نشاط الحزب الشيوعي الفرنسي نحو المغرب بالخصوص الى إرسال حرائد ومناشير. لقد كانت بعض هذه الأخيرة، التي عملوا على أثرها، عمرة ترابط مع العمليات العسكرية التي ستواصل داخل الحماية حتى 1934. إننا ننتظر تحليلها فيما بعد (انظر أدناه، الفصول السادس والسابع). وعن النشاط الشيوعي في المغرب في 1935، تفرغ على مصادر مناصرة من مصدر شيوعي وهي صتيلا حدا فمحاصر اللحنة المركزية، والمكتب السياسي واللحة المكلفة بالقضايا الاستعمارية التي تمكنتا من استشارتها تتوقف في 1931، ووجدها إنسان مها يعودان الى مناضلين قاطنين في الحماية. أما الشهادات الشفوية التي تمكنا من جمعها فلا تهم الفترة السالفة على 1935. لذا فإن أرشيفات الحماية نطل مصدرنا الرئيسي للمعلومات.
- 44 AN F7 13171 (رسالة رقم 255 بتاريخ 10 أبريل 1925، من رئيس المجلس، رئيس الشؤون الخارجية، الى وزير الداخلية، والتي ترجع الى مراسلة لليوطي بتاريخ 3 أبريل).
- 45 نفسه. (برقيات من ليوطي في 4 مايو 1925، الى وزير الشؤون الخارجية وفي 31 مايو 1925 الى وزير الداخلية)
- 46 نفسه، إن إبعاد الأفراد «الذين من شأن تصرفاتهم أن تزعج أمن الجيش والحماية» إجراء إداري مخصص عليه في الفصل الثاني، الفقرة الأولى، من نظام 25 يوليوز 1924.
- 47 نفسه. (برقية ليوطي الى وزير الداخلية، بتاريخ 13 يونيو 1925). في نهاية شهر يوليوز، وكان فرنسي آخر هو ريتون لوردويك، ثم سوسريان، ألفريد هيث وهرمان ديشجر، مشوهين بمناورات شيوعية، تم «ترحيلهم طوعا» (كلام)، الأول على متن باخرة نحو مرسيليا، والآخران في اتجاه بوردو. نفسه. (برقيات ليوطي الى وزير الداخلية، يومي 20 و22 يوليوز 1925).
- 48 لنذكر بأنه انتخب في 1928 في اللحة المركزية للحزب، ثم في المكتب السياسي وفي السكرتارية في 1929.
- 49 لوماني، 9 أكتوبر 1932.

من الحماية لإجراء تافهاً اكتفت السلطات باتخاذها في حقه مقابل تبليغ المعني بالأمر عن أعضاء آخرين من المجموعة الشيوعية للدار البيضاء. غير أن التجربة تُبين «بأنه في كل مرة يتكلم مناضل الى البوليس، في التحقيق، يعطي معلومات، يدلي باعترافات جزئية، يبلغ عن بعض أسرار تنظيم الحزب، وخاصة إذا خان رفاقه، يغلو حتماً أداة في يد البورجوازية. فتقوم هذه الأخيرة باستعماله لصالحها، إما بالابتزاز أو التهديد أو الرشوة» (50). إن هذه الأطروحة مُقَصَّرة بغض الشيء. لتُغْفَل واقع كون دوريو، العليم جداً بالشؤون المغربية، لا «يكشف» ملابسات طرد سيلور، إلا بعد انصرام سبع سنوات على الأحداث، ولو أن هذا الأمر مشوش. إن التهمة ترتكز على الفكرة التي كانت لنائب سان * - دوني - أو التي كان يسعى لاعطاؤها - عن الدعاية الشيوعية في المغرب وعن القمع المُمارَس من طرف سُلطات الحماية. وفي الواقع، كان «العمل الثوري» للشيوعيين مقتصرًا على الأكثر على توزيع المنشائر، ولم يكن أكيداً أن المسؤولية الشخصية لسيلور في توزيع هذه المنشائر كانت قائمة. ومن جهة أخرى، لم نعر، بين 1924 و1925، في الحماية، على أي أثر لمحاكمة بسبب الدعاية الشيوعية، أو بشكل أعم، بسبب نشاط تخريبي. أما فرضية خيانة سيلور لرفاقه، فهي مُعْتَمَدة أكثر منها مضيئة. وبالفعل، بأي رفاق تعلق الأمر؟ إن دوريو لا يشير لنا إلى هذا. إلا أن الأرشيفات صريحة حول هذه النقطة: وحدهم بعض الأوربيين تم اعتقالهم من طرف السلطات. ولم يتعرض أي واحد منهم لمتابعات قضائية؛ بل تم طرد ثلاثة من بينهم (51) تماماً مثلما وقع سيلور، بينما سيعود واحد منهم، على الأقل، وهو تادي، الى المغرب. إن أسس التهمة، الصلبة ظاهرياً، تبدو لنا والحالة هذه، جد مُربكة. بخلاف ذلك، يبدو لنا محتملاً أن يكون سيلور، عند عودته الى فرنسا، قد سعى الى المبالغة في دوره، دون أن يفطن الى أنه بذلك كان يقدم حجة لمُتهميه المُقِيلين (52).

50 نفسه، 10 أكتوبر 1932

- يتعلق الأمر بدوريو.

51 ألمي، سبي وتادي، لاشي، يشير الى أن لوردفيك والسويسرين المشار اليهم أعلاه كانت لهم صلة بسيلور.

52 إن دوريو ليس المتهم الوحيد لسيلور، لكنه وحده، بعد كاشان، الذي اهتم نشاطه في المغرب. لقد أعقبت مقاله ثلاثة مقالات أخرى - في 11 أكتوبر 1932 من تاريخي، الذي سيطرد بدور في 1934 (كشريك في المسؤولية مع سيلور عن حيازة مغامرة) والذي شهر في الوقت الزاهن بـ «التصرفات الاجرامية» لرفيقه «هذا الخائن السافل»؛ في 12 أكتوبر، ساهم طوير في الالهام، وفي 13 أكتوبر عمد دوكلو الى مواجهة سيلور بتاريخي، الذي عرف كيف يقر بأخطائه، وأظهر «أنه كان مناصلاً نزيهاً مستحقاً ثقة الحرب، وليس له من شيء مشترك مع الخائن سيلور». لنذكر بأن تاريخي وسيلور سيحققان بدوريو في حرب الشعب الفرنسي (نازي) وسيحكم عليهما عند التحرير بسبب تعاونهما مع ألمانيا النازية.

اشتراكيون متقدمون ؟

1926، قدم دوريو التوضيح التالي أمام اللجنة المركزية للحزب : «فيما لمغرب : ليست لدينا هناك أية قوة حزبية. إذ أنها مقتضبة على متعاطفين هذه الوضعية بـ «سلسلة من الكوارث» : «لقد سبق أن شكلنا مجموعات ثم طرّدها الواحدة تلو الأخرى، فألقى حزينا نفسه مُفَكِّكاً»، الأمر الذي من القيام بعمل فعلي في المغرب». وبناءً عليه، اقترح «أن يُرسَل الى هناك التوغّل في الوداديات «العمالية» وفي الحزب الاشتراكي وفي عصبة حقوق سمعيات (كذا) التي لها الحق في التواجد بشكل قانوني» (55). إن اقتراح حليق، وفيما نعلم، لم يتم اتخاذ أي قرار وقتذاك من طرف اللجنة المركزية.

بعد أربعة أشهر على استسلام عبد الكريم، كانت الوضعية المغربية موضع لجنة مناهضة الاستعمار التابعة للحزب الشيوعي الفرنسي. وقد أجرى حواراً مع سان — برو وهو صحفي بـ لومانييتي، عائد من المغرب. فقد تأثراً بـ «التأثير» الهام نسبياً للحزب الاشتراكي في الحماية، «رغم كل الطابع المتناظر للمنضمين لفرع الدار البيضاء : فهو يضم ماسونيين من «العمال» مكوّنة في أغلبها من مُستَخدمين في السلك الحديدية براباتهم سنة 1920 (55). لقد كان على رأس هذه المجموعة الأخيرة أحدهم «هو الذي كان لنا معه الارتباط» (56). وهذه المجموعة، بعد أن اقترحت اشتراكي وتشكيل حزب شيوعي، صار على المجلس أن يحدّد موقفه. لقد بعة كهذه «ستكون شيئاً مؤسفاً». وبالفعل «يمكننا الاعتماد على خمسة أو ن على العمل معنا والذين لم يتموا بعد تأثيرهم داخل الحزب الاشتراكي ولا الأخرى (الوداديات العمالية) وإذا ليسوا بمعروفين، ليس لديهم أي تأثير لدى اقتراح إعطاءهم كتوجيهاً «تشكيل يسار داخل الحزب الاشتراكي في

. موريس طوريوز، سلسلة 142 (عصر اللجنة المركزية الموسعة أيام 6 — 8 أبريل 1926).
مرض نصيحة لاشخصية. نفسه. سلسلة 172. اللجنة المركزية والاستعمار (عرض اجتماع 9 شتنبر

الاشتراكي في الحماية. انظر الحزب الثالث. لوصح هنا بأن الفدرالية الاشتراكية للمغرب أنشأت في 1925 كانت ضم ثلاثمائة وأربعة وأربعين منخرطاً وفي 1926 خمسمائة وسبعين. إن ما نعرفه، من الوسط الاشتراكي البيضاوي لا يظعن في الاشارات التي أوردها سان — برو.
جري، إسهاد الى المراسلة المضادة مع «رضي الدار البيضاء الذي دخل في اتصال مع الـ C.G.T.U». بالونتان ؟

المغرب، يكون هدفه أن يُسرَّب أوامرنا ببطء وأن يرغم الحزب الاشتراكي تدريجياً على الاهتمام بالأهالي». وبعد ذلك فقط يمكن التساؤل حول مدى مناسبة إنشاء حزب شيوعي (57). كما أنه من الوارد «بمجرد عودة التلاميذ الموجودين حالياً في الجامعة» أن يتم «إلحاق» أحدهم وإرساله إلى المغرب (58).

من هذه الوثيقة، يمكننا استعراء الانتباه إلى :

□ عدم وجود تنظيم شيوعي مستقل بالمغرب في 1926؛

□ الوجود، داخل الحزب الاشتراكي، لعناصر شيوعية أو متشايعة ينبغي التنبيه إلى ثلاث مميزات بصلدها : إنها تنتمي لوسط عمالي، سيككي على الأرجح؛ إن عددها جد قليل؛ وأنه ليس لها أي صيت. إننا نعلم من جهة أخرى أن الفروع الاشتراكية، في الظرف الخاص بالحماية، تتقبل بنوع من الليبرالية مناضلين شيوعيين. وهذا يسمح لنا بإبداء كل التحفظات حول الطابع السري، كثيراً أو قليلاً، للجناح الشيوعي داخل تنظيم الحزب الاشتراكي.

□ إقامة ارتباط بين، واحد من هؤلاء المناضلين «فالونطان» على الأقل وقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي، وجرّص هذه الأخيرة على توجيه دعايتهم نحو المغاربة. لكن ها هو تقرير للأمن العام للحماية يعلن في يوليو 1927 بعد أقل من سنة من ذلك، بأن «الدار البيضاء صارت مؤخراً مقراً لأول خلية شيوعية» (59). هل ينبغي الاستنتاج بأن التوجيهات قد تغيرت وأن عدد المناضلين الموالين للحزب الشيوعي قد غدا مُهمّاً بما يكفي لتبرير إنشاء تنظيم مستقل ؟ إن صاحب التقرير يورد أسماء ثمانية أشخاص كانوا ينتمون لهذه الخلية (60) وحوالي إثني عشر متعاطفا «قابلين للانضمام إليها». ومن بين «الأعضاء» الثمانية، هناك إسمان معروفان لدينا على الخصوص : إنهما إسماء ميشيل أنطومييلي «وهو الموجود على رأس الخلية»، وكاريت — بوفي. إن الأول تاجر مخمور، والثاني مدير أسبوعية بيضاوية كبيرة، لوكري ماروكان *. كلاهما مناضلان اشتراكيان، في متنى الفعالية، وذوا

57 نفسه. عبارة ذلك سيم القيام بجهود لكي تشكل العاصر الشيوعية والمتشايعة «لفصائل» داخل وداديات عمالية، حتى يتم تدعيمهم «في ميدان نقالي صرف».

58 نفسه. لا يمكن أن يتعلق الأمر في رأينا، سوى بـ «جامعة بوبسي»، التي تم إنشاؤها لتكون أطرها من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي في نهاية 1924. إن «الحامعات» التي تم إنشاؤها في الاتحاد السوفياتي لم تكن تفتح إلا بشكل استثنائي للتلاميذ الغربيين ولا يبدو أنها استقبلت فرنسيين. (برانكو لازيتش) «مدارس الأطر للكونمترن» في مساهمات في تاريخ الكونمترن، حنيف، 1965، ص ص 223 — 257. أما «المدرسة اللبينية» فلم تنشأ إلا في 1926، ولم تستقبل، حسب بلوتي، تلاميذ فرنسيين إلا ابتداء من 1927 (نفسه، ص. 241).

SHA MAROC RSD 79 (II C 2) 59

60 لا نجد من بينهم سوى عاملين، أما الآخرون فتجار، مستخدمون، صقليون.

علاقات منتظمة مع قيادة الحزب في باريس، خاصة مع رونوديل، وجان لونكي (61). ولم يكن لهما أي ارتباط مع العناصر الشيوعية المنضمة للفرع البيضاوي للحزب الاشتراكي التي ورد ذكرها. ثمة أسباب خاصة، كما سنرى، تفسر كون كاريث — بوفي يُنعت، في بعض تقارير الشرطة، بالشيوعي. لكن لا شيء، حسب علمنا، يسمح بهذا الخلط إن لم يكن لزوم ملحوظ في الأوساط البوليسية إلى اعتبار عناصر الحزب الاشتراكي التي تعبر عن آرائها بقوة أكبر عناصر شيوعية. إن جاك كرماديلس الذي درس الحزب الشيوعي في المغرب، معتمدا خصوصاً على الترشيقات البوليسية، لم يتج من هذا الاغراء. فبعد أن سرّ المظاهرات التي وقعت في الدار البيضاء، في غشت 1927، لصالح صاكو وفانزيتي، بدا له «واضحاً» أن المناضلين الثلاثة، أنطونيلي، فارغ، وكازانوف، المعتقلين بهذه المناسبة والمائلين أمام المحاكم «كانوا شيوعيين» (62). وإذا كنا في هذا الطرف، لا نعرف شيئاً عن كازانوف، فإن الأمر مخالف بالنسبة لكل من أنطونيلي وفارغ. فكلاهما، بعد أن أخذاً حكماً ابتدائياً بسجن نافذ (63)، سيحصلان على السراح أمام محكمة الاستئناف التي أزرهما أمامها، بطلب من الفدرالية الاشتراكية للحماية، جان لونكي (64). وبعد ذلك، سيفقدون شريكين في العمل الذي كان يقوم به ابن عميهما روبر — جان لونكي، الذي كان يناضل أيضاً في الحزب الاشتراكي، لصالح الوطنيين المغاربة الشبان.

في 1928، طعن تقرير للمصالح الخاصة يركز على معلومات مبلغة من طرف الأمن العام في استنتاجات يوليو 1927 وتقرأ فيه: «لم يتم بعد، تشكيل أية خلية (...) إن التنظيم الشيوعي ليس قائماً في المغرب» (65). وفي 1929، كان الحزب الشيوعي الفرنسي، حسب وزارة الداخلية «يولي عناية خاصة لدعايته في المغرب. إن له في هذا البلد مناضلين يساعدونه بنشاط في مجهوداته، وهم منشغلون حالياً بإنشاء حزب شيوعي عربي»؛ وقد كان بينهم وبين الحزب في باريس اتصال منتظم (66). وبعد أن سُمّل رئيس منطقة الشاوية (الدار البيضاء) من

61 محادثات، المؤلف مع روبر — جان لونكي.

62 كتب مشار إليه، الجزء الثالث.

63 انطونيلي عشرون يوماً من السجن، وفارغ شهران.

64 بعد سنوات من ذلك، أمام المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي، أثار جان لونكي هذه الحلقة. انظر المؤتمر الوطني

الفلانوي المنعقد بباريس، 14 — 17 يوليو 1933، عرض مختزل، ص 129 — 130.

65 SHA MAROC RSD 79 (116)، مذكرة SRII في 20 مارس 1928). إننا نقرأ فيها أيضاً بأن «العناصر المتطرفة للفروع المحلية للحزب الاشتراكي متوحهة بوضوح نحو الشيوعية»، لكن هذا التقدير لم يكن محل توضيح.

66 AN F7 13170 (مذكرة رقم 3257 في 4 أبريل 1929 من وزير الداخلية إلى وزير الشؤون الخارجية) إن نفس المعلومات كانت موضع إرسالية من وزارة المستعمرات إلى الشؤون الخارجية 734 S/n° في 29 يوليو 1929

(45) AN SOM SLOT FOM III). وإن حوالي خمسة عشر إسماً لـ «مراسلين» تمت الإشارة إليهم : تسعة من بينهم

يقيمون في الدار البيضاء، إنان في الرباط، واحد في مكناس، واحد في طلمبة وواحد في قصبة تادلة. ونفقط ثمانية منهم

طرف الإقامة في 1935 حول النشاط الشيوعي، قَدِّمَ جَرْدًا تاريخياً، قبل أن يلخّص الوضع في مُجملته : في 1928، استرعى انتباه السلطات نشاط دُعائي، لكن هذا الأخير «ظل في بداياته مُبْتَعَثاً وَلَمْ يَنْمَ عن وجود تنظيم شيوعي قائم بداته في الدّار البيضاء أو في هذه المنطقة»، وفي غشت 1933 سَجَّلَ «تزايداً ملحوظاً للدعاية الشيوعية في الدّار البيضاء، وفي نفس الوقت بداية لتنظيم هذه الأخيرة على شكل مُظاهرات وإضرابات صغيرة» واعتبر رئيس المنطقة أنّه منذ ذلك الوقت بدأ يتوضَّح «هَدَفُ المُخَرِّضِينَ (...) ألا وهو أن يُنشِئُوا في الدار البيضاء ورما في مدن أخرى بالمغرب نَوَى خلافاً شيوعية تُخفي عملها بستار منظماتٍ للتعاون العمّالي ضِدَّ عواقب البطالة». وأخيراً، ابتداءً من دجنبر 1934، تَمَّ تمييز «نُزْوٍ أكيد نحو إنشاء تنظيم شيوعي بالدار البيضاء على أسس واضحة ودائمة» (67).

لم يكن هناك إذن تنظيم شيوعي حقيقي في المغرب قبل 1935. لكن كان هناك، بكل تأكيد، مناضلون منعزلون — أو منخرطون في الحزب الاشتراكي — والذين يبدو لنا أن نشاطهم كان مُوجَّهاً إلى توزيع منشورات وجرائد قادمة من باريس. هذا، على أية حال، م تكشف عنه «القضيتان الشيوعيتان» الوحيدتان اللتان تحتفظ الأرشيفات بأثرهما : قضية آرْمُونَكُو — فَأَلُوثَان * وقضية دُومُون *. أما قضية المغرب الأحمر في بداية 1935 فهي تعبير على المحاولة الأولى المعروفة لهؤلاء المناضلين لكي يُنظِّمُوا أنفسهم ويُعبِّروا عنها علانية.

قضية آرْمُونَكُو — فَأَلُوثَان

في 19 فبراير 1928، فاجأت شرطة سوق أربعاء الغرب (وهو موضع يقع على بعد حوالي مائة كيلومتر شمال الرباط) أحدهم يُدعى آرْمُونَكُو، وهو أمين مساعد بالأشغال العمومية، في حالة تلبس بدعاية شيوعية مناهضة للنزعة العسكرية (68)، وقد صرَّح بأنه تلقى

توضيح منهم، أي : أربعة أعوان في السكك الحديدية، موظفان، ميكانيكي ويقال. وقد اعتبر كل من جان ثوابي وهو مهندس زراعي بقصبة تادلة، وبيارشميون، بمثابة «مناضلين من الطراز الأول». لقد كان بيار شامبيون مناضلاً نقابياً فصل من السكك الحديدية للمغرب إثر تحريض السككيين سنة 1929. ويقدم بيار سيمار، في مداخلة في الدورة العاشرة للجنة التنفيذية للأهمية الشيوعية، عرضاً سريعاً للوضعية في المستعمرات الفرنسية، وبخصوص المغرب يوضح : «ليس لدينا حزب هناك، وإنما بعض المراسلين»، الجلسة الخامسة، 8 يوليوز 1929، مراسلة دولية، 10 شتنبر 1929، ص ص 1137 — 1151. وفي المؤتمر السادس للأهمية الشيوعية (غشت 1928) كان الوفد الفرنسي يضم ثلاثة هندسيين، ثلاثة جزائريين وتونسيين، ولكن أي مغربي.

67 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 277/AI/C في 28 فبراير 1935، من المراقب المدني، رئيس منطقة الشاوية (أورنيلاب) إلى رئيس مصلحة المراقبة المدنية.

Armengand-Valentin Dumont

68 نفسه، RSD 79 مذكورة 3501/SG (الأمن العام) في 24 فبراير 1928 لأجل رئيس الديوان العسكري. لقد كان مسك في يده، تأخذ المقاهي، منشورا بعنوان «إبراهيم، قناص أفريقي هائل»، الذي عثر لديه على عدد من نسخته. وكلتا جرائد وملصقات شيوعية معادية للنزعة العسكرية. حول هذا المنشور أنظر أدناه، الفصل السابع.

المناشير الموجودة في حوزته من فور، وهو مُقاول في النقل بالرباط. لقد حُجِرَتْ في منزل هذا الأخير «وثائق عديدة وجرائد شيوعية مناهضة للنزعة العسكرية» وأقر، بدوره، أنه أخذها من أحدهم يُدعى فالونتان بالدار البيضاء (69). وقد تلقى هذا الأخير هذه الوسائل للدعاية من «مُسَجِّلين بَحْرِينَ يعملون على ظهر بواخر شركة باكي * ويقومون بدور ضباط اتصال بين المنظمة المارسلية والمغرب»، لكن هذا الاتهام الأخير، فيما يبدو، لم يُفَضَّ إلى شيء (70). مثلما لم يفض إلى شيء اتهام فالونتان بكونه أمين صندوق الاتحاد الأحمر الدولي للمغرب وأنه بهذه الصفة كان عليه أن يتوجه «مُوكَّلاً بطريقة قانونية من طرف خمسة عشر متعاطفاً» (كذا) إلى المؤتمر الرابع لـ S.R.I. بموسكو (71). وعند مثلهم أمام المجلس الحربي بفاس بتهمة الدعاية المناهضة للنزعة العسكرية، حُكِمَ عليهم يوم 27 أبريل 1928 : فور، بِسِتَّةِ سِجْناء، أرمونكو بستين، وقالونتان بستة أشهر، مع تمتيع هذين الأخيرين بوقف التنفيذ. لقد حصل فور على نُقْضِ الحكم الخاص به، فأُرْسِلَ أمام المجلس الحربي بمكناس الذي حَكَمَ عليه في 30 يونيو 1928 بِسِتَّةِ سِجْناء مع وقف التنفيذ (72). لكن كما كَتَبَ كرماديلس، الذي دَرَسَ القضية من خلال جرائد الحماية، لم يحصل في أي لحظة «لا في الصحافة المغربية، ولا في البلاغات الرسمية، ولا أثناء المحاكمة، أن اتَّهَمَ الحزب الشيوعي الفرنسي» (73).

قضية دُومُون Dumont

بين 1928 و1934، لم تذكر الأرشيفات أية «قضية شيوعية» داخل الحماية. إن ذهاب وعودة بعض الأجانب، ومن بينهم أشخاص يُفْتَرَضُ أنهم شيوعيون — سيتيح الفرصة، كما سنرى، لتأويلات مختلفة : غير أنه لم ينجم عن ذلك أية مظاهرة خاصة، ولم يتعرض أحد من المذكورين لأي اعتقال، أو بالأحرى لأي اتَّهام.

69 نفسه، وملكرة SR 11 لـ 20 مارس 1928. يتعلق الأمر جيندا بفالونتان ادي سجلنا أعلام أنه كان على صلة باللجنة الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي. ولكن إما لأن هذه الأخيرة لم تكن حسنة الاطلاع، أو أن فالونتان غير مهتة، فلم يعد عاملاً أو سكتياً، وإنما بالغ مشروبات (نفسه، IIC1 رقم 23).

* Paquet

70 نفسه، ملكرة SR 11 لـ 20 مارس 1928. إنها لم تذكر سوى في ملكرة إخبارية واحدة
71 لانقوم قرار الاتهام بأية إشارة إلى الصلاحيات التي لم يكن واردا ألا تثار وتلك مع قوة أجنبية. أنظر كرماديلس، مشار إليه، ص ص 254 — 255.

72 SHA MAROC RSD 79, II C 1 رقم 33 (رسالة الجنرال فيدلون، قائد قوات المغرب، إلى المقيم العام، تاريخ 8 يوليو 1928). حسب الجرائد المستشهد بها من طرف كرماديلس، فإن نص الحكم لـ 27 أبريل 1928 كان كالتالي : أرمونكو، ستة أشهر سجنًا، فور، ستة، وقالونتان ستان. إنها لا تشير إلى وقف التنفيذ ولا إلى المحاكمة الثانية لفور، مشار إليه، ص 255.

73 نفسه، ص 254.

في نهاية 1934، تم اعتقال جول دومان، وهو قبطان احتياطي حاصل على وسام الشرف من درجة فارس، ووكيل بسوق مكناس، بسبب دعاية شيوعية في وسط أهل (74). وبهذه أكر، كان مُدِيناً بِجُنْحَتَيْن :

□ من جهة، بكونه أفاض في حديث يهاجم حقوق الجمهورية الفرنسية وسلطانها في الامبراطورية الشريفة (75)؛

□ من جهة أخرى، بكونه وزع جرائد ممنوعة. وعند مثوله أمام المحكمة العسكرية بمكناس، أظهرت النقاشات بأن تصريحات دومون تمت أمام أحدهم يدعى ادريس بنعبد العزيز وكررت أمام هذا الأخير وشاهدتين آخرين. لقد كان ادريس بنعبد العزيز، وهو «شاب أهل متعلم» جاسوساً للشرطة : وقد فسر رئيس الأمن الاقليمي بمكناس كيف تمكن من استعماله لاجتذاب دومون الى الفخ وجعله يكرر خطابه «المُعادي لفرنسا» في جلسة كان يحضرها مُقْتَشَان من رجاله. لقد أكرر دومون التصريحات المنسوبة إليه في وقت اعترف عن طواعية بكونه وزع بعض النسخ من الجريدة الممنوعة، الشرق العربي، وكونه طلب تلغرافياً مائة نسخة من طبعة خاصة لـ لومانيتي ثم حجبها عند وصولها الى البريد. وحكم على المتهم، الذي لم يُدَّ خلال الجلسة «أي ندم وأية توبة» (76) بثلاثة أشهر سجنًا و مائة فرنك غرامة، وفور إطلاق سراحه، تعرّض لقرار طرد (77).

74 بعد الحرب، انشغل دومون بالزراعة في منطقة عين تانات. وحسب لاثريون (صحيفة معمرى مكناس)، فإنه قد أخفق في مشروعه وبيعت أملاكه بواسطة القضاء (17 يناير 1935). إن ألبير عياش الذي يستند الى الشاهدة الشخصية لشارل دوبيو، يلح على واقع كون دومون، المتأثر بشكل خاص بيويس الفلاحين المغربية، تدخل لصالحهم لدى الادارة. «إن قراءة لومانيتي، التي كان يروده بها رئيس محطة تلفته، جعلت منه شيوعياً». (اليمين واليسار في الحماية الفرنسية للمغرب في 1934 - 1936 في لايلوني، عشت 1976، ص 97).

75 في 19 نوفمبر 1934، قال على الخصوص : «المغرب للمغاربة. ينبغي الفرد من أجل هذا... لن أكون سعيداً إلا يوم تطرد فرنسا من هنا؛ يا للفرح الذي سيغمرنا ذلك اليوم!» مذكرة رقم 12/5 في 5 دجنر 1934، من معوض الحكومة لدى المحكمة العسكرية لمكناس، متعلقة بأمر الاخبار. SHA MAROC RSD 88 (ملف دومون).

76 SHA MAROC RSD 88 (ملف دومون، رسالة رقم 143/5 في 18 فبراير 1935، من رئيس أمن مكناس الى قائد المنطقة). إن هذا الموقف يناقض موقف فالوتان، وأرمولكو وفور قبل بضع سنوات، كرماديلس، مشار إليه، ص 255.

77 نفسه. يبدو أن دومون طعن بطريقة القضي، لأن مدير مصالح أس المغرب شرح لرئيس الديوان العسكري المقيم أن من رآه انتظر قرار المحكمة قبل تنفيذ إجراء الطرد (رسالة رقم 4076 DSS في 2 مارس 1935). لكن هؤلاء المنتدب لدى الإقامة العامة، وقع في 6 مارس 1935 قرار الطرد (رقية مرقوبة، 106 - 107 - 108 الى الكي دورساي في نفس اليوم). عند عودته الى فرنسا، ناضل دومون في الحزب، بإرتباط مع الفرع المعادي للاستعمار ومع ليو وانر من العصبة المناهضة للاستيحالة (مصادقات مع أندري فيل). وإبان حرب اسبانيا، انخرط في الفيلق الدولي، حيث عمل برتبة عقيد. وقدمت بارسا في 1947.

لغرب الأحمر *

منذ الأيام الأولى لفيبراير 1935، كان يوزع في الحماية العدد الأول من مارك روج * هي «جريدة الحزب الشيوعي المغربي». لقد كانت هذه «الجريدة» على شكل ورقتين ضروبتين على الآلة الكاتبة، ومسحوبتين على الآلة التاسيخة وموجهتين داخل ظرف الى مختلف المرسل إليهم (78). لقد سعى أصحابها الى الرّد على محاكمة جول دومون : «هل من مسموح للمرء في المغرب بأن يكون شيوعياً أم لا ؟... إن الذعر الكبير الذي نجم عن محاكمة مكناس نتج عنه في نفس الوقت، على الأقل، نشوء الحزب الشيوعي المغربي، وهو ما لم يتوقعه خدام الرباط (79). فسواء رضي حملة السيوف بذلك أم لم يرضوا، فإن حكمهم أثار في مجموع المغرب حركة من الفضول المتعاطف مع مذهبا الذي انتظره الكثيرون لاشعوريا. يسير عرف رفاقنا كيف يستفيدون من النتائج المفرحة لكل هذا التعاطف». إننا نقرأ في «نداء الى الناقلين الصغار» (80) : «ليس ثمة أورييون، وليس ثمة أهالي؛ هناك أغنياء يستغلون الفقراء، وهناك فقراء يكسحون ويعانون لتسمين الأغنياء»، وتوجه النداء بالتمرد بالضبط الى هؤلاء الناقلين الصغار (81) : وهو لم يتعدّ الدعوة الى سدّ الطريق لمنع مرور حافلات الشركة المغربية للنقل (ستيام) وهي شركة النقل القوية المراقبة من طرف بنك باريس والأراضي المنخفضة. لقد منعت السلطات في 19 فبراير، توزيع جريدة مارك روج (82)؛ وخلال شهر مارس، كان عَدَدُ ثانٍ للورقة الشيوعية يروج داخل الحماية (83).

لقد توجه تحري الشرطة نحو أحدهم يدعى بيسير، وهو طالب حقوق شاب، مسجل بكلية بوردو ومقيم بالدار البيضاء. فهو «يبدو منذ رُدّج من الزمن العضو الأكثر فعالية

* Maroc rouge

- 78 لقد عثرنا على نسخة من هذا العدد في أرشيفات الديوان العسكري للقيم العام. SHA MAROC RST 79 (مرسل بملزمة OLR رقم 844 لـ 2 أبريل 1935). لقد نشرت لافريك فرانسيه مقطعات منه (مايو 1935، ص 222) أخذتها من لافريس ماروكان : وهي مقطعات متورة حرمت معناه. حسب كرماديلس الذي يستند الى مصادر بوليسية، فإن سحب هذا العدد الأول كان خمسة آلاف نسخة (مشار اليه، ص 332). وحسب أليز عياش الذي تلقى شهادة شارل دوبري، الذي شارك في إنجاز ماروك روج، فإن السحب كان حوالي خمسمائة نسخة (مقال مشار اليه، ص. 97).
- 79 ينبغي تأويل هذا التأكيد بحذر، لأنه بعد ذلك بقليل يوضح النص : «ثمة تماطلات لانهى بمروحة لنا ينبغي أن نعرف عما قريب جمعها وتنسيقها لكي تشكل منها الحرب الشيوعي.
- 80 مهددين بالاندثار بحكم إعادة تنظيم النقل الطرقي. وقد مثل هذا «النداء ثلث العدد.
- 81 «تمردوا ! الحزب الشيوعي المغرب يتأديكم للنضال، وسيساعدكم؛ سيكون الى جانبكم دائما وأبدا»
- 82 نشرة رسمية، 15 مارس 1935.
- 83 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 12 س لـ 14 مايو 1935 من المفوض عميد أمن الدار البيضاء، كايرو، الى رئيس المنطقة المدنية).

للنواة الشيوعية لمدينتنا، ولا أدل على ذلك من الدور المهم الذي بدأ يحاول أن يلعبه» (84)، وقد اعتبر البوليس وقتذاك أن بإمكانه البرهنة على ذلك بوثائق تثبت وجود علاقات بيسير بالحزب الشيوعي الفرنسي في باريس، لكنه ألح أكثر على العلاقات التي لبسير في الدار البيضاء : وعلى الخصوص، ببحار في البحرية الوطنية، وهو أوليفي روبر الذي كان يتوجه كل يوم تقريباً إلى منزله، وبعض أفراد التعليم (85)، وعامل عاطل (86)، ومهندس (87). لقد كان العديد من هؤلاء الأشخاص يجتمعون في «مجموعات صغيرة» ويظهرون لرجال البوليس «مشبهين بشكل خاص» (88). و «بدأ» أن ماروك روج «تُخرج من هذا الوسط» (89). مع ذلك، لم يتقدم البحث البوليسي إلى اليوم الذي ذهب فيه بيسير بعفوية ليقترح خدماته على البوليس وليقدم «إفشاءات» حول التنظيم الشيوعي داخل الحماية : وحسب أقواله يوجد في الدار البيضاء «فرع» للمغرب يرتبط به بعض العناصر بطريقة فردية، كما ترتبط به عشر أو اثنا عشرة خلية، خاصة في مكناس وفي فاس. ويؤكد بيسير بـ «أن باريس، هي التي تعطي توجيهات»، وهي التي «تدفع» خاصة «إلى إنشاء خلايا أهلية»، لكن حول الأنشطة الشيوعية الصرفة، اقتصر «إفشاءات» بيسير على التوضيح كيف تم في رأيه، إنجاز وتوزيع المغرب الأحمر (90). وفي الواقع، لا يمكن لأقوال بيسير أن تُقبل على علاتها. فلون ريب، ظهر بسرعة أن من بين الأشخاص الذين بلغ عنهم للبوليس باعتبارهم شيوعيين، هناك كثير من المتعاطفين أو المناضلين المُقتنعين : سنتعرف عليهم. لكن إشاراته حول الانغراس الشيوعي في المغرب جد مُبالغ فيها (91)، والدور الذي ينسبه إلى نفسه مشبوه (92). والبوليس الذي

- 84 نفسه. رسالة DC / 119 في 7 فبراير 1935، من أوليانياب، رئيس منطقة الشاوية إلى مدوب الإقامة.
- 85 روجي برونوت، أستاذ بالمدرسة الصناعية، آلان كيافيري، معلم بمدرسة أبناء الأعيان، أندري جوانو، حارس عام سابق بداخلية المدرسة الصناعية. نفسه.
- 86 دورعان. نفسه.
- 87 روفي روكس. نفسه.
- 88 مشبهون بكوسم شيوعيين. إن التقرير يوضح أيضا : «إن برونوت ليس معروفا بعد لدى مصالحنا؛ وكيافيري «يمكن أن يكون مناصلا، لكن ليس ثمة واقعة محددة ضغطت حتى الآن من شأنها أن تؤكد هذه المعلومة»؛ أما دوغان، فـ «يبدو أنه يعمل كعون ربط». لقد تمت الإشارة إلى أوليفي روبر باعتباره أن له «صلات مشبوهة في الأوساط الشيوعية». بينما قيل عن روفي روكس، وحده، بأنه «أحد الأعضاء الرئيسيين للتنظيم الشيوعي بالدار البيضاء». نفسه.
- 89 نفسه.
- 90 رسالة مشار إليها في 14 مايو 1935.
- 91 انظر كرماديس، مشار إليه، ص 334 — 338.
- 92 إن الشاب بيسار يقدم بعض الملاحظات الغريبة. فقد كتب إلى شاليو، مدير ماروك سوسبالمست، رسالة ملتصقة حدا لكي يوصي إليه بأن يسهل الاتصالات بين الشيبات الاشتراكية، والشيبات السلموية والشيوعية (رسالة مشار إليها في 14 مايو 1935). بمראה ذلك، طلب في 26 يناير 1935 من رئيس الفرانكيسست (منظمة إيمينية متطرفة معادية للسامية) أن يكون مثله في الدار البيضاء. وقد أعطاه السكرتير السياسي، موريس دويونار، موافقته وأوكل إليه بتوزيع

أعطى، مع ذلك، اعتباراً كبيراً لتصريحاته (93)، وجد نفسه مُرغمًا على إغلاق هذا الملف الذي لا يكشف عن أية مناورات شيوعية تقع تحت طائلة القانون (94).

الأسطورة

إن المغرب واحد من بلدان ما وراء البحار حيث أُلصَح أن الحضور الشيوعي، بين 1920 و1935، جَدَّ ضعيف. فأطروحات الأُمّية الشيوعية والحزب الشيوعي الفرنسي الدّاعية إلى التحرير الوطني والاجتماعي للشعوب الواقعة تحت السيطرة لم تعرف سوى تطبيقات ضئيلة داخل الحماية : فوجد النشاط الشيوعي أو المَعْدود كذلك، نفسه مَحْصُورًا في توزيعات متقطعة للمناشير والجرائد، داخل الحدود الضيقة للسّرية. لقد كان ذلك النشاط مطبوعاً بحرص بعض المناضلين على توجيه دعايتهم نحو الأوساط المغربية. وفي بَلَد كانت البروليتاريا العمّالية فيه ما تزال بَعْدَ قليلة، ليس مُدْهِشاً أن يعثر التحريض على دعائمه الأساسية في المصالح العمومية وخاصة لدى السّكّكين. إن الأرشيفات مَكْنُتُنا من سَرْدِ الوقائع البارزة : فلم يحصل في أية لحظة أن وُجِدَتْ مؤسسات الحماية، وبشكل أعم، الحضور الفرنسي في المغرب نَفْسَهُ مُهْتَدِئاً. مع ذلك، وبشكل متوازي، كان قد تم بناء أسطورة : أسطورة مؤامرة مُدْبَّرَة ومُعَدَّة من طرف البلشفيين، بارتباط مع العناصر الوطنية، بهدف انفجار وطني وثوري بالمغرب. إن هذه الأسطورة لم تكن وليدة مُخَيَّلَة بعض الصحفيين. فَبُنِيَتْ من طرف المصالح الفرنسية المختصة، وتغلغلها في الأوساط السياسية المختلفة، كافيان لتنبية المُؤَرِّخ. وبسبب بنا تداخلها مع تاريخ علاقات اليسار والحركة الوطنية المغربية أن نوليها الاهتمام. هكذا نقترح على أنفسنا تحليل مكوّنات هذه الأسطورة، ودراسة بدء تنفيذها، وأخيرا التساؤل حول دلالتها.

عناصر الأسطورة

يسمح تَمَفُّصُ الأسطورة بتمييز :

□ اقتراح أساسي، ذي طبيعة سياسية ألا هو التأكيد على وجود تواطؤ بين أعداء فرنسا. وهو يُؤَمِّقُ الخطر الشيوعي ويوضّح نواياه؛

لوسياكل نوفو، صحيفة الحركة، بعد أن كانت لالبيهارول قد منعت في المغرب (رسالة 7 فبراير 1935، المشار إليها آنفاً). لقد رأت السلطة في هذا الاجراء «مناورة لاختراق تصفّات هذه الجماعة لحساب الحرب الشيوعي» (رسالة 14 مايو 1935). إننا نعتقد بطيب خاطر بأن يسار مصطرب الشخصية ومهروس لمكرة فرّس احتاره. وببدو لنا رسالته الغفلة إلى الشرطة مدعمة لهذه التفسير.

93 ليس ثمة ما يمنع من الاعتقاد بأن يسار كان، على الأقل جزئياً، محرّكاً من طرف مصالح الشرطة.

94 رسالة مشار إليها لـ 14 مايو 1935.

- اقترأحين متلازمين يحدّدان الوسائل المستعملة من طرف الشيوعيين، ويتمثلان في حضور عملاء موسكو في المغرب، والتسرّب داخل القوات المتمركزة في الحماية؛
□ أما الخلاصة فتتمثل في الاعداد لهياج شعبي.

تواطؤ أعداء فرنسا

عقب الحرب العالمية الأولى، ظلّ قطاع عريض من الرأي مُرهف الجسّ بشكل عميق بمفهوم «أعداء فرنسا»، وخاصة في الوسط الاستعماري حيث يتمّ التعمّد بسرعة على نسب المصاعب التي تلاقها ممارسة السيادة الفرنسية فيما وراء البحار، إلى تأثيرات وتدخلات أجنبية. والمغرب هو الوحيد ربما، من بين كل البلدان، الذي حرّك على نحو أكثر كثافة هذه الشبهة القليلة. فذكرى الكفاحات التي كان على المالية والدبلوماسية الفرنسيين أن تحوضها ضد الامبرياليات البريطانية والألمانية والإسبانية لم تُنمّع بعد، ومن الملامم لصاق المقاومة التي ما تزال تُبديها القبائل المغربية تجاه القوات الفرنسية بعد توقيع الحماية، بمناورات ماوراء الزاين دون سواها (95). وبعد هزيمة ألمانيا، وضّح مسئولوا السياسة الفرنسية خطرين جديدين يهدّدان بشكل خاص، في رأيهما، السيطرة الفرنسية في إفريقيا الشمالية : الخطر الاسلامي والخطر البلشفي. لقد تمّ تقديم كليهما بطريقة كَبَلْغ فيها وكان هذا كافيا لاعطائهما طابعاً أسطورياً. لكن، ما كان يؤدّنا التنبيه إليه ها هنا هو الرّغبة التي أبدتها، بين 1920 و 1935، دعاية ما — مُغلّدة بمجاملة من طرف المصالح المختصة — لربط مختلف التظاهرات الاسلامية والبلشفية ببعضها، ونسب استرشاد أجنبي مشترك، تارة ألماني، وتارة بريطاني، إليها معاً.

إن التمييز بين الاسلاميين — «الاسلام الحق، الاسلام الصّرف» —، ذاك الذي يلتف عفويا حول الأمم المتحالفة «لمحاربة ألمانيا، عدوّ الحقيقي»، والآخر، إسلام الحرب المُقدّسة، الذي انضمّ الى «جانب العدو» (96) — هذا التمييز تمّ تصحيحه غداة الحرب : فقد أكّد المكتب الثاني للمخابرات بأن الدول الاسلامية المحتلة والحكومة من طرف فرنسا والمجتلرا، كانت وما تزال قابلة للتأثر بالدعاية الألمانية (97). ولفظة إسلام نفسها — أو بالأحرى الجامعة

95 انظر لوي موريس (اسم مستعار للسفير موريس بومبار)، السياسة المغربية لألمانيا، باريس، 1916، ص 177 — 183. انظر أيضا لافريك فرانسيوز، (يناير — فبراير 1919، ص 18) ولوي بارزو، حرب المغرب، باريس، 1919، ص 34 — 48.

96 بن عيط، المغرب، الحرب والاسلام (محاضرة أقيمت بمعرض الزباط، في 30 شتنبر 1917 في محاضرات فرنسية — مغربية، باريس 1917، ص 112).

97 AN SOM. Aff. oplit. 923 (5)، معلومات مرسلة من طرف المكتب الثاني إلى وزارة المستعمرات في 24 نونبر 1920، s/n° 9856 SCR/2/11.

الاسلامية — صارت تأخذ داخل الطبقة السياسية، ورغم مجهودات ليوطي، وقّعا مُعاديا (98)، لا يزال ملتبسا، ولكن يتوضّح بمجرد ما يتمّ تقريره من الأفكار المتلقاة عموماً حول تأثير البلشفية و«حليفها» الألماني. وبالفعل، يتمّ التشهير بالبلشفية ليس فحسب كتهديد بالتحريب الاجتماعي، بل أيضا كمنحولة لـ «إيقاظ الشعور الوطني لدى الأهالي بهدف دفعهم بأنفسهم الى العصيان» (99). وفي هذا الصدد، يرى وزير المستعمرات، بأن موسكو استعادت «التكنيك المُستعمل خلال الحرب من طرف الامبراطوريات المركزية ضد أعدائها»، ولم يتردّد في التأكيد بأن «عدداً من الجمعيات التي تدعى التعاطف مع الأهالي، المُنشأة من طرف الجهاز الألماني (100) كانت تابعة للبلشفيين بدون قيد أو شرط»، الى حدّ أنه كان من الصعب جدا سنة 1920، «التمييز بجلّة لطبيعة الدعاية المُتقدّمة من طرف هذه الجمعيات الألمانية — البلشفية» (101).

إن الرغبة في تفسير التحريض وحركات الرأي المُلاحَظة في الدّول الاسلامية بواسطة الاستقطاب المزدوج الألماني والبلشفي، هي رغبة جليّة. فهي تُرضي مبدعاً أساسيا للاستعمار، ألا هو رفضُ القبول بأن يكون مَصنّعُ احتجاج المُستعمر داخليا (102). عندئذ، لا تعود تُهمُّ محاذير اليسار المتطرف تجاه الاسلام، ولا التقد الذي يوجّهه البلشفيون للجامعة

98 يبدو أن كالاري دو لاماريار (الذي ينتمي الى مجموعة اليسار الديمقراطي) هو أول من أثار بعد الحرب، من منصة مجلس النواب، «الخطر الاسلامي - هذا الخطر يهدد حاليا عبر آسيا الصغرى...» مناقشات المجلس، جلسة 17 يونيو 1920، المجلد الرسمي، ص 2216. أما نالسة لأرجين لوفغر، وهو نائب راديكالي اشتراكي للحرائر، فإن هذا الخطر أكثر إلحاحا ولم يتورع عن أن يؤكد فحاة، أمام لجنة الحرائر، والمستعمرات، والجماعات، أن «أوروبا متعرضة لخطر الاسلام»، دون أن يتحرأ أحد على الرد عليه. محضرا احتجاج 5 يوليو 1920. بعد بضعة أشهر من ذلك، ونحيا لوفغر نفسه وطوموسوف، الناطق بلسان اليسار الراديكالي، اللذين استاء لرؤية شغالين أهالي يستعرضون في الحرائر حلف راية حمراء، صرح مابوس موتي، معرا عن رأي أغلبية أصدقائه الاشتراكيين : «أفضل أن أراهم مع فرنسيين خلف الراية الحمراء على أن أراهم خلف الراية الحمراء للاسلام وحلف الحلال (...) ففي الحالة الأولى، نختطفون بنشاط الفرنسيين، فإنهم يتصرفون كفرنسيين، أما في الحالة الأخرى، فإنهم سيتصرفون ككثلة وبشكل جماعي ضد فرنسا.» مناقشات المجلس، الجلسة الثانية لـ 28 دحمر 1920، المجلد الرسمي ص 4082.

99 AN SOM Aff. polit. 2425 (مذكرة حول الدعاية الثورية التي تبهم للبلاد ما وراء البحار، 30 دحمر 1924).

100 مصلحة الاستخبارات الألمانية.

101 AN SOM SLOT FOM III 56 («الدعاية الشيوعية في المستعمرات»، ص 6 — 7). إنه من المهم أن نقر من هذه الوثيقة، عبر المؤرخة ولكن التي من المحتمل جدا أن تكون قد أعدت في 1929، التقرير الأول المهر من طرف نفس المصلحة (إدارة الشؤون السياسة لوزارة المستعمرات) حول نفس الموضوع قبل سبع سنوات، والذي كان يعبر وقتئذ أكثر حذرا بكثير : «... لقد كان مستعصبا التمييز بين المسؤولية الواقعة على العملاء الألمان وتلك التي كان ينبغي نسبتها الى المرشحين البولشفيين.» AN SOM Aff. Polit 2415 (مذكرة حول الدعاية الثورية التي تبهم للبلاد ما وراء البحار، 19 أبريل 1922).

102 تؤكد لشرة المعلومات عن المسائل الاسلامية السرية حدا، المشورة من طرف وزارة الحربية «ليس مشكوكا فيه، أن تكون هذه الانفعالات للحس الوطني، في بلاد تقلدية الفوضى، جميعها ذات اسطهام حارحي» 18 أكتوبر 1921.

الاسلامية، ولا الجدالات المثارة من طرف الحركات الوطنية. لأنهم أبعد تحدثت بلدت الذين يشددون، من موظفين أو صحفيين، على تنوع الاسلام، وعلى فقه هذه المدارس المغربية والأهمية المتزايدة التي تكسبها المشاكل الاقتصادية والاجتماعية مكمرا ذلك، لا يحتفظ من الدعاية الشيوعية سوى بيتها المعلقة بوضوح في مساعدة دول مغرب عربي على التحرر. من جهة أخرى، من المسلم به أن ألمانيا لم تتدخل بعد عن فكرة ستعمار هذه الاسلام لتبنيح السكان الخاضعين للإدارة الفرنسية والإنجليزية.

إن السياستين الشرقيتين لبرلين وموسكو لا تعتبران، بصفتها عامة، سياستين مستقيمتين، فمجهوداتهما تعتبر متنافرة، وتواطؤهما مع الجامعة الاسلامية والحركات الوطنية مقلد على يد يديهي، سواء من على منصة البرلمان (103)، أو بأقلام كبار موظفي الحماية المغربية (104). وتشر الأدوار المتبادلة هؤلاء مع بعض الاختلافات: ففي مارس 1921، شمر وزير الخيرية - «الحركة الثورية التي تروجى إيقافها في المستعمرات المسلمة بوفاق مع الداعم العسكري للبلشفيين والمساندة المالية لألمانيا» (105)، وبعد بضعة شهور اعتبر أن عليه أن يوضح أن العمل الألماني يستهدف «تنسيق المخطط المزودج، التركيبي والبلشفي، ومثل العمل لاسلامي لأنقرة والعمل الثوري لموسكو، والحركات الوطنية الناشئة في إفريقيا الشمالية» (106). فالدفع والتنظيم والأطر.

وقد اعتقدت سلطات الحماية، خصوصا بعد ذهاب ليونسي أنها كشفت زحزح المغرب نفسه أدلة تواطؤ بين التظاهرات الاسلامية والدعاية الشيوعية (107). فليزير المستر

103 يتحدث روكس - فريسيه عن «الفلس الكبير للاسلام»: «إن القوة التي أطلقت هذه الروح والتي تريد أن تحولنا إلى عاصمة ليست في قسطنطينية، بل في مكة». ولا في رمال وصحاري العربية، وإنما في بوليس.

104 - مارسيل هابير (نائب من البري، ملازم أول سابق في ديورليد): «صورتوا موسكو». - موزينو (نائب القسطنطينية محل في الجمعية الجمهورية الاشتراكية) - «في موسكو».

105 مناقشات المجلس، الجلسة الثانية في 28 دجنبر 1920، المجلد الرسمية، ص 4082. إن جهود الأهمية الثالثة لكي نحقق لغربنا مشاكل في الجزائر، في تونس، وفي المغرب، «تتجلى مع جهود دولة حركة الاسلام، وهي حركة يوجد مركز نشاطها، كما هو معروف، في بوليس ويضمير قادتها في أحد أشهر أكتاف أوروبا» (الشؤون الخارجية للمراجع، أي أن موسكو بوليس تستمر، في هذه المسألة من أجل الاشياء بعد انضمامها سنة في التنسيق ضدها). Al F46 530 3715-SHA MAROC (مذكرة من الوزير المنتصب سنة لأزمة دمة 220 DECD في 22 شتنبر 1922)

106 نشرة المعلومات عن المسائل المالية، 4 مارس 1921.

107 نفسه، 18 أكتوبر 1921. «من يقيد المضمون؟ (معد إفريقيا الشمالية)»، سأل «لايت ديلاش» - موسكو. الأمم الثالثة... على الأقل في الظاهر، لأنه ربما يسي الخليل من النظر إلى الشرقي. لكن من أجل هذا بحث 71-72.

108... «الشيوعية وإفريقيا الشمالية»، ص 4. وطني اعتقد في هذا «التواطؤ»، فهو يعتقد بأن الحركة الوطنية تتجهز أحدهم شقي، من جهة أخرى... تمرير الشعوب التي تطلقها موسكو قد يكون لها في الأخير تأثير من على دولة شمس ح

لدي الحماية رأى بأن هناك علاقة بين تحضير المؤتمر المناهض للإمبريالية، ذي الاستلهام البلشفي (108) بمكة سنة 1928، وبث أفكار ذات مرامي إسلامية بالمغرب : إن وإجداً من الدعاة، وهو فيليب تشيكا، «مشبهو جداً بكونه عميلاً لموسكو». وقد انشغلت المصالح المختصة بإقامة مُلَوَّنة للجمعيات ذات المرامي الإسلامية التي تبذل لها علاقاتها مع الكومنترن أو مع برلين بديهيّة (109). فوصفت الجمعية الإمبراطورية الإسلامية باعتبارها الجمعية الأم : ويوجد مقرها في القسطنطينية؛ وهي تتلقى الأموال مباشرة من موسكو وتوزعها على باقي اللجان. من بين هذه الأخيرة، هناك «الاتحاد المغاربي»، الذي يوجد مقره بالقاهرة، والذي له فرع مغربي، يُدعى «جمعية الثقافة المغاربية» (110). في 1927، قطعت الجمعية الإمبراطورية عزقتها بموسكو ونقلت مقرها إلى لوزان : وقد أُنشئت تبعاً لجمعية الاتحاد الإسلامي، ثم جمعية الشبيبة الإسلامية التي يوجد مقرها بالقاهرة (111). وتُسيّر إلى شكيب أرسلان مختلف المبادرات التي أدت إلى نشوء جمعيات ذات توجه إسلامي في كل من النمسا وألمانيا. هكذا كان الأمر بالنسبة للجمعية الثقافية الإسلامية، المنشأة في 1932 بفينا، والتي كان كاتبها العام، علي زاكي، معروفاً كـ «عميل سوفياتي أو على الأقل كمتعاطف بلشفي» (112)، «والجند الإلهي»، التي يوجد مقرها ببرلين، والتي تبث دعايتها في المغرب عبر قناة عملاء سويسريين وبلجيكيين (113)، و«لجنة دفاع المغرب العربي»، الموجود مقرها أيضاً ببرلين، والتي قدّمت في 1930، عُقِبَ اجتماع مُنظَّم للاحتجاج ضد الامبريالية الأوربية، رجاءً لصالح

108 بالنسبة للوزير، هذا المؤتمر يحرك من طرف الكومنترن، الذي سيفرض عليه «توجيهاته» التي ستكون أهمها «انتعاق البلدان الإسلامية الخاضعة إلى الهيمنة الأجنبية» إن قاضيا سابقا لكتاس يدعى أحمد اللغتي، هو الذي ختير، بحكم «تبحره» و«آرائه المتقدمة»، لكي يمثل المغرب MAROC RSD 91 SHA (16، رسالة رقم 430، لـ 6 مارس 1928، من أوربان ملا، المحتلب لدى الإقامة العامة إلى وزير الشؤون الخارجية) لقد أخذ أوربان ملاين قسما من معلوماته من الجزائر فريدبيرغ، قائد منطقة مكناس (انظر رسالة هذا الأخير، رقم AIC 376 في 14 دجبر 1927، نفسه، 530 3715 AI Fés).

إن اهتمام موسكو وبرلين بحماسة المؤتمر الإسلامي ليس مطلقا ففي المذكرة النهائية المكونة من عشر صفحات والتي وجهتها الشؤون الخارجية إلى وزارة المستعمرات حول الاجتماع المقبل للمؤتمر بالقدس في 1931، ليس ثمة أية إشارة إلى الغوذيين الألمان أو السوفياتي. AN SOM Aff. polit. 907/6 (رسالة رقم 365 في 3 دحبر 1931).

109 أنظر بالأخص SHA MAROC RSD 79 و 91 (أغبيات، جمعيات) والتقارير الشهيرة للحماية (الوضعية الاقتصادية والسياسية) خاصة في 1934.

110 بعد أن سئل عن نشاطات هذه الجمعية، أحاب هري كايلر، وزير فرنسا في القاهرة أن الاتحاد المغاربي لم يعد له وجود منذ 1913! وقد أضاف الصانع القديم لمعاهدة الحماية في المغرب : «أما فيما يخص إرسال الكتب أو المنشائر إلى إفريقيا الشمالية، فليس ثمة، حسب علمي أية منظمة إسلامية من مصر مكلفة به حاليا» SHA MAROC RSD 91 (رسالة رقم 55 في 8 مارس 1928 إلى الشؤون الخارجية).

111 نفسه، مذكرة 13 مارس 1930.

112 الوضعية السياسية والاقتصادية، 16 — 30 شتنر 1934

113 SHA MAROC RSD 91 (مذكرة SR Fés رقم 7944 في 16 شتنر 1927).

استقلال البلدان العربية، من بغداد الى طنجة (114). ويعتبر شكيب أرسلان نفسه مُنشِطاً لـ «الجمعية الأندلسية للثقافة المغاربية» وهي آخر تناسخ للفرع الطنجاي لـ «الاتحاد المغاربي» (115). فهذا الشخص، بالنسبة للمصالح المختصة، تعبير مُكتمل لـ «تواطؤ أعداء فرنسا»: لقد وضع هذا الأرسطراطي السوري (116)، والمتقّف المُرهف، الذي يُعتبَر باعثاً لنهضة العالم العربي. كل وسائله النادرة في خدمة تحرّر الشعوب الواقعة تحت السيطرة الفرنسية (والانجليزية)، فحظي، على هذا الأساس بتعاطف ومساعدات الحكومات الألمانية والسوفياتية (117).

بالنسبة للمصالح المُختصة، يُعتبَر انتشار الوهابية في الأوساط الاسلامية هو ما يُمكن أكثر من ضبط طرق تسرّب الشيوعية. نعرف بأن سلطات الحماية تشير بلفظة «الوهابية» هذه (118) الى حركة تجديدية تنتشر في مدن المغرب، تكافح من أجل العودة الى منابع الاسلام، وتعارض الخرافة والكيانات الدينية المتجسدة في المؤسسات الطرقية. وبالنسبة للسلطات، تُعتبَر هذه العقيدة الجديدة خطيرة على نحو خاص: «لإنها إذ تروم تجديد الاسلام، تطالب باستقلاله، ومن وجهة النظر هذه، تقترب الوهابية بالشيوعية» (119). وتدعياً لهذا الاهتمام، تذرعت السلطات بالتصريحات «العفوية» التي أدلى بها بعض الرُجّهاء (120).

- 114 الوصية السياسية والاقتصادية، مشار اليه سابقا.
- 115 نفسه، 16 — 30 يونيو 1934 و RSD 91 (ملكرة رقم 3318 في 17 مارس 1928، من المفوض عميد أس الرابط).
- 116 ولد في 1869، في عائلة درزية كبرى من لبنان، وقد تلقى شكيب أرسلان دراساته ببيروت، ثم أقام تباعا في القسطنطينية حيث احتل بالمصلح الشهير الأفغاني، وفي باريس وفي لندن. في سن الثلاثين، كان من ألمع صحفيي العالم العربي. وإن الحرب الإيطالية — التركية، صادق الجنرال انفير ناشا وبعد أن كان قائما في البلاط التركي في 1913، صار في 1917 في مهمة بيزون. ثم استقر غداة الحرب في جنيف وصار بطل القضايا العربية لدى جمعية الأمم، عن علاقاته بالوطنيين المغاربة، انظر الجزء الثالث.
- 117 الوصية السياسية والاقتصادية، 16 — 30 يوليو 1934. لقد اتهم بالخصوص بتلقي إعانات مالية ألمانية لقد كان ممجبا ومجبا كثيرا لكونه الثاني، وسيدني نوعا من التعاطف مع ألمانيا المحتلة. ومن جهة أخرى، لم يكت المصالح المختصة أن تبرز علاقاته مع إنفير ناشا والأُسُوعين اللذين قضاهما في الاتحاد السوفياتي بصحبته.
- 118 الوهابية مذهب إصلاحية إسلامي نشأ في العربية السعودية في القرن الثامن عشر.
- 119 RSD 79 SHA MAROC (116)، تقرير رئيس الأمن الجهوي لفاس، كيديسل، رقم 4730 SR في 21 مايو 1928). «إننا نجد تأثير الأهمية الثانية في حركة دينية مستوردة حديثا الى المغرب، فالوهابية تدعو لي بأنها تشرع الباب للشيوعية».
- 120 «تحتل الوهابية خطرا كبيرا على الاسلام. إن هذا الخطر يمكن أن يقارن بالخطر الذي مهد به البلشفية سلم أوروبا وإنه لما يتخفى منه أن تتحدا لزراعة الخصومات وحلق نزاعات دموية بين الاخوة. فالوهابية مملوفا في المغرب. وأعلبيتهم يخلعون وراء هذا المذهب، الذي يرمع أنه يريد العودة بالاسلام الى مفاده الأول، مشاعر معادية للأجانب. في هذه الأرض (المغرب) كل وهابي يدعي بأنه شيوعي» نفسه، RSD 91 (نشرة معلومات فاس في 26 يناير 1928 : تصريح سيدي محمد الزمزمي، ابن المرحوم بن جعفر الكتاني).

وترى السلطات بأن الأفكار الشيوعية وذات الجناح الاسلامي لا تروج في المغرب عبر الوسيط الألماني وحده، بل أيضا عبر القناة البريطانية. ففي أرض الاسلام، تُعتبر إنجلترا عدوًّا مُحْتَمَلًا، هكذا يعتقد أولئك الذين يرون في كل مكان يد العقيد لورنس (121). وقد كان لمصالح الحماية سبب خاص للاشتباه في الإنجليز: فالديبلوماسية الفرنسية لم تُفْلِح في الحصول على إلغاء الامتيازات الأجنبية التي يتمتعون بها. هكذا كانوا يمتلكون مكاتب بريد مستقلة، أي وسائل اتصال بالخارج يُمكنهم وضعها زهن إشارة الرعايا المغاربة في الاتجاhein معا، دون أن يكون بإمكان الادارة الفرنسية أن تتدخل (122). من جهة أخرى، كانت الدعاوي المتعلقة بالرعايا البريطانيين، كما بالرعايا المغاربة المشمولين بـ «حمايتهم» تغلت من العدالة الفرنسية أو من عدالة المخزن وتُنْقَل الى محاكم قنصلية. وهذا وحده كافٍ لكي يُغضِب بعض الشيء مصالح الأمن المتحرية عن المسالك التي يحصل المغاربة عبرها على الكراسيات والجرائد المنوعة، ويدأبون الاتصال بمراسليهم الأجانب (123). فَيَعْدُ أن ذُكِرَتْ هذه المصالح بأن إنجلترا «هي التي سلّحت عبد الكريم ضد إسبانيا ثم ضد فرنسا» سَعَتْ الى الترهينة بأنها، أي إنجلترا، تستعمل الشيوعية «كنقطة ارتكاز لسياستها في المغرب (...) ببراعة أخطر من براعة الألمان» (124). هكذا ألهمت إنجلترا باستعمال الشيخ الطنطاوي — «المُعَلِّم الكبير للدعاية الانجليزية — البلشفية في العالم الاسلامي»، ومُنْظَم كل المؤتمرات ذات السمة الاسلامية — وشهرته في المغرب للتغلغل في أوساط البورجوازية المثقفة ومهاجمة السياسة الفرنسية. لقد رأت تلك المصالح بأن العمل البريطاني يتطور، خاصة في الريف وفي منطقة طنجة حيث كان الطنطاوي على صلة بزعيم الزاوية الدرقاوية، وبفيليسي تشيكا، مُنْشِط «الجمعية الأندلسية للثقافة المغاربة» (125). إن أعضاء هذه الرابطة معروفون لدينا (126)؛ هكذا يطالعا التخريب البلشفي المناهض لفرنسا بوجوه غير متوقعة: قبطان سابق في الجيش البريطاني (127)؛ دكتور انجليزي، وهو طبيب سابق لعبد العزيز وصديق الكلاوي، كما أنه مدير

- 121 لم تكن أوساط البين الفرنسي وحدها التي كانت تخشى لأورنس وتطلق العنان لحياها بخصوصه، قد ذهب لوسوسالست ماروكان الى حد تأكيد أن «حصور (ه) مشار اليه ومبرهن عليه أيضا (التشديد متا) بمجرد ما يتدلع من المغرب إلى الهند عمل عربي مشترك»، 11 نونبر 1933، ص. 2.
- 122 بالرغم من أن الأمريكيين كانوا يتمتعون من وجهة نظر الظهور المنظم للامتياز الهندي بحرية كاملة، فإنه لم تكن لديهم مكاتب بريد في المغرب. وستفلق المكاتب الانجليزية نهائيا في 15 شت 1937.
- 123 SHA MAROC RSD 91 (16)، مذكرة OLR رقم 35 في 11 يناير (1932).
- 124 نفسه، RSD 79 (Iib)، تقرير رقم SR 5468 لعاس في 29 يوليوز 1927: «الحركة البلشفية والدعاية الانجليزية في افريقيا الشمالية». انظر أدناه، الفصل السابع.
- 125 نفسه.
- 126 SHA MAROC RSD 91 (رسالة المفروض عميد الأمن بالرباط، كايرو، رقم 3318 في 17 مارس 1928).
- 127 بوسمورد مانديني - لقد تم التوضيح به على علاقة بهلاك هاوكينس (المورط في مهبم الأسلحة نحو الرباط).

شركة ملاحية انجليزية ومراسل ل شيكاغو تريبون «؛ دبلوماسي بريطاني، وهو عضو سابق بمفوضية إنجلترا غداً عُضواً في الجمعية التشريعية لطنجة؛ عميين انجليز من يهم المنهبي، الوزير السابق لعبد العزيز؛ وعميين إسبان مغموزين.

«عملاء موسكو»

إن حضور «عملاء موسكو» في المغرب يمثل مُعطى أساسياً لتكوّن أسطورة عدوان بلشفي على الحماية الفرنسية. لقد كان بعضهم موضع شبهات لاغير. إن بسبب صفتهم كمُمثّلين للحكومة السوفياتية (128)، أو لأنه يُعتَقَد بأنهم كانوا في فترة من حياتهم، على صلة وثيقة بالبلشفيين (129). أما آخرون فكانوا يُعتَبَرُونَ مُحَرِّضِينَ خطيرين حتّى وإن لم تقم أيّة علاقة مباشرة بين نشاطهم الثوري — المُفترَض أو الأكيد — والحماية الفرنسية (130).

إن «العملاء» الأكثر أهمية، أولئك الذين ترد أسماؤهم باستمرار، هم المُكلفون حسب المصالح المُختصة، من طرف موسكو بمهمة خاصة في المغرب : ويتعلق الأمر إما بجمع معلومات ذات طبيعة مدنية أو عسكرية للحكومة السوفياتية أو للكونمترن، وإما بتطوير دعاية وتحريض ذي طابع مُناهض لفرنسا. وأوّل من ظَهَرَ مُبَكِّراً، حسب أبحاثنا، هو أندري جوليان (131). فمتذ 1921، سُجِّلَتْ عودته من موسكو (132)، حيث كُلف بمهمة «إثارة»

Chicago Tribune *

- 128 كان بيكولامو، وهو وكيل تجاري للسوفيات في برشلونة. عد مروره بالدار البيضاء وطمحة في مارس 1936، «عميلاً محتملاً للكستانو» (كما) حسب المصالح التي شددت على أهمية تنقلاته (فقد كان عليه أن يتوجه إلى فرنسا، سويسرا، بلجيكا، النمسا، هنغاريا، تشيكوسلوفاكيا وبولونيا. SHA MAROC RSD 128 (ملكرة OLR رقم 582 في 12 مارس 1936، ملكرة المفوض عميد أمن الدار البيضاء رقم 14085 في 21 مارس 1936، ملكرة OLR رقم 930 في 17 أبريل 1936).
- 129 رفايل ماتفريد، المزداد في ريكّا في 1886، وهو مصور متقل مد أكتوبر 1925 بالدار البيضاء، «يبدو أنه الصديق الشخصي لتروتسكي» نفسه، RSD 79 (II C)، ملكرة 29 يونيو 1927).
- 130 يبدو أن فينور بالي، وهو شيوعي إيطالي نشيط جداً، ومقيم في اسبانيا، قد قام بأسفار متوالية إلى المغرب. وبعد أن اعتقلته الحكومة الأسبانية وإد كان على وشك أن يسلم بطلب من الحكومة الإيطالية، تم فقط طرده، على إثر مظاهرة «شيوعية» في برشلونة، إذ ذهب إلى فرنسا، يسجل المحرر، سيجد فيها «على وجه الاحتمال شيوعيين إيطاليين ذوي صلة ببعض محرري المغرب» نفسه، (ملكرة OLR رقم 719 في 2 غشت 1931). من جهة أخرى، قلقت الإقامة العامة بالرباط من الوصول القريب لاسبانيا لأحدهم يدعى ينديس، «مبعوث حاصر للاتحاد السوفياتي»، مكلف بـ «تكثيف الدعاية السوفياتية» وتحوّلت من أن يقدم على عبور المنطقة الفرنسية للحماية، نفسه، الشؤون الأهلية فاس 291 510 (رسالة رقم 733/DAI/C/3 في 31 مارس 1931 إلى الحمرال قائد منطقة فاس).
- 131 يتعلق الأمر بشارل — أندري جوليان.
- 132 لقد شارك ش. أ. جوليان في المؤتمر الثالث للأمة الشيوعية المعقد في يوليو 1921. إن تدخله وكلما النقاط المأخوذة خلال حوار كان قد تم قل ذلك بأسابيع من تشييشيه، نشرت، مع تقديم لادلين روبينيوكس، في لوموفون سوسيبال، رقم 82، يناير — مارس، 1973، ص ص 103 — 113.

اضطرابات في إفريقيا الشمالية»، وحسب «التعليمات الدقيقة» التي بُلِّغَتْ إليه من طرف اللجنة التنفيذية للأهمية الشيوعية فإنه قد «أوصى بالاستفادة بشكل خاص من الأحداث التي تجري في الجزء الإسباني من المغرب (133) لمحاولة القيام بأمر ما في منطقة نفوذنا. إن له مطلق السلطات لكي يتصرف في إفريقيا الشمالية، بارتباط مع شيوعيين إسبان وعرب، وإيطاليين ومصريين». وقد تمَّ التوضيح بأن موسكو ستُخَبَّرُ «كل أسبوع»، عَبرَ جنيف، بنشاط جوليان (134). بعد سنةٍ من ذلك، تعلق الأمر بأحدهم يُدعى باولينو دياز، الذي من الممكن أن يكون قد قدم إلى المغرب «للقيام بدعاية شيوعية لدى القبائل»؛ وقد توفّر لهذا الغرض على أموال وُضِعَتْ رهن إشارته من طرف موسكو (135). حسب وزير الداخلية، كان كيلفان، وهو سكرتير القنصلية العامة للاتحاد السوفياتي في باريس، منذ 1926 «مُكلفاً على الخصوص بنقل الأوامر من الكميّو * إلى الفرقة العاملة بالمغرب» (136). أمّا ستير، وهو من الرعايا الرومانيين، وصيدلي مقيم في طنجة، فقد كان مُعْتَبَراً كـ «عميل سوفياتي، يلعب دور الوسيط بين موسكو والريف» (137). وهناك كُتُوْد هولمبو، المزداد في هولندا، الذي وصل إلى المغرب بصفته صحفياً، ثم أستاذاً لِللغات الأجنبية بالدار البيضاء، والذي كان عميلاً سرّياً من طراز خاص : فهو «يُشهِرُ على نحو جدّ علني أفكاره ومشاريعه (و) يصرّح بأنه قديم إلى المغرب بعد إقامته سنتين في روسيا، لإنشاء ارتباط بين الأهمية الثالثة والمغرب». لقد ذُكِرَت السلطات علاقاته مع محمد الصقلي، وهو كُتُوب بالدار البيضاء، ومشبوه بترويج العقيدة الوهابية (138). غير أن فكتور سبيلمان هو الأكثر رزانة فيما يبدو. إن نشاطاته كصحفي بالجزائر جعلت منه منافساً معروفاً منذ أمدٍ طويل (139)، لكن الأسفار التي من المفترض أنّه كان يقوم بها للمغرب مُحاطة، حسب المصالح، بكثير من الغموض : أو لَمْ يُعْتَبَر، انطلاقاً من 1927 كـ «مُمَثِّل للأهمية الثالثة» (140).

- 133 تم الانتصار الكبير لعد الكرم على الأسبان في أنوال في يوليو 1921.
- 134 SHA MAROC AI Fés 530 3715 (ملكرة رقم 2486/DR/2/3 في 30 شتنر 1921، من مدير الشؤون الأهلية ومصلحة الاستخبارات).
- 135 نفسه (ملكرة رقم RC 171 في 13 يوليو 1922، من الجنرال ديشير القائد مؤقتاً منطقة تازة).
- 136 نفسه، RSD 79 (II c1)، رقم 35، رسالة بـ 9 مايو 1928).
- 137 نفسه، RSD 79 (II c1)، رقم 3، ملكرة بـ 13 أبريل 1926).
- 138 نفسه (ملكرة SR II 238/D بـ 26 أكتوبر 1928 و VM F 17 (ملكرة المكتب الثاني، 4 دجبر 1928).
- 139 إنه عضو المنطقة الجزائرية للحزب الشيوعي الفرنسي، ومدير تو دوليون، وهي صحيفة «عجة للأهالي» تصدر بالجزائر، ومعاون لالوت سوسبال، وهي جريدة شيوعية. ويبدو أنه توبع أمام المحاكم في 1925 وبرت ساحت. إننا نجد في الثلاثينيات، بعد قطبته مع الحرب الشيوعي، بصفة معاون ظري لأولي'الحرايد الوطنية المغربية، الصادرة بالفرنسية.
- 140 نفسه، RSD 79 (II c) رسالة رقم 7469 في 6 أبريل 1927 من رئيس الأمن الجمهوري للدار البيضاء، إلى الديوان العسكري للمقام العام).

يُعتبر فيليب تشكيا شخصاً من طراز مغاير. فهو إسباني (141)، مُثَقَّف، وبعد أن تابع دراساته بالقاهرة، غدا معروفاً كـ «مُثَقِّف عربي مُرْهَف». لقد جَمَعَ حوله، بطنجة، البورجوازيين المسلمين الشباب، وصار وكيلاً قوي الفعالية للجمعية الثقافية الأندلسية بالمغرب، ومراسل جمعيات مختلفة للدعاية الإسلامية (142). ولا تتردد بعض التقارير في أن ترى فيه مندوب المغرب لدى العصبة ضد الامبريالية والاضطهاد الاستعماري (143). وأحد مدعوي موسكو الى الذكرى العاشرة للسوفييت (144). لكن مع ذلك لا يملو، أنه اعتُبر دائماً عميلاً شيوعياً، بل الأخرى عميلاً للحكومة الإسبانية (145)، تجعله علاقاته مع الأوساط العربية (خاصةً الزاوية الدرقاوية) ومع بعض الأوربيين المعروفين بعدائهم لفرنسا، على الخصوص، محط شبهات مصالح الرباط. وفي طنجة أيضاً، اكتُشف أحد المُخبرين أحد الأشخاص المغاربة كان يوجد في عطلة بمدينته الأصلية، «مُرْتدباً وفق الموضة الروسية» (كذا)، ولم يتردد في إخباره بأنه يقيم بالاتحاد السوفياتي حيث يتلقى تعليمه «بمدرسة بلشفية رفيعة عدد كبير من إخوانه في الذين أخذوا من المغرب والجزائر» وحالما سيني دراسته، سيعود نهائياً الى بلاده (146).

قليلات من النساء اللواتي بُلِّغَ عنهن كـ «عميلات شيوعيات». ينبغي الإشارة مع ذلك الى سيدة تُدعى آرنال بطنجة (147) وخاصة هُترييت أزيماً. إن قصّة هذه الأخيرة تشبه رواية سيئة من روايات الجاسوسية. لقد كانت تمارس نشاطاتها في مرسيليا حيث تُسبب إليها عَدَدٌ مُذهِشٌ من العُشّاق يُفْتَرَضُ أنهم كانوا كذلك ضحايا لدسائسها السريّة (148). ثم توجّهت الى القسطنطينية حيث مارست، فوق ذلك، تهريب الكوكايين، ومن هناك الى

- 141 ولد في بائير دو — بيكور، في 1893، من أب إسباني وأم مولودة في بوبس إيرس، وهو ما يفسر كون فيليب تشكيا يعتبر في بعض المذكرات أرحتينا (I c1) SHA MAROC RSD 91.
- 142 كريما ديلي، مشار إليه، ص ص 260 — 261.
- 143 حسب كيديسلي، المفوض الخاص لفاس، الذي كان يكتب اسمه، تبعاً للطرف، «تشكيا» SHA MAROC RSD 91 (زوايا، جمعيات، مذكّرة رقم 9111 في 12 أكتوبر 1927).
- 144 نفسه. لقد قال عنه أوربان بلان، الوزير المنتدب لدى الإقامة العامة، في رسالة الى الشؤون الخارجية بأنه «مشته كثر» يكونه عميلاً لموسكو» نفسه. (Ib)، رسالة رقم 430 في 6 مارس 1928.
- 145 حسب تأهيل المصالح الفرنسية، فإن الانسان بعد أن كانوا على وشك طرده، قدموا له عروضاً فصار عملهم الرئيسي. نفسه. (I c1) ورسالة القبطان سيروكوس رقم 124/R في 25 أبريل 1928 الى مدير الشؤون الأهلية.
- 146 نفسه. RSD 79 (II b)، مذكّرة 390 في 21 يونيو 1932، مرسلة من طرف ديوان المقيم العام الى مدير الشؤون الأهلية.
- 147 نفسه (II c1).
- 148 من بين هؤلاء، المدير الباهسي لـ ليوورك هيرالد، قنصل اسبانيا في فينيا، الذي كان سابقاً في مرسيليا، قنصل تركيا الذي قتل في مرسيليا، وكلما حلقه الذي لا يزال عاملاً، قطار حراقة من قاعدة هيار ... معنى شهر عازف على الأكرديون. نفسه. RSD 128 (مذكّرة OLR رقم 1024 في 25 أبريل 1936).

المغرب حيث عقدت النية على الزواج من ضابط طيار ينتمي لعائلة أرستقراطية : لكن هذا الأخير قُتل في حادث طائرقة نَجَمَ عن عمل تخريبي : وقد وُضِّحَ ضابط المخابرات بأنه «في الفترة بالذات التي أقامت فيها هذه المرأة بالمغرب، وقعت حوادث جوية عديدة ناجمة عن أعمال تخريبية لم تكن هي بعيدة عنها» (149).

عندما توضح الخصائص البدنية والمعنوية للأفراد المشار إليهم، نادراً ما تكون هذه الخصائص محايدة . فلهذا «حاجيان أستودان كنان : إنه التمثول الحقيقي لبرودي البلطيق» (150). وستير يقوم بتهرب الكوكابين «الذي يخفيه تحت عينايت من مواد صيدلية» (151). أما بالنسبة للويس لورينزي، المعروف بأبريان فيمارس النصب (152). لكن إذا حكمنا على كل هذا انطلاقاً من التقديرات الواردة حول سان — مارك رومان (153)، فإن مجرد جمع معلومات جيدة حول «عميل» مفترض يمكن أن يكون من شأنه تبيير أخطر التوجسات (154). بصفة عامة، لم تكن التهم الموجهة الى «عملاء موسكو»، والتي أسلفنا بصددنا بعض الأمثلة، مرفقة بأي عنصر إثبات. بل حُذِّثَ بالنسبة لبعضهم أن اعتبار السلطات في الأخير بأنه من غير الممكن إثبات الوقائع المنسوبة إليهم (155). فضلاً عن ذلك، إنه ل ذو دلالة خاصة ألا يكون أي واحد من الأشخاص السابق ذكرهم، قد خضع لتابعات قضائية، أو حتى لاجراءات طرد، في حين كانت للسلطات المدنية والعسكرية سلطات تقديرية واسعة. وأخيراً، من النادر أن يرد في تقرير موجه من الرباط الى باريس، ويُجِملُ وقائع المناورات الثورية والشيوعية في الحماية، ذكر «عملاء موسكو» الذين أسلفنا الحديث عنهم. لكن سيكون

- 149 نفسه، (مذكرة OLR رقم 1157 في 8 مايو 1936).
- 150 SHA MAROC RSD 128 (إرسالية رقم 14085 في 21 مارس 1936 من المفوض عميد أس الدار البيضاء إلى الملاحظة العادية للسامية مستعدة نصيا في OLR رقم 930 ل 17 أبريل 1936).
- 151 نفسه، RSD 79 (IIC1)، رقم 5، مذكرة مفوض الرباط في 14 يونيو 1927، لكن ثمة أية علامة قدمت لتدعيم هذا التأكيد.
- 152 نفسه، (IIC1)، رقم 44.
- 153 لم يكن سان — مارك رومان مشوها بكونه «عميلا» لموسكو، لكن صغته كزليف لكشف علمي، المهد من المغرب بسبب دعاية شيوعية في 1925، متحفل منه أيضا مشوها بعد عامين من ذلك. نفسه، (IIC1) رقم 8، مذكرة 29 يونيو 1927.
- 154 «حسن السلوك في السكك الحديدية (حيث هو مستخدم). إن مسلكه لم يسمح أبدا بإثبات انتساب أكيد إلى الحزب الشيوعي. ذكي ومثقف، طبع رزين. يصلح لأن يكون زعيما خطيرا لأحد الأحزاب». نفسه
- 155 إنها حالة كيلمان (SHA MAROC RSD 79 (IIC1) رقم 35) مثليا هي حالة شير الذي لم يؤخذ عليه في الأخير أي نشاط ذي طابع سياسي. نفسه (مذكرة 14 يناير 1927). وعندما اتصل «أحد المخبين» بسليمان لكي يحمله «يكشف عن نفسه» لم يته إلى شيء. نفسه. (مذكرة S/54049 ل 8 مايو 1928)، بها لم تتوصل الشرطة التي تعقت مو بعد نقله في المغرب، وأنصت إليه بدقة، من الوقوع على أدلة علامة لنشاط سري. نفسه. RSD 128 (مذكرة 14085 في 21 مارس 1936).

من التهور أن نستند الى قلة الثقة الموضوعة في هذه الوثائق لنخلص الى ضرورة تنحيها من حقل بحث المؤرخ. إنه يبدو لنا، أنه من المستحيل فعلا فهمُ المواقف المُتَّخِذَة تجاه السياسة الشيوعية في المغرب دون أخذ المُناخ المُصنَّع من طرف المصالح بعين الاعتبار. فالعدد الوافر للبطائق الفردية المُحرَّرة، والمتنقلة بين باريس والجزائر والرباط، وداخل الحماية، من مصالح البوليس ومكاتب الاستخبارات الى أعلى مستويات الإقامة العامة، ثم المردودة من هذه الأخيرة الى مختلف مراكز القيادة المدنية والعسكرية، يَشْهَدُ بالأهمية المُعطاة لَهُمْ. وخلاصة القيمة الممنوحة من طرف السلطات للمعلومات المتعلقة بهذا «العميل» أو ذاك، وهو ما يهمننا هنا، هو أنها تساهم في الحفاظ على شعورٍ بالالتباس والخطر يشجع التأويلات الأكثر بعدا عن الواقع.

التسرب الشيوعي داخل الجيش

هناك عنصر آخر لـ «المؤامرة البلشفية» في المغرب : إنه اكتشاف خلايا شيوعية داخل وحدات الجيش المُرابطة داخل الحماية، على أبهة شغل ثوري بتنسيق مُحتمل مع العناصر الوطنية وذلك ضمن مشروع «انفصالي» و«مناهض لفرنسا». منذ 1921، أتاح اعتماد تدابير هادفة لمنع الدعاية الشيوعية داخل الجيش وبالأخص داخل الفياق الاستعمارية، الفرصة لتوجيهات وزارية ثم التذكير بها مرّات عديدة أثناء احتلال الزور وحرب الريف (156). وفي 1927، بُلغ المكتب الثاني لوزارة الداخلية، «من مصدرٍ موثوق»، لائحة التنظيمات الشيوعية الموجودة داخل الجيش الفرنسي. وحسب هذه الوثيقة، توجد تسع خلايا في الوحدات المُرابطة في المغرب، لكن لا تتوفر أية معلومة لاعتن تركبتها ولا عن نشاطها (157). بخلاف ذلك، عندما أجمعت مصلحة الأمن العام للحماية وَضَعَ النشاط الشيوعي، في شهر يوليوز من نفس السنة، وَضَحَتْ بأن «وجود شبان مجتهدين في المغرب معتبرين تابعين لتنظيمات شيوعية» وخاضعين لمراقبة خاصة، «لم يثر بعد أية مصاعب» (158). وبعد أشهر من ذلك، نُبِهُت سلطات الحماية الى وجود «محاولة واضحة للدعاية المناهضة للنزعة العسكرية لدى جنود الاحتلال في المغرب». لقد تعلق الأمر، في الواقع، بإرسال جريدة لاكازيرن * ومنشور من مراكش والدار البيضاء. لكن الأمن العام

156 تعليمية في 19 ماي، 1921 مشقة لوزاري الداخلية والحربية، تم التذكير بها من طرف الجنرال توبي، وهو كارتيل اليساريات، في مذكرته لـ 6 دجنر 1924، AI Fés 530 3715 SHA MAROC (C4)، مذكورة رقم

15047/K. فيما يتعلق بوقع الدعاية الشيوعية في المغرب إبان حرب الريف، انظر أدناه، الفصل السابع

157 AN F7 13099 (ورقة إرسال 31 مايو 1927).

158 من جهة أخرى، فإن أحدهم «محمد التطوع» يدعى ليجوراد، وهو منحدر من لالوار، ومشار اليه من طرف والي مقاطعتنا بناصره عوضها مشهورا، كان محل تقديرات جيدة من طرف رؤسائه. SHA MAROC RSD 79 (Ila)

La Caserne *

بالرباط وَضَحَ بأن كُلَّ الذين أُرْسِلَتْ لهم هذه المطبوعات «مُقَدَّرين بأجمعهم كجنود نشيطين، وممثلين، ومُحرِّكين بمعنوية جيِّدة» (159).

في 1928، تحدَّثت تقارير عن «اجتماعاتٍ لعسكريين متمنين للحزب الشيوعي» بالدار البيضاء. لقد كانت تلك الاجتماعات سَتَنشِطُ من طرف قِبَلِيٍّ فرنسي سابق معروف باسم الرقيب كاباي : ويحضرها جنودٌ عديدون من القليل الأول لـ زَوَاف، وعند إقامة الأسطول، أربعة مُساعدٍ ضباط صف. إن السلطات العسكرية والأمن الذين كانوا يُخبرون، عياناً، بواسطة واحد (أو عَدَدٍ) من «المُنضوين» بدوا مُطمئنين لفحوى الأحاديث التي نقلت إليهم (160).

لقد كان انتباه القيادة ينصبّ، دورياً، على بعض العسكريين الذين يفترض ارتباطهم بالحزب الشيوعي بسبب علاقاتهم الرئاسية، وقناعاتهم المناهضة للزرعة العسكرية أو بسبب أحاديثهم المُنتقِدة لغزو المغرب (161). غير أنه في كل هذه الحالات، لم تُعتبر القضية مُهمّة بما يكفي لاستتباع عواقب تأديبية تُبلِّغ للسلطة العليا.

في 1935، نجد سلسلتين من المراسلات تسمحان باستجلاء التحريض الثوري داخل الجيش. لقد تمت أولاهما في إطار تحرّي ذي طابع عام حول العمل الشيوعي في المغرب، أنجز لدى مختلف المسؤولين المدنيين والعسكريين للحماية. فباستفسارهم، سعى الوزير المنتدب لدى الإقامة العامة، إلى إخطارهم، مسبقاً، بأنّه يُسلّم بكون «تطور الدعاية الشيوعية في إفريقيا الشمالية، المُشجّع باستمرار من طرف الأزمة الاقتصادية والحفاظ عليه على نحو محتمل من طرف تأثيرات أجنبية، قد استفحل خلال الشهور الأخيرة، بارتباط وثيق مع نشاط العناصر الوطنية في الجزائر، في تونس وفي المغرب...» (162). وفي جوابه، رأى الجنرال هوري، القائد الأعلى لقوات المغرب، بعد أن أبدى تحفظاتٍ مرّدها إلى نقص وسائل معلوماته (163)، بأن عليه أن يؤكّد بأن التقارير الواردة إليه «لم تستدع أية ملاحظة من وجهة النظر الشيوعية». وأضاف قائلاً من جهة أخرى : «يبرزُ من المعلومات المُقدّمة من طرف رؤساء الدوائر القضائية العسكرية للمغرب أنه لم تُرَفَّع إلى المحاكم العسكرية أية وقائع تُهمّ العمل

159 AN F7 131 43 (رسالة رقم SG 16142 في 4 نونر 1927، موجهة إلى وزير الداخلية، ومعاد إرسالها من طرف هذا الأخير إلى وزير الحربية في 17 نونر). انظر أيضاً المراسلة الموجهة من طرف الجنرال قائد فرع الدار البيضاء، SHA MAROC RSD 79 (IIB)، رسالة رقم 265 في 26 أكتوبر 1927.

160 انظر نفسه RSD 79 (II a)، مذكرة رقم 7256 من مكتب الشرطة الادارية في 19 أبريل 1928 و II b، مذكرة SR II b 1 رقم 7 في 20 يونيو 1928.

161 نفسه، II b، مذكرة الأمن العام في 7 مارس 1930، II C1، رقم 15، 19، 38، 46، ومذكرة 9 يوليو 1929.

162 SHA MAROC RSD 88 (عمل شيوعي، رسالة رقم CMC/216 في 21 فبراير 1935).

163 لأن مكتبها الثاني «لا تتوفر على أية مصلحة مكلفة بإطلاعها مباشرة على تطورات العمل الشيوعي، سواء في الأوساط الأوربية أو في الأوساط الأهلية، هذا ليس صحيحاً تماماً : انظر أدناه، مصادر الأسطورة.

الشيوعي. وحدها محكمة مكناس كُلفت بمتابعة دومون، المطرود حالياً بسبب تهجماته على حقوق الجمهورية الفرنسية وسلطاتها في المغرب وبسبب إدخاله وتوزيعه جرائد ممنوعة» (164). في أبريل، أعادت الإقامة الكثرة : لقد تعلق الأمر، هذه المرة، على نحو أدق، بالعمل المُدبّر من طرف الشيوعيين داخل الجيش. وقد رفعت الشؤون الخارجية إلى الرباط مراسلة من الحرية تقول : «إن الأحزاب الثورية لفرنسا التي تحاول نشر أفكارها في البلدان الموجودة تحت حمايتنا وتؤازر فيها حركات محلية، تُجهد نفسها أيضاً للوصول إلى وحدتنا الأهلية وذلك بقيامها لدينا بدعاية مناهضة للنزعة العسكرية ومعادية لفرنسا». ففي تونس على الخصوص، تم جَمْع «حجج دامغة» لذلك النشاط (165). لذلك، استخلص الوزير بأنه لم يعد ممكناً «تحمل عمل ثوري يُروم تدمير دفاعنا الوطني في أحد عناصره الأساسية ويُشكّل، مثلما نعتة السيد رئيس المجلس أمام مجلس الشيوخ، في 20 مارس المنصرم، جريمة خيانة عظمى» (166). وعندما دُعِيَ الجنرال قائد قوات المغرب للتعريف بالاجراءات المُتخذة لافشال هذه الدعاية، أجاب : «حتى الآن، ليس ثمة أية إشارة خطيرة للدعاية الشيوعية في القوات الأهلية للمغرب». وبما أنه كان عليه أن يتطرق للتحريض الذي رَدَدَ الأمن العام صداه، بالذات البيضاء على الخصوص، فقد وَضَحَ قائلاً : «لا يبدو أن البؤر الشيوعية والمناهضة للنزعة العسكرية التي ظهرت في الآونة الأخيرة بالمغرب والتي يُعتبر جل أعضائها فرنسيين بل ينتمون غالباً إلى طبقات راقية من المُجتمع، سَعَتْ للدخول في اتّصال مع جنود تجمّدت الاحتلال» (167).

إن رفض القيادة العليا لقوات المغرب أن تأخذ الاتهامات المتعلقة بالتهديد الشيوعي داخل الحماية، مأخذ الجد لم يمنع باريس من تجديد تحذيرها. فقد نبّه وزير الحرية زميله في

164 SHA MAROC RSD 88 (نفسه EM المكتب الثاني رقم 242/2C في 2 أبريل 1935).

165 يمكن أن تكون فكرة عن هذه «الحجج الأكيدة» في نظر الـ «دراسة حول الدعاية المعادية لفرنسا لدى العسكريين الأفارقة الشماليين» المعدة من طرف المقيم العام في تونس والتي أرسلت نسخة منها من طرف الكي دورساي إلى الإقامة العامة للرباط. إن الحصيلة التي قدمها بيرون، السيد عن مجاملة «المحرزين»، تتلخص كالتالي : «أولاً، اكتتاب الجنود الأهالي في جريدة الأهمية؛ ثانياً، اكتشاف مناشير معادية لفرنسا في حوزة بعض العسكريين، وهي من إنجاز لجنة همال الميقيا (لم يتم الإدلاء بالنص)، ثالثاً، حضور اجتماعات معادية لفرنسا في لوفالوا — بيري وزينة كروا — نغير (يتعلق الأمر باجتماعات نظمت من طرف النجمة الأفريقية الشمالية ومرخص بها)؛ رابعاً، اكتشاف بطاقات شيوعية في حوزة حوالي عشرين عسكرياً من بريت؛ خامساً، اعتقال اثنين من العسكريين في بريت في حالة سكر بعتيان الأهمية؛ سادساً، موقف مثير للسكان إزاء العسكريين في منطقة عفسة» لنفسه، مذكرة 21 مايو 1935، مرسلة بورقة إرسال للشؤون الخارجية رقمها 1215 في 3 يوليو 1935.

166 نفسه. (دعاية شيوعية في الجيش، رسالة الشؤون الخارجية تحت رقم 706 في 8 أبريل 1935، مرسلة نسخة من رسالة وزير الحرية (الجنرال موران) رقم 719/9EMA في 27 مارس 1935).

167 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 290/2C في 24 أبريل 1935).

الشؤون الخارجية «الى العمل المُعلن أكثر فأكثر للأحزاب المتطرفة الفرنسية بتواطؤ مع الأحزاب الوطنية لشمال إفريقيا» وإلى ضرورة عرقلة هذا النشاط «إذا أُريدَ وقاية عقلية الجنود الأهالي والاطمئنان الى القدرة على تنفيذ التعبئة، عند الاقتضاء، في إفريقيا الشمالية في ظروف ملائمة لضرورات الدفاع الوطني» (168). إلا أن إدارة الشؤون الأهلية بالرباط أجرت تحريبا حول «عقلية الجنود الأهالي». فلاحظت بأن الرؤساء — ويتعلق الأمر هنا بالجنرالين فالديني فرع الدار البيضاء ومنطقة مكناس — يتشككون من الذهنية الجديدة للعسكريين المغاربة، التي نسبوها لاقاماتهم في فرنسا، حيث عادوا «أقل ليونة وأقل طواعية». لكن بالنسبة لأصحاب التقرير، «ليس هناك فعل خاص يؤكد شعورا من هذا القبيل»: فتطور من هذا القبيل لا يمكن أن «يُتَهرَن عليه» بل فقط «أن يُلاحظ في الحركة، والنظرة، والموقف، والأحداث المفصح عنها صدقة». لقد حللت إدارة الشؤون الأهلية التغيرات الطارئة في الواقع ضمن شروط العيش الجديدة لحماية فرنسا في المغرب: وإنه أيلدو لنا ذو ميزة خاصة لكونها لم تشر في أية لحظة، ولو عرضيا، لآثار الدعاية الشيوعية (169).

هوس الهيجان

في 5 يوليوز 1922، شَهر رايون بوانكاريه، رئيس البُلان، من منصّة هذا الأخير به «المهجمة الشيوعية... في إفريقيا الشمالية»: ف «منذ عدة أشهر، أعلنت الأُممية الثالثة بشكل صاحب عن نيتها في نشر نظرياتها البلشفية في مِلْكياتنا الافريقية وسَعت الى تبييج السكّان الأهالي فيها ضد سلطة فرنسا. ومنذ 28 يوليوز 1921 أوصت اللجنة التنفيذية للأُممية الثالثة لموسكو، بمناسبة الأحداث الواقعة في منطقة التّفود الاسبانية بالمغرب، بتطوير الدّعاية الثورية في كل مكان ممكن من افريقيا، وأيضا بإثارة ما يمكن من الهيجانات الوطنية فيها. ولم يتوقف هذا العمل البلشفي عن الاستفحال منذ ذلك الوقت» (170). إن التحضير لهيجانٍ من نموذج ثوري ووطني هذا هو العنصر الأخير الذي شكّل «المؤامرة البلشفية» في إفريقيا الشمالية، والذي افترض أنه يعطي لكل العناصر الأخرى دلالتها الحقيقية وانسجامها.

168 نفسه. رسالة وزير الحربية رقم 2613/9/EMA مؤرخة في 3 أكتوبر 1935، الى رئيس المجلس، وزير الشؤون الخارجية، ومعاد إرسالها من طرف هذا الأخير الى هولوا، المتطلب لدى الإقامة العامة بالرباط (الرباط) — الشرق رقم 2149 في 21 أكتوبر 1935.

169 نفسه. «مذكرة حول الحالة الذهنية للجنود الأهالي»، مايو 1935.

170 مناقشات مجلس النواب، الجلسة الثانية لـ 5 يوليوز 1922، المجلد الرسمي، ص 2323. لقد حضر رئيس المجلس، بوجه الاحتمال، على أساس هذه المعلومة في مذكرة لمصالح الاستخبارات تحفظ الأرشيفات بأثرها، SHA MAROC AI Fés 5303715 C4 دعابة (إدارة الشؤون الأهلية ومصلحة الاستخبارات، الرباط، مذكرة رقم 5815/R3 في 5 شتنر 1921).

بعد سنة من خطاب قسطنطين الشهير «الشيوعية، هذا هو العلو!» — وَضَحَ ألبير سارو، وزير الداخلية، أمام مجلس الشيوخ، بأنه لا ينوي أبداً محاكمة آراء الشيوعيين : «يتعلق الأمر بعمل مباشر، وخروقات موصوفة للقانون : دعوات الى الحرب الأهلية، مواظم بالعصيان، إهانات للجيش، تنظيم تمرد الجنود، إثارة الأهالي للقيام بالفتنة في المستعمرات، مهيجات يومية للكراهية والنزعات الدموية حتماً، وكل هذا يتم بأمر من موسكو، من الأمية التي توجّه وتراقب» (172). لقد زعم مورينو، نائب قسطنطين، والمنتمي للفريق الجمهوري الاشتراكي، أنه فيما يتعلق بأفريقيا الشمالية يحمل الى المجلس البراهين على هذه المؤامرة. وقد تعلق الأمر بمَلْفَيْنِ ثُمَّ حَجَزَهُمَا عند اعتقال مناضلين شيوعيين في الجزائر. لقد كان الملف الأول عبارة عن «مُخَطَّط حَمَلَة» تسعى الى «تنسيق نضال البروليتاريا مع نضال الأهالي ضد الاضطهادات الامبريالية»، وإلى إتاحة «تمرد الشمال الإفريقي ضد الامبريالية الفرنسية — الاسبانية وضد السلطان نفسه». أما الملف الثاني فيذكر بالترتيب «الطرق الكفيلة بجعل الأهالي يتمردون» آلا وهي : «أولاً، رفض دفع الضرائب؛ ثانياً، العودة الى اللصوصية : سرقات وجرائم ينجم عنها عصيان القاييد، والقاضي، والحاكم؛ ثالثاً، حَسْبُ رجال الدرك؛ رابعاً، تنظيم جمهورية أهلية يحكمها مندوبون عن كل منطقة. وكل هذا تحت راية الحركة الخالدية» (173).

هاتان الوثيقتان لاثنين كثيرًا، الأول بسبب طابعها المُعَرِّق في العمومية : فهي لا تذهب أبداً أبعد من التصوص المنشورة من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي، والثانية لأن توضيحاتها تكشف عن استلهاهم مُغامر وفوضوي غريب عن الشيوعية. إن كون الحاكم العام، فيوليت، قد صدّق صحتها أم لا أمرٌ قليل الأهمية ها هنا (174). لقد لَحِصَ جول أوربي الذي تدخّل باسم الحزب الاشتراكي، انطباعه على هذا التحو : «صَحَبَ كثير من أجل لاشيء (...) حُطَّاب، قراءة بعض الكراسيات (...) هذا كل ما وجدتم يُظهِروا خطر الشيوعية وتبرروا تصريحكم : الشيوعية، هذا هو العلو (...) وفيما يتعلق بالتخريب العسكري، لم تثيروا (...) أي عصيان وسط الجنود، ولكن فقط بضع حوادث قام بها «جنود» ساخطون لكون الحُصْنُ لم تُطَبِّح جيداً، والفاصولياء يابسة والحساء رديئاً.» (175).

171 انظر لافريك فرانسيز، مايو 1927، ص ص 185 — 186.

172 مناقشات مجلس الشيوخ، 12 مارس 1928، الجريدة الرسمية، ص 711. قبل ذلك ملحظات، كان كاليل، وهو سياتور لاجورود، قد صعد المنصة : «هل تريدون أن يه عدا، في إحدى مستعمراتكم، وعقب تمرد يسه هؤلاء الفرنسيون السينون (...) قتل مئات الآلاف من المعمرين؟» لنفسه، ص. 702.

173 مناقشات المجلس، 3 يونيو 1927 (الجلسة الثانية)، الجريدة الرسمية، ص 1762. لقد كان الأمر خالد، حميد عد القادر، والمناضل الوطني، على علاقات ودية مع الحزب الشيوعي الفرنسي. وقد مات في المنفى سنة 1937.

174 انظر مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، جلسة 10 مارس 1926.

175 مناقشات المجلس، 10 يونيو 1927 (الجلسة الثانية)، الجريدة الرسمية، ص 1828.

عمل الكومنترون : ملف مالاکا

لكن، بما إن ملفاً مُهِمّاً يُسَلَّم في 1927 إلى السلطات الفرنسية من طرف الحكومة الإسبانية وعبر المكتب الفرنسي الإسباني المختلط لمالاکا : ويتعلق الأمر فيه بعمل الأمية الثالثة في المغرب بهدف تهيج القبائل الريفية المُتَوَقَّع في ربيع السَّنَةِ نفسها (176). قبل أن نلبي وجهة نظرنا حول قيمة هذه الوثائق، يجدر بنا أن نلخص ما تضمنته من استنتاجات رئيسية (177).

لقد أبرز هذا الملف في البداية انفراس البنيات الشيوعية المُوجَّهة نحو الدعاية والعمل في المغرب، وخاصة في منطقة الريف. فقد قرر الكومنترون، في نهاية دجنبر 1926، اعتبار الريفين رَهْن إشارة الحكومة السوفياتية وفي عهدها. وبعد بضعة أيام من ذلك، يبدو أنه كَلَّف فرعه الإسباني بتنظيم الشيوعية في المغرب والدَّعاية لها، وفرعه الفرنسي بالتزويد بالأسلحة والدَّخِيقَة وكذا بالعمل في المغرب الإسباني. لقد كان التنظيم مُتَشَطِّطاً في باريس أساساً من طرف دافتيان، وهو مستشار بالسفارة السوفياتية ورئيس «الفرع العسكري للكومنترون في باريس»، وفلكوف، وهو «ممثل عسكري» للاتحاد السوفياتي في باريس، ومستشار تقني للكومنترون. إن هذا الأخير هو الذي تَوَجَّه عليه على الخصوص قيادة عمليات تهريب الأسلحة. وفي المغرب، تَمَّت الإشارة لعدة أشخاص : هم «الوكيل العام للكومنترون»، ويُدعى شيلمان، ويشغل أيضاً منصب رئيس «لجنة إنجاد الريفين»؛ و«الوكيل العام للشؤون السريّة للمغرب»، وهو كلينس؛ و«الوكيل العام للاتحاد السوفياتي بالمغرب»، وهو أركاسوف، وقد كانت لهم كلهم صلة وثيقة بالقبائل الريفية المتمردة؛ كما أن هذه الأخيرة عُيِّنَتْ، من جهتها، مُمَثِّلاً هو نورمي باي، الضابط السابق في الجيش العثماني.

176 أي سنة بعد استسلام عبد الكريم.

177 SHA MAROC RSD/79 (Iib). يتضمن هذا الملف أربع سلاسل من الوثائق : (1) التحليل المرسل من طرف مصالح الاستخبارات الفرنسية للجزائر إلى الإقامة العامة للمغرب، في 17 فبراير 1927، وهو تحليل لـ «وثائق شيوعية» (عددتها أربعون)، في حوزة الحكومة الإسبانية ومتعلقة بـ «استئناف العمل الشيوعي في الريف» (SSA, Iib)؛ (2) مذكرة في فاتح أبريل 1927، معدة من طرف مكتب مالاکا، على أساس اثنين وعشرين وثيقة مرفقة في ملحق (رسائل «مسؤولين» أو «عملاء شيوعيين» مؤرخة في شهري يناير وفبراير 1927) سلمت إليه من طرف السلطات الأسبانية، وقد أعيد إرسال الكل في 21 أبريل 1927 إلى الرباط من طرف المكتب الثاني لوزارة الحربية (4, II b)؛ (3) سلسلة من ثمان رسائل (لنفس المراسلين سابقاً، مؤرخة في شهر أبريل 1927) مرسلة بعناية مكتب مالاکا (II b, 613 26)؛ (4) وأخيراً، ثمان وثائق متعلقة بالخصوص بجلسات انعقدت في فوساي، ثم في باريس من 16 أبريل إلى 3 مايو 1927، من طرف نفس هؤلاء «العملاء الشيوعيين» حول الشؤون المغربية، وموجهة إلى الرباط من طرف مكتب مالاکا في 9 يوليو 1927 (II b 6, 620 à 627/G). مالم نلخص توضيحات معاكسة، فإن الإشارات التالية نابعة من هذا الملف. ص المكتب المختلط الفرنسي — الإسباني لمالاکا، أنظر أدناه، مصادر الأسطورة.

لقد سَلَّم مكتب مالاکا نَصَّ الرسائل والملاحظات (178)، المتبادلة بين هؤلاء «العملاء» ومراسليهم في المغرب، وإنجلترا، وموسكو، خلال الأشهر الأولى من 1927، وهي الفترة التي تَمَّت فيها الوقائع والسلوكات المذكورة. أكثر من ذلك، تُصَنِّن الملف محاضر ثلاثة اجتماعات عُقِدَتْ في فرساي أيام 16 و17 أبريل و3 ماي من طرف هيئة خاصة لتنظيم يدعى «المجلس المُصَنَّف»، وخصَّصت بكاملها لفحص «الشؤون المغربية». وقد ترأس الاجتماع الأول راکوفسكي سفير الاتحاد السوفياتي في باريس، وشارك فيه، فضلاً عن دافتيان وفولكوف وونوري باي، أشخاص سوفيات آخرون على درجة من الأهمية، وكذا هيركلي وباردو ممثلين للحزبين الشيوعيين الفرنسي والاسباني.

إن سياسة موسكو والكومنترن مُصاغَةٌ بوضوح في هذه المراسلات وتلك الاجتماعات: فالأمر يتعلق بتنظيم الجيش الأحمر الريفي بمساعدة لجنة اتحاد الريفين، والتخضير، بتعاون مع الحزب الشيوعي الاسباني، للتمرد الداخلي سواء في المغرب أو في إسبانيا. لقد أَكَّد راکوفسكي بأن «الاتحاد السوفياتي يُمكن أن يساعد القبائل المغربية للتحرر من التأثير الاسباني ويريد ذلك»؛ ويمكنه تعيين الوسائل الضرورية، غير أنه ليس وارداً، في كل الأحوال، القيام بالعمليات في المنطقة الفرنسية؛ لأنها عمليات موجهة خصوصاً ضد المنطقة الاسبانية. لقد تعلق الأمر في بداية 1927 بعمليات عديدة ومُهَمَّة، وفي 16 أبريل، صرَّح راکوفسكي بنفسه بأن «اللحظة حائِث للشروع في عمليات على نطاق واسع». ولأجل هذا، يلزم السلاح والذخيرة. لقد كَلَّف فولكوف، منذ 4 يناير 1927، أحدهم يُدْعَى كالاهير بإنجلترا بالقيام بشرائه وإرساله وأخطَر تنظيم المغرب بأن عليه تحضير الانزال وحراسة تسلم البضاعة؛ وكلف بهذه المهمة أحدهم يُدْعَى مارتشيلو، وهو من الرعايا الايطاليين ومقاول بالأشغال العمومية بطنجة. وقد تَمَّ إعداد شحنات أخرى من الأسلحة قادمة من بلجيكا وألمانيا. كما تَمَّ التفكير في وضع مُكرَّبين عسكريين تحت تصرف الريفين. وفي هذا الصدد، أقيمَ وَزْن كبير لضابطين ألمانيين، المُلازم أول (أو القبطان) إنجيلهارت والتقيب جورغنس اللذين ألحقا في السابق بالركان العامة لعبد الكريم. فبعد أن حَضَرَ السفير السوفياتي ببرلين ذهابهما الجديد إلى المغرب، حَلَّ بالدار البيضاء حيث تكَلَّف شيلمان باستقبالهما. أما مسائل الدعاية، فكان جزء منها يَرِد من موسكو، والجزء الآخر من مرسيليا. لكن فولكوف لذي وَجَّه مارتشيلو مناشير مُعدَّة للتوزيع بين الجنود الاسبان طلب منه أن ينظم بشكل مُستعجل «أوراشاً للطباعة» وأن يُحرَّر «الاعلانات» المُتفق عليها. ولهذا الهدف، كان على وكيل طنجة أن يتصل بمندوبي القبائل. وكان التحويل الضروري لانهيار مختلف هذه العمليات

178 هل يتعلق الأمر بترجمات أم نصوص بالفرنسية. (يون مراسلين روس) ؟ إن المصالح لا توضح هذا أيضاً، لكنها ترفع ملفها بصورة جغرافية لثلاث رسائل خطية، كتبها فولكوف بالفرنسية.

بشكل جيد مؤمناً من طرف موسكو. فبعد أن وعد تشيفسكي بالمساعدة المالية للحكومة السوفياتية «على الأساس المتفق عليه من قبل، أي بالاقرار المتبادل للحكومة والمبادئ السوفياتية» تقرر أن يوضع رهن إشارة نورمي باي اعتماد قدره 2.350.000 فرنكا. كل شيء كان جاهزاً، فيما يبدو، لشنّ عمليات كبيرة؛ لكن، ها أن فولكوف يتقيّد بالتقارير الموجهة إليه من طرف مراسليه في المغرب والتي ترى بأن «الوضعية العسكرية الريفية ليست ملائمة تماماً» من جهة أخرى، أخبر من طرف شيلمان بأنه «لا يوجد أي اتفاق ممكن بين الزعماء المغاربة» ومن طرف أركاسوف بأن «يمثل القيادة المغربية بالغوا كثيراً بخصوص المقدرة القتالية لجيشهم». لذلك، بدا له أنه من الأنسب الاكتفاء بـ «هجمات مفاجئة، بطريقة لا تدع للقوات الاسبانية أية إمكانية للراحة» والعمل على الزيادة في عتاد الريفيين ونحسينه. وبشكل موازي، كان على مجهود الدعاية أن يتطور، أي أن يعمل على «ترسيخ كراهية الغازي والمستغلين والأجنبي في أذهان الأهالي» والقيام بـ «أعمال عدوانية تجاه الأجانب المقيمين في المغرب، وذلك لخلق وضعية مماثلة لتلك الموجودة في الصين».



تبرز القراءة الأولى لـ «ملف مالكا» الاختلاف الكبير القائم بين الخطابات والوقائع. فالنوايا السياسية المنسوبة للقادة الشيوعيين ليست فيها، مطلقاً، أية جدّة : فلا الاتحاد السوفياتي، ولا الأممية، ولا مختلف الأحزاب الشيوعية، كانت تمنع نفسها، في تلك الفترة، من تأكيد عدائها للامبريالية ورغبتها في المساهمة في انتعاق الشعوب المستعمرة. ومن جهة أخرى، كانت دكتاتورية بريمو دوريفيرا، بدايةً، جزءاً من الأنظمة السياسية المهاجمة على الخصوص من طرف الصحافة الشيوعية. لقد كانت رغبة موسكو، أو بالأحرى إرادتها، في أن تضرب عصافيرين بحجر واحد، بمساعدتها تمرد الريفيين وإسهامها في إضعاف النظام الاسباني، تُشكل إذن فرضية مقبولة قليلاً. مع أنه يلزم التساؤل عما إذا كانت مطابقة للأسبقيات التي سطرها الأممية الثالثة : هل تم اختيار اللحظة جيداً، سواء بالنظر إلى الظرف السياسي المغربي أو الى الأحداث التي تَهزّ القارة الآسيوية ؟ لتتجاوز هذا التحفظ، مع أنه أساسي، ولنتوقف هنا عند الفحص الحرفي للنصوص.

إن الوقائع المشهورة بها، هي في الأخير وقائع عديمة الصلابة : فخلال أسابيع، يتم الانتقال من تحضير تمرد عسكري واسع، عليه أن يرقق بانفجار ثوري في المغرب وفي إسبانيا الى الفكرة القاضية بالاكثفاء حالياً، ببعض «الهجمات المفاجئة». وبالرغم من أن الخطر المباشر تم إبعاده، فإن التهديد ظل قائماً، مُجسداً في البنيات الهائلة للتنظيم الشيوعي وفي تدخلها في المغرب قصد تحضير شروط تمرد ظافر للريفيين. غير أنه، لم يصل أي شيء أبداً، لا

الأسلحة ولا المُدَرَّبون. وإِنَّه لَدُو دِلالة خاصَّة، بالفعل، أن يَصِفَ «مَلَفَ مالاكَا»، بِهَدخ كَبِير في التَّفاصِيل، ظُرُوف شِراء ونَقْل الأُسْلحة المَرْصُودَة لِلرَّيفِيين. هَكَذا نَتَّبِع بِاهْتِمَام التَّبَدُّلات المَفْرُوضَة عَلى تَرَكيب الحَمولَة، عَلى الجُلُول الزَّمَنِي لِلانْزَال وَعَلى المَكَان المَتَوَقَّع لِلانْتِقَال، كُل هَذِهِ التَّرْتِيبات ذُكِرَتْ بِوضُوح كَبِير. لَكِن حَالَمًا ثُمَّ الاعْلان عَن التَّارِخِ النِّهائِي لِلذَّهاب، خَيَّمَ الصَّنَمَت. هَلِ صَار مَخْتَلَف عَمَلَاء الكُومَنَتَرَن، الَّذِينَ لَمْ يَكُونُوا حَتَّى ذَلِكَ الوَقْت يَهَابُون أَي تَسَرَّب، يُكَمًّا فَجْأَةً؟ أَمْ يَبْغِي أن نَفْهَم بِأنَّ المَكْتَبَ الفَرَنسِي الِاسْبانِي لِلمالاكَا، الَّذِي عَرَف كَيْفَ يَحْصِل بِبِرَاعَةٍ عَلى صُورَة المراسلات المُتبادِلَة، فَقَدَ الحَظَّ في اللَحْظَة الدَّقِيقَة : لَحْظَة وَصُول الباخِرَة أَمام السُّواحِل المَغْرِبِيَّة وَإِنْزال الأُسْلحة. عَلى كُل حَال، لَابَد من مَلاحَظَة أنَّ الحُكُومَتَينِ الفَرَنسِيَّة وَالِاسْبانِيَّة اللَّتَينِ تَحْرسان السُّواحِل المَغْرِبِيَّة بِيقْظَة، وَاللَّتَينِ أُخْطِرَتَا بِالْأَمْكِنَة المُتَوَقَّعة نَباعًا لِانْزَال الحَمولات المُوجَّهَة لِلرَّيفِيين، لَمْ تُدْفَعَا إلى التَّدخُّل : إِذْ لَمْ تَرُدَّ أَيْةُ إشارَة، في تِلْكَ الفِترَة، حَول مُساحَلَة الباخِرَة الانْجِلِيزِيَّة واكْتِشاف أَوْ إِمساك كَمِيَّة من الأُسْلحة (179). نَفْس الأَمْر بِالنِّسْبَة لِلْمُدَرَّبِيين الأَلْمانيِّين : فَقَد تمَّ إِنْخِبارنا ماضِيًا، بِظُرُوف ذَهابِهما إلى المَغْرِب، وَمَرُورِهما بِإِيطالِيَا، وَهُوَيْتَهِمَا المُزَوَّرَتَين. لِأَشيءٍ من ذَلِكَ وَقَع : إِذْ لَمْ يَراهما أَحَدٌ يَدْخُلان إلى الحِمايَة أَوْ يَنْتَقِلان دَاخلِها.

هَلْ غَيَّرَ الشَّيُوعِيون فِكْرَهُم في آخِر لَحْظَة وَعَدَلُوا عَن إِنْزال هَذَينِ الِاِختِصاصِيَّين وَكَذا الأُسْلحة الَّتِي كانَ عَلَيمَا أن يُكْرَها الرِّيفِيين عَلَيمَا؟ أَمْ أن هَذِهِ التَّنْقِلات حَمَض خِرافَة؟ لَكِن، أَلَيْسَ مَعْنَى التَّشكُّك في صِحَّة مَحاوَلَة التَّمَرَّد أَيْضًا هُوَ اتِّهام البَنِيات الشَّيُوعِيَّة كَما كَشِفَ لَنا عَنها، لَيس بِشَكْلٍ غَيرِ مَباشِرٍ عَبرَ تَقارِيرِ المِصالِحِ المَخْتَصِصَة، بَلِ مُباشِرَةً بِفَضْلِ المَراسلاتِ المُتبادِلَة بَين عَمَلَاءِ الأُمَمِيَّة وَمُحاضِرِ الاجْتِماعاتِ الَّتِي عَقَلُوها لِمَعالِجَة شُؤُونِ المَغْرِب؟ لَقَدْ كانَ بَرانْكو لَازِبَتش، المَعروف بِكُفائَتِهِ في المَوضُوع، صَريحًا لَمَّا حَرَصنا عَلى اسْتِشارَتِهِ : أَوَّلًا، لَنَسمحَ لَنا المَعْرِفَة الَّتِي لَدَينا عَن أَطَرِ الكُومَنَتَرَن في تِلْكَ الحَقِيقَة، بِالتَّحَقُّقِ من أَيِّ واحِدٍ من الأَشْخاصِ المَذْكَورِينَ في مَلَف مالاكَا؛ وَفَضلاً عَن ذَلِكَ، لَنَتَناشَى أَغْلَبِ الوُظائِفِ المُنسُوبَةِ إِلَهِم مع البَنِياتِ الحَقِيقِيَّة لِلتَّنْظِيمِ الشَّيُوعِي الدَّوْلِي : فَلَيسَ ثَمَّةُ رَئيسٍ لِلْفِرْعِ العَسْكَرِي لِلْكُومَنَتَرَن، وَلا وَكِيلٍ عَامٍ لِلْكُومَنَتَرَن، وَلا مَكْتَبٍ سِياسِيٍّ لِلْكُومَنَتَرَن؟

179 لا أَثَرُ لَها في الأُرْشِيفاتِ الَّتِي اسْتِشْرناها. ومِن مَلَفِ هامَ أَعَدَّتْهُ السُّلْطاناتُ العَسْكَرِيَّة لِملِيقَة أَكادِير بَين 1925 و1931 حَولَ مَسْأَلَة تَهِريبِ الأُسْلحة هَذِهِ، تَظْهَر ثَلاتِ إشارَات : أَوَّلًا، إِنْ السُّلْطاناتُ عَلِمَت مَباشِرَةً أَوْ بِشَكْلٍ عَبرِ مَباشرٍ عَبرِ مَصادرٍ حَاصَة بِدَحوْلِ أُسْلحةٍ مَهِرَة إلى تَرابِ الحِمايَة. ثانياً، لَمْ يَهِم تَقَدِيمُ أَيِّ تَوصِيحٍ حَولِ المَصدرِ الجارِحي لِهَذِهِ الأُسْلحة. ثالِثًا، لَمْ تَقْضِ التَّحْرِياتِ الَّتِي أُحْرِيتِ إلى أَيْةِ نَتائِجٍ مَشْهُورَة . طَلمَ يَهِم أَنا اِكتِشافَ عَمازِينَ مَرَّةً لِلأُسْلحة أَوْ المَخْبِوَة. SHA MAROC AI SAC 710 221. إِنْهُ عَبرَ وارِدٍ أن نَسْتَخِجَ مِن هَذِهِ المَعطِياتِ الحَرْفِيَّةِ جَدا عِبابَ أَيِّ تَهِريبٍ لِلأُسْلحة إلى المَغْرِب. لَكِن من الصَّعبِ ألا نَندَهِشَ لِلْمَفاوِظِ القائِمة بِين كَلِمَةِ الرَواياتِ الَّتِي تُحْكِي عَن هَذا التَهِريبِ وَغِياثِ أَيْةِ عَلامَة مَادِيَة.

ثانياً، ابتداءً، من 1921 على الأقل، لم يعد يتم أي اجتماع، في الدول الأجنبية، بين ممثلي السفارة السوفياتية وممثلي الكومنترن وممثلي الأحزاب الشيوعية. فالحاجز كان مُقَنَّأً، وحتى إذا اعتبرنا بأنه لم يكن غائزاً تماماً، فإنه من غير الوارد مُطلقاً أن تكون عُقِدَت اجتماعات من طراز تلك الواردة في ملف مالاكّا.

ثالثاً، وأخيراً، يمثل الحديث، مرّات عديدة خلال تلك الاجتماعات، عن مساعدات مالية يمكن أن تكون قد مُنِحَتْ للريفيين، حالة أخرى مُستَبَعْدَة في رأي لازيتش، إذ بما أن المسائل المالية تُعالج من طرف فرع مختصّ للكومنترن، فإن فحصها لم يُخلط أبداً بفحص المسائل السياسية.

في الحاصل، ودون أن يكون من المجدي المضي بعيداً حول محتوى «الافشاءات» المتعلقة بعمل الكومنترن في المغرب، تبلى قناعة برانكو لازيتش قاطعة: إن ملف مالاكّا مُزَوَّرٌ وحتى مُزَوَّرٌ بشكل غير مُتَقَن (180). لقد كانت بعض مصالح الاستخبارات تُشاطر هذه القناعة منذ البدء، فيما يبدو. ألا يتعلق التنبيه الذي وجهه القبطان فانلاند، رئيس مصلحة استخبارات شمال افريقيا، من الجزائر الى الديوان العسكري للمقيم العام، بالوثائق المبعوثة من طرف مكتب مالاكّا، وهو التنبيه الذي يقول فيه: «بالنسبة لما يتعلق، بتبريب الأسلحة وعمل موسكو بصفة عامة في الشؤون المغربية سجّلت مصلحة استخبارات إفريقيا الشمالية من مصادر عديدة أنه كان ثمة جنوحٌ للمبالغة في تقدير النشاط الحالي للأمية الثالثة وأنه ثم، في هذا الصدد ترويج وثائق من أصل مشكوك فيه» (181).

مع ذلك، فإن السلطات المدنية والعسكرية للرباط حملت «معلومات» مالاكّا على حمل الجدل، بما أن المُقيم اعتبر من الضروري إخطار جميع رؤساء المناطق، مُنْهَئاً إياهم بالوصول الوشيك الى المغرب، من جهة لضابطين ألمانين وهما جورغنيس وأنجيلهارت، ومن جهة أخرى لشحنة أولى من الأسلحة والدّخيرة مُوجَّهَة للريفيين (182). ومنذ ذلك الوقت ظل هوس تمرّد مُدَبَّر من طرف البلشفيين يُعَدَّى بشكل دوري:

□ «تكشف» وكالة الرّاديو، في بداية 1928، عن كون بعض الشيوعيين قد حضّروا، باتفاق مع «لجنة وهابية» لـ «تمرّد أهليّ بفاس» (183)؛

180 إن الأمر من الدعاة بالسلة للسيد رانكو لازيتش نجت كال علينا أن نلج لكي يقبل بترويدا بالايضاحات التي أوردناها أعلاه.

181 SHA MAROC RSD 79 (II C)، رسالة رقم 362 في 15 عشت 1927، يعني مع ذلك أن نوضح بأن القطار مالاند لا يرجع بشكل حل الى ملف مالاكّا.

182 SHA MAROC AI FES 5303 715 (C4)، دعاية، مذكرة DG/AI C/3 144 في 16 فبراير 1927.

183 إن الشؤون الخارجية تذكر هذه المعلومة في ورقة للاقامة العامة 79 SHA MAROC RSD II b رقم 34. برقية رقم 76 في 29 فبراير 1928 وفي مذكرة الى وزارة المستعمرات، موضحة لهذه الأخيرة بأنه حسب إقامة الرباط فإن «معلومات وكالة راديو لا تتركز على أي أساس حدي» AN SLOT FOM III, 45 (رقم 287 في 3 مارس 1928)

□ في 1932، أطلعت الشؤون الخارجية الرباط بأنه، حسب أحد المجهين، «في نية الحزب الشيوعي مساندة ما اصطلح على تسميته بـ «الكفاح من أجل الحرية» للعرب المتمردين في المغرب حالياً؛ وأن قبائل المغرب الجنوبي تتأهب لشن «عمل مُركّز خلال الحريف أو الشتاء» بمساعدة عميلين للسوفييات يوجدان بالمغرب «للقيام بالتدابير الأخيرة لإرسال السلاح» (184)؛

□ في معرض حديثها عن الاهتمام الذي يوليه الكومنترون للمغرب، أكدت وزارة المستعمرات، في مارس 1934، بأنه، في رأي الأمية الثالثة «رحله كفاح مُسلح يمكنه أن يحمل إليهم (العرب) التحرر من التّير الامبريالي وأن تزامن التمرّدات في البلدان الاسلامية سيكون تبعاً لذلك ضرورياً للانتصار» (185). بعد بضعة أشهر من ذلك، اشتركت نفس هذه الوزارة في دورسي «في قلقها: إن موسكو توشك على الاستفادة من نصر مُحتمل لـ «المتطرفين» في إسبانيا «لتعلن عن جمهورية سوفياتية ريفية» تكون، حسب مخطط الكومنترون، «مقبرة لتحرير شعوب شمال إفريقيا» (186)؛

□ وأخيراً، ذكر مدير الشؤون الأهلية بالرباط، في بداية 1935، معلومات بلغت إلى إدارة الأمن الوطني بباريس، وتعلق «بمشروع عام للتمرد في إفريقيا الشمالية مُدبر على الخصوص من طرف رعايا تونسيين باتفاق مع العناصر الشيوعية (187).
لنختم بنص يشهد بأن «هوس الهيجان» لم يكن وفقاً فحسب على بعض أوساط الإدارة العليا، وعلى صحفيين من اليمين المتطرف أو صحفيين مشتاقين الى موضوع مقالة: «يلزم أن يكون المرء في متبى الغفلة أو المحاباة لانكار المجهودات التي أنجزها السوفييات بهدف تفكيك دفاعنا الوطني، وتخريب نشاطنا الاقتصادي، وتدمير قلاقل وإضرابات، وإثارة

184 SHA MAROC RSD 79 (II b)، إطلاع للشؤون الخارجية بتاريخ 8 أكتوبر 1932، معاد إرساله من طرف الأمانة العامة الى الجزائر قائد قوات المغرب تحت ورقة إرسال رقم 753/CMC في 4 نونبر. لقد وردت هذه المعلومة من امستردام، حيث سجل أحد المجهين، الذي يدعى أنه عضو في الحزب الشيوعي، «اهتماماً متزايداً بكل ما يجرى المغرب». إنه يؤكد بأن باريس، الذي تحدث معه، «كاد يبي معاملة هذه المسألة مع الكومنترون»، وأن أغلب معلوماته استقاه من جيلوتي.

185 AN F7 13169. مذكرات شهرية عن الدعاية الثورية التي هم بلدان ما وراء البحار (31 مارس 1934).
quai d'orsay *

186 AN SOM SLOT FOM III 45 (المغرب، مذكرة 10 أكتوبر 1934). يسمي أن سجل أيضاً وجود ملف في أرشيفات وزارة المستعمرات يحتر عنوانه ذا دلالة: «التنظيم في مائل - مسون لمصلحة مكلفة بقيادة الحركة الشيوعية في المستعمرات الفرنسية وتسليح الجماهير الثورية» (1931) للأشرف، فإن حافظة الملف فارغة. نفسه، 10.III.

187 SHA MAROC AI FE 532 375 (دعاية شيوعية، مذكرة رقم 65/DAI/C3 في 8 يناير 1935)، «بالرغم من أن قيمة هذا الملف، يوضح يساري، مدير الشؤون الأهلية، تقى جوهرياً قائمة للنقاش، فإنه من غير المشكوك فيه أن العناصر الثورية تكثف دعايتها الخاصة وندائاتها الى التمرّد. إن هذا الوضع يتطلب نقطة خاصة»

هيجانات في مستعمراتنا، خاصة في المغرب والهند الصينية» (188). إن صاحب هذا النص راديكالي اشتراكي، ويُدعى إيفون ديلبو : وسيغدو بعد ثلاث سنوات من ذلك، أوّل وزير للشؤون الخارجية للجبهة الشعبية.

تنفيذ الأسطورة

مصادر الأسطورة

إن المعلومات التي سمحت بين 1920 و 1935 بخلق أسطورة عدوان بلشفي في المغرب لم تكن فقط وليدة خيال بضعة صحفيين متعطّشين لما هو مثير. لا يمكن إغفال المصادر الخاصة، ومن الأتيق، دون شك، أن نتحدث عنها قليلا، غير أنها لا تأخذ دلالتها الحقيقية إلا في سياق تدخّل المصالح المكلفة بتنوير حكومات الجمهورية حول مشاكل الأمن. فقد كان على هذه المصالح، المُوجّهة للبحث عن الاستخبار السياسي، أن تعلم في لحظة أو أخرى بنشاطات شيوعية في المغرب. سنكتفي بالإشارات التي تسمح بإضاعة المصادر الرئيسية للمعلومات المستقاة حول موضوعنا. هناك أربع وزارات معنية : الداخلية، المستعمرات، الحرية والشؤون الخارجية.

ففي الداخلية، ينبغي تسجيل كون الأمن العام كان يتوفّر على قناة غربية مُوجّهة للبحث عن الاستخبارات السياسية ذات الأصل الدّولي والمتعلقة بالتحريض الشيوعي بصفة خاصة : يتعلق الأمر بمفوضية أتماس * الخاصة والتي ربما كان موقعها الجغرافي يُعدها سلفاً لهذه المهمة (189). وفي إدارة الشرطة، أُمّنت مصلحة الشؤون الشمال إفريقية، المستقلة عن قسم الاستخبارات العامة، من 1925 الى 1945 ، مُراقبة مُشدّدة لأفارقة الشمال الموجودين في المنطقة الباريسية، مُرَجّعة (٥) معلوماتها للأمن العام، ولكن أيضاً للحرية، والشؤون الخارجية ووزارة المستعمرات (190).

188 هذه الفقرة المقتطعة من العجوة الحمراء، وهو كتاب كرسه إيفون ديلبو للاتحاد السوفياتي ويدهي أنه معتدل، ثم الاستشهاد بها من طرف ماريو روستان (نائب رئيس لجنة المستعمرات بمجلس الشيوخ) في مقال لطويلات الاستعمار، 29 يوليو 1933.

Annemasse

189 AN SOM SLOT FOM III, 142 (الشيوعية في الخارج). عندما سيحين الوقت، سيتم حصوصاً بـ «المسائل الأجنبية لمد الكرم» أنظر أدناه، الفصل السابع.

* من الترجيع.

190 APP 4 519-91. حول الحراسة التي مارستها هذه المصلحة على الوطنيين المغاربة، انظر الجزء الثالث.

وفي وزارة المستعمرات تؤمن مصلحة للشؤون الاسلامية اتصلاً وثيقاً مع حمايات إفريقيا الشمالية وتسعى الى جمع توثيق حول كل الأسئلة المتعلقة بالسياسة الاسلامية (191). أما مصلحة المراقبة والمساعدة لأهالي المستعمرات في فرنسا فتحتم على الأخص بالمنحدرين من الهند الصينية، من مدغشقر وإفريقيا السوداء وعلى نحو أقل بأفارقة الشمال؛ ويبدو نشاطها محكوماً أساساً بانشغالات سياسية وبوليسية (192). من جهة أخرى، عهد ألير سارو وزير المستعمرات، منذ 1922، إلى إدارته للشؤون السياسية (المكتب الأول) بمركزة كل الاستخبارات المتعلقة بـ «الدعاية البلشفية» (193). إننا نسجل أيضاً لدى نفس الإدارة، حضور شخص غريب «مكلف بالدراسات»، ويتعلق الأمر بغريغوار أليكسيسكي، وهو نائب سابق لبيطروغراد، ثم اختياره من طرف ألير سارو ليهتم خصوصاً بـ «النشاط المتعلق بالاستعمار الشيوعية» (194). فضلاً عن ذلك، تُروّج وزارة المستعمرات مذكرات شهرية حول الدعاية الثورية التي تهّم بلدان ما وراء البحار مخصصة أساساً لسياسة الأمم المتحدة وللتنحيز الشيوعي سواء في مختلف بلدان ما وراء البحار أو في الأوساط الاستعمارية بالبلاد. قد عثرنا في مستودعات الأرشيفات على تقارير صادرة عن المكتب الثاني للقيادة العامة للجيش (قسم مركزة الاستخبارات) ومتعلقة بالدعاية الشيوعية في المغرب. وتتوفر الوزارة في الجزائر على مصلحة لتنسيق الاستخبارات على مستوى شمال إفريقيا، لا تكفي بإعادة إرسال مذكرات المصالح المركزية للاستخبارات أو مصالح الاستخبارات المحلية، بل يبدو أنها كانت تتمتع، على الأقل حتى 1930، بوسائل مستقلة للأبحاث. إننا نكتشف أيضاً وجود جهاز في متهى الخصوصية، نشأ في أعقاب الاتفاقات الفرنسية — الإسبانية المبرمة خلال حرب الرّيف : يتعلق الأمر بـ «المكتب الإسباني — الفرنسي» للالكا المُسمّى أيضاً «المكتب المختلط» الذي يضم ضباطاً للمخابرات الفرنسية والإسبانية (195). لقد بدا هذا

191 لقد دعا الوزير حكاه في المستعمرات من جهة، ومعاونيه الماشترين من جهة أخرى إلى استلهم الأساليب المتبعة من طرف المخابرات الأخرية (كذا) في تحريهم عن المعلومات AN SOM Aff. polit. 2662 (23)، رسالة فاتح فبراير 1928.

192 AN SOM SLOT FOM (خاصة صادقات السلسلة III) لقد اقترح وزير المستعمرات على زميله في الداخلية تعاون C.A.I مع مصلحة الشؤون الأفريقية — الشمالية بمفوضية الشرطة (في طور التكوين وقتذاك) AN SOM SLOT FOM IX, 3 (الشؤون الأهلية الأفريقية الشمالية، رسالة رقم CAI 484 في 9 أكتوبر 1924). إن مكتب مرسيليا لـ C.A.I هو الذي أرسل إلى الوزارة تقريراً حول «العمل الاشتراكي — الشيوعي في المغرب» AN, 45, III, 45, AN, SLOT FOM، الدعاية الشيوعية في المغرب، ورقة إرسال رقم 944 في 27 يونيو 1935

193 «نحكم النشاط المدلول من طرف التطعيمات الشيوعية وبروعها إلى مد دعائها إلى المستعمرات» AN SOM, 94, III, 94, AN SOM (مذكرة رقم 268 في 21 أبريل 1922).

194 يبدو أن أليكسيسكي حافظ على مصه على الأقل إلى غاية يونيو 1936، AN SOM SLOT FOM, III, 62.

195 «إن ضرورة مراقبة ومع تهريب الدخية والمواد الغذائية صوب المغرب جعلت الحكومتين تقرران إنشاء مكتب اساني — فرنسي ممالكا» (ثم تلت ذلك تشكيلة المكتب المذكور) SHA VM E 24 (مذكرة EM، المكتب التالي في 19 ديسمبر 1925). ويبدو أن دليل المكتب كان هو SR 11 (انظر SHA VM F 17 et MAROC RSD 79).

بأخصيصاً نحو البحث عن المعلومات المتعلقة بالتحريض الثوري وتوضح مُذَكَّرَةٌ للمكتب الثاني دوره في هذا الصدد : «إن الوطنية الإسلامية، والشيوعية، مُراقاة في المغرب من طرف الأمن تب الثاني للقيادة العليا. فلور المكتب المختلط يتمثل إذن، من قبة في المغرب بالأنشطة المعادية التي تستهدف الحماية والتي تمى في تنبئه، خارج المغرب، لتصرفات المنظمات أو الأشخاص : مشكوكاً فيه لسلطات الحماية» (196)، وهذا الجهاز هو الذي قضية المؤامرة البلشفية في 1927 بالمغرب. وأخيراً، فإن فرع ما رة للاستخبارات للمسائل الإسلامية «، ذات توزيع محدود، وتمتد لقة بالجامعة الإسلامية وبالتحريض الثوري في علاقته بالحركات

فارجية، فبترجييعها للرباط لبعض المعلومات المستقاة من مراكزها ب إعطاء تلك المعلومات نوعاً من الأهمية. فبصفة خاصة، ينبغي ن طرف الكمي دورساي للأساليب المتبعة من قِبَل المقيم العام في د كان هذا الأخير، الذي اتخذ تدابير قمعية تجاه «المُحَرِّضِينَ» ين، يُقَدَّم كَقُلُوبَةٍ للمقيم العام للمغرب (197).

إدارات الحماية (أمكنة التفتيش المدنية أو مكاتب الشؤون الأهلية لة من جهة أخرى)، في مجموع البلاد، لاستقاء مختلف المعلومات ، كان يتم إرسالها إلى الإقامة العامة من طرف رؤساء المناطق. ع في الرباط من قِبَل إدارة مصالح الأمن وإدارة الشؤون الأهلية ثم لعسكري للمقيم العام. وقد استجاب إنشاء جهاز وصِل يُسَمَّى

ة :EMA، المكتب الثاني SR رقم E 788 في 19 فبراير 1928). ينو أن المكتب ائل هامة : فبعض أعرابه قد يكونون أعضاء لدى قيادات الأحزاب الشيوعية الأوربية؛ انظر بأصلة عن تقرير لـ «عون يشغل لدى المكتب المركزي (كلمة للحزب الشيوعي بلنزل» .SHA MARO

Bulletin de renseignements des qu
SHA N رسالة رقم 2081 في 11 أكتوبر 1935 للشؤون الخارجية، انظر أيضا الإرسال م 1215 في 3 يونيو 1935، لك «دراسة حول الدعاية المعادية لفرنسا لدى العسكريين ، بتاريخ 21 مايو 1935).

O.L.R، فيما يبدو، لضرورة مَرَكِزة الاستخبارات ذات الطابع السياسي الآتية من الخارج (198).
 قاد تَشَتُّتُ مصادر الخبر الرسمية حول الأنشطة الثورية بَعْضَ الأجهزة في كثير من الأحيان، الى المناذاة بمركزة صارمة لها. هكذا طلب السَّكرتير العام في الدِّفاع الوطني، في 1929، بأن يُعَهَّدَ إليه بجمع وتنفيذ العناصر الضرورية لقيادة جميع أشكال مكافحة الدعايات المناهضة لفرنسا، سواء كان أصلها في شمال إفريقيا، أو في فرنسا أو في الخارج، غير أن الفكرة لم تؤخذ بعين الاعتبار، إذ رَأَتْ كُلُّ من الشؤون الخارجية ووزارة المستعمرات، من جهتهما، أن المصالح الموجودة وتبادل الاستخبارات الذي تقوم به مُلَبِّية لمتطلبات الوضع (199).

لقد كانت المصالح التي ورد ذكرها تستعمل وسائل متنوّعة لجمع الاستخبارات التي تبحث عنها. ومن بين هذه الوسائل، ينبغي الحديث قليلا عن «المُخْبِرِينَ». أولاً لاسترعاء الانتباه الى أننا نعر في الأرشيفات التي اطلعنا عليها على مراسلات وتقارير رسمية مؤرّخة، مُسنّدة، وموقعة في الغالب، مختلطة بذكراتٍ مُخْبِرِينَ، مجهولين، غير واضحة الأصل في مُعظمها. ويبدو لنا من الغفلة إهمال هذه المذكرات أو إعطاؤها أهمية مبالغاً فيها. وفي الواقع، ليس ثمة دائماً تعارض أساسي بين عِيْنَتِي الوثائق، بالرغم من طابعيهما المختلفين، إذ أن مذكرات الاستخبار تُرسل غالباً كما هي، تحت لائحة مُفصّلة بمحتواها، هذا المحتوى الذي يُشْتَطَّبُ قليلاً أو كثيراً في التقارير المُنتجة من طرف الرؤساء المسؤولين عن المصلحة. ويلعب توجيه المَكاتِب، ومزاج الموظف، حساسيته المفرطة أو القليلة بالظرف السياسي، دوراً حاسماً في الأمر.

هذا، وتستدعي أهمية شبكات المُخْبِرِينَ المُختصين في مراقبة الحركات الثورية أو السياسية فحسب بَعْضَ التوضيحات. فبصفة عامة، لا تتم المراقبة البوليسية بشكل مُتَقَطِّع؛ فهي ليست متناوبة؛ بل لها طابع المُداومة خلال فترة طويلة نسبياً؛ طبعاً يمكن لهذه المداومة، في بعض الظروف (انعقاد مؤتمر، معرض استعماري) أن تستعمل وسائل مضاعفة. وتتطلب هذه الحراسة أن يكون لدى المصالح أعوان قرييون جداً من التنظيمات المُراقبة. ويحدث غالباً أن يصل بعض هؤلاء الأعوان الى مناصب ذات مسؤولية عالية في التنظيمات المذكورة. غير

198 انظر SHA MAROC RSD 79, 88, 91, 128. إذ صاغت الرِبط يوحه عدة مرات في الأسوع، سواء الى مصالح الأركان العامة للرباط أو الى مصالح الإقامة، مذكرات إخبارية متعلقة بالخصوص بالتحريض الثوري والحركات الإسلامية.

199 AN SOM SLOT FOM III 2 (رسالة مرسلة في 19 عشت 1929) ونفسه 94 (رسالة المقيم العام في المغرب في 10 أبريل 1930 إلى وزير الشؤون الخارجية). إذ المسألة تستعد لاحقاً، تحت الجهة الشعبية، مع اللجنة المتوسطة العليا. انظر الجزء الثالث.

أن الأرشيفات لا توضح، في هذه الحالة، هل يتعلق الأمر بأعوان مَدسوسين أم بمناضلين قُبِلوا في لحظة معينة بأن يصيروا مخبرين (200). وتستعمل المصالح المختصة أيضا مخبرين متطوعين يودون إظهار مزاياهم أو إرضاء نزوع منحرف للوشاية. هناك واحد منهم يستحق إشارة خاصة. ويتعلق الأمر بجان رونو وهو مدير جريدة يومية كبرى، لابرير ماروكان «، ثم مدير وكالة هافاس في المغرب في العشرينات. إنه معروف لدى الجمهور كمؤلف لما يقارب خمسة وعشرين رواية وقصة قصيرة، وسيحصل على جائزة الأدب الاستعماري. وهو ضابط سابق، وكان في الهند الصينية «مُرافق ورفيق كل لحظات» ألبير سارو (201)، واحتفظ بعلاقات وثيقة مع الأوساط العسكرية. وكمُعادٍ عنيف للشيوعية، كان يرى يد موسكو في كل مكان من المستعمرات — وخاصة في المغرب — ولم يكن يكتفي بكتابة ذلك في رواياته. بل ضاعف من التشهيرات في مذكرات سرّية كان يوجهها إلى الديوان العسكري للمقيم العام (202). وبعد عودته إلى فرنسا، سيصير واحداً من المُعاونين الرئيسيين لفرانسوا كوتي في صحيفة «صديق الشعب»، وفي 1933 رئيساً لـ «التضامن الفرنسي»، وهو تنظيم ذو نزعة فاشية.

إن المصادر الخاصة للمعلومات المتعلقة بوجود مؤامرة شيوعية في إفريقيا الشمالية متعددة. وإذا تعمّل جردُها، ينبغي منح إشارة خاصة لجهازين مختصّين في الدعاية لمكافحة البلشفية : وهما المكتب الاستعماري الدولي للأهالي، والوفاء الدولي ضد الأممية الثالثة الذي يوجد مقره بجنيف. إن الأول، بإنجازه في 1930 لـ «تقرير حول إعداد الحكومة السوفياتية لتمرّرات في البلدان المستعمرة» يُنبّه القارئ إلى «أنه من واجب المُنظّمات الخاصة والمختصة مثل المكتب الاستعماري الدولي أن تقدّم العَون للحكومات وذلك بأن تضع تحت تصرّفها نتائج تقصّياتها وأبحاثها. فبفضل هذا التعاون، يغدو بوسع المؤسسات الرّسمية أن تُسهر

200 «النشاط المزدوج للون السري : كأداة للأمر، يخرب العون السري الحرب، من جهة أخرى، ويعضو في هذا الحرب فإنه يساهم في عمله ويقويه. وبشاطر ومبادرة نسبية، يمكن أن يصير «مطلا» للحزب وفي الوقت ذاته طلالاً للأمر. أحياناً، ومساعدة الأمر، يقوم المحرص بمحركات في عمله الحزبي، وعملاوة ذلك، وحتى لا يفقد ثقة الأمر، عليه أن يهكر دائماً في التليغ عن أعضاء الحرب، في تدمير محال من عمل الحرب، وهذا بطريقة لا تسمح بكشفه في عيون المضروبين». يوجد هذا النص المدهش في مذكرة تاريخ 10 فبراير 1925، غير محددة الأصل، ولا إسم المؤلف، متعلقة شطب ووظائف الأمر العام، يبدو أنها كانت من بين الوثائق التي أحرقت عند تفتيش منزل سوزان جورو (عضو قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي) في 24 أبريل 1925 (حادثة زنتة دامريون)، AN F7 13188. نعلم، من جهة أخرى، أن لوماني، قد شهت مرات عديدة، خاصة في الفترة 1926 — 1932، بـ «الحواسيس» و«الأعوان المحرصين»، الأعضاء السابقين للحزب الشيوعي ودعت المناضلين إلى بقطة مترايدة.

La presse marocaine

201 نقرأ في الإهداء نهاية السكة الحديدية إلى ألبير سارو، وهي رواية استعمارية، باريس، 1927، «اعترافاً بالكفاح ضد الدسائس الثورية في المستعمرات، التي أتت حديثاً وبشجاعة على كشف حطرها إلى الأمة».

202 SHA MAROC RSD 79 («استعلامات حان رويو»).

بسرعة ويُسَرِّع على حماية النظام العمومي» (203). أمّا الوفاق الدولي ضدّ الأهمية الثالثة فكان يتوفر على «مراكز وطنية مستقلة». فـ «المركز الفرنسي المناهض للشيوعية» يُصنِّدُ مجلة شهرية اسمها الموجة الحمراء = يُديرها كوستاف كوثرو، مؤلف لكتاب ضخيم عنوانه : البلشفية في المستعمرات والامبريالية الحمراء. وتظهر مذكرات استخبارات المصالح المختصة مُصنِّدًا قريباً نسبياً من هذه الأجهزة : أوساط الهجرة الروسية. وقد عاجلت عدد من المؤلفات المؤامرة البلشفية ضد إفريقيا الشمالية. وكلها موسومة بانشغال سجالي على الخصوص وفقر كبير في المعلومات. مع ذلك، ينبغي الإشارة لبعض المؤلفين بحُكم شهرتهم : فمعرفتهم العامة بالمغرب، واتصالاتهم الوثيقة مع الأوساط القيادية أمنت لهم خطوة لأخيراً، لا ينبغي الاستخفاف بالأهمية المُعطاة من طرف الإدارة لـ «إفشاءات» الصحافة حول وجود مؤامرة بلشفية. هكذا كانت بعض الحملات هي الباعث على فتح تحقيق قضائي (204). فقضية إبييرلين، وهو شيوعي مشبوه بارتباطه بتحضيرات تمرد بلشفي في المستعمرات، بميزة حساسية بعض الموظفين السامين تجاه المعلومات «الثرية» المُقدَّمة من طرف الصحافة، والتردد الحاصل، على الصعيد الأهلي، في تكذيب الحكايات التي لا تُصنَّق (207). وفي مقابل هذا الموقف، ينبغي تسجيل ردّ فعل الأمن العام للمغرب، في 1927، بخصوص المعلومات المتعلقة بتصرفات الشيوعيين في الحماية : «إن بعض الصحفيين قد شهروا، دون ريب، وربما بضجة مبالغ فيها، بالخطر الشيوعي في المنطقة الفرنسية، لكن المقالات التي صكَّرت حول هذا الموضوع هي لـسجاليين كان ولَعَهُمْ على الأقل مُعادلاً لموهبتهم» (208).

- 203 AN SOM SLOT FOM III 142 (تقرير... توطئة) انظر أيضا AN F7 131 70.
La vague rouge *
- 204 يعتبر ج. لادري دولاشاير، دون ريب أهم صحفي اهتم بالمغرب تشكل كتبه ومقالاته في لالهريك فرانسيز مصادر ثمينة للأخبار حول الحماية وحول السياسة المغربية للفرق الاستعماري، وقد شهر بتأثير البلشفية في حرب الريف (حلم عبد الكريم، باريس، 1925)، ثم ضخّم الى أكبر حد ممكن «المؤامرة الشيوعية» في الشيوعية وإفريقيا الشمالية، باريس، 1929.
- 205 إن بورير - رانير، الذي أسس لاديش ماروكان بطجة في 1905، والذي ظل معاوناً لـلاهريك فرانسيز، مروجها بشكل خاص نحو المسائل الدولية، كتب هو أيضاً كتاباً حول الدعاية الشيوعية في إفريقيا الشمالية، باريس (1925) أو (1926).
- 206 AN F7 131 43 (حجز حريدة لوكونسكري).
- 207 انظر AN SOM SLOT FOM III 133، عمل الكومترن في المستعمرات الفرنسية (رسالة 20 فبراير 1936 من الحاكم العام للهند الصينية، وحوابا رئيس المجلس، وزير الداخلية في 16 أبريل 1936 ووزير العدل في 18 مايو 1936).
- 208 SHA MAROC RSD 79 (أفراد مشوهون، IIC2 ملكة الأمن العام للرباط، يوليو 1927).

الأساليب

يظهر فحص النصوص التي تتوفر عليها أساليب مختلفة لتنفيذ الأسطورة، ستميز :
الافشاء المزعوم، والتأكيد بلون حجج، والمغالاة والخطأ.

□ **الافشاء المزعوم.** إن عدداً كبيراً من المعلومات المتعلقة بـ «المؤامرة البلشفية» في إفريقيا الشمالية والمروجة سواء من طرف المصادر العمومية أو الخاصة تُقدّم على أنها ثمرّة تقصّي صعب وعميق لاسيما وأنه يستهدف أنشطة تُفترض على أنها سرّية. وفي الواقع، غالباً ما تستند «الافشاءات» الى وقائع ذات طابع عمومي. هكذا هو الأمر، على الخصوص، بالنسبة لتلك المتعلقة بمنظمة الأمية الثالثة، بالفرع المكلف بالقضايا الاستعمارية لدى الحزب الشيوعي الفرنسي وبمختلف اللجان المناهضة للامبريالية (209). وبنفس الطريقة، يتم «إفشاء» نوايا البلشفيين بفضل سُطَب وتقارير تُقدّم على نحو يوهّم بأنها قرئت في اجتماعات مغلقة، في حين أنها ليست سوى استنساخ لنصوص ظهرت في المراسلة الدولية * وفي الصحافة الشيوعية الفرنسية (210).

إن القمع وكذا هذيانات الجمعيات السرية للقرن التاسع عشر، يفسر، دون ريب، كون الأنشطة المُطوّرة من طرف الحزب الشيوعي قد أمكنها أحياناً أن تُحَضَّر وتُدقّق في السرية. لكنه ليس ضرورياً اللجوء الى قرارات أُتخذت في السر لتفسير الدعاية والتحريض

209 انظر العقيد رينوف : العمل السري للأحزاب البلشفية، باريس، 1926. كوستاف كزورور : البلشفية في المستعمرات والامبريالية الحمراء، باريس، 1930. إن مذكرات المصالح المختصة ملأى هذا النوع من الكشوفات : هكذا اكتشف الموص كيديسل أن «جميع فروع النشاط الثوري المعادي لفرنسا متشابكة حول نجمة شمال إفريقيا» وهذا فقط لأن «الأفراد المستهدفين بهذه الدعاية هم قُل كل شيء طلة أفارقة شمال إفريقيا بفرنسا» وبالتالي، فقد بلغ عنوان «لبؤرة نجمة شمال إفريقيا» كان قد أعطاه إياهما محو الذي «هو على وشك... أن يمسك بقلب هذه الحركة» SHA MAROC RSD 79 (lib) رسالة رقم SR 124 55 في 12 دجنبر 1928). وكان الفرع المكلف بالقضايا الاستعمارية للحزب الشيوعي الفرنسي، في 1935، موضوع مذكّرة موجهة لتوضيح محتواه : 120، زنتة لافايت (إنه المقر المعروف حذا لقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي) واسم المناضل المسؤول : أندري فيرا. (مذكّرة OLR، رقم 2972 في 23 أكتوبر 1935).

Correspondance internationale *

210 انظر المذكرات الشهيرة عن الدعاية القوية التي تمّ بلدان ما وراء البحار لوزارة المستعمرات والتشيرة الشهيرة للأقامة العامة للمغرب (الوضعية السياسية والاقتصادية). يؤكد الطابع «السري» هاتين النشئين الفكرة بأن الأمر يتعلق حيناً بـ «إفشاء» أشخاص يتم إخفاؤهم عن الجمهور لعدد قليل من المسؤولين. كما أن المغالاة في استعمال كلمة «سري» معروف جداً لدى الموطّعين؛ ومع ذلك لا ينبغي أن يغفل أثره السيكلوجي. إن اللامعقول يتم بلوغه من طرف مصلحة المخابرات OLR التي كانت ترسل الى الديوان العسكري للمقيم العام بانتظام، تحت ورقة إرسال «سري» بقصاصات من لومانيي معصية للمغرب وللسياسة الاستعمارية (نفسه «RSD 79, II»). وكانت اليومية الشيوعية مجموعة فعلاً في الحماية.

الشيوعيين في الموضوع الاستعماري (211). فالنصوص العمومية كثيرة بالفعل وخالية ،
بُئس. وتَصْنَعُ اكتشافها، ومضاعفة «الافشاءات المزعومة» إنما يُسْهِمان ، بالعكس
تحويل البرنامج السياسي الشيوعي، بمنهجية، إلى مؤامرة مُعَيَّنة (212).

□ التأكيد بدون حرج. إنها تقنية كلاسيكية لتسميم الخبر. لكن هل يتعلم
حقاً ودائماً بأسلوب ؟ فمن الافتراض البسيط الى الغلط البين المقصود نجد تنوع
للتصرفات.

منذ 1922، كان لتعليق وزارة المستعمرات، العامّ جدّاً، قيمة توجيهية : «حالياً،
التفكير بأن الحركات التي تأخذ طابع ما يُسمّى بالوطنية ستسمح في الغالب بافتراض
سابق ومنسوب الى مناورات شيوعية (...) فكل مظاهر ذات نزعات انفصالية يجب ا
من الآن فصاعداً بمثابة عنصر مهم يشجّع على ترويج الأفكار الشيوعية المتطرفة» (213)
ذلك الوقت، صار على التواطؤ بين الشيوعيين الأوربيين والتحرريّات الوطنية أن
كمعطى أساسي لا يحتاج الى برهنة. وفي نفس الوقت كان يشكل اعتقاداً وتوجيهاً يفرض
على المسؤولين السياسيين والبوليسيين:

في يوليو 1927، قامت مذكرة للأمن العام في الرباط بتوضيح الوضع : «بـ
المعلومات المتلقاة من جهات مختلفة، وخاصة من باريس، نعرف كم هي متعدّدة
الروابط التي تجمع بعض المُحرّضين المُسلمين بالشيوعيين. لذا يجب على المراء
تنصّب بشكل مكثّف على كل الدعاة المُعَيَّنين من طرف موسكو والذين يتوصّل بأ
غالباً من فرنسا. إلا أنّه من المفيد مع ذلك الإشارة الى أن المبعوثين الذين تمكّنوا من ال
الى المغرب حتى هذا اليوم قلة قليلة» (214). هكذا، لا يشكّل غياب الوقائع حافزاً -
الاعتقاد في وجود خطر بلشفي : فإذا كان لم يحدث أي شيء لحدّ الآن، فلأن شيئاً ما
ريب، سيحدث في مستقبل قريب. وفي 1928، اعتبر رئيس الأمن الجهوي بفاس بأن با

211 إن «السر» يبدو لنا بخلاف ذلك أكثر بدهاءة، وتفرضه السرية، في مادة تقنية الدعاية. فمثلا توزيع منشور سياه
وضعها في كتيبات للدعاية التحاوية، وتوزيع حريدة ممنوعة مدرجة داخل عدد من مائتان، هذان أسلوبان لفتت
المصالح السياسية لوزارة المستعمرات، في وقت مكر حدا، انتاه المسؤولين (AN SOM Aff. polli 2415)،
حول الدعاية الملشقية في المستعمرات، 19 أبريل 1922)، ومن المحتمل حدا أنها استعملت مرات عديدة
كتيحات أو منشور أو حرائد مموعة الى المغرب (انظر أدناه).

212 يحدث أن تشهر مصالح الشرطة نفسها بالأسلوب انظر AN F7 13101 (حملة ضد الحزب الشيوعي. 27
1929، مذكرة 21 شتبر 1927).

213 AN SOM Aff. polli 2415 (مذكرات عن الدعاية اللورية التي هم بلدان ما وراء البحار). مذكرة 9
1922.

214 SHA MAROC RSD 79 (II C2) مشدد عليه من طرف الذي أرسلت اليه هذه المذكرة (الديوان اله
للمقيم العام بالرباط).

أن يستخلص من تحرّيه الطويل أن «الآثار العملية للدّعاية الشيوعية شبه منعدمة في الوقت الحاضر» (كذا)؛ لكنه يضيف فوراً : «إلا أنّه من المُحتمل جدّاً أن يتوصّل المبعوثون المأجورون من طرف موسكو، عمّا قريب، إلى خلق مصاعب لنا بتحريكهم ضدنا للجماهير غير المتعلّمة» (215).

لكنّ الجِثال الأكثر بروزاً دون ريب، لهذه العقلية، هو الذي يجسده رئيس منطقة الغرب الذي كتب للمقيم العام : «في المدينة، يُور — ليوطي، ليس ثمة بين الأهالي حركة شيوعية بحصر المعنى. يوجد تحريض وطني قد يكون — منطقياً ينبغي أن يكون (216) — متحزباً جزئياً للحركة الشيوعية ومُساعداً من طرفها، لكن حالياً، ليس هناك أيّ برهان، ولا حتى أيّ عَرَض لتواطؤات من هذا القبيل أمكنَ كَشْفُها» (217). إن غياب الحُجَج مُؤكِّد عليه هنا صراحة في الخاتمة؛ فهل ينبغي التفكير بأن الشّكل المُعطى للمقدمات «يوجد تحريض وطني قد يكون — منطقياً ينبغي أن يكون...» لا يُعبّر سوى عن اعتراف بحقائق السّاعة من قِبَل موظّف سام مُتحمّس أو مجرد محترم للقيّم السائدة ولكنه يحتفظ لنفسه، في ممارسة مهامه، بإمكانية الوصول إلى استخلاصات مُخالفة ؟ أو ليس من الأسط التفكير بأن الضّغط المُمارَس من طرف الايديولوجيا السائدة — سواء مُورست هذه الأخيرة بواسطة توجيهات وزرية أو بواسطة حملات الصّحافة — يُرغِم موظفي السلطة في بعض الفترات على تكريس انتباههم للخطر البلشفي وللتواطؤ بين العناصر الشيوعية والوطنيين إلى حدّ خلق تصرّف ينتمي للتسمّم الذاتي ؟

لقد سبق أن لاحظنا الشّكل المُعرّض الذي تتّخذه المراسلات الوزارية، خاصّة فيما يتعلق بالدّسائس الشيوعية في الجيش. إن المُذكَرة التي وجّهها المقيم العام للمغرب لمعاونيه، في 1937، لطلب «المعلومات التي أمكن لمصالح (هم) استقائها حول العمل الشيوعي في المغرب» تبدأ بالتأكيد على أن «تطوّر الدّعاية الشيوعية في إفريقيا الشماليّة، المُشجّع باستمرار الأزمة الاقتصادية والمُتعهّد، احتمالاً، من طرف تأثيرات أجنبية، قد ازداد خلال

215 نفسه. (II b)، رقم 49، تقرير رقم 4739/SR 21 مايو 1928).

216 التشديد منا.

217 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 149 في 9 مارس 1955). لنسجل، في اتجاه مشابه، جواب نائب قنصل فرنسا بتطوان، الذي مثل من طرف المقيم العام حول العمل الشيوعي بالمنطقة الاسبانية (رسالة رقم 44 في 26 فبراير 1935). نبيد أن ذكر أسماء بعض المشبوهين، نحم هذا الموظف تاللا : «في كل هذا، لا نرى أبداً أثر الشيوعية الموسكوية... وهو ما لا يعني أن موسكو لا تدخل في السياسة الاسبانية، لكن عملها لا يهدى إلا بمقتضى التليدب وعمر أشخاص مسخرين. أي أنه لا يمكنها أن تجعل وجودها محسوساً في المنطقة الاسبانية إلا بدرجة ثانية وحتى ثالثة». نفسه. (رسالة رقم 76 في 14 مارس 1935).

الشهور الأخيرة، بارتباط وثيق مع نشاط العناصر الوطنية في الجزائر، وتونس والمغرب» (218). كيف يمكن التفكير بأن مؤلفاً لا يهتبه لتكوينه ولا ممارسة مهمته، في هذا الصدد، لتطوير ملكات نقدية، لا يتخذه بالشكل الصريح الممنوح من قبل رؤسائه لتعليقات من هذا القبيل ؟

بل هل من الضروري النطق بلفظتي «شيوعية» و«وطنية» لاثارة هذا التواطؤ ؟ في 1931، أعلنت جريدة لوتون * عن اعتقال أحد المسلمين بالرباط يدعى أحمد الجيلي، وذلك بتهمة توزيع منشور «تدعو الأهالي الى التمرد». وقد وضحت الجريدة قائلة بأن هذا الأهلي «ينتسب الى الحماية الروسية». وسيستنتج قراء لوتون الخلاصات بأنفسهم (219). فهم لا يعلمون بأن الخبر الذي قُدم لهم تحريراً مُلفق (220) : إذ ليس فحسب لم يتم أي توزيع لمنشور تدعو الى التمرد، وليس فحسب لم تعد «الحماية الروسية» توجد منذ 1914 (221) ولكن المعنى بالأمر ينتسب، بالعكس، الى الحماية الفرنسية، وسيكون الامتياز القضائي المترتب عليها في أساس المرافعة التي قدمها محاميه.

□ تُمثل المغالاة شكلاً آخر لتسميم الرأي. إن الأمر يتعلق، انطلاقاً من وقائع دعاية حقيقية، بتضخيم أهميتها الى درجة لا يبقى معها سوى مقاضاة «المُحرضين» أمام المحاكم. عندئذ يُظهر تحريراً أكثر عمقاً وعند الاقتضاء تحقيق قضائي هشاشات الاتهام. إن قضية دومون وقضية المغرب الأحمر ترصعان هذا المسعى. فملف دومون انتهى في الواقع الى قضية تافهية للدعاية الشيوعية. ففي الأخير، لم تؤخذ بعين الاعتبار ضد المعنى بالأمر سوى أحاديث ذات طابع «هدام» قيلت أمام بعض المغاربة، وتوزيع جريدة باللغة العربية، ممنوعة في تراب الحماية. إن ظروف الاتهام هي التي تُسمّ هنا عن المغالاة. فمدير مصالح أمن المغرب، بعد أن رُفِعَ إليه الملف وتقرير للجنرال قائد منطقة مكناس، أبلغ المقيم العام بأنه يشاطر السلطة العسكرية استنتاجاتهما : يجب إبعاد جول دومون من تراب الحماية (222). لكن في غياب المقيم، كان لهيلو، الوزير المنتدب الذي ينوب عنه، رأي آخر؛ فهو يرجو فتح تحقيق قضائي (223). وبعد

218 نفسه. رسالة رقم CMC 216 لي 21 فبراير 1935.
* Le temps

219 لوطون، 2 ماير 1931 (Le Temps).

220 أطر الجزء الثالث.

221 إن الحكومة الروسية هي أول من تحل عن الامتيازات المستحددة من نظام الامتيازات الأجنبية.

222 SHA MAROC RSD 88 (ملف دومون)، رسالة رقم DSS 20051 لي 24 نونبر 1934.

223 نفسه، في الرسالة المشار إليها سابقاً للأمن، كتب المنتدب لدى الإقامة محط يده : «في رأيي، من الأفضل التصرف بواسطة تحقيق قضائي. ولا حاجة الى القول بأن هذا ينبغي أن يتم بطريقة مستعجلة حتى يمكن للتفتيش أن يعطي النتائج الانحائية المتوخاة».

يومين من ذلك، ارتأى مدير الأمن أن من الواجب عليه الالتجاء على الأهلية التي يمثلها حلٌّ من مستوى الإبعاد، ذلك أن الاتهام «يمكن أن تنجم عنه مساوئ». فإذا أُقر، ستكون المناقشات المتبوعة بمرافعات بمثابة إشهار يبدو أنّ من الأحسن تلافيه : ذلك أنها يمكن أن تضع موضع الاتهام شخصيات كانت لها علاقة مع المُتهم عند دعايته. فضلاً عن ذلك، فإن مناقشات من هذا القبيل لا يمكنها إلا أن تثير حماسة العنصر الأهلي، الذي هو حالياً، أو على الأقل فيما يبدو، قليل الانشغال بدعاية من هذا القبيل. وأخيراً، من الممكن ألا تنتهي المحاكمة بإقرار الحكم، وفي هذه الحالة سيغلو إبعاد دومون صعب التحقيق» (224). هذه الخشية لا تشهدُ بحذرٍ ما تجاه القضاة، لا سيما وأنّ دومون من الذين يمكنهم المثول أمام المحاكم العسكرية، ولكنها تشهدُ بنقص الاثباتات المستقاة ضد المعني بالأمر. غير أن السلطة السياسية تجاهبت هذا النقص في الاثبات. كما أن الحكم على دومون بثلاثة أشهر سجناً وبمائة فرنك غرامة والحيليات التي بررت طرده تظهر المغالاة التي طبعت هذه القضية (225).

في قضية المغرب الأحمر، تمّ الكشف عن هذه المغالاة من طرف السلطات الادارية نفسها. فكاريو، مفوض مقاطعة الدار البيضاء، يخلص في تقريره الى أن هناك، في هذه القضية، ثلاثة مستويات من الوقائع ينبغي الأخذ بها : أولاً، التنظيم لدعاية معادية لفرنسا لدى الأهالي؛ ثانياً، دعاية معادية للنزعة العسكرية؛ ثالثاً، إنجاز وتوزيع جريدة ممنوعة موجهة للأهالي. فيما يتعلق بالنقطة الأولى، يقول المفوض موضحاً : «ليست لدينا أية حجة مادية. هذه الحجة يمكن الحصول عليها بواسطة تفتيشات دقيقة لدى الشخصيات الرئيسية، لكن هذا ليس أكيداً، لأن هؤلاء يقظون». وبالنسبة للدعاية المعادية للنزعة الاستعمارية، «وحده بيسير يمكن أن يُورط فيها، وحتى هنا لا يمكن مؤاخذته سوى على علاقاته بالبحار روبر، لأنه لم يتم أبداً تسجيل أي عمل مادي للدعاية». وأخيراً، فيما يتعلق بإنجاز وتوزيع المغرب الأحمر، يرى كاريو بأنه مادام الأمر يتعلق بجريدة باللغة الفرنسية، وبما أنها لا تتضمن أي مقال يهّم أمن الجيش وأنّ الجنحة ارتكبت في التراب المدني، فإن المحكمة المدنية هي المختصة (226). وبناءً عليه، يلاحظ المفوض، من «التهور الدخول في دواب المقاضاة حيث توشك النتيجة على الانقلاب لصالح المُتهمين، وهو ما سيكون مؤيماً جداً». في الختام، يقترح مسؤول

224 نفسه. (ملكرة رقم DSS 13 في 26 نونبر 1934).

225 لم تحتفظ المحكمة في الأحمر ضد المتهم سوى بتوزيع حرائك مسموعة في التراب المغربي. وفي برقية موجهة الى الكي دورساي، لإعلان طرد دومون، وضح هولر بأن «المتهم كاد أحد لمحركي الرئيس للدعاية الشيوعية في المغرب»، لكن أضاف قائلاً «دعاية ليست سوى في بداياتها، وتتابع تنظيمها بنشاط، خاصة في الدار البيضاء» نفسه (برقية مرقومة 106 — 107 — 108 في 6 مارس 1935).

226 يرجع المفوض هنا الى وجهة النظر المعرّ عنها من طرف رئيس المحكمة العسكرية للدار البيضاء.

أمن الدّار البيضاء، عوض مُتابعا قضائية، أن يقتصر الحكم على إجراء إبعاد في حق الأشخاص الستة المُجرّمين في هذه القضية (227). لكن ها إن الجنرال قائد وَحَدَات المغرب، الذي تلقى نُسخة من هذا التقرير، يقلق للتوابع التي تُخصّصت لهذا الاقتراح (228). لقد كان جواب المقيم العام ذا دلالة : «بمّ حاليا إجراء تفصيات تكميلية، كما تمارس مراقبة في متبى الفعالية على العناصر الشيوعية التي ستخذ في حقها الاجراءات اللازمة عند الاقتضاء» (229). هكذا تمّ إفراغ القضية بأكملها : ففي فترة أولى، ثمّ ذلك من طرف مُفوّض الشرطة الذي بدا عاجزا عن متابعة المناضلين الشيوعيين المُتّهمين أمام المحاكم، وفي فترة ثانية من طرف المقيم العام نفسه، الذي رفض اتّخاذ عقاب إداري في حقهم، رغم الطابع التّقديري المتعلق بهذا الاجراء.

□ **المخطأ.** يمكن افتراض أن تطور الكفاحات الوطنية والثورية في إفريقيا الشمالية ترافق مع إنتاج عدد من الوثائق التي لم تكن صحتها أكيدة دائما. إننا لانتوفر على عناصر تسمح لنا بتقدير أهميتها والتدليل على إوالياتها. وسنكتفي بواحدة من تلك الوثائق ساقنا صُدّف البحث الى تخصيص حينٍ لها والتي سمينها «خطأ مالاكا». تستدعي الأساليب المستعملة من طرف أصحاب هذه الوثيقة بادىء ذي بدء بعض الملاحظات الشككية. فلكي يقتنع الذين أرسل إليهم الملف بصحة الوثائق المُرسلة من طرف مكتب مالاكا، أرفقهُ هذا الأخير بصورة الرسائل المخطوطة — بالفرنسية — الصادرة عن فولكوف، أحد العملاء الرئيسيين لـ «المؤامرة البلشفية». يعتبر الأشخاص المقدمون في هذه الوثائق في متبى القرب والبعد معا؛ وهم أيضا أشخاص في متبى القوة : إنهم غرباء ذوو شأن. وغالبيتهم يوجلون في باريس (فوظائف بعضهم تضعهم بالضبط في سفارة السوفيات)، وعندما لا يجتمعون في العاصمة، فإن اختيارهم يقع على فرساي كمكانٍ لندواتهم السرية. ثمة من بينهم فرنسي وإسباني بلعيان دوراً عَرَضياً. ويمكن أن نتساءل عما إذا كانت المهام المسندة للانجليز والألمان، الأوائل كمُهرّبي أسلحة وبخارة مجرّين، والآخرين كمُدبرين عسكريين، لا تتطابق مع خيال تقليدي، تُقوّى بمناسبة حرب الرّيف الحديثة العهد (230). إننا نجد أيضاً إيطالياً وتركياً. لكن الأشخاص الرئيسيين من الروس؛ كممثلين للحكومة

227 يحي رولي شامبون، روبر بيسار، شارل دوبيو، ماكسيميليان رومرو، روجي ناتني، وعبد شريف. SHA

MAROC RSD 88، (رسالة رقم 12، سري، في 14 مايو 1935 الى رئيس منطقة الدار البيضاء).

228 نفسه. (رسالة رقم 788/2C في 19 أكتوبر 1943 الى المندوب العام لدى الإقامة).

229 نفسه. (رسالة رقم 1251/CMC موقعة من طرف بونسو، بتاريخ 9 نونبر 1935).

230 انظر أدناه، الفصل السادس.

السوفييتية أو للكومنترن، نجد أنهم هم الذين يلهمون ويوجهون ويراقبون تنفيذ مخطط التمرد. لقد قُدِّمَ انطباع القوة عبر الاطار الجغرافي للمؤامرة (من موسكو تمر الخيوط عبر باريس، لندن، برلين، برشلونة، وطنجة لكي تصل الى الرِّيف)، وعبر الفعالية (شراء وتسليم أسلحة، إرسال مُدْرِبِينَ، التحضير في نفس الوقت لأعمال سياسة وعسكرية). وتستدعي قوة المُتآمِرين فكرة قوَّة مترابطة للمصالح الفرنسية — الاسبانية : أو لَمْ تمضي هذه الأخيرة الى حدِّ الحصول على المراسلات والمُذكرات المُتبادلة بين العملاء الشيوعيين ؟ إن معرفة تُخطط العدو قيمة بالسَّماح بإحباطها.

في العمق، يمكن أن نتساءل كيف تستطيع هذه المتنوعات، التي تبدو طالعة من رواية رديئة في الجاسوسية، أن تصبح موضوع إرسالات رسمية من طرف مصالح وزارة الحربية ومصالح الجزائر والرباط . أو لم تُعلَّم مصالح الاستخبارات المدنية والعسكرية للحماية، على الخصوص، بأن أيّاً من الأشخاص المورطين لم يُضبط أبداً ولا كان حتّى موضوع إشارة في التراب المغربي وأنّ لاشيء يسمح بتأكيد الاشارات المُعطاة من طرف مالاكا والمتعلقة بتنظيم موسكو لتمرد السكان الريفيين ؟ إن الانتباه الذي أولته السلطات لهذه المعلومات يُفسَّر، في رأينا، بقراءة أخرى للملف، لم تُشكِّدْ على قُرب حدوث تمردٍ بقدر ما شددت على الطابع المُستمر للتهديد البلشفي.

يتضمن هوس التمرد، كما نَجْم عن ملف مالاكا، بالفعل، وجهين. ففي مقام أول، هناك الوصف الدقيق قدر الامكان للبنىات الشيوعية المُتَّهمة، والاشارات المتعلقة بالوضعية والاتصالات القائمة بين «عملاء موسكو» والحكاية المُفصلة لمجهوداتهم بهدف تأمين التسليح ثم التأطير العسكري الضروري للريفيين، كل هذه العناصر استهدفت جعل إمكانية تمرّد ثوري في المدى القصير ذات مصداقية. فالذين أُرسِل إليهم الملف لا يعلمون أن التدقيقات المتعلقة بأسماء ووظائف وعلاقات العملاء الشيوعيين هي، في أساسها، خيالية بخلاف ذلك، يعلمون أن الانزالات المُعتَزَم القيام بها في المغرب لم تتم. من الأليق إذن — وهذا هو الجانب الآخر للملف — التوفيق بين الرواية ومنطق الوقائع. إلا أن هذه الأخيرة تُظهِر بأنّه انطلاقاً من 1927 تمكَّن الاسبان تدريجياً من التحكم في الوضع في الرِّيف، ماعدا بعض الاشتباكات وبعض الحوادث الرَّاجعة الى «هجمات مفاجئة». إن استحالة تمرّد مُعَمَّم وفوري قُدِّمَ إذن كإقرار، من طرف البلشفيين أنفسهم، باستتباب الأمور لصالح الاسبان. غير أن الخطر لم يَمِمْ إبعاده، لأنّ بِنِيات التدخّل الشيوعي في المغرب، حسب أصحاب ملف مالاكا، لا تزال قائمة وتعمل جاهدة لِقَلْبِ الوضع، بتطويرها للدعاية الثورية وبتزويدها للريفيين بالأسلحة والمُدْرِبِينَ. والبرهنة المُستعملة هي بالضبط نفس البرهنة التي

سبق أن وصّفتنا : فكّون الهجمة الشيوعية المحضّر لها والمرقّمة لم تتمّ ليس معناه أنها لن تقع. فالمؤامرة البلشفية تشكّل تهديداً مُستمرّاً لا ينبغي صرّف الاهتمام عنه.

وظائف الأسطورة

هكذا، بتسميم كان بعضُ خالقيه أحيانا هم أول ضحاياه، بُنيت أسطورة العدوان البلشفي في المغرب. يبقى أن نتساءل عن دلالتها الحقيقية. إذ لا يمكننا، بالفعل، أن نكتفي بملاحظة أنها تتطابق مع شعورٍ واسع الذبوع في الطبقات الحاكمة وجهاز الدولة : الخشية من رؤية «الموجة الحمراء» تتدفق على الغرب، مُهددة سيطرته على أراضي ما وراء البحار. إن مؤلفي التقارير الأكثر تيقنا من التحريض الشيوعي يعرفون جيداً، في الأخير — وهم غالباً ما يكتبون هذا بأنفسهم — بأن الخطر ليس فورياً. فتحليل الوضع يسوقهم إلى الدّفع بأجل التهديد البلشفي إلى المدى البعيد. في هذه الحالات، هل يكون لتقاريرهم قيمة تنبؤية فحسب ؟ ألا يسمح تحليل النصوص بالمُضيّ أبعد من هذا وتمييز من خلال الحوافز المُعبّر عنها من طرف السّلطات البوليسية والقادة السياسيين وظائف الأسطورة ؟

تقييد الحريات العامة

يلزمنا التذكير بأن إحماد الفتن يستهدف، بكل معنى الكلمة، إخضاع السكّان الأهالي. لقد أنشأ، تدريجياً، جهاز يسهر في المغرب على تأمين الهيمنة الفرنسية على جميع الأصعدة : الاقتصادي، والسياسي والاجتماعي. وترتكز هذه الهيمنة على الفكرة الواضحة والمتّصلة لتفوق الغازي وإمكانية تطور تدريجي، ولكن بطيء، للسكّان المحميين وفق الطرق والوسائل الوحيدة المحددة من طرف المستعمر وحده. غير وارد إذن بسط الترتيبات المتعلقة بممارسة الحريات الديمقراطية داخل الحماية. من هنا منشأ نظام تقييدي مفروض على الصحافة، والتجمعات العمومية والجمعيات، ومُشدّد على الخصوص عندما يتعلق الأمر بالمغاربة. إن تاريخ الحماية مليء، كما سنرى، بمعالم الاحتجاجات التي تزداد قوّةها أو تقلّ ضد هذا الوضع. وهذه الاحتجاجات لم تصدر فحسب عن الأوساط المغربية أو اليسار الفرنسي. بل تصاعدت أيضاً من مختلف قطاعات الرأي التي كانت تهبّ دورياً ضدّ نظام كانت تُشهر بطابعه التعسفي. بالنسبة للسلطات، كانت الضرورات العسكرية تُبرّر حالة الحصار، لكن بعد استسلام عبد الكريم (1926)، لم يعد المُنشّقون المغاربة يُعرّضون حقاً الوجود الفرنسي في المغرب للخطر، رغم أن المعارك الأخيرة امتدت إلى غاية 1934. وأثناء ذلك، كانت

الحشية من الشيوعية مُستغلّ كذريعة. لقد شكّلت بالنسبة للسلطات سبباً كافياً لاعطاء الأسمقية للدواعي الأمن على مُتطلبات الحرية (231).

بعد أن أشارت مذكرة لوزير الداخلية، بتاريخ 2 غشت 1927، الى أنّ الحرب الشيوعي «يَجْدُ لخلق التحريض بين السكان المسلمين لافريقيا الشمالية، وفي المغرب على الخصوص»، أُلْزِمَت الولاة بالألا يمنحوا جوازات سَفَر باتجاه الحماية «الألا تمتهي الاحتراز. هذه الجوازات ينبغي أن تُرفَضَ لكل فردٍ معروفٍ علانيةً كشخص قابل لأن يُزعج النظام والطمأنينة العمومية» (232). لقد بدا لنا مع ذلك، أنّ النشاط الشيوعي في المغرب خلال هذه الفترة كان يُعْتَبَرُ عديم الأهمية. بعد سنوات من ذلك، طَلَبَ الجنرال قائد قوات المغرب، بعد أن أخبر بأن في نية بعض الجزائريين القدوم الى المغرب «للقيام فيه بدعاية شيوعية أو وطنية (كذا)»، أن يُمنَعَ «إلى أقصى حدٍّ ممكن، كلّ فردٍ مشبوه من دخول الحماية» (233). لكن في بعض الحالات، لم يكن مَنَعُ الدخول الى المغرب مُمكنًا دائماً؛ لذا اقترح الحدُّ من عواقبه. هكذا تقرر أن يمنع فيليسيان شالاي، وهو أستاذ بثانوية كونلدورسي، ومعروف بأرائه المُعادية للاستعمار وكان قد ألقى مؤخرًا سلسلة من المُحاضرات في منطقة تونس (أبريل 1934)، «من إلقاء أية محاضرة أو أن يقوم بأي تجمع عمومي» (234) في حالة قدومه الى المغرب.

لقد كانت بعض الفئات من الفرنسيين معروفة، بشكلٍ مُسبق، بتشجيع التحريض المناهض لفرنسا. خاصّةً، كما أشار مدير الشؤون الأهلية، الموظفون الذين لهم علاقات مع الأوساط المغربية أو الذين دُعُوا لممارسة تأثير ما على تلك الأوساط؛ فالمُعلّمون واليهوديون ينبغي أن يُخضعوا لمراقبة خاصّة (235). لكن قائد درك فاس لم ينتظر هذه التوصية لكي يقول ما يُفكر فيه بخصوص الحرية المتروكة للمُدرّسين. فبعد أن نُظِمَ قَرُغُ عصابة حقوق الانسان بفاس، في 22 فبراير 1933، اجتماعاً تُشَطِّهُ أستاذٌ ومُعلِّمٌ حول موضوع رَفَضِ

231 لتسجل من الآن بأن عصبة حقوق الانسان لم تكن مقتنعة بالأسباب ذات الطابع العسكري التي قدمها الحكومة لتفسير حالة الحصار في المغرب. وبذير تعميها عن خلافها إشكاليتنا : «إنه لمن المعلوم على الأقل التأكيد على أن الأمر يتعلق بإجراء ذي طبيعة عسكرية : إنه إجراء من طبيعة سياسية أو بالأحرى إدارة هذا الذي يسمح للسلطة ليس بمواجهة خطر الوجود له، ولكن بتلافي الانتقادات التي ستكون بعض الموظفين.» رسالة من اللجنة المركزية للعصبة الى وزير الشؤون الخارجية تاريخ 23 فبراير 1921. دفاتر حقوق الانسان، 10 أبريل 1921، ص 161 - 162.

232 APP BA 1676 (نشاطات سياسية في المغرب).

233 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 760/2C في 7 أكتوبر 1934 الى المقيم العام).

234 SHA MAROC AI MAR 630 372 (مذكرة رقم 1155 DAI C/3 في 7 يونيو 1934، من إدارة الشؤون الأهلية).

235 نفسه. (رسالة رقم 15/DAI C/3 في 4 يناير 1936 موجهة الى جميع رؤساء المناطق).

المُحاربة، أُرْسِلَ إلى السُّلطة العليا قُصاصَة الجريدة التي عَرَضَتْ للاجتماع (236)، وأضاف تعليقاً شخصياً : «إنه لما يصعب احتياله أن نلاحظ بأن كل الاجتماعات التي تدور حول موضوع التنقيص من قوات البلاد منظمة من طرف مرين رسميين للشباب نجدهم أكثر حرصاً على النزعة الأُممية منهم على وطنهم الخاص» (237). إذا كان المُدرِّسون يُشكِّلون فئةً حَظِلَةً على نَحْو خاص، فليس ثَمَّة ضَرُورة، في بعض الحالات، لانتظار تورطهم في مؤامرة شيوعية للتخلص منهم. هذا ما سعى رئيس منطقة الغرب إلى تفسيره للمقيم العام. فبعد أن سئِلَ عن العمل الشيوعي في دائرته، أجاب بأن ليس ثَمَّة تحريض بمصر المعنى تمكن الإشارة إليه. ومع ذلك، انتَهز الفرصة لِيُشَهِّرَ بـ «الدَّعاية المتطرفة» التي تقوم بها الشبيبات الاشتراكية على الخصوص والتي يُتشكِّل مُنَشَّطوها من أربعة مُعَلِّمين. «إن الأَكثَر حَظِلَةً من كثيرين، هو السيد دولما الذي يسعى علانية إلى جَرِّ الأهالي في أثره». لقد كان له خلال اجتماع صندوق المدارس، «موقف من أكثر المواقف شَبَهَةً» حيثُ، بعد أن انتقد تَصَرُّفَ أغلبية الوُجَّهَاء الأهالي ليور — ليوطي، طَلَبَ «أن تمنح ملابس للأطفال الأهالي الفقراء» ومن جهة أخرى، يكتب مقالات معادية للنزعة العسكرية في جريدة لوماروك سوسيسالست. وهذا يبدو كافياً لرئيس المنطقة كمبرر لطرد المعنى بالأمر من المغرب (238)، وكفرصة يستنتج من خلالها قائلاً : «من المستعجل إيقاف هذا النوع من النشاط غير المقبول مُخَصَّصاً حين يَصُدُّر عن موظفين يَدُمُون ويقَاتِلُون النظام الذي يُؤمِّن عَيْشَهُم ويسعون إلى جَلْبِ قَلاقل، أو ما هو أسوأ من هذا، في بلد أرسلتهم فرنسا إليه، مُكَلِّفين برسالة حضارية نبيلة» (239).

لقد كان على الموظفين الفرنسيين في المغرب، بصفة عامة، أن يكونوا، خارج العمل، «قُدوة»، وألَّا يُظْهَرُوا مزاجاً رافضاً. ولأنه نَسِيَ هذا، أوْشَكَ موريس روبي، وهو محرِّر شاب بإدارة المالية بالرباط وعضو نشيط في الشبيبات الاشتراكية، أن يُؤدِّي الثمن غالياً. لقد سمح لنفسه، بإحدى صالات السينما (240)، خلال غُرُضٍ للأنباء، أن يُعبِّر بصوت عالي عن استهجائه أمام استعراض عسكري (241). هذا حدث صغير، لكن تم تضخيمه. وبما أن

236 يتلقى الأمر سكرتيري دوماروك في 26 فبراير 1933.

237 SHA MAROC RSD 88 (رُفْعُ المحاربة)

238 «سيكون مرحواً جداً أن يتم إرجاع المعنى بالأمر، وهو موظف ميتروبوليتاني، كان قد وضع تحت تصرف الحماية، إلى إدارته الأصلية إن السيد دولما غير مرغوب فيه، ليس فقط في ليوطي، وإنما في مجموع المغرب.» SHA

239 MAROC RSD 88 (رسالة رقم 149 في 9 مارس 1935). الرغبة التي عبر عنها هذا الموظف السامي ستحقق جزئياً، بعد ستة من ذلك، من طرف المقيم العام بيرون الذي سيقوم من تلقاء نفسه بنقل ديلا.

240 نفسه.

241 في 14 أبريل 1934.

242 لقد أوْشَكَ على كونه صاح : «ليستقط الجيش»، فيما قال بأنه صاح : «لنستقط الحرب!». إن روبي ضابط احتياطي.

رؤساء روبي، المرتاحين لطريقته في العمل، لم يفكروا في اتخاذ عقوبات؛ عَمَد دوفرنوا الى إخطار المارشال بيتان نفسه، الذي أمسك القلم لكي يقول للمقيم العام ما يفكر فيه بهذا الصدد : إن حدثاً كهذا «ينم عن عقلية مُزعجة لدى موظف فرنسي في المغرب». يضيف قائلاً، يبدو أن لديكم «عَدداً كبيراً من الموظفين الفائضين. أية فرصة ممتازة لتخلصوا من شخص غير مرغوب فيه. سيكون هذا الاجراء، فضلاً عن هذا، قوي المفعول بالنسبة للزملاء الذين يمكن أن يستهويهم تقليده» (243). وتطورت حملة في هذا الاتجاه (244). وأخيراً مثل روبي أمام المحكمة العسكرية بالدار البيضاء التي حكمت عليه بالعقوبة القصوى، أي ثلاثة أشهر سجنًا مع وقف التنفيذ (245).

هناك فئة أخرى من الفرنسيين في المغرب وَجِبَتْ مراقبتها : إنهم الصحفيون. لقد كان بعضهم مكروهين من طرف السلطات. فانتقدهم لعمل الحماية في بعض الظروف أو فقط قريحتهم اللاذعة تنتهي بأن تجعل منهم أشخاصاً غير مرغوب فيهم. وقد كانت إجراءات الطرد تُقرَّر بسرعة. ولا يبدو، أن الادارة تحت ولاية ليوطي، رأَتْ من الضروري أن تُبرر قراراتها بنسبها الى الآراء «التخريبية» للمعنيين بالأمر. ومع ذلك هناك استثناء، يتمثل في قضية هيدلين. لقد كان شارل هيدلين، الذي قدم الى المغرب منذ 1913، محرراً في جريدة البروغري ماروكان، ثم في جريدة لابرير ماروكان، حيث لم يكن يتهيَّب من تحذش الإقامة العامة. في 24 نونبر 1919، مُسَّه قرارٌ بإبعاد من المنطقة الفرنسية للحماية بسبب دفع عمال شركة شنابلير الى الاضراب، هذا الاضراب الذي «بدأ» أن هيدلين «حسب السلطات، قد حاول إعطائه طابعاً بلشفيًا» (كذا). وبعد التحرر، ثَمَّ الاقرار بأن هيدلين لم ينم أبداً لأتي تنظيم من اليسار المتطرف. ومع ذلك، أُكْمِلَ قرار الابعاد الذي أُتخذ في حقّه بقرار طرد في 20 مارس 1925. فاستقرَّ هيدلين بطنجة، حيث أسَّسَ مجلة الحوليات الطنجاوية. وبعد ذلك بقليل، يكتب ضابط المخابرات الذي تأخَّذ عنه هذه التفاصيل، اعتاد على التوجّه

242 يبدو أنه قد عاد الى المغرب، بعد أن أعمي من الأثر، بصفة مدوب للعقيد دولاوك لافريقا الشمالية، لوماروكه موبالست، 24 عشت 1935.

243 SAH MAROC RSD 88 (رسالة حطية، في 13 مايو 1935).

244 منشطة خصوصاً من طرف لوجور (ليون بيلي) والفيكتور (لكوسطاف هيريس) اللتين كانت تستعد مقالتهما ويعلق عليها بكتابة من طرف هاري ميتشل، كاتب افتتاحيات لابرير ماروكان (انظر حصوصاً 18 و 22 يوبر 1935).

245 في 23 يوليوز 1935.

Le Progrès marocain *
La Presse marocaine *
Les Annales tangéroises *

«عَفْوِيًّا» الى القنصلية العامة لفرنسا، «لكي يعبر فيها عن تصرفاته الوفية، ويؤكد تعلقه الشخصي بالمقيم العام، ويطلب إرشادات يتبعها» (246). أما كاريت — بوفي فهو صحفي من طينة أخرى. إن قصّة علاقاته مع السلطات المدنية والعسكرية للحماية أحدثت هي أيضا ضجة كبيرة. وهي تقدّم قبل 1930 أحسن مثال على استعمال الأسطورة البلشفية في المغرب.

قضية كاريت — بوفلي

في بداية 1926، أُطْلِقَت لوكري ماروكان، وهي الأسبوعية الكبيرة لليسار بالدار البيضاء (247)، حنلة جذّ قاسية ضدّ الجنرال فرايدنبورغ، قائد منطقة مكناس، الذي اتهمته بترك الأهالي يُجرّدون من أراضيهم لصالح بعض المُتاجرين (248). لقد كان مؤسّسها ومديرها العام كاريت — بوفي عضواً بالفرع الاشتراكي للدار البيضاء. إنه ليس ثورياً. فهو يعتبر الحماية أمراً واقعاً لا يُعاد فيه النظر، ولكنه يؤخّذ الإقامة على كون سياستها مضادة للمجتمع وغير آبهة بما فيه الكفاية بمصالح الجماهير المغربية (249). وفوق ذلك كله، كان يكره العسكريين. لقد اغتبط لتعويض ليوطي بستيك، ولكنه قَلِقَ لاحتفاظ بعض الضباط الجنرالات، الذين كان يشجب لديهم التهور والاعتباط بوظائفهم (250).

في 26 أبريل، وصل نبأ اعتقال كاريت — بوفي بتهمة مساعدة بعض الفارين من الجيش. فقد استقبل قِلَقَيْن قَرْنَسِيَيْن صرّحاً له بأنّ لهما آراء شيوعية وأنهما قرّأ، بعد أن

- 246 SHA MAROC RSD 91 (ملكرة OLR في 12 يناير 1932).
- 247 لقد أسست في 1923 تحت إشارة «جمهورية حرة، لسان حال التجارة، والزراعة والصناعة». وصارت في 1926 «الجريدة الرسمية للحزب الاشتراكي» وبشكل أسط «الجريدة الاشتراكية في الدار البيضاء» في 1928. وبعد أن كانت نصف أسبوعية من ست صفحات في 1923 صارت أسبوعية في أربع صفحات ابتداء من 1926، ويبدو أن سحبها كان ستة آلاف نسخة في 1926 وسبعة آلاف في 1928 (معلومات مستقاة من الدلائل السنوية للصحافة) في 1923 إلى 1933، ولا تبدو لوكري ماروكان مبروفة لديها إلا بواسطة قصاصات (محفّظ بها في بعض الأرشيفات) أو مقتطفات أعادت نشرها جرائد ميتربوليتانية أو استعادت بعض التقارير. واستثناء عدد واحد مؤرّح في 1925، فإن الحزبة الوطنية لا تتورع، بالفعل، على مجموعة منتظمة لهذه الجريدة إلا ابتداء من شهر يوليو 1933.
- 248 انظر لافلاك، عدد 54، 15 مايو 1926، التي أعادت نشر مقال طويل لـ لوكري ماروكان.
- 249 في 1921، أسس في الدار البيضاء أسبوعية باللغة العربية، الأخبار المغربية، يتعاون مع شاب قاسي، بنو الدين بن الفاطمي بن إدريس البراوي. لقد امتدحت هذه الجريدة تفوقات أنصار مصطفى كمال، وتصحّت ببعض الإصلاحات في الحماية، خاصة في مسألة التعليم الأمل، وقامت سحاح مع صحيفة الأقامة العام، السعادة. وقد اختفت بعد بضعة أشهر. الصحافة العربية في 1927، محاصرة لضباط الطور العدادي للشؤون الأهلية من طرف العقيد مازكو، مدير السعادة، الدار البيضاء، 1928.
- 250 مناقشات مجلس النواب، الجلسة الثانية لـ 11 يونيو 1926 (استفسار لطري فوطاسي)، الجريدة الرسمية، ص ص 2491 وما يليها.

أطلق أحدهما النار على ضابط. وعندئذ أعطاهما مدير لوكري ماروكان المال وَوَجَّهَهُمَا إلى بعض أصدقائه السياسيين، إِمَّا فَمَكِينَهُمَا من العمل أو لتيسير فرارهما. وقد سَلَّمَهُمَا هؤلاء، ضمن هذا الاحتمال، ملابس وجوازات سفر مزورة (251). لقد احتج كاريت — بوفي بقوة : فالعسكريان لم يُقَدِّمَا نفسيهما كقذَّارين بل كمرُخصَّص لهما «استنفذا ما كان معهما من نقود» ويتحشان عن عَوْن مالي. وقد سَلَّمَهُمَا 50 فرنكاً و10 فرنكات في اليوم التالي «للتخلُّص منهما». لاشيء عدا ذلك (252). ومع ذلك أودِعَ السُّجُنَ، ومعه، بنفس التهمة، آرني، رئيس ودادية السُّكَّكين (253)، وسورين، سكرتير الحزب الاشتراكي ورئيس فدرالية الجمعيات المهنية، وشامبيون، وهو سَكَّكي ورئيس الودادية العمَّالية للرباط، وكرينو، رئيس فدرالية البناء وعضو لجنة الاضراب، ودِيل أَكِيلا، عضو نفس اللُّجنة، وإيسكورو، وهو حَلَّاق. وقيل بأنَّه في فاتح مايو، سيُشَنُّ التَّقايبون والاشتراكيون والشيوعيون عملاً ثورياً (254). لقد اعتبرت القضية في أوج حرب الرِّيف، ذات أهمية : ألا يتعلق الأمر بمشروع حقيقي للفرار ؟ ثم ألا يقود «العدد الكبير للفرارات الملاحظة والسهولة التي تَمَّت بها» إلى الاعتقاد بأن انكشاف المتواطئين فيها غدا ممكناً؟ (255). لقد سُجِنَ الموقوفون في السجن المدني للنَّار البيضاء، في انتظار المثل أمام مجلس الحزب. لقد قام اثنان من الاشتراكيين الشبان، وهما إيف فارج وأنطونيلي، بإخطار قيادة الحزب، وفي 30 أبريل أ برق ليون بلوم الى ستيك يقول : «رُفِعَتْ إلي احتجاجات كثيرة تتعلق باعتقال العديد من رفاقنا الاشتراكيين، أرجوكم فحص المسألة بنفسكم» (256). وفي الواقع، استجوبَ المَفُوضُ المُقَرَّرُ لدى مجلس الحرب المُتَّهَمِينَ في 20 و30 أبريل، ومباشرة بعد ذلك مَتَّعَهُم بالسَّراح المؤقت باستثناء كاريت — بوفي وإيسكورو. لقد أُطْلِقَ سراح هذين الأخيرين بدورهما في 12 و17 مايو. لكن كان يجب انتظار شَهْرَيْنِ آخَرَيْنِ لكي يصدر لصالح جميع المُتَّهَمِينَ قرار عدم المتابعة «بَعْدَ أَنْ لم تسمح التحريات التي تَمَّ القيام بها بتقديم براهين على الوقائع المنصوص عليها في أمر

- 251 AN مجموعة بالولي، 186 AP 313 (رسالة 19 أبريل 1927 موجهة من طرف وزير الشؤون الخارجية الى عصبة حقوق الانسان).
- 252 نفسه.
- 253 لم يكن بإمكان الشغالين أن يجمعوا وقتذاك إلا في إطار ظهير 29 مايو 1914 الذي استعاد أحكام القانون الفرنسي لـ 1901 حول الجمعيات.
- 254 رسالة 19 أبريل 1927، المشار إليها سابقا. استفسار في المجلس لهنري فونطاني مشار إليه سابقا، انظر أيضا لالي سوسبالست، السلسلة الجديدة، عدد 11، 13 مايو 1926.
- 255 رسالة 19 أبريل 1927.
- 256 AN F7 13171 (دعاية شبيهة في المغرب).

التحقيق» (257). لهذا لم تنته القضية. ففي أوساط اليسار، جرى الحديث علانية عن دسيسة. وقد تم التشهير بها من طرف المعني بالأمر، في 9 يونيو، في رسالة الى جريدة تونس سوسياлист (258) - ومن طرف هنري فونتاني، الذي سأل الحكومة من منصة البرلمان في 11 يونيو «عن الشروط التي باشرت السلطات العسكرية ضمنها في 26 أبريل الماضي بالدار البيضاء اعتقال مناضلين اشتراكيين ونقابيين عديدين» (259) - ومن طرف عصبة حقوق الانسان في 15 يونيو (260) - ومن طرف الماسونيين، في 28 يوليو (261). لقد مورس ضغط على بانلوفي لاجراء تحقيق. وبدا أن وزير الحرية قد أخرج كثيراً. فمنذ 14 مايو، كان قد كتب للجنرال القائد الأعلى لقوات المغرب بأنه بالرغم من إطلاق سراح كاريت - بوفي فإن التفاصيل المنشورة من طرف بعض الجرائد تترك انطباعاً مقلقاً وينبغي توضيحها (...). إن أصل القضية، تابع قائلاً، يكمن في الأحاديث التي صدرت عن قناص من فيالق إفريقيا، ما إسم هذا القناص وما سيرته؟» (262).

تدريجياً أخذت الحقيقة أو على أية حال جزء كبير من الحقيقة يظهر: فريس منطقة مكناس، الجنرال فرايد نبرغ، هذا الشخص نفسه الذي ألهم من طرف جريدة لوكري ماروكان بتشجيع المضاربة العقارية على حساب الأهالي، هو الذي كان من وراء القضية. لقد فسّر الأمر في رسالة الى الجنرال بواشو، قائد قوات المغرب. لقد كان القناص يُدعى دورفو؛ ويبدو أنه كان عضواً في الخلية الشيوعية لفانسين (263)، ومحبوساً من طرف مجلس الحرب بمكناس بسبب فراره الى الخارج. وفي 20 أبريل 1926، طلب رؤية الجنرال الذي جعل رئيس الأركان العامة يستقبله. لقد تحدث الى هذا الأخير عن تنظيم وكالة للفرار بالدار البيضاء، يقودها كاريت بوفي، تقوم أيضاً بهريب الأسلحة لصالح عبد الكريم. وزعم بأنه تلقى هذه المعلومات من إثنين من الألمان التقى بهما في مكناس. وقد أرسل رئيس المنطقة، بعد أن تم إخطاره دورفو مصحوباً بمفتش أمن الى الرباط حث استقبالا في اليوم التالي من طرف مدير الأمن العام. وقد أمرهما هذا الأخير بأن يضعا نفسيهما رهن إشارة مفوض شرطة الدار البيضاء فوراً. إن السلطات الأمنية هي التي قررت حيثية، حسب فرايد نبرغ، أن يذهب

257 رسالة 19 أبريل 1927. إن القرار بعدم وجود وجه لاتامة الدعوى كان في 17 يوليو 1926.

258 SHA MAROC CSTM 22002 (رقابة عسكرية، b محظفات).

259 لقد نشر فونتاني قبل ذلك مقالا مهما في لوبيلير («مؤامرة بوليسية في الدار البيضاء»)، 14 مايو 1926.

260 رسالة اللجنة المركزية للعصبة الى وزارة الشؤون الخارجية. دلائل حقوق الانسان، 10 يوليو 1926، ص. 331.

261 رسالة الى بانلوفي. AN 313 AP 186.

262 AN 313 AP 206

263 لاتوجد هذه الاشارة في أية وثيقة أخرى من الأرشيفات التي استشرناها.

كُلُّ من دورفو والمفتش في نفس اليوم الى كاريت — بوفي، مُتَتَكِرِّينَ كَفَيْلَقِيَّينَ، لكي يلعبا أمامه دور شيوعيين فآرهن ويجعلا مدير لوكري ماروكان يكشف عن مشروعه (264). وقد أظهرت التقارير العسكرية التي تتوفر عليها ضيقاً واضحاً، ليس فحسب أمام الأسلوب المُستعمل، ولكن أيضاً حول القضية برمتها (265)، ولم يعد لدى بانلوفي سوى انشغال واحد : تبرة الجيش من المسؤولية (266).

في الواقع، كيف لا يمكن التفكير في أنَّ العملية بأكملها كانت من مَكْرِ فرايد نيرغ ؟ من المُحتمل أن هذا الأخير لم يكن يطبق مدير لوكري ماروكان، هذا أقل ما يمكن أن يقال. هل حاول القيام بِمَسْعَى لديه ؟ (267). على كل حال، كان من مصلحته توريث كاريت — بوفي، لا سيما وأنَّ هذا الأخير يعتقد أنه يُدْعَم ستيك في العمق ويؤكد عن طيب خاطر بأن عمل المقيم العام الجديد تعوقه زُمرة يقودها رئيس منطقة مكناس وبعض المُوظفين المدنيين السَّامين من الَّذِينَ لديهم حنين لـ «النظام السابق» — نظام ليوطي الذي تَتِمَّ معارضته بـ «الجمهوري» ستيك (268). لقد كان أوربان بلان، الوزير المنتدب لدى الإقامة، من المتعاطفين مع هذه المجموعة، وقد تعرَّض لانتقادات حادة من طرف لوكري ماروكان (269).

264 AN 313 AP 206. رسالة بتاريخ 19 مايو 1926 من الجنرال فرايد نيرغ الى الجنرال بواشو الذي وجه نسخة منها إلى وزير الحرية. انظر أيضاً رسالة 19 أبريل 1927 المشار إليها.

265 أنظر بالخصوص رسالة 18 مايو 1926، الموجهة من طرف الجنرال برتراند، القائد الأعلى لقوات الساحل الى الجنرال بواشو. نفسه. 313 AP 186.

266 إن المشروع الأولي للرد على عصبة حقوق الانسان الموجه من طرف وزير الحرية الى الشؤون الخارجية والمعد من قبل مدير العدل العسكري قد أرجع الى كاتنه من طرف مدير الديوان المدني لباتلوي مرفقا بالاشارة التالية : «إن الوزير يود أن توضح في هذه الرسالة، التي يصادق على مجموعها، المبادرات المتخذة من طرف مصالح الأمن التابعة للمقيم العام، وخاصة تلك المتعلقة باعتقال النفايين، حتى يتم الاظهار جيداً بأن السلطات العسكرية ليس لها دخل في هذه الاعتقالات» نفسه. (مذكرة مصلحة في 23 نونبر 1926).

267 إن لوكري ماروكان تؤكد هذا، أنظر المقال المعاد نشره من طرف لافالك، 15 مايو 1926.

268 إنها الأطروحة الاشتراكية التي دافع عنها هنري فونطانيس. أمام مجلس النواب وضمن ملتقى نوكش في 7 مايو 1926، احتج فرع الدار البيضاء لمعصبة حقوق الانسان على «الاعتقالات التعسفية» التي قامت بها السلطات، مع تعهيد في نفس الوقت عن تعامله مع ستيك. دفاتر حقوق الانسان، 25 يونيو 1926، ص. 310. تحدثت لاتريهون ماروكان التي حاولت أن تندي نوحاً من الموضوعية في وقت بلغت حرب الريف ذروتها (أنظر أدناه، الفصل السادس من «استغفار سافل» عن «مؤامرة بوليسية»، وأكدت أن «قضية كاريت — بوفي وشركاه» تنفع «أولئك الذين يظنون بأن عزاء لاختفاء الأساليب القديمة للحكومة (...) و أولئك الذين كان من مصلحتهم أن يستغفروا ليس فقط العناصر الجمهورية للمغرب، وإنما أيضاً وخصوصاً العناصر الجمهورية لفرنسا الأكبر قلقاً والأكثر استسلاماً للانعزال» ضد لوريه بيليكان التي توجد مصالح هذه البلاد حالياً في عهدها. رقم 35، 2 مايو 1926 في SHA MAROC AI 2431 FFS 530

269 «كنت أُنَاصِل في لوكري ماروكان ضد السيد أوربان بلان، لأنه ثبت طبعاً أن هذا الشخص سرق الدولة وفشها». رسالة من كاي. — بوفي الى لويس سوسيانست 9 يونيو 1926، في SHA MAROC CSTM 22002. إن

ومن جهة أخرى، كَانَ بعض المدنيين والعسكريين مُتفقين على نُسب جانب كبير من الصّعوبات المعترضة في الرّيف إلى الدّعم الذي يتلقّاه عبد الكريم من الشيوعيين (270). لقد شكّل استعمال القناص دورفو منذ ذلك الوقت فرضية معقولة؛ فتحقيق ذلك لم يكن على كلّ حال ليسْتعصي كثيراً، خاصّة بالنسبة لرؤسائه في الرّتبة.

لذا، فَإِنْ نقابة الصحفيين تَوَجَّهَتْ بمنتهى القوّة في 18 غشت 1926، عَبرَ قَلَمَ جورج بُوردون، إلى بانلوي : «لا يتعلق الأمر، في الحالة الرّاهنة، بمعرفة ما إذا كانت محاولة تشويه سمعة كاريت — بوفي وسَلْبِهِ حُرَيْته قد تَمَّت حَسَبَ الأُصول، ولكن في آيَة ظروف، وبأيّة وسائل مُشينة، وبأيّ إرشادٍ تُفْعِلُ» (271)، وَبَعْدَ أسبوعَيْن من ذلك، أعاد الكرّة، غير مُتَرَدِّدٍ في إثارة قضية دريفوس : «هناك في هذه القضية تجاوزات كثيرة للسلطة، ومخالفات مَذْمُومة، واستخفاف بالتعدّل، وأخيراً عادات مماثلة تماماً لتلك التي دفعَتْ من قبل عدداً منا، كما تعرفون، إلى زَهْنِ حرياتهم إن لم تكن أعمارهم...» (272). وفي 9 فبراير 1927، كتبت عصبة حقوق الإنسان بدورها : «لقد تبيّن إذن من خلال وثيقة قضائية أنه تَمَّ استعمال أعوان مُخَرَّضين لتوريط مواطنين فرنسيين. لن نؤكد على مافي أسلوبٍ كهذا من شناعة»، وطلب مَكْتُبُهَا من الوزير اتّخاذ عقوبات في حق المسؤولين (273). لكن بانوفي امتنع عن ذلك، متعلّلاً بالتنباس القضية (274)، فلم تعد العصبة للحاح. ربما كانت قد اطمأنت قبل ذلك بزيارة ستيك، الذي أتى ليوضح بأنّ كاريت — بوفي وأصدقائه التقايين اعتُقلوا في غيابه، وأنّه بِمَجَرَّدِ عودته طلب توضيحات، وعُجِّلَ بالتحقيق وحصل على إطلاق سراح المعنيين؛ وعلى الخصوص، أكّد المُقيم للعصبيين رسمياً بأنّ حوادث من هذا القبيل لن تقع مستقبلاً (275). لقد انتهت الحلقة الأولى من قضية كاريت — بوفي. وهي تظهر كيف تَمَّ استعمال أسطورة التّدخّل الشيوعي في الرّيف لمحاولة إسكات أحد الصحفيين (276). لكن الأسطورة

== أوريان ملان هو الذي ناب عن المقيم العام ستيك، الذي كان غائبا، عند اعتقال كاريت — بوفي وأصدقائه.

- 270 أنظر أدناه، الفصل السادس.
271 AN 313 AP 186
272 نفسه. (رسالة فاتح شنتير 1926).
273 نفسه. 313 AP 190.
274 نفسه. (رسالة 20 فبراير 1927).
275 دفاتر حقوق الإنسان، 10 مارس 1927، ص ص 107 — 109. إن استقبال ستيك كان في 17 يناير.
276 نقودنا ضرورات التحليل إلى أن ترجىء مقارنة مسألة «التدخل الشيوعي» في الرّيف إلى الفصول اللاحقة. ويمكن تفسير «الدسيسة» ضد كاريت — بوفي بشكل مستقل عن الاستنتاجات التي سيم إبرادها حول هذه النقطة. فبالفعل إن المعنى بالأمر ليس شيوعيا، فهو ينتمي للحزب الاشتراكي ولم يجر موقفه إبان حرب الرّيف أبدا انتباه السلطات. من جهة أخرى، لم يسمح التحقيق القضائي (المردوج بشكل موازي). كما رأينا بتحرري حقيقي قامت به وزارة الحربية، بالإبنا

البلشفية لم تقتصر، كما نعرف، على زمن الحرب وحده. إن الحلقة الثانية من قضية كاريت — بوفي ستسمح لنا بإضاءة وظيقتها في زمن السلم.

في السنوات التي تلت حرب الريف، واظب كاريت — بوفي على الخط الذي عينه لنفسه : فكان يدعو المغاربة والفرنسيين الى العيش في وئام (277)؛ ويعمل بما ينصح به، إذ كان عكده من المغاربة من بين أصدقائه ومعارفه (278)؛ بل يبدو حتى أنه رحب عن طيب خاطر بكتابات البعض منهم في جريدته (279). وظل يُشهر بالفضائح والممارسات التي يعاني منها الفلاحون. ويندد ببعض الأساليب العسكرية. وأخيراً، كان يهتزا من الدغر المعادي للشيوعية الذي كان لدى السلطات الأمنية (280).

في نظر الشرطة والمصالح المختصة، اتخذ كاريت — بوفي، وهو الاشتراكي العجوز وصديق آل لونكي، يُعتبر تدريجياً بمثابة شيوعي (281)، وأنه يسعى لجمع الأموال الضرورية لإرسال ممثل للمغرب في مؤتمر الأُممية الثالثة بموسكو (283). ولا داعي حتى الى اعتباره «غواصاً» يخفي آراءه. كتب يقول رئيس الأمن الاقليمي بفاس : فـ «الصحيفة الرئيسية الناطقة بلسان الدعاية البلشفية في العالم الاسلامي هي لوكري ماروكان». ويسمح لنا هذا الموظف الذي عاش وسط السكان المغاربة لسنوات عديدة، بتوضيحه لانهاماته، بفهم أفضل

وجود أية «وكالة للفرار» أو منظمة لتهرب الأسلحة لفائدة عبد الكريم في الدار البيضاء أو أية مدينة أخرى في المنطقة الفرنسية للحماية.

277 أنظر لوكري ماروكان، 22 شتنر 1928 (في SHA MAROC CSTM 22001

278 حوارات المؤلف مع روبر — جان لونكي.

279 لقد تم تقديم هذا التوضيح من طرف رئيس الأمن الجمهوري لفاس (44, 79 IIB, SHA MAROC RSD، تقرير 29 يوليوز 1927 عن «الحركة البلشفية والدعاية الانجليزية في افريقيا الشمالية»). وللأسباب المذكورة أعلاه، لا يمكننا التحقق من صحتها، إلا أنها تبدو لنا محتملة جداً.

280 أنظر لوكري ماروكان، 25 غشت، 8 و 22 شتنر 1928 (في SHA MAROC CSTM 22001).

(281) لقد تم تقييده في باديء الأمر كمتعاطف لاغير يشترك في اجتماعات تضم «أفراداً يشار إليهم باعتبارهم

شيوعيين» : أنطونيلي، توليس، بوران، كولان، صال، كونغورا، بيوز، كلاليل وديدي. SHA MAROC RSD

79 (II C) مذكرة 22 يناير 1927). لتسجيل بأن الاثنين الأوليين، انطونيلي وتوليس، كانا معروفين كاشتراكيين في تلك الفترة، وليست لدينا أية إشارة حول الانتماء السياسي للآخرين. بعد خمسة أشهر على ذلك، كتب المفوض عميد أمن الدار البيضاء يقول : إن كاريت — بوفي «قد يكون ممثلاً هنا للحزب الشيوعي»، نفسه. (72, II b).

(282) «من الممكن وحتى من المحتمل أنه يتلقى المال من باريس، لأن طريقة عيشه لا تتلائم مع موارده العادية. فقد سافر مؤخراً الى الجزائر وإلى باريس. واشترى قبل وقت قليل دراجة نارية وهو يتعلم حالياً سباق سياره» (كلدا). رسالة

27 يونيو 1927، المخابر إليه ألفا. إن المخر جان رونو يتحدث عن أموال تلقاها كاريت — بوفي «اعتبرها، حتى

توضح المكس. مرسلة من طرف خلية من أصل روسي» (مشدد عليه في النص). SHA MAROC RSD

79 (11 b, 11, معلومات جان رونو، رسالة 20 يونيو 1927).

283 نفسه، 82 RSD (نشرة أخبار رقم 14 في 9 أبريل 1929). لتذكر بأن المؤتمر السادس للأُممية الشيوعية تم في 1928

وأن السابع لن يتم إلا في ... 1935.

للموظيفة الأساسية للأسطورة البلشفية : «إن هذه الجريدة ترضي التطلعات العميقة والأفكار الخلفية لمشايخي النزعة البلشفية في المغرب، أي نفى السلطة الفرنسية، والنزوع في الاستنزاع من كل ماهو فرنسي واعتباره فاسداً، وأخيراً تأويل التدابير والاصلاحيات الفرنسية بمنتهى الاجحاف، حتى عندما تكون ذات نفع بديهي للمجتمع المسلم. كل هذه الأفكار تتسرب الى النخبة المثقفة بواسطة شبان متخرجين من المدارس الفرنسية أو من المدارس العصرية (...) فهؤلاء هم الذين يتوصلون بـ لوكري ماروكان ويترجمونها للبرجوازيين والعلماء، بل هم الذين يكتبون هذه المقالات التي تنشر في الجريدة» (284).

هكذا كان انتقاد لسلطات الحماية يعتبر «شيوعياً» بل «بلشفيًا»، مثلما كانت تعتبر كذلك كل محاولة للاتصال أو للتقارب بين أوروبيين ومغاربة (وخاصة الشبان) تم خارج القنوات الرسمية. إن ما لم يكن ممكناً احتمالاً بوجه خاص هو أن كاريت - بوفي كان يدعي الانتساب الى المقيم العام الجديد ويحكم إليه لاصلاح قرارات رؤوسيه. هكذا دعا المغاربة الى إخطاره بـ «كل أخطاء السلطات المحلية للمراقبة وكذا بالتجاوزات المحتملة للرؤساء الأهالي» (285). وقد بدأت هذه المآخذ الأخيرة ترهص بموضوع سيصير مشتركا لدى اليسار الاشتراكي (وعما قريب الشيوعي) ولدى الوطنيين المغاربة الشبان في الثلاثينات وهو موضوع فرنسا المزدوجة، فرنسا التي تكشف عنها الممارسات التمييزية التعسفية للإدارة المحلية، وفرنسا الليبرالية والتقدمية التي كان من المأمول دائما أن تتجسد في المقيم اللاحق. لكن كاريت - بوفي لن يشارك في هذه المعركة. لقد مات قبل الأوان في 3 مايو 1933. ومنذ ذلك الوقت، ستغير لوكري ماروكان من توجهها. ستبدي تدرجيا من التفهم لسياسة الحماية بقدر ما ستبديه من الصرامة تجاه المناصرين الفرنسيين والمغاربة للاصلاحات والتغيير.

نحو قانون للاستثناء

لقطع الطريق على «التحريض المُعادي لفرنسا»، استعملت السلطات كل الوسائل التي يمنحها تشريع الحماية، سواء تعلق الأمر بترتيباتها العامة أو بالقرارات الخاصة التي تسمح بها. ومع ذلك، أظهرت قضية كاريت - بوفي حدود العمل الإداري : فلا «دسيسة» 1926، ولا مضاعفة التقارير التي تتهمه بالدفاع المأجور عن البلشفيين في السنوات اللاحقة

284 تقرير رئيس الأمن الجهوي لفاس في 29 يوليو 1927، المشار اليه آنفا.

285 نفسه.

تمكّنت من إسكات مدير لوكري ماروكان. وحسب قادة الحماية، ضاعف تقدّم حركات اليسار خلال الثلاثينات بفرنسا وصعود الجبهة الشعبية إلى الحكم من الخطر. هذا ما فسّره بينازي، مدير الشئون الأهلية، للسكّرتير العام للحماية. بينازي هو الوحيد ضمن الموظفين السّامين الذين استفسرهم المقيم العام حول التّشاط الشيوعي في الحماية الذي أعطى لهذا التّشاط أهمية مبالغاً فيها. فقد كتب يقول : «إنه يستأثر جدّاً باهتمامي، (...) لقد اكتسبت الحركة الشيوعية تعاطفات لامراء فيها في الأوساط الوطنية المغربية التي تستفيد بشكّ واسع من دعمها في متابعة مطالبها» ودون أن يُدعّم تأكيدها بأي فعل، تابع في الحال : «إنّه لفي حكم الواقع أن دسائس الجبهة الموحدة (286)، رغم المراقبة اليقظة التي يخضع لها مناضلوها، غالباً ما تفلت من كلّ عقاب، فيتمّ الاكتفاء بملاحظة نتائج هذا التّشاط المؤذي، دون أن تُثبت وقائع الدّعاية وتوصف بما يكفي للسّماح بعمل قضائي أو بتدخل قوي ومُعزّل للسلطة. لا يمكن أن تستمر هذه الوضعية التي يستغلها العملاء الخارجيون بتمكّنهم من الدّخول بسهولة إلى المغرب وبالإقامة فيه والعملاء الدّاخلين الذين لهم من الرفاهية النسبية، خاصّة إذا كانوا مُوظّفين، ما يجعلهم يقومون بدعاية مزعجة لسمعتنا وسلطاننا في هذه البلاد» (287).

إنّ ما كان يشغل، بالتالي، بال هذا الموظّف السّامي هو أن التّصوص الموجودة — ولو أنها تحتل التّأويل الواسع — لا تعطي للسلطة وسائل قمع كافية. لذلك، أخذ على عاتقه بادرة اقتراح بأن يوافق المقيم العام، على «ظهير (288) يتضمّن عقوبات ضدّ المُخلّين بالنّظام في المغرب أيّاً كانوا ومهما كانت الوسائل التي يستعملون»، وذلك قبل أن يعهد به إلى توقيع السلطان (289). وسيوقع النصّ المقترح في 29 يونيو 1935 بعد شهر من ذلك، وسيكون موضوعه «قمع المظاهرات المُناوئة للنّظام وأشكال المُساس بالاحترام المفروض للسلطة» (290). لقد وضّحت مذكّرة التّأويل نوايا الإدارة. فغرض الظّهير الجديد هو «أن يبطال وسيلتَيْن للدّعاية لم تكونا واقعيتين تحت التّشريع الحالي، (آل) وهما : إدخال وحيازة وترويج كتابات تحريضية، والعمل الكلامي السّاعي إلى أن يخلق، عبر العدوى الدّهنية، عقلية مخالفة للنّظام، للهدوء أو للأمن» (291). إن عبارات الفقرة الأخيرة من الفصل الأول،

286 اشتراكي شيوعي.

287 SHA MAROC RSD 88 (رسالة رقم 051 DAI C/3 في 20 مايو 1935).

288 ها : قانون، في بعض الحالات، مرسوم.

289 نفسه. مشدد عليه في النص.

290 لشرة رسمية لـ 5 يوليو 1935. في الواقع، كان الظّهر المغربي يستلهم المراسم النّسبة قبل ذلك بضعة أسابيع والتي

كانت تهم المستعمرات الفرنسية

291 التشديد منا.

المفرقة في العمومية عن قصد، والتي تُنصُّ على أنَّ «أَيَّ شَخْصٍ يَكُونُ قَدْ مَسَّ بِالاحْتِرَامِ الْوَاجِبِ لِلسُّلْطَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ أَوْ الشَّرِيفِيَّةِ سَيَكُونُ مُسْتَجِيقًا لِنَفْسِ الْعُقُوبَاتِ» (السجن : من ثلاثة أشهر الى سنتين، الغرامة : من 500 الى 2000 فرنكا) «تسعى لِأَنْ تُطَالَ جَمِيعُ الْمَنَاورَاتِ ضَيْدَ هَذِهِ السُّلْطَةِ وَالَّتِي لَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهَا أَيُّ نَعْتٍ دَقِيقٍ مَنْصُوصٍ عَلَيْهِ مِنْ طَرَفِ التَّشْرِيعِ الْجَارِي بِهِ الْعَمَلُ» (292).

هل صارت الحماية منذ ذلك الوقت فصاعداً في مأمن من العدوى البلشفية وبصفة عامة من التحريض المُطَوَّر من طرف أحزاب اليسار ؟ إنَّ بينا زي لا يعتقد هذا. فبعد بضعة أيام من نشر هذه المذكرة، أبلَّغَ الدَّيَّوَانُ الْعَسْكَرِيَّ لِلْمَقِيمِ بِانْشِغَالِهِ : «إِنَّ الدَّعَايَةَ الْمَعَادِيَةَ لِفَرَنْسَا سَتَكُونُ، فَعَلًا، خَطِيرَةً وَصَعْبَةً الْمَكَافَحَةُ طَالَمَا أَنَّ التَّنْظِيمَاتِ الْوَطْنِيَّةِ تَحْطِي بِدَعْمِ الْأَحْزَابِ الْفَرَنْسِيَّةِ الْمُتَطَرِّفَةِ الَّتِي تَصْدُرُ جَرَائِدَ فِي إِفْرِيقِيَا الشَّمَالِيَّةِ وَتُرْسَلُ الدَّعَاةُ إِلَيْهَا.» (293). وهو يرى، مثله في ذلك مثل بيروتون، المقيم العام لتونس، والذي سيعين عما قريب في الرباط، بأنَّ «مَكَمَّنَ الدَّاءِ فِي فَرَنْسَا» (294). فـ «المعارضة الوطنية والمُعَادِيَةُ لِفَرَنْسَا» تجد دُعْمًا دَاخِلَ أَحْزَابِ الْيَسَارِ الَّتِي تُسْعَى إِلَى تَنْظِيمِ «الْعُمَالِ الْمَغَارِبَةِ الْعَامِلِينَ بِفَرَنْسَا» و«الْمُتَقَفِّينَ الشَّبَانِ» (295). إِنَّا فِي عَشِيَةِ الْجَبْهَةِ الشَّعْبِيَّةِ.

خاتمة

نعتقد أننا أثبتنا أَنَّ التَّشَاطَّ الشَّيْوعِيَّ فِي الْمَغْرِبِ سَمَحَ بِإِعْدَادِ أُسْطُورَةٍ حَقِيقِيَّةٍ. وَلَئِنَّ لَوَاقِعَ بَأنَّ لَاسْبِيلَ إِلَى الْمَقَارَنَةِ بَيْنَ وَاقِعِ الشَّيْوعِيَّةِ فِي الْمَغْرِبِ وَالصُّورَةِ الَّتِي تَمَّ السَّعْيُ لِإِعْطَائِهَا عَنْهُ أَيُّ صُورَةٍ مَشْرُوعٍ مُوَجِّهٍ مِنْ طَرَفِ الْأُمَمِيَّةِ الثَّالِثَةِ، وَمُحَضَّرٍ لَهُ بِإِرْسَالِ «عَمَلَاتِهَا»، وَالتَّغْلُغْلِ فِي الْجَيْشِ، وَيَسْتَهْدَفُ إِثَارَةَ انْتِفَاضَةٍ وَطْنِيَّةٍ وَثُورِيَّةٍ.

لقد كانت كُلُّ عُنَاوَرِ الْأَخْبَارِ وَالتَّعْلِيقَاتِ الَّتِي أُسْهِمَتْ فِي إِعْدَادِ هَذِهِ الْأُسْطُورَةِ مَوْضُوعَ اتِّصَالَاتٍ مُتَوَاتِرَةٍ عَلَى نَحْوٍ كَبِيرٍ مِنْ طَرَفِ الْمَصَالِحِ الْمُحْتَضَّةِ. وَسَاهَمَتْ هَذِهِ الْوَضْعِيَّةُ، عَلَى مَسْتَوَى مَوْظَفَى السُّلْطَةِ، فِي تَحْلِيقِ جَوْءٍ مِنَ الْقَلَقِ وَالتَّوَتُّرِ يَعْطِي مَصْدَاقِيَّةً لِمَا

292 مذكرة 13 يوليوز 1935، رقم 418 DAI C/3، موقعة من طرف الوزير المنتدب لدى الإقامة العامة (إن مرجع المذكرة يسمح بفهم أيا أعدت من طرف بنازي). FES 520 291. SHA MAROC AI.

293 نفسه. RSD 88 (رسالة رقم 1506 DAI/C/3 لي 25 يوليوز 1925)

294 نفسه. (رسالة B/4777 التي وجهت نسخة منها من طرف الكي دورساي إلى الرباط).

295 رسالة 25 يوليوز، المشار إليها آلا.

و لنا، عن مسافة، مُجرد مهالفة، وهو بالتالي جدير بالاغفال (296). لذا يكون من العبث، حدّ سواء، إنكار هذه الأسطورة أو المُبالغة في أهميتها. فلا تاريخ اليسار الفرنسي في رب، ولا تاريخ الوطنيين يرتدان إليها، ولكنها تثير تصرف السلطات المحلية تجاههم، سمح، ربّما، بفهم أفضل لردود فعل الطبقة السياسية — ومن ضمنها قادة اليسار — أمام داث المغرب.

للأسطورة البلشفية، بالفعل، وقبل كل شيء، وظيفة تفسيرية. ففي نظام مُراقب على شديد كنظام الحماية، الذي تزعم السلطة الادارية فيه بأنها تتدخل على جميع مستويات بة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، من المُغربي كسب الصعوبات المُعترضة، للخارج. ردّ فعل طبيعي في وسط استعماري، وصادر عن رفض مزدوج : رفض الاقرار بأخطائه ضه لأن يرى في مغاربة عنيدون ومُعترضون شيئا آخر سوى أدوات تُحرّك من الخارج. قوت الحرب العالمية الأولى، التي فاجأت فرنسا في منتصف غزوها للمغرب، هذا الموقف. نسايس الانجليزية والاسبانية والألمانية التي كانت الدبلوماسية ثم القوات الفرنسية تُعزو إليها ماعب توغلها لم يتم نسيانها. وقد أخيت الثورة البلشفية، التي لم تُخف عداها للعالم سمالي وللامبريالية الاستعمارية، مخاوف كانت قد هدأت بالكاد. قتم التأكيد على الخطر ي يهدد الحضور الفرنسي في إفريقيا الشمالية وبالأخص في المغرب، بالتواطؤ الذي تمّ نعي لاكتشافه بين موسكو وبرلين والذول العربية. لقد اعتبر العُدوان الخارجي مخيفاً، لا ما وأنه يتوفر، بفضل إيديولوجية تخريبية، على متواطعين داخل المغرب نفسه. هكذا اعتبر لك الذي ينتقدون مؤسسات أو سياسة الحماية مُساعدين عن وغي أو بلا وغي خارج : إنهم «فرنسا المُضادة». على أية حال، من الأفضل مُمائلهم ب «الشيوعيين»، أن التزعة الأمية هؤلاء تسمح بربطهم بموسكو. وقد كانت أوساط التعليم وبعض تحفيين مخطّ انتباه خاص. كذلك، فإن كل حركة رأي في وسط مُسلم كانت تُعزى، التحليل الأخير لتوجهات الكومنترن، سواء تجلّت هذه الأخيرة عبر قنواتها الخاصة أو نسّت دروب الاصلاحية الاسلامية. لكن حذرين من هذا : إنها نفس المُحاجة التي طبّق ليس فقط من طرف قسّم، من رجال اليسار واليسار المتطرف، بل من طرف أغليبيتهم باحقة، في إطار سياسي مختلف، عندما ستُنسب المظاهرات الوطنية لعمّل الفاشية الدولية.

عندما أكدت مصالح الاستخبارات أن محرضا إيطاليا غربا يوجد بطنحة ومعلوم باسم تسالينو وعندما رتب الديوان العسكري للمقيم العام الأوراق التي تتعلق بالعمل الاساس فيليب تشكيا في ملف معوان «Tcheka» يمكن القول أن الأمر يتعلق هنا بدلائل صغيرة لتناخ يبدو لنا صانعوه، دون ريب، هم أول ضحاياها.

هكذا استعملت أسطورة العدوان البلشفي ليس فحسب ضد الشيوعيين، الذين كان عددهم في المغرب وقتذاك قليلا جدا، ولكن، كما أظهرت ذلك التهمات على كارت - بوفي أو فارغ، ضد اليسار بأكمله. فلم يكن الأمر يتعلق بمنع تحريض فحسب، ولكن بمنع كل إمكانية لمعارضة السلطة. من هنا كان تقييد الحريات العمومية والخاصة : حرمان الدخول إلى الحماية، والتنقل فيها، والحديث فيها أمام العموم، والكتابة أو الاجتماع فيها، هو الوظيفة الثانية للأسطورة الشيوعية في المغرب. هل ينبغي التمييز إذن بين أولئك الذين كانوا يستعملون الأسطورة لغايات شخصية وأولئك الذين كانت بالنسبة إليهم وسيلة للحكم ؟ فحينما أتهم الجنرال فرايدنبرغ، كارت - بوفي بقيادة مشروع شيوعي لفرار الجنود، وحينما أكدت بعض السلطات أن مدير لوكري ماروكان هو عميل لموسكو، بدا جيدا أن الأمر يتعلق بإبعاد خصم مزعج وإيقاف حملات تضع موظفين سامين موضع الاتهام. وعندما ضخم مدير الشؤون الأهلية جميع علامات التحريض مهما تكن صغيرة، واقترح بالاستناد على ذلك قانونا للاستثناء انتهى إلى الحصول عليه، قام بذلك لأنه اعتبر أن التقذير يشكل عاملا لتفكك النظام الاستعماري. فمصالح المجموعات ذات الامتياز تتوقف دون ريب على الحفاظ على هذا النظام، ولكن أيضا الفكرة التي يمكن أن تكون لدى البعض عن قوة وعظمة فرنسا. لكن في نظر أولئك الذين يعتبرون أن الحرية غير قابلة للقسمة، يمكن لهذه الاعتبارات حول تراتبية اللواحق أن تبتلع باعثة على السخرية.

هل ينبغي المضي بعيدا ونسب وظائف غريبة على الحماية للعدوان البلشفي في المغرب ؟ إننا نذكر الآخرين العناية بتحديد الأسباب العامة التي تفسر كون الأسطورة تجلت بحدة أكبر في 1927 و 1935. فالسياسة الداخلية الفرنسية من جهة، والسياسات الدولية من جهة أخرى، ليسا غريبين دون ريب عن هذا الأمر. لتكتف بملاحظتين اثنتين. الأولى تتعلق بسياسة القمع الممارسة وقتذاك في فرنسا ضد الحزب الشيوعي الفرنسي. لقد سعى وزير العدل بارتو، ووزيرا الداخلية، سارو في 1927 - 1928، وطاردو في 1928 - 1929، لدفع طلب رفع الحصانة البرلمانية عن النواب الرئيسيين للحزب، وترويج فكرة «مؤامرة شيوعية»، ألم يُرج وقتذاك في الأوساط الحاكمة أن يتم التمكن من اتهام الشيوعيين بدسائس تخريبية في المغرب للتمكن بشكل أفضل من تبيير المتابعات التي تُشن في فرنسا ضد حزبهم ؟

تتعلق ملاحظتنا الثانية بتطور العلاقات بين الدول الغربية الكبرى والاتحاد السوفياتي : لقد كانت وقتذاك خاضعة لضغوط قوية : «من المستحيل تماما ضمان السلم في القارتين الآسيوية والأفريقية، كتب المكتب الاستعماري الدولي للاماي، طالما أن هناك سلطة بلشفية

تحكم في موسكو. ولا يحتاج الاستنتاج الى توضيح» (كذا) (297). وفي انتظار قلب السوفييات، فإن أقل ما يمكن عمله، كما اعتبرت ذلك بعض الأساط، هو قطع العلاقات الدبلوماسية معهم. لقد استعملت أسطورة العدوان البلشفي في المغرب من طرف جريدة لومانان خصيصاً لهذه الغاية، فقد نشرت هذه الصحيفة الكبيرة قسماً من «ملف مالاکا»، وهو القسم المتعلق بالتحضير لانتفاضة القبائل الريفية (298). لكن بعد أن عجزت الجريدة أمام ردود فعل سفارة الاتحاد السوفياتي، عن توضيح اتهاماتها، حولت، بعد بضعة أيام حملتها : لقد صارت تطالب بذهاب راکوفسكي، سفير السوفييات في فرنسا، الآثم ليس باشتراكه في مؤامرة ضد حماية المغرب، ولكن بكونه وضع توقيع على بيان أممي (299). وسيفاد راکوفسكي باريس في الأخير في 16 أكتوبر 1927. لقد لعب «مالاکا المزور» دوره في إخضاع الرأي العام الفرنسي (300).

- 297 AN SOM SLOT FOM III 142 (تقرير حول التحضير من طرف الحكومة السوفياتية لقرارات اصحابها، 1930، ص. 90).
- 298 لومانان، 19 و 20 غشت 1927.
- 299 لومانان، 10، 6، 3 و 11 شتنبر 1927.
- 300 إن فحص اليومية السنوية قد يقدم لنا إشارة إضافية.
- 19 و 20 غشت 1927 : نشر وثائق مكتب مالاکا. 3 شتنبر 1927 : نهاية الحملة ضد راکوفسكي.
- خلال ذلك، في 23 غشت، كان قد تم إعداد ساكو وفانزوني، وهو إعداد سبقته وثائق، كما نعرف، مظاهرات احتجاجية عديدة في العالم هل يعني أن دعى، منذ تلك الوقت، في نشر «مالاکا المزور» ليس فقط إسهام في تهيئة الرأي لتفعل العلاقات الدبلوماسية مع روسيا السوفياتية بل أيضا صاورة أمام الاضطرابات التي حلقتا قضية ساكو فانزوني والتي لامت لومانان، الصمت حولها ؟

الفصل الخامس

اليسار الفرنسي وحرب الرّيف : اليسار أمام عبد الكريم

في الأيام الأُخيرة من يوليو 1921 سرى نبأ الاختفاء، في شمال المغرب، لجيش من أربعة وعشرين ألف رجل (1)، مُزوّد بمدافع سريعة وَبِكُلِّ المُعدّات الحربية التي ابتكرها العلم الأروبي، تحت ضربات جَبَلين، يقودهم واحد منهم يُدعى عبد الكريم، سبق أن شوهد وهو يلعب التّومينو، كما وضحت ذلك جريدة لافريك فرانسيز (2)، على موائد مقاهي مليلية (3). ومع ذلك، لم تنشر الصحف الفرنسية هذا الخبر تحت عناوين كبيرة : ذلك أن الجيش اسباني، وقد اصطحب الاندهاش لدى المعلقين بارتياح مقنع، أو لَمْ يفشل الاسبان في إدارة المنطقة المعهود بها الى حمايتهم ؟! (4)، أو لَمْ يكونوا في منتهى الشّطط عند استقبالهم، خلال الحرب، لأغوان ألمان، غاضبين الطرف عن تهريب الأسلحة المُوجّهة للمغاربة (5)، ؟ إن اليسار الفرنسي لم يُولِ كبيرَ اهتمام للحدث. فقد خرج وإهناً من الحرب، لقد كانت الكتلة الوطنية في السلطة؛ والرّاديكاليون يستعدّون للانتقال الى المُعارضة، وكان الحزب الشيوعي قد نشأ منذ بضعة أشهر من انشقاق الحزب الاشتراكية. فلم يول هؤلاء وأولئك الذين كانوا مُجابهين بالصعوبات الاقتصادية والاجتماعية وبالمشاكل التّاجمة عن بناء أوروبا الجديدة، سوى اهتمام قليل للمسائل الاستعمارية. «لقد أزعّت السّاعة، يكتب مع ذلك بول لويس في لومانيتي، أزعّت

1 حسب لافريك فارلسيل، شتت 1921، ص 265. وحسب عبد العزيز أمين، فإن الجيش كان مكونا من ستين ألف رجل، تاريخ المغرب، 1967، ص 380.

2 لافريك فرانسيز، مقال مشار اليه.

3 «لقد نوا حماية تثير المزعز، لاستجيب لا إلى التقليد الديني ولا إلى الواقع المغربي» نفسه

4 أنظر لومانان، 28 يوليو 1921، لافريك فرانسيز، غشت 1921، ص 238.

السّاعة التي تتساعل فيها الجماهير المسلمة المُستعبدة في كل مكان، والمُستغلة سياسيا واقتصاديا، عما إذا كان محكوماً عليها أن تظلّ أبداً في وضعية القنانة. وإن تحرّرها الشامل يمكن أن يكون أكبر حدث تاريخي للغد؛ هذا ما فهمته جيداً الثورة الروسية» (5). لا ينبغي أن ننخدع : فقد كان هذا التعليق حينئذ فريداً من نوعه. وكانت الصحيفة الشيوعية، مهتمة مثل الجرائد الاشتراكية والراديكالية، بعواقب كارثة أنوال على السياسة الداخلية لاسبانيا أكثر من اهتمامها بصداها في العالم الاسلامي ومآل المُستعمرين (6).

في السنوات التي تلت، بسطَ عبد الكريم سيطرته على المنطقة الاسبانية وعمقها. وإقد خشيت السلطات الفرنسية أن تتطور المجاهبة. وسريعا، من مناوشات الى كائن، تحول الصراع بين القبائل المتحالفة مع الزعيم الريفي والقوات الفرنسية الى حرب حقيقية. أثناء ذلك، أعطت انتخابات 1924 لفرنسا أغلبية من اليسار؛ فصار الراديكاليون والجمهوريون الاشتراكيون يحكمون بمؤازرة الاشتراكيين الذين سينزلون تدريجيا نحو الامتناع، قبل أن يجدوا أنفسهم مرة أخرى في المعارضة إلى جانب الاخوة الأعداء في الحزب الشيوعي. هكذا ستكون حرب الريف بمثابة اختبار للمذاهب الاستعمارية والمعادية للاستعمار التي تتوزع مختلف عائلات اليسار الفرنسي، ولقدرتها على الاجابة على أول هيجان وطني ذي بال يتم في الامبراطورية الاستعمارية منذ نهاية النزاع العالمي الأول.

إن الموضوع الذي نقاربه عولج جزئيا خلال السنوات الأخيرة. فقد كانت الذكرى الخمسينية لجمهورية الريف مناسبة لندوة مهمة انعقدت بباريس (7)؛ وعرض كثير من المُشاركين وقتذاك بعض جوانب المواقف المُتخذة من طرف اليسار الفرنسي تجاه الحركة الريفية، وخاصة على مستوى الصحافة والمناقشات البرلمانية. وتسمح لنا اليوم العودة إلى مصادر لم تُستغل وقتذاك بإثراء هذه المعرفة. هكذا نمثدنا أرشيفات بانلوفي * وكذا أرشيفات اللجان البرلمانية بمعلومات مفيدة عن سياسة الكارتيل *. أما أرشيفات معهد موريس طوريز»، حيث أمكننا فحُصّ محاضر اجتماعات المكتب السياسي واللجنة المركزية لتلك الفترة، فتثير موقف الحزب الشيوعي الفرنسي، المدروس حتى الآن من خلال صحافته أساسا، ومن خلال

5 لوماني، 28 يوليوز 1921، ص 3 («النزعة العسكرية الأسبالية في المغرب»).

6 لوماني، 2 شتنبر 1921 (بول لوي) و 3 شتنبر 1921 والتي تليه، تحقيق رنار لركاش.

7 لقد نشرت وقائع هذه الندوة، التي انعقدت أيام 18 - 20 يناير 1973، تحت عنوان عبد الكريم وجمهورية الريف، باريس، 1976.

تسمية Cartel تطلق على تحالف اليسار الذي تحمل المسؤوليات الحكومية سنة 1924.
L'Afrique française S.F.I.O *
Painlevé *
Maurice Thorez *

مناقشات مجلس النواب وبعض تقارير الشرطة (8). لقد بدت لنا دراسة اليسار غير الشيوعي المُقارَنة سابقاً من خلال تحليل الصحافة الاشتراكية (9)، ضرورة التكملة سواءً من خلال تحليل الجرائد الراديكالية من جهة، والتروتسكية والتحررية الفوضوية من جهة أخرى، أو من خلال فحص المواقف المُعبّر عنها داخل عصابة حقوق الانسان. وتسمح لنا العودة الى الأرشيفات الوطنية بأخذ نظرة عامة عن الحملة التي طوّرها الحزب الشيوعي الفرنسي ضدّ حرب الرّيف وعن إجراءات القمع الصّادرة عن السّلطة. أما أرشيفات المُقاطعات، ومناقشات المجالس العامة، وكذا بعض الجرائد المحليّة، فتتير سلوك مناضلي الاقليم. وأخيراً، فإن آثار هذه الحملة في المغرب وتأثيرها على العمليات العسكرية قد دُرِسَتْ خصوصاً من خلال أرشيفات المصلحة التاريخية للجيش.



يُعتبَر عبد الكريم بالنسبة لليمين، سواءً وُصِفَ بأنه قاطع طريق، أو مغامر أو ثوري، عدُوّ فرنسا؛ حتى قبل أن يهاجم القوات الفرنسية. هذا ما تكلف بتفسيره واحدٌ من أحسن مُحلّليّه وهو أندري فرانسوا — بونسي. فبعد أن سجّل الانتصارات التي حقّقها الزعيم الريفي على الاسبان، ساءل الحكومة المتحدّرة من كارتيل اليسار : «ماذا تُراكم ستفعلون ؟ هناك في لجانكم للدّعم أصدقاء مناصرون لعبارة «المغرب للمغاربة». فهل ستُنصتون إليهم ؟» (10). إن السؤال المركزي الذي ستُجيب عنه قوى اليسار، سواء تلك التي توازّر الحكومة أو تلك الموجودة في المُعارضة، هو: سؤال شرعية تمرد عبد الكريم. لقد كان هذا السؤال في قلب المناقشات حول الحرب — أي المسؤوليات المُباشرة للنزاع، والدّلالة التي ينبغي إعطاؤها له، وكذا سير العمليات — وحول السّلم : مبدأ التفاوض مع عبد الكريم والمال المُخصّصُ للجمهورية الرّيف.

- 8 في البدوة المشار اليها آنفاً، عالجت ثلاثة تقارير موقف الحزب الشيوعي الفرنسي : ب إيرلار، حرب الرّيف والبرلمان الفرنسي، مشار اليه سابقاً، ص ص 173 — 1217 ر. شارفان، الحزب الشيوعي الفرنسي أمام حرب الرّيف، نفسه، ص ص 218 — 1236 ر. كاليبسو، الحزب الشيوعي وحرب الرّيف، نفسه، ص ص 237 — 261. أنظر أيضاً ر. لوكينيك، الحزب الشيوعي الفرنسي وحرب الرّيف (أطروحة تيز) في موفمون سوسال، يناير — مارس 1972، ص ص 7 — 37، وأطروحة السلك الثالث ل ح. كريماديلس، المشار اليها آنفاً.
- 9 ش. ر. آجوررون، الاشتراكيون الفرنسيون وحرب الرّيف، مداخلة في البدوة المشار اليها سابقاً، مرجع مشار اليه، ص ص 273 — 292.
- 10 لوبيموربال دولالوار، 17 دجنبر 1924، الحوازة العامة للرباط (ملف K 3).

اليسار والحب

المسؤوليات

نعرف الأطروحة الفرنسية الرسمية حول جذور حرب الريف. ففي مايو 1924، بعد أن اعتبر ليوطي أن من الضروري حماية منطقة فاس من التهديدات المحتملة للقبايل المتمركزة شمال ورغة، عبرت القوات الفرنسية النهر، حتى تحتل موقعا دفاعيا أفضل. لقد تمت هذه العملية بلا مقاومة ولن يشهر عيد الكرم العداء إلا في أبريل 1925، متذرعا بالطابع الهجومي للتقدم الفرنسي. والحال، يؤكد بانلوفي، «أن جنودنا لم يعبروا النهر في أية لحظة ولا حتى أدركوا حد الأراضي الموكولة إلى حمايتنا حسب التأويل الحرفي للمعاهدات. إنهم يقاتلون حاليا، دون هذه الحدود، ضد غزاة طوقوا مراكزنا وانهالوا على حامياتها بالرصاص. يقاتلون للدفاع عن سكان أخذنا على عاتقنا حمايتهم، هؤلاء السكان لن ينحرفوا إلا بسبب انتقامات الغازي المهتدة إن نحن ضعفنا أو بسبب تخوف من تخليتنا عنهم» (11).

هذه الأطروحة تعارضها بوضوح الأطروحة الشيوعية التي تقع مسؤولية حرب الريف، في رأينا، أساساً على الحكومة الفرنسية. فمنذ شهر مارس 1924، شجبت لومانيي التحضيرات لحملة عسكرية على عبد الكرم (12). وفي بداية العمليات، قرأ جاك دوريو، أمام البرلمان، رسالة وجهها فاتان — بيهنيون، رئيس ديوان ليوطي، ابن أخ حفيد هذا الأخير، وتم احتجازها وتبليغها إلى مكاتب الجريدة الشيوعية (13). لقد كان فحوى هذه المراسلة أن ليوطي، الذي كان يخشى منذ يناير 1924 هجوماً للريفيين، شكّل جبهة جديدة شمال فاس «في حين كان عبد الكرم، المنشغل جداً مع الأسبان، غير قادر على الرد». هذا الخبر ليس

- 11 مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص. 2479. انظر أيضا مناقشات مجلس الشيوخ، 2 يوليو 1925، جريدة الرسمية، ص. 1967 وما يليها ويوجد سرد للوقائع في هيربر حاك، مغامرة الريفية وخلفياتها السياسية، باريس، 1927، الذي يحذر استغلاله قربها من الفريق الاستعماري، وعرض موجز للعمليات العسكرية التي تم القيام بها في 1925 في كتاب القبطانين لوستولو — لاكم ومونتاد، في المغرب الفرنسي في 1925 باريس 1928.
- 12 انظر مانيي، 15 مارس، 2 يونيو، 3 غشت، 6 شتنبر، 15 نونبر، 20 و 24 دجنبر 1924 و 21 فبراير، 13 مارس 1925.
- 13 مناقشات المجلس، 9 يونيو 1925، جريدة الرسمية، ص. 2612 و 2613. يوجد النص الكامل لهذه الرسالة المخصوص في لومانيي، 10 يونيو، لأنفلوسيون بروليتاويون، يوليو 1925، ص. 30 — 31 و ب: سيمار، حرب الريف، ص. 125 — 128. إن اختطافه كان موضوع شكوى وقد فتح تحقيق قضائي، لكنه لم يؤد إلى أية نتيجة. انظر APP BA 1676 (تقرير 31 يوليو 1925).

جديداً. فهو لا يناقض الأطروحة الرسمية. لكنه قدّم بطريقة جعلته يأخذ دلالة خاصة (14). فمبادرة ليوطي تدخل في ترتيب استراتيجي يبدو أنّه يُلغى كل محاولة لتحديد تسوية ما مع عبد الكريم في حين يقول معاون المارشال : إن اليوطي قد يقبل كل إمكانية التعاون الفرنسي مع إسبانيا ضد الريفين، داخل أراضيهم. ويؤكد فاتان — بيرثيون من جهة أخرى بأن المارشال مُتفق تماماً مع الحكومة ويُذكر مُراسيلَه بأن «الاتصال» قد تمّ مع مختلف شخصيات الكارتيل. لقد استفاد الشيوعيون من هذه الوثيقة للتشهير بالطابع الإحتراي للتدابير المُتخذة من طرف ليوطي ومسؤولية الكارتيل في شتّى العمليات العسكرية. من جهة أخرى، سعى الحزب الشيوعي إلى إظهار خداع الحكومة التي كانت على علم بتهديب للأسلحة نُظمتها نقابة فرنسية — إنجليزية لحساب الريفين. هكذا، لم يكن عبد الكريم يُعتبر دائماً من طرف الكي دورساي بمثابة عدو (15). وفي الواقع، إذا كان الريفيون مُعادين للاسبان، فاللهم لا يطلبون، حسب الشيوعيين، سوى العيش بسلام مع فرنسا (16).



للوهلة الأولى، لم يضع الراديكاليون موضع شك المسؤولية الخاصة لعبد الكريم. إن ليرنوفيل تؤكد أن «الرّيف هو الذي هاجم وليس نحن» (17). كتب بيار برتراند، المنشق عن الحزب الاشتراكي وعن لومانتلي الذي كان يداوم على إعداد افتتاحيات الجريدة المثلثة بحق للكارتيل أي لوكوتيديال (18). «إن الريفين هاجمونا. ونحن ندافع عن أنفسنا. وباستثناء الشيوعيين — الذين سيُسمَح لنا بعدم ذكرهم كثيراً — من يمكنه أن يجد في الأمر ما يُناقش ؟» وقد انتهز إدوار هيريو إنعقاد دورة المجلس العام للرون لكي يُؤازر نفوذه حكومة بانلوفي والمارشال ليوطي (19). هكذا ضُربَ عصافورين بحجر : فهو ردّ على الاشتراكيين الذي أمّلو في جعله يُعارض تحلّفه، وعلى اليمين الذي زعم بأن المقيم العام لم يجد لديه كل

14 لقد حاول فاتان — بيرثيون قل كل شيء الرد على الانتقادات الصادرة عن الكارتيل وعن بعض أوساط اليمين التي ترى أن ليوطي «لوحى» هجومه ضد الكرم.

15 مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية ص ص 2487 — 2488.

16 نفسه، 27 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 2453 — 2454.

17 ليرنوفيل، 24 مايو 1925.

18 لوكوتيديان، 27 مايو 1925 (الذكر بأن مجلسه السياسي يضم راديكاليين، فريديماند بوسون وأولار، واشتراكي واحد، روتوبيل)، بالنسبة لكروستاف تيري، لايستر الرهبون «أعداء» وإما «حياة حق عام»، لوفر (L'oeuvre)، 29 مايو 1925.

19 مناقشات المجلس العام للرون، 1925 (جلسة 22 مايو) ص ص 394 — 397.

الدعم الضروري. ومع ذلك فقد كان في حوزته، منذ نهاية 1924، تقرير حول مشكل الترفيع كان قد طلبه من نائب من وسط اليسار، وهو كالاري دو لامازير (20). لقد عبر هذا الأخير، الذي كان قد ذهب الى الحماية، عن يقينه بأن إسبانيا «ستأخذ حسابها» قريباً تحت ضربات الترفيعين، وحينئذ، فإنّ الوضعية الناجمة عن «جوار جمهورية ريفية غريبة تماماً عن عملنا كأمة حامية» لن تكف عن إقلاقنا. غير أنّه في الامكانه تلافي النزاع، شريطة الحديث مع عبد الكريم. إن هذا الأخير يعلم بأنه «ليس له من خيارٍ معنا سوى الاتفاق أو الحرب (...) وباب المغرب الفرنسي المُقفل والمُغلق على كل تفاوض يؤسفه ويُدهشه. لِنَقْلُها مادام في الوقت مُتَسَع: إذ لم يتمّ الحديث، سينفجر النزاع في الربيع». ويأسف المقرر للنوايا الاحترازية التي يرى بأنه تبيّنها في بعض أوساط الحماية، وقد طلب بإلحاح بأن تُعطى تعليمات للرباط «لتلافي الأحاديث التي لا يمكن إصلاح وقّعها والتي تنم عن امبريالية عديدة الجدوى وذلك من أجل تمكين ضبّاط الاستخبارات من ربط اتّصالات مع عناصر ريفية وإعطاء حكومة عبد الكريم إحساساً بأنها غير مُهَمَلَة وأنها محلّ تقدير» (21). تُرى هل راجت نسخ من هذا التقرير ؟ على أي حال، سرعان ما أخذت الشكوك تظهر داخل الكارتيل نفسه : هل مسؤولية عبد الكريم على تلك الدرجة من البدهاء ؟ «إن بادرة الاجراء (اختراق ورغة) الذي منحه الريفيين سبباً أو ذريعة لكي يقوموا بعلوانهم اتُّخِذَتْ من طرف حكومة السيد بوانكاري في لحظة لم يكن من حقها اتّخاذها»، كما أكّد هذا بيار برتراند. ففي مارس، طلب ليوطي من الحكومة الترخيص له بالقيام بهذه الحركة، وفي مايو أجابته هذه الأخيرة. غير أنّه بعد 11 مايو، كان قد تمّ عزل بوانكاري، وقبل ذلك كانت عشية الانتخابات (22). ويزايد كوستاف تيري على هذا : فبوانكاري هو الآثم. أمّا بالنسبة لبيانلوفي «فكّرهم، يُصْلِح؛ ويجهد نفسه لاختلال السّلم» (23).

ولقد ألحّت قيادة الحز الاشتراكي على كون الرأي العام ظلّ متروكاً في الجهل بمنشأ العمليات العسكرية الدّائرة في المغرب وطبيعتها وأهميتها (24). ويرى رونوديل، من منصّة المجلس، أنّ هناك مسؤوليات عديدة. إنّ عدوان عبد الكريم يبدو له لا غبار عليه؛ ولكنّ ألّم يتمّ

20 كالاري دولامازير (1879 - 1932)، نائب السين، وهو مسجل في مجموعة اليسار الجمهوري الديمقراطي؛ وقد كان مديراً للشركة الشريفة للتعمير.

21 AN مجموعة نانلوفي، 313 AP 205. لقد تمّ تسليم تقرير كالاري دولامازير في 3 دجنر 1924 الى هيريو، الذي كان وقتذاك رئيساً للمجلس ووزيراً للشؤون الخارجية. وقد بلغ هذا الأخير نسخة منه الى خلفه بانلوفي.

22 لوكوتيديان، 31 مايو 1925.

23 لوفر، 23 يونيو 1925.

24 لوبيل، 24 مايو 1925 (ص. 2).

تشجيعه نهوّرات القيادة الفرنسية ؟ ألا تُفسّر نجاحات الزّعيم الرّيفي من جهة أخرى، بالسياسة اللاشعبية للحماية (25)، ؟ في الواقع، كان الاشتراكيون منقسمين داخل البلاد، كما تشهد على ذلك تدخّلاتهم بمناسبة الدّورات التي عقدتها المجالس العامة. ففي الشمال كان سالونكرو صريحاً : «لقد استعرت حرب الريف أساساً بأخطاء الادارة العسكرية الاسبانية»، وكان عدوان عبد الكريم «يمكن التجنب بسياسة فرنسية في المغرب أقل نزوعاً الى التّروح العسكرية حيث لم يعم السّعي الى اكتساب مودة سكّان القبائل بقدر ما تمّ العمل على إبقائهم تحت خشية القمع» (26). أما لوباء، فقد جرّم بدوره القيادة الفرنسية؛ لكن، قال «للبلشفية أيضاً مسؤوليتها في منشأ التّزاع المغربي»؛ فيأتمّر من موسكو، عمل الحزب الشيوعي كل ما في وسعه «لتحريض سكّان شمال إفريقيا» (27). وفي الهوط — فيين، كان كلّ من فالير وبارقي، يتشاطران وجهة النظر هذه (28)، لكنّ جريدتهما، لوبولير دسوتتر * أمكّدت بأنّه «منذ سنوات عديدة، كانت قواتنا، في نفس الوقت، مهيأة وعلى أهبة التّحضير المتّظيم بغزو الريف وبواسطة العنف، وتطوير «سيلم فرنسي» على هذا التّحوّ في الامبراطورية الشريفة» (29). وفي البوش دورون، رفض بون أن يرى في عبد الكريم مُعتدياً. «لقد كان الشعب الآخر دائماً هو المُعتدي. ومع ذلك، كانت هناك حالات كان الفرنسيون فيها هم المُعتدين : فيوم غزت فرنسا المغرب (...) وبعد كل حساب، لم تتم استشارة المغاربة لغزو البلد الذي يسكنون. وإذن من السّهّل إثارة حوادث حدود أو حوادث داخلية تتحول يوماً إلى نزاع مُسلّح ثم يقال بعد ذلك : إن المغاربة هم الذين بدأوا» (30).

في عصبة حقوق الانسان، كانت قضية المسؤوليات قُرصة لنقاش حقيقي. بالنسبة لامليل كان، تبدو أطروحة العدوان اللامبرّر للرّيفيين «منطوية على جزء من الحقيقة»، لكن «لم يثبت بأن الحرب لم تكن ممكنة التّلافي. كان في الامكان التفاهم مع عبد الكريم، عندما كان في الوقت مُتّسع. وليس فحسب لم يتمّ التفاهم معه، بل عومل مسبقاً كعدوّ مقبل» (31). أمّا فكتور باش، فتقدّم بخطوة أخرى : «أو ليست الحرب الدائرة في المغرب حرباً

25 مناقشات المجلس العام للشمال، 1925 (جلسة 7 أكتوبر)، ص. 418.

27 نفسه، ص 425.

28 انظر مناقشات المجلس العام للهوط — فيين، 1925 (جلسة 19 مايو)، ص 180 — 185 و 205

* Le Populaire du Centre

29 لوبولير دوسوتتر، 17 مايو 1925.

30 مناقشات المجلس العام للوش — دو — دون، 1925 (جلسة 22 مايو)، ص 536

31 دوائر حقوق الانسان، 25 يونيو 1925، ص 291 — 299

دفاعيةً وعلينا أن نتعاطف كلياً مع رجال يدافعون عن أرضهم وبقائهم؟» (32). وعندما كتب مكتب العصبة إلى بانلوفي، قحم المسؤولية الشخصية لليوطي: «ليس خافياً على أحد أن منشأ النزاع الذي جعل الريفيين يحملون السلاح ضد الحكومة هي الحمايات، فنوابا عبد الكريم تجاه فرنسا كانت صادرة عن حيادٍ خيّر كان بإمكان سياسةٍ حاذقة أن تحولها إلى علاقات صداقة (...) إن اعتقادنا راسخٌ في أن مقيماً عاماً مدنياً، ليست له أية مصلحة في إثارة حالة الحرب، كان سيبدل كل مساعيه لتذليل صعوبات جوارٍ ثم تحويله بمنهجية إلى جوارٍ خطير» (33). لقد دُفع عن وجهة النظر الرسمية داخل العصبة، خاصةً من طرف الاشتراكي موتي الذي أكد لزملائه بأن «كُلّ التعلّلات التي يتذرّع بها عبد الكريم خاطلة. فالأسواق المنظمة لم تُغلّق في وجهه أبداً. ولم نعرض سوى على النهب الذي كان يقوم به هو وأنصاره» (34). وقد دُعِمَ في هذا أنطوان دو بيري، رئيس فدرالية المغرب، الذي وضح بأن الريفيين يميلون بانتصاراتهم على الاسبان، وأنهم واقعون تحت تأثير مغامرين أجانب، ويستفيدون من مساعدات ألمانية ومن دُعم موسكو وأثقرة، وأنه ينبغي تلمس السبب الرئيسي لهجوم عبد الكريم في رغبته في أن يفوز بالعرش الشريف (35). وفي الجهة المُعارضة المتطرفة، نجد مورار، عضو اللجنة المركزية، ومنشط فرع مونير — أوديون الذي رأينا، قبل الحرب، كيف أنه اتخذ موقفاً قوياً ضدّ غزو المغرب، وخاصةً ريني، رئيس الفدرالية الأريديشواز. فهذا الأخير لم يتورّع عن اتّهام قادة العصبة بمحاباة الحكومة. بالتأكيد، «لقد كانت الحرب مرغوباً فيها من طرف عسكريتنا» لكن «من الصّبيانيات حقاً أن تُنسب لليوطي وبوانكاري في هذه الأحداث مسؤولية حاسمة. إننا نحد هنا، بحكم صداقة جزئية للحكومة الحالية، «تحويلاً» مشابهاً لذلك الذي يتم بتحريض الناس على الشيوعيين» (36). حقاً، لقد انزعج أغلب العُصبيين لأنّ واحداً منهم هو الذي يوجد على رأس الحكومة (37). وتمنّوا لو أنّ تصريحاته تأكّدت بنصوص لا يمكن دحضها، تُبرهن على صِحّة الموقف

32 رسالة من هنري ماروس، حياناً على بدء هذا الأخير (انظر أدناه) المنشور من طرف ليونل في 7 يوليو ودفاتر حقوق الإنسان لـ 25 يوليو 1925، ص 342.

33 AN مجموعة بانلوفي 313 AP 190، رسالة من مكتب العصبة إلى بانلوفي (نسخة إلى وزير الشؤون الخارجية) في 21 يوليو 1925. إن هذه الرسالة لم تنشر من طرف دفاتر حقوق الإنسان.

34 الدفاتر، 1925، ص ص 375 — 376 (جلسة اللجنة المركزية لـ 6 يولي 1925).

35 نفسه، ص ص 363 — 367.

36 نفسه، ص ص 459 — 466.

37 «من الأكيد أننا كما سترفع احتمالاً أكثر حدة ضد حرب المغرب (...) لو أن زميلنا وصديقنا، السيد بانلوفي لم يكن رئيساً للمجلس أو وزيراً للحرية» سيخترق لاحقاً فكتور ناش (جلسة اللجنة المركزية لمانح فبراير 1926). نفسه، 1926، ص 206.

الفرنسي تجاه عبد الكريم. ومن هنا إلحاحهم على طلب نشر الوثائق الرسمية عن منشأ النزاع. وفي اليسار المتطرف، طالب الشيوعيون أيضاً بهذا النشر، مُتَيَقِّنِينَ من أنّه سيؤكد أطروحتهم. لكن هذه المناقشات حول المسؤولية البدئية للعمليات الدائرة في الرّيف سرعان ما تُجَوِّزَتْ. وقد كتب الزعيم الشيوعي أ. تران «إن الحجة تكون المبادرة الشككية للعدوان جاءت من الجيش الفرنسي، لا ينبغي وضعها في المقدمة ولا أن تثار بشكل حاسم. فالبروليتاريا، والجماهير الفرنسية مطالبون بدعّم الرّيف، من أجل استقلاله، حتّى لو كان هو الذي هاجم، إذ أن الأمر يتعلّق بكفاح شعب مُضْطَّهَدٍ من طرف الامبريالية الفرنسية التي هي أيضاً عدوة بروليتاريا بلادنا وجماهيرها» (38). لقد كانت الأسباب العميقة التي يتقاتل من جرائها الفرنسيون والريفيون هي موضوع السؤال، وقد بدت أحزاب اليسار منقسمة بشكل خاص حول معنى النزاع.

معنى النزاع

بالنسبة لحكومة بانلوفي، ينتمي الكفاح الذي يخوضه عبد الكريم، في التحليل الأوّل، للكفاحات التي يخوضها تقليدياً مُطالِبُونَ بالعرش — روكيات — ضدّ الحكم المركزي. إن المغرب امبراطورية تحت سيادة السُلطان. وقد أوكل هذا الأخير لفرنسا عبْرَ معاهدة الحماية بقيادة بلاده في طريق التّقدّم، وبموجب الاتفاقات المعقودة بين فرنسا وإسبانيا، صارت إدارة هذه الامبراطورية مُقسّمة إلى ثلاث مناطق: منطقة فرنسية، ومنطقة إسبانية، ومنطقة دولية، مع حَصْرِ هذه الأخيرة عملياً في مدينة طنجة. فمن واجب فرنسا إذن الحفاظ على الوحدة المغربية وحماية العاهل الشّريفي (39). إن الرّيف يشكّل منطقة جغرافية من المغرب دون وحدة سياسية. فجمهورية عبد الكريم الرّيفية تُضمُّ في الواقع فسيفساء من القبائل المتناحرة تقليدياً. ليس ثمة شعب ريفي، كما ألحّ على ذلك بريان أمام هيئة الشّؤون الخارجية دون أن يحاول أي نائب وقتذاك تفنيد قوله (40). فعبد الكريم إذن ليس سوى متعرِّدٍ يستهدف، أبعد من السيطرة على الرّيف، العرش الشّريفي، ومغامر تتغيّر ميوله التّفسية تجاه فرنسا باستمراره، حسب بانلوفي (41)، ولكنه أساساً شرّس وهمجى، كما سنوضّح ذلك جرائد الكارتييل. لقد حملت

38 دفاتر البلشفية، فاتح غشت 1925، ص ص. 1540 — 1546. انظر أيضاً لاي أوفريير، 26 يونيو 1925

(موموسو)

39 انظر بالخصوص مناقشات المجلس، 28 مايو و 23 يونيو 1925

40 مجلس النواب، لجنة الشّؤون الخارجية، فاتح يوليو 1925.

41 نفسه، 17 يونيو 1925 (الاستماع الى بانلوفي، رئيس المجلس ووزير الحرية).

فرنسا للمغرب السِّلْمَ والْعَدْلَ والتَّقَدُّمَ. ومن شأن ذهابها أن يُورِّط ليس فحسب وجودها في الجزائر كما في تونس، بل أن يشكّل عودة للمهجية. ومن الطبيعي أن يُدعّم البلشفيون، أعداء الديمقراطية الغربية، عبد الكريم. فمن واجب فرنسا أن تُقاتل، وأن تحمي السّكان الذين يمنحونها ثقتهم ضدّ «هَجْمَةِ التعصّب المُسْلِم». ففرنسا هي جُنْدِيّ الحِصْصَةِ أمام عبد الكريم (42).

وفي الاتجاه المعاكس لهذه المُحَاجَّة، يؤكّد الشيوعيون بأن الكفاح الذي يخوضه الرّيفيون ذو طابع تحريري. وهم يقولون بأنّ عمل فرنسا لم يكن نافعا حقا للمغرب. فمنذ ثمانية عشرة سنة، والمعارك لا تَهدأ رَحاها في مختلف مناطق المغرب التي رَقَصَ سَكانُها الخُضُوعَ للهيمنة الاسبانية أو الفرنسية، وفي المناطق «التي تُثمّ إِتِّحادُ قِيَّتِهَا»، تبدل الإدارة في خدمة مصالح المجموعات المالية والصناعية التي تسعى للاستحواذ على الثروات الفلاحية والمعدنية للبلاد وتُخَضِّعُ المغاربة لاستغلال قاس. أما السُلطان فليس سوى ألعوبة بين أيدي الاقامة. إنّ تمرد عبد الكريم يتخطى في إطار كفاحات الشعوب المُستَعْمَرة ضد الامبريالية. فَمَصْلَحَةُ البروليتاريين الفرنسيين المُضْطَّهَدِينَ من طرف البورجوازية الرأسمالية تلتقي بمصلحة الرّيفيين : إذ أنّ لهم معاً نفس العدو. لقد كان من الضّروري التخلّص من عبد الكريم حتّى تتمكن الامبريالية من تعميق هيمنتها على المغرب وتوسيعها، ولأجل هذا تقتل جنوداً فرنسيين. ومن الضّروري للبروليتاريا الفرنسية المتضامنة مع الرّيفيين أن يُحرّر هؤلاء بلادهم. من هنا برقية التّنهائي المشهورة التي بعث بها الحزب الشيوعي الفرنسي الى عبد الكريم منذ 1924 (43). ويستنتج الشيوعيون بأنّ الحل الوحيد هو الجلاء عن المغرب. سنعود لاحقاً الى هذا الاقتراح. لنتمسك حالياً بالسّؤالين اللّذين تُسْتَبِهُمَا مُحَاجَّةُ الحزب الشيوعي الفرنسي : الأوّل يعني العلاقة القائمة بين الامبريالية والرّيف، والثاني يتعلّق بالطابع الوطني والشعبي لتمرّد عبد الكريم.

42 أنظر تصريحات بانلوي أمام مجلس النواب، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2479 — 2480، و23 يونيو الجريدة الرسمية، ص 2758. إن تفخيم الكلام لم يكن ليفزع هذا العالم : «إن قوة فرنسا، يقول، ستتشر لترغم المهجية على التراجع. في السابق، كان بإمكان الغلزي أن يصبح : إن النسات لاينمو على الأرض التي وطأها حوافر حصاني. وأنا، في وسعي القول بأن المهجية لايعود للنمو أبدا حينما مرت فرنسا.» تصريحات تم الأدلاء بها عند مغادرة الرباط، حيث كان رئيس الحكومة قد تحدّث مع ليوطي، وأوردتها لافريك فرانسيل، يونيو 1925، ص 309.

43 «إن المجموعة البلالية، واللجنة القيادية للحزب الشيوعي، واللجنة الوطنية للشبهات الشيوعية تحمي الانتصار الرائع للشعب المغربي على الامبرياليين الاساد. همىء زعيمه المقدم عبد الكريم. تسمى له، بعد الانتصار النهائي على الامبريالية الاسبانية، أن يواصل، رفقة البروليتاريا الفرنسية والأوربية، الكفاح ضد جميع الامبرياليين، والفرنسيين من ضمنهم، حتى التحرير الكامل للأرض المغربية، عاش استقلال المغرب ! عاش النضال الدؤي للشعوب المستعمرة وللبروليتاريا العالمية ! توقيع سيمار ودويو» لومالهي، 11 شتنبر 1924.

يعتبر المغرب بالنسبة للشيوعيين خاضعاً للامبريالية، مُنْطَلَقاً أساساً ببنك باريس والبّني (44). ويبدو لنا بأن دوريو، الذي سعى الى وصف قوة هذا البنك أمام المجلس، ظل مجافياً للواقع (45). من الأكيد أنّه مُنْذ اتّهامها من طرف جوريس، طوّرت هذه المؤسسة كثيراً مصالحها في الامبراطورية الشريفة. وقد قوت مواقعها كمتزعمة للمجموعة المصرفية الفرنسية، داخل بنك الدولة الذي كانت تعيّن عملياً مُسَيِّره. من هذا الجانب، كانت تراقب قسماً كبيراً من النشاط المالي للحماية. قُبَّاري با كان يمتلك، سواء مباشرة، أو بواسطة الكومباني جنيرال دوماروك، التي تعتبر هي المُسَاهِمُ الرَّئِيسِي فيه، حصّةً أساسيةً في إنشاء شركات عديدة تمارس أنشطتها في مجالات متنوعة. وقد حصل على امتياز لإنتاج وتوزيع الكهرباء، وامتياز النقل بالسكّة الحديدية، ونقل البضائع بميناء الدّار البيضاء، وشركة التبغ. كما أنشأ مشاريع صناعية في القطاع الغذائي وقطاع أدوات البناء، وتدخل في الأشغال العمومية والتجارة الدّاخلية والشؤون الفلاحية. لقد كان يضمن هيمنته بالسيطرة على القنوات المالية واختيار مُسَيِّري المشاريع الرئيسية. فقد كان ياري با، حسب دوريو، يراقب مائتين وستة وأربعين مليوناً من الفرنكات من بين الأربعمئة وثلاثة وثمانين المُوظَّفة في الحماية (46). ويبدو هذا الرقم، الذي لم تتمكن من إثبات أصله دون الواقع على الأرجح (47).

في تحطّ تحليلات الأهمية الثالثة، رأى الحزب الشيوعي الفرنسي بأن حرب الرّيف مرتبطة بأزمةٍ للامبريالية. غير أنّه لم يقلّم هذه الفكرة سوى في عدد قليل من الوثائق، بشكل عام وموجز جداً. هكذا، أكّد بأن الامبريالية الفرنسية «كانت في حاجةٍ مُطلقة للعشر على منافذ من خلال حرب جديدة : تموينات الجيوش خلال العمليات، وغزو أراضي جديدة حيث يمكن تصدير المنتجات والرأسمال» (48). يمكن أن نتساءل عما إذا لم تكن هذه

- 44 الذي سنشير اليه، توخيا للسهولة، بالتسمية المألوفة باري با (Paribas).
- 45 مناقشات المجلس، 5 فبراير 1925، الجريدة الرسمية، ص 559 — 561. لقد خصصت دفاتر البلشفية وهذاك أربعة لياري با من توقيع دوليكس (1925)، ص 854 — 861، 1013 — 1024، 1162، 1167، 1233، 1243) خصصت منها بضع صفحات فقط لتدخلات البنك في المغرب (ص 1014 — 1017).
- 46 أي مائة وثمانية وتسعون مليوناً مائة وثمانية وأربعين مليون عر قناة الشركة العامة للمغرب. مناقشات المجلس، 4 فبراير 1925، الجريدة الرسمية، ص 559. لقد تمت استعادة هذه الإشارة من طرف سيمار، مشار اليه سابقاً، ص 21.
- 47 لقد قدر ب. كيان المبلغ الإجمالي للاستثمارات الخاصة المباشرة في 1926 في المغرب بألفين وستة وخمسين مليوناً من الفرنكات، بينما أن تضاف اليها ألف ومائة وثمانون مليون عر الاستثمارات المحققة من طرف الشركات صاحبة الامتياز للمصالح العمومية (خاصة السكك الحديدية والكهرباء). الاستثمارات الفرنسية في المغرب من 1912 الى 1939، مداخلة في المؤتمر الثاني للجمعية الفرنسية للمؤرخين الاقتصاديين، باريس، 5 و6 أكتوبر 1973، المخصص لفحص الموقف الدولي لفرنسا، الجوانب الاقتصادية والمالية، القرنان التاسع عشر والعشرون. نشر موجز بنفس العنوان، باريس، 1977.
- 48 لومانيي، 22 شتنر 1925 (أطروحات حول الحرب) ودفاتر البلشفية، فاتح نونر 1925، ص 1076.

الصناعات تفصح عن تطبيق جد ميكانيكي بعض الشيء لحطاطة صالحة، على الأقل جزئياً، للغزوات الاستعمارية السابقة على 1914، أو، بعيداً عن الحرب الأولى، بالنسبة للتوسع الأوربي في الصين. إن تمهينات الجيوش تبدو تافهة بالقياس الى المشاكل النوعية التي تطرحها الصناعات العاملة لأجل الدفاع الوطني. من جهة أخرى، أن يرى في الرّيف سوقاً لتصدير السلع والرّسامين فهذا يتم عن جهل خطير بالحقائق الاقتصادية والاجتماعية المحلية. تبقى المسألة التي يثيرها الشيوعيون بالحاح أكبر وهي مسألة الثروات الكامنة في الرّيف، وخاصة الثروات المعدنية. فمن أجل الإستحواذ عليها، دفع بتك باريس والتي با الحكومة الى شنّ الحرب على عبد الكريم (49). أكيد أن في الرّيف طبقات من الحديد تستغل بعضها منذ بداية القرن. وسمحت استكشافات جيولوجية سطحية من جهة أخرى، باكتشاف آثار الرصاص، والزّئبق، والزنك، وفي الواقع، لم يسمَح تنوع التشكيلات المتعددة لباطن الأرض باستنتاج وجود مناجم هامة في المغرب الشمالي. بخلاف ذلك ظهر على بُعد مئات الكيلومترات، أن وعوداً غنية بالمنغنيز، والرصاص، والزنك كامنة في ثانيا الأطلس، أو في التخموم الجزائرية — المغربية، لكن الاستخلاصات الأولى لم تكن سوى بزنات قليلة. في 1925، كان الاستغلال المنجمي الهام والوحيد في المنطقة الفرنسية هو استغلال فوسفات خريكة، جنوب شرق الدّار البيضاء. وسيظهر المستقبل بأنّه فيما يخص الرّيف وحدهما منجما ويشان — أشارا وسيطو لآزار، المسلمان للشركة الإسبانية لمناجم الرّيف، كانت لهما نوع من الأهمية. مع ذلك، لم يكن الشيوعيون وحدهم، الذين كانوا يعتقلون في 1925 في ثروة باطن الرّيف (50). فقد كانت هناك خرافة عامة الانتشار شجعت المضاربات السياسية والمالية، واعتقد مغامرون من كل الجنسيات أن من الجذّج الاستفادة من الظروف لمحاولة الحصول من عبد الكريم على وعيد بامتيازات منجمية. وبشكل مُوازٍ، اقترحوا خدماتهم على التقابات المالية، وخاصة الانجليزية منها (51). لقد ألهمت إفشاءات سير مدرّسة الأخيلة. لكن رجال المال أشخاص منطقيون ولا تنوّف على أيّ عنصّر يسمح بالتفكير في أن بنك يّاري والتي با، المُطلع جيداً على الحقائق المغربية، قد اعتقد جدداً في إلّدرادو ريفي*، ويبدو لنا

49 لومالتي، فاتح 22 يوليو 1925، «فاتر البلشيه»، فاتح يوليو 1925، ص 1381 — 1382، وفاتح غشت 1925، ص 1540 وما يليها.

50 انظر مثلاً مقال الاشتراكي أورفي في لوبول، 3 يوليو 1925

51 انظر مثلاً مقال الاشتراكي أورفي في لوبول، 3 يونيو 1925. انظر APP 1678, AN F7 13413 و SHA VM (14 RI). لقد نشر أ.ف. دولي، مدير لأروفي كولويل، الـ «ميثاق كارديني — عبد الكريم» في المراجعة المغربية الدائمة، باريس، 1926، ص 85 — 96.

* Edorado : مؤيّن أسطوري للثروة.

من المشكوك فيه أن يكون الطمّع في الثروات المنجمية للريف قد لعب دوراً حاسماً في الحزب التي شئت على عبد الكريم. على عكس ذلك، من المُحتمل جداً أن يكون باري با والمجموعات الرأسمالية الفرنسية، التي لها مصالح في الحماية، قد توجّسوا من أن يبرز انتصار عبد الكريم في الريف مجموع الامبراطورية الشريفة وأن يُسكّد ضربة قاضية لاقامتهم في المغرب (52).

إذا كانت حرب المغرب حرب اضطهاد استعماري من جانب الامبراطورية الفرنسية، فهي حرب تحرير وطني من جانب الريفيين. لقد قدّمت هذه الفكرة من طرف الشيوعيين تحت مظهرتين. من جهة، بارتباط مع الحركة العامة لانعتاق الشعوب المُستعمرة. إن علي حَمَامو يثير انتفاضة 1871 في منطقة القبائل ويؤكد بأنه «بعد نصف قرن من الفارق الزمني، يُكرّر عبد الكريم بضخامة أوسع، محاولة الانعتاق الوطني التي شرّع فيها (وقدناك) مقراني» (53). وكتب مارتى بأن جمهورية الريف تشكّل أملاً لشعوب إفريقيا الشمالية المُضطهدة (54). ويشمل هذا الاستقطاب الاسلام كُلّه، ومجموع شعوب الشرق التي تُظهِرها لنا الباربا «مُتلهفة للانعتاق من تير الغرب المُهينين» (55). من جهة أخرى، وُصِفَ تمرّد عبد الكريم دون إلحاح خاص على الرجوع الى الاسلام. إنه لم يتم إسقاط العلاقة مسلمون — شعوب مضطهدة في دائرة الصمت، لكن وقّع تشديد أكثر على الملمح الأوربي للظاهرة الريفية أو، بدقة أكثر، على خصائصها الأكثر تأثيراً في وعي أوربي. إن كتاب بيار سيمار كاشف في هذا الصدد. فالسكرتير العام للحزب الشيوعي الفرنسي ييلو منشغلاً بتوضيح كَوْن الريف «مُنتظماً على طريقة الكَوَل الديمقراطية (...)» فعل رأس كل قبيلة توجد دوماً مُنتخبة من طرف مجموع السُكّان» (56). ويبدو الهمّ البيداغوجي للزعيم الشيوعي، بكل تأكيد، واضحاً. لكن هل يكفي تفسير رغبة تقديم الريفيين على أنهم «قادرين على فهم

52 لقد طرح سؤال آخر في لدوة 1973 من طرف مجالي مرسى، كان يتعلق عملياً الاستعماري في وادي ورقة، مشار اليه سابقاً، ص 144. وثمة دراسة ينبغي القيام بها حول شروط إسناد أراضي الاستعمار في هذه المنطقة. لنلاحظ بأنه في السنوات الثلاث التي أعقبت انطلاق العمليات، أي من 1926 إلى 1928 مع إدخال الغابيين، شمل توزيع القطع الاستعمارية من طرف الادارة 29.000 هكتار في إقليمي فاس وتازة وحدهما، بينما لم تكن قد هُملت حتى نهاية 1925 سوى 15.000. إن الجزء الأعظم من هذه الأراضي تم القطاعه من الأراضي الجماعية التي في حوزة قبائل سيكون مهماً توضيح موقفها إبان الحرب الريفية.

53 دفاتر البلشفية، 15 شتير 1925، ص 1774 — 1776.

54 نفسه، فاتح يوليوز 1925، ص. 1382.

Paria *

55 جريدة لوباربا عدد 33 أبريل 1927.

56 ب. سيمار، حرب الريف، 1926، ص. 34.

منافع الحضارة الأوربية». لقد استُعملت اقتباسات من الصحفي الأمريكي سكوت ماورر لظهور أن الاستقلال بالنسبة للريفيين ليس انكفاءً على أنفسهم، ولكنه إمكانية الوصول إلى «الابتكارات العجيبة» للغرب. إن هذه الحجّة مغزى مزدوجاً: فهي تستهدف الرّدّ على الاتهامات بالهمجية الصّادرة عن الدّعاية الرّسمية، والتّقريب من البروليتاريين الفرنسيين لأولئك الذين يتأثرون مثلهم تماماً بمنافع التّقدّم التقني، ولكن يظلّون محرومين منه من طرف الامبريالية. فالأخوان عبد الكريم، يُلمح سيمار قائلاً، هم «رجال مُثقفون»، مُربّون «على الطريقة الأوربية»، وقادرون على عقْد اتّفاقات مع مجموعات أجنبية لتسهيل استغلال ثروات بلادهم، شريطة ألا يرهّثوا استقلالهم (57). فإزاء صورة عصابات الجبلين التّهابيين والمُحمّسين بالتّعصّب الاسلامي، يرد الحزب الشيوعي بصورة شعبٍ يتوي العيش في سلام داخل حدوده وجلب الوسائل التّقنية لتحرّره، من الغرب. و«النزعة الوطنيّة الرّيفية» هي التّعبير، عن هذه الرّغبة في الاستقلال والتّقدّم الاجتماعي أمام الامبريالية.

يبدو النزوع إلى «تغريب» الحركة الريفية وعلمتها أكثر جلاء لدى أحدهم ويُدعى لوزون. فهو كَمُنَشَق حديث عن الحزب الشيوعي الفرنسي، الذي كان يوافقه على موقفه تجاه عبد الكريم، خولت التجربة التونسية لهذا المناضل، في أوساط اليسار المُتطرف، سلطة كبيرة فيما يتعلق بالسياسة العربية (58). لقد قادته الانتفاضة الرّيفية إلى التساؤل عن طبيعة «الوطنية الأهلية» في إفريقيا الشمالية. فعارض الفكرة القائلة بأن الأمر يتعلّق بـ «حركة تضع نصب عينها لإرجاع النظام الوطني الأهلي القديم بأكمله» (59). ويقول بأنه إذا كان هذا الغرض، فلا داعي للكفاح: فقد عرفت الدّولة الفرنسيّة دائماً كيف تحافظ على الأطر التقليديّة للمجتمع، واستعملتها لضمان هيمنتها. «إن الحفاظ على الاسلام داخل الاسلام، والحفاظ على العربية في وُضْعها الفزيائي والأخلاقي كان أفضل ما قامت به سياسة الاستعمار» (60). لكن الاحتلال الاستعماري استتبع، تَغْلُغ الأفكار الغربيّة، سواء في الأوساط البورجوازية والمثقفة أو داخل البروليتاريا الحضرية. لذا فإن مطالب الوطنيين هي «مطالب مأخوذة عن الغرب، مطالب تقليدية لشعوب أوربية» (61). ولم يظّل الريفيون في

57 نفسه، ص 35 — 39.

58 عن لوزون، انظر س. لوزون: الأجراء والحركة العمالية في تونس خلال نصف قرن من الاستعمار، أطروحة دولة، ليس، 1978.

59 ريفولسيون بروليتاريان، يوليو 1925، ص 6.

60 نفسه، ص 1.

61 نفسه، ص 6.

معزل عن هذه الحركة. لقد جعلتهم معاركهم المستمرة ضدّ الأسبان، والأعمال الموسمية التي يقومون بها في وهران، في اتصال مع الحضارة الغربية. وكما تظهر ذلك تصريحات عديدة لعبد الكريم، يختم لوزون قائلاً، «إنهم حاملون لهذه الرغبة في التطور، في التغرُّب، التي تُحرِّك سكّان إفريقيا الشمالية». لكنهم يعرفون أيضاً بـ «أنهم لن يتمكنوا من التّحضُّر إلّا إذا خرجوا من ثبَر المُحضَّرين». من هنا عنادهم في القتال من أجل استقلالهم، والأهمية الكبيرة التي يمثّلها كفاحهم بالنسبة لمجموع إفريقيا الشمالية وربما أبعد من ذلك بالنسبة لسكّان مصر والهند (62).



لقد فنّد اليسار غير الشيوعي تحليل الحزب الشيوعي الفرنسي. ومع ذلك كانت عناصره الأكثر تقدماً — من تحريرين، واشتراكيين أحراراً وشيوعيين منفصلين عن الحزب — تشهّر بقوة بالامبريالية الفرنسية ومخططات الهيمنة التي يرسمها البعض عقب هزيمة الأسبان (63). لقد كانت المجلة التروتسكية الثورة البروليتارية «، قرية جدّاً من الحزب الشيوعي عندما أُكذِّت بأنّ غزو الريف من طرف القوات الفرنسية يشكل الفاتورة التي على الكارتيل أن يُسَدِّدها لبنك باريس والتي — با لكونه مكثّاً من البقاء قرابة السّنة في الحكم (64). لكنّ كثيرون هم الذين حرصوا على فصل الفعل الاستعماري عن الهيمنة الامبريالية. لقد كانت فلاهيو «، وهي صحيفة فوضوية لافريقيا الشمالية، تحلم باستعمار يتّـمّ دون قصف مدافع ودون تدخّل للرأسمالية (65). ويدافع ح — هـ. روسني البكر في جريدة العمل عن «استعمار كريم» (66). ويتمنى إميل كان، وهو شخصية مرموقة من عصبة حقوق الانسان، «نظاماً استعماريّاً حيث تُتَّفَقُ إدارة الأشياء مع حقوق الشّخص» (67)، أما فكتور أوكانيوز فطالب بكل بساطة بـ «الحقّ في الاستعمار» (68). لقد عبّر رونوديل في الحزب الاشتراكي عن

- 62 نفسه، ص 9
63 انظر لوليتير، 16 مايو و 8 عشت 1925، دفاتر حقوق الانسان، 5 أكتوبر 1925، ص ص 459 — 466
* La Révolution prolétarienne
64 ريفولييون بوليتاريان، مايو 1925، ص 27 انظر أيضا دوني، المغامرة المغربية الدائمة، باريس، 1926، ص ص 14 — 15.
* Flambeau
65 فاتح بوليتور 1925
66 ليرنوليل، 15 عشت 1925.
68 نفسه، 8 فبراير 1926

تؤكد من الطابع الإيجابي للعمل الاستعماري. إنه يتضمن «حُكَايَات» دون ريب، لكن هناك أيضا «إلى جانب مشاريع النصاين كلاً الحُرّة وشعلة الفكر الفرنسي» (69). لقد كان سيفاجاً، دون ريب، لو عَلِمَ بأنّ التعليم في الحماية لا يُمنَح سوى لقلّة قليلة من المغاربة (70) وأنهم لا يتمتعون بحُرّة الصحافة، ولا بحُرّة إنشاء جمعيات، وأنّ الإدارة الفرنسية لم تُلغ أبداً تعسف الزعماء الأهالي. ولأنّ ليون بلوم يتمتع بحس نقدي أكبر، فقد كان يستشعر بأنّ اللوحة ليست وردية إلى هذه الدرجة وفضل الحديث عن «واجبات» القوّة الاستعمارية. لقد ذكّر بأنّ حربه كان تحضماً للاستعمار «طالما أنه الشكّل العصري للامبريالية» ورأى أنّ عمَل فرنسا لا يمارس «إلا بالتأثير، والاجتذاب، والشعور المُعطى للجناس المُسمّاة ذُلّا بالتفح المادي أو المعنوي الذي نحمله إليها» (71). هكذا يتمّ التشديد على المنفعة التي يمثلها التعمير الفرنسي بالنسبة لتطوّر السُكّان المُحَمَّين.

إنّ التعارض الذي أدخله حيثُذ قسم من اليسار بين الاستعمار المُعَمَّر والاستعمار الرأسمالي شكّل مُعطًى أساسياً سَيَسِطِرُ على تاريخ علاقاته مع الحماية، وانطلاقاً منها، مع الحركة الوطنية. ففي نظره، لا ينبغي للحضور الفرنسي أن يتطابق مع حضور بنك باري والبيي با. إن هذا الأخير لا يعمل على تقوية التعمير الفرنسي، بل هو، بالعكس، يعوق نُموّه. فليس الاستعمار في حدّ ذاته هو الذي يشكّل تهديداً للمغاربة، بل كونه يخدم بعض الاحتكارات. فللجمهور الواسع للسكّان الفرنسيين، من مزارعين، وتجار، وتقنيين وعمال، تأثير إيجابي على المغرب : ولا يمكن لنشاطهم سوى أن يجر السكّان الأهالي في طريق التقدّم. هكذا طالب كاريت — بوفي، الاشتراكي الصادق، الذي لا يمكن لمشاعر تعلقه العميق بالمغاربة، أن تكون موضع شك كما رأينا، بإنشاء «قُرى مُعَمَّرين فرنسيين» ومضاعفتها (72). وفي هذا الاتجاه، موقّعت لالريون ماروكان «، وهي أسبوعية من الرباط، تأسست في أوج

69 مناقشات المجلس، 23 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص. 2779.

70 في 1925، تحد من بين العدد الإجمالي للمدرسين يبلغ 28.759 تلميذا 14.324 مغرباً. أي 5947 مسلماً و 8377 إسرائيلياً، وال 5947 مسلماً يمثلون أقل من 1% من الساكنة القابلة للتعليم وصادرون في معظمهم عن المدارس الابتدائية والمهنية الإسلامية. ولم يكن التعليم الأوربي يستقل، بالفعل، سوى مائة وسعة من المسلمين في مدارس الابتدائية وأربعة وخمسين في مؤسساته الثانوية، فيما كان أساء الولوجاء المسلمين يذهبون إلى «ثانويات إسلامية» و«مدارس الأعيان» التي كانت تعداداتها خمسمائة وخمسة تلميذا. حماية المغرب، مديرية التقطيف العمومي عرض تاريخي (1912 — 1913).

71 مناقشات المجلس، الجلسة الثانية لـ 9 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص 3316

72 لوكري ماروكان، يناير 1924 («لستمر»).

حرب الريف (73) معركتها. فلأنها كانت مقتنعة بأهمية الرسالة الحضارية لفرنسا، رأت هذه الجريدة أن ليوطي أخطأ الطريق باعتراضه على توسع الاستعمار. وبشكل مُتَرَابِط، أشاعت سياسته الأهلية «الحخية» و«الكراهية» داخل الجماهير المغربية (74). «لقد ارتكبت أكثر أنواع انعدام الشرف، وأكبر أنواع الخبن، وجرائم فعلية (...) جارة هذا الجثال الانساني الذي يُبرّر ويُلهِم وينبغي أن يُجسّد عملنا على هذه الأرض في الوحل» (75). منذ ذلك الوقت «هل نحن موقنون بأن أبناء فرنسا الذين يموتون في الجبهة الريفية يقاتلون من أجل قضية عادلة ويدافعون حقاً عن فرنسا؟» (76). يستحق هذا القلق أن يتم التشديد عليه. فهو صادر عن صحفيين حصل تردّد في تصنيفهم في اليسار، ولكن مثيلهم العلني الى الحرية يكفي لترتيبهم، في أرض الحماية، تحت علامة اللامنتهين. وهو صادر عن أشخاص اعتقدوا بحماس في فضائل الاستعمار، وكانوا متعلقين على نحو عميق بالمغرب ويحشون رؤية الحضور الفرنسي مُورَطاً بشكل نهائي بسبب خطأ المُستعمر. لقد كانوا يمتنعون عن إدانة عبد الكريم بقدر ما كانوا يمتنعون عن تمجيد مشروعه. وفي المقابل، كانوا يشددون على أن تفوقه ناتج قبل كل شيء عن أخطاء الحماية. إن هذه المقاربة للمسألة الريفية غريبة عن الرأي الميترولوجيتاني الذي ينزع الى محاكمة عبد الكريم انطلاقاً من معايير ثقافته السياسية وحدها.

لم يكن اليسار غير الشيوعي، في غالبته العظمى، يرغب في أن يكون عبد الكريم بطلاً للاستقلال، ولكن زعيماً فيودالياً يُعْتَبَرُ نظام هيمنته مُتعارِضاً مع المبادئ الديمقراطية، وليس لقتاله قيمة تحريرية. غير أن الاتهام ليس له نفس الدلالة لدى أغلبية الراديكاليين أو بعض الاشتراكيين وبالنسبة لعدد من مناضلي اليسار النقابي، من تروتسكيين وتحريريين فوضويين. فعند الأوائل، يسمح رفضهم لعبد الكريم بتحديد اتفاقهم، مع السياسة الحكومية بكل تصميم. لقد تساءل كوستاف تيري «كيف يمكن تصوّر أن يتم الاستناد بشكل خطير إلى حقوق الانسان، وحتى إلى حق الشعوب في تقرير مصيرها لتبرير لصوصيات عبد الكريم وعصابته؟» (77). أما بيار برتراند فتحدّث عن «الوطنية الوحشية للقبائل» وعن «امبريالية أحد الروكيين» (78)، بينما أكّد إميل كان بأن «الريفيين لا يشعرون بأنفسهم

73 ينذر لاتيرون ماروكان، التي يوحد جزء من مجموعتها في المصلحة التاريخية للحيش، (MAROC. AI FES 530) 2431 ح. كيار، وله كميالوين رئيس أوجست مولطاني (أخ روبير، المستشار شه الرسمي للاقامة) ومكسيم دوروكمور، وهو صحفي يقيم منذ أمد طويل في المغرب.

74 لاتيرون ماروكان، 14 مارس 1926.

75 نفسه، 28 فبراير 1926.

76 نفسه، 26 فبراير 1926 (عدد خاص).

77 لوفر، 29 مايو 1925.

78 لوكوتيدبان، 9 يوليو 1925.

مُضطَّهَدِينَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ طَرَفِ عَبْدِ الْكَرِيمِ نَفْسَهُ» (79). ويمر الدِّفاع عن الحضارة، بالنسبة لبعض كتابي الافتتاحيات، عبر الكفاح ضِدَّ الاسلام؛ هذا هو المعنى الذي ارتأوا إعطاءه لَحَرْبِ الرِّيف : «ليس في حقول بوائبي، بل في سهول ورَّغة، في مقدِّمة المُرتفع الرِّيفي، ينبغي إعادة شارل مارتيل» (80). ولم يتردد ماريوس مولي الذي تتفق قناعاته الاشتراكية مع الدِّفاع عن مصالح المجموعات المصرفية والصَّناعية في المغرب (81)، طويلاً في اتِّخاذ موقف : «إن عبد الكريم ليس سوى جندي مُعَاير يطمع في امبراطورية. غير وإرِدَ لديه أَمْرُ حُرِّيَّةِ القريب، وحقُّ الشعوب (...) وسيكسر حلول نظامه الطَّاغِي مَحَلَّ حمايتنا انتكاساً للحضارة» (82). أما في لوبويل «، جريدة الس.ج.ت. فكان عبد الكريم يُقَدِّمُ إِمَّا كَمُعَاير، بقلم النائب الاشتراكي أوري (83) وإِمَّا كزعيم فيودالي، بقلم التَّقابي مليون (84).

لم يكن لجميع المنشقين عن الحزب الشيوعي نفس الموقف الإيجابي تجاه عبد الكريم الذي كان يُعبِّر عنه لوزون. فايرنست لافون (85)، الذي كان له تعاطف مع قضية الرِّيفيين، لم يكن يُقَدِّرُ أبداً زعيمهم (86). وبول لوي، مُنْتَظَرُ معاداة النزعة الاستعمارية، لم يكن يفهم كيف أن حزبه السابق يُمَجِّدُ «هذا السُّلطان بالحقِّ الإلهي» ويُذَاهِنُ «لا أحد يدري أية وطنية ملكية وإكليزيكية» (87). أما راول فيرفوي (88) فكتب ساخرًا : «إن عبد الكريم إذن ليس رئيس عصابات أو على الأقل ليس رئيساً لحكومة بورجوازية» ولكن كي يختم قائلاً : «لا ليوطي، ولا عبد الكريم» (89). إنها نفس الصَّرخة التي نَجدها في فلالهيو : «تقرِّفنا وطنية أحدهم يُسمَّى ليوطي بقدر ما تفعل ذلك وطنية أحدهم يُسمَّى عبد الكريم. فالاثنتان يبحثان قبل كل شيء عن سُبُلِ الجلوس على مقعد الحكم، وتقوية سيادة وسلطة خطية على حدِّ

- 79 لوبويل، 9 يوليو 1925.
80 نفسه، 11 يونيو 1925.
81 إنه محاسن مطاحن المغرب، أبطر المؤتمر الوطني الرابع والعشرون للحزب الاشتراكي (1927) عرض، ص ص 433 - 436 و 453 - 454
82 دُفَانُ حَقُوقِ الْإِنْسَانِ، 1925، ص ص (375 - 376) (عرض جلسة اللجنة المركزية لـ 6 يوليو 1925).
* le Peuple
83 لوبويل، 3 يونيو 1925
84 نفسه، 10 يونيو 1925.
85 غادر الحرب الشيوعي في 1923. وقد انضم بالنا في 1924 في لائحة كتلة اليسارات، وظلت تدخلاته تتقلل وترحلت من طرف رفاقه القدامى في الحرب.
86 انظر مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، المجريدة الرسمية، ص ص 2497 - 2501.
87 لافالك أوليفار أي بايرار، 24 أكتوبر 1925
88 طرد من الحرب الشيوعي الفرنسي في 1922
89 لافالك أوليفار أي بايرار، 6 - 20 يونيو 1925، ص 2.

سواء. ليس لدينا مطلقاً أي شيء مشتركٍ معهما» (90). بينما بَدَتْ لوليبرتير «، التي تعتبر عبد الكريم «دكتاتوراً»، و «رجعياً شرساً، عَدُوّاً للفقراء» (91) و «نصّاباً دمويّاً عصريّاً» (92)، حريصةٌ مع ذلك على إظهار تعاطفها مع المُقاتلين الرّيفيين (93) مع أن عبارة «المغرب للمغاربة» لم تعد محلّ إجماعٍ معاونٍ لها (94).

قيادة العمليات

أمام الانتفاضة الرّيفية التي أخذت تتعمّم وتُهدّد المواقع الفرنسية، طُرِحَتْ ثلاثة أسئلة : ماهي الوسائل التي يتعيّن على فرنسا اللجوء إليها أمام القبائل المتמרّدة ؟ هل يتوجّب أن يظلّ ليوطي مُؤمّناً لقيادة العمليات وقيادة حكومة الحماية ؟ وأخيراً هل ينبغي للعلاقات بين فرنسا وإسبانيا في المغرب أن تمتدّ إلى تنسيقٍ وثيقٍ لقواتهما المُسلّحة ؟ تسمح هذه الأسئلة بتقدير إلى أي حدّ وأيضاً وفق أية عقلية اعتزمت القوات التي دُعِمَتْ كارثيل اليسارات مؤازرة السياسة الهجومية المُتبناة من طرف حكومتَي باندلوفي وبريان إزاء عبد الكريم.



لقد نهت الراديكاليّ أنه «لم يعد الأمر يتعلّق بعملية شُرطية؛ إننا نرى حرباً، حرباً حقيقية...» (95). وكتب الجنرال طوفلياب «إذا كنّا نقوم بالحرب، فينبغي أن نقوم بها بوسائل عصرية»، ونصّح بأنه عوض المدفعية المجرورة بالخيول ينبغي تجريب «تلك ابدبابات المُصنّعة للمُشاة والمُسلّحة ببنادق رشاشة» التي تنتقل في كل الميادين، «وجزّارات المدفعية، ودبابات الاقتحام، ومدافع الجبال» (96). أما ليرنوفيل «، فاخترت «الطيران

90 لوفلامو، فاتح يوليو 1925.
* Le libertaire

91 لوليبرتير، 16 مايو 1925.

92 نفسه، 11 يوليو 1925.

93 نفسه، 4 و 11 يوليو 1925.

94 انظر في مقابل مقال ثورر، نفسه، 30 مايو 1925 ومقالات 25 يوليو (غير موقعة) وفاتح عشت 1925 (مبار مبالد).

95 لوراديكال، 24 يوليو 1925 (بول بلويسون، سناتور راديكالي اشتراكي للأراضي الفرنسية في الهند).

96 لوفر، 13 يوليو 1925

* L'ère nouvelle

الثقيل»: «فالبينة للطيار، كل الأهداف ممكنة، من الأعلى الى الأسفل، ويمكنه أن يصبب أطنانا من المتفجرات من شأنها زرع الموت والرعب (...) فتحت طوفان مماثل من النار والرصاص، لن يتأخر الريفيون في مدّ أيدي الصداقة، وحتى ننتهي سريعا ونوفر أرواحا غالية، لابد من الطائرات، والمزيد من الطائرات!» (97).

لقد سمع اجتماع مشترك للجنتي الجيش والشؤون الخارجية في المجلس بمعرفة إلى أي حد ينوي اليمين الذهاب. وصرح جان كوري، رئيس الاتحاد الوطني للمقاومين، بأن الطريقة الوحيدة «لوضع حد سريع للعنوان، هو استعمال قذائف غازات سامّة، ستمكثون بها من الوصول للعدو بشكل يقيني مما لو استعملت قذائف عادية» (98). لكنّ بالنظر إلى نحي هذا الاحتمال. كما بدا له استعمال الطائرات المُقنّلة غير ملائم للميدان؛ وعلى عكس ذلك، أيّد كثيرا استعمال الدبابات، غير أنّه ظلّ متكئما جدا حول الأعداد المستعملة رغم أن الجلسة كانت مُغلقة. لقد بدأ الاجتماع بحادث حادّ، فبعد أن ألحّ بالنوفا على أن يّقى عرضه سريّا، رَفَضَ النواب الشيوعيون، من حيث المبدأ الالتزام بالسرية، كما سبق لهم أن قاموا بذلك (99)، فتمّ إقصاؤهم من المناقشات. أما الاشتراكيون، الأكثر امتثالية، فقد سعوا ليس فقط إلى التمييز عن الشيوعيين، ولكن إلى إظهار جرّهم على ضرورات الدّفاع الوطني، بالمعنى التقليدي للعبارة. فبالنسبة لرونوديل، لا مجال لمساومة الحكومة حول وسائل القيام بالحرب، بل إنّ المُعاون السابق لجوريس أضاف أكثر من هذا، حيث رأى أمام هذا الحضور القليل، أن من غير المُجدي أي جذر كلامي، وقال منذ بداية تدخله «إنّني أعتقد بأنّ المُشاة غير مُسلّحين بما فيه الكفاية. فليس لدينا هناك مدافع من عيار 37. أعتقد أيضا بأنّ عدّد بنادقنا الرّشاشة هو دون ما كان ينبغي أن يكون عليه. إذا أردنا تطوير القوّة النارية، فسنصل إلى ذلك بسهولة بواسطة أسلحة أسهل عند الحمل والنقل من استعمال المدافع الثقيلة. هذه ملاحظة أبلغني بها رجال المهنة. إن تكثيف الرّيفيين، الذي حدّدتموه جيدا، يُظهر أنّ من المصلحة الأكيدة جعلّ القوّة النارية كبيرة ومتنقلة». (100). بعد ذلك بقليل، عاد إلى مسألة الوسائل العسكرية، وقلّق للأعداد المتوفرة، وحتّم كلامه مطالبا الحكومة بعدم التردّد في طلب متطوعين. لقد كان مُتّفقا في هذه النقطة مع الجنرال كاستونو. ولا تعكس وجهة نظر

97 ليونيل، 10 يوليوز 1925.

98 مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، جلسة 17 يونيو 1925.

99 نفسه، جلسة 3 دجنبر 1924.

100 نفسه، جلسة 17 يونيو 1925، إن هذه الفقرة هي الاستعادة الحرة لتصريح رونوديل في اللجنة، الذي أدلى به مباشرة بعد تصريح بالنوفا. لقد تحدث هذا الأخير عن التكثيف وعن استعمال بعض الأسلحة، ولكن أيضا وأساسا عن مسائل أكثر عمومية ومقط في تدخل ثلاث، تحدث النائب الاشتراكي عن شروط الصلح المقترحة على عد الكرم (انظر أدناه).

رونوديل وجهة نظر الحزب الاشتراكي في مجموعه، ولا حتّى وجهة نظر أغلبية الفريق البرلاني (101). إنه لم يتمكّن، من اجتذابه في 9 يوليو، للتصويت على الاعتمادات العسكرية التي طلبها بانلوفي (102)، فصعد بلوم الى منصّة المجلس ليعلن عن امتناع الاشتراكيين. لقد أكد زعيم الحزب الاشتراكي بأن «استعمار الحرب الذي يستقرّ بالاحتلال والغزو شيء أنكرناه دائماً وسنظلّ ننبذه». إنّ الكفاحات التي خاضها الحزب الاشتراكي سابقاً ضدّ احتلال المغرب تجعله اليوم، مرتاح الضمير (103). فهذا الاحتلال أمر واقع، لكننا، يقول ليون بلوم، «لسنا متضامين، ولا مسؤولين» عن الصعوبات الرّاهنة، وعليه، فإن من شأن التصويت على الاعتمادات المطلوبة تشجيع الاستعماريين الذين لا يتصوّرون الحضور الفرنسي إلّا مدعوماً بالقوة العسكرية. لكن لن يذهب الاشتراكيون الى التصويت ضدّ الاعتمادات، لأنّ تصويتاً من هذا القبيل يمكن أن يؤوّل في اتجاهٍ مشنّج لـ «جلاء بلا شرط» عن المغرب (104).

يكشف هذا الرّفص لاتخاذ موقف واضح عن التيارات المتناقضة التي كانت تهرّ الحزب الاشتراكي بصدد حرب الرّيف. لقد امتنع ستة اشتراكيين فقط في 29 مايو عن التصويت على جدول أعمال الثقة في الحكومة (بعد أن صوّت إثنان آخران، لاباتو ورائيو ضيّده) (105). وكانوا عشرة أولئك الذين امتنعوا في 19 يونيو عند التصويت على الرّدّ عقب استفسار دوريو (106) وخسمة وثلاثين في 23 يونيو، عند جدول الأعمال الجديد للثقة في الحكومة (107). ويُفسّر هذا الموقف أيضاً بحُكم الانشقاق الذي كشفت عنه المناقشات داخل الحزب بين أنصار المشاركة في الحُكم وأولئك الذين يرون بأنّ السياسة الاقتصادية

101 إنه مع ذلك هو الذي تدخل لوقت أطول في اللحنة عن القضية المغربية. أما بول فور، فقد كان خلال الجلسة التي أتيا على ذكرها، أكثر تحفظاً بكثير. لقد سأل إذا كان حقاً «لا يمكن للعمليات أن تتواصل إلا بوحدة أكثر عدداً» ولم يقل أبداً أن تدوير من هذا القبيل سيحصل على موافقته. وبعد بضعة أيام من ذلك، كتب لي لوبويل : «إن حزبا لم ينصم في أية لحظة إلى حرب استعمارية (...)». وإذا استمر متخو الحرب في التضامن البرلاني والحكومي للأحزاب الخمسة المعرب، تتعلّك عدم قلب الحكومة، وبعد إيمان الطر، فإنهم سيديرون ظهورهم لتاريخ الاشتراكية بأكملة» (29 يونيو 1925).

102 بعد أن دافع بول — بوبكور ورونوديل عن الاعتمادات العسكرية، أعلن فوالامر وبريسمان، وبارون، وموران أنهم ضدها، فيما فصل كومير — مرويال الانشاع. لقد أعطى تصويت داخل المجموعة البرلانية النتائج التالية : تسعة أصوات مع، تسعة أصوات ضد، أربعة وعشرون لصالح الانشاع، حسب لوبويل، 17 يوليو 1925

103 إننا «مؤمنون (...)» بمرور ومطهرون عهد وطولة رجال شهر، مسيقا، محاطر الاحتلال المغربي»، مناقشات المجلس، الجلسة الثانية لـ 9 يولي 1925، الجريدة الرسمية، 3316 — 3317

104 نفسه.

105 نفسه، الجريدة الرسمية، ص 2523.

106 نفسه، الجريدة الرسمية، ص 2752 — 2753.

107 نفسه، الجريدة الرسمية، ص 2791 — 2792.

والاجتماعية للحكومة ينبغي أن تقودهم الى أخذ مسافة من حلفائهم في الكارتيل. وقد تضاعف فساد علاقاتهم خلال النصف الثاني من 1925؛ كما أن المشاريع المالية لبول دومير قوّت من عداوة الاشتراكيين، بينما قادهم تمديد العمليات العسكرية في الريف أكثر من سنة إلى أي يرفضوا برفقة الشيوعيين الاعترادات العسكرية الجديدة المطلوبة من طرف الحكومة. لكنّ الأعداد المتوقعة من طرف القيادة العليا كانت قد تَمَّت قبل ذلك : فقد انتقلت من ستة وستين ألفاً وخمسة وسبعين رجلاً في فاتح أبريل 1925 إلى مائة وواحد من الآلاف وأربعمائة وثلاثة وتسعين في فاتح يوليو، وإلى مائة واثنين وأربعين ألفاً وثلاثمائة وأربعة وخمسين في فاتح أكتوبر. لقد كان الفرنسيون يُمثّلون 30 % من هذه الأرقام، بينما شكّلت المجموعات الشمال افريقية والسينغالية أغلبية الوحدات. إن هذه الأعداد لن يتمّ تجاوزها (108)، ولكن سيتمكن بفضل وسائل المدفعية والطيران التي وُضِعَتْ تحت تصرّفها، من شنّ عمليات كبيرة، وترميم الوضع في الجبهة الشمالية للحماية الفرنسية والتحضير لهجوم واسع ضدّ عبد الكريم. لقد كانت هناك مسألتان أوليتان ينبغي حلّهما : تعويض ليوطي وإبرام اتفاق سياسي وعسكري مع الحكومة الاسبانية. وقد اعتزمت أوساط اليسار إبداء وجهة نظرها في كليهما.



لقد تطلبت قيادة العمليات العسكرية استبدال ليوطي : هذا هو الرأي المقبول عموماً من طرف الأوساط الراديكالية والاشتراكية. فقد عملت مظاهر ليوطي كسيّد كبير، وميله للحكم المطلق، وازدراؤهم للأشكال البرلمانية، وعموما قناعاته المحافظة، دون ريب، على إثارة نفور اليسار منه. لكن عنف التهجّمات التي تُعرّض لها يُفسّر قبل كل شيء بحِرْص أغلبية الاشتراكيين والراديكاليين على العثور على كبش فداء في القضية الريفية. إذا كان التباحث مع عبد الكريم لم يتمّ في الوقت المُجدي، فذلك خطأً ليوطي، وإذا لم يتم، بعد ذلك، احتواء اندفاعه الريفين فذلك خطأه أيضاً. إنه ليس رجُل السِّلْم. ولا هو أيضاً بزعيم الحرب التي يتطلبها الوضع (109). لقد كانت رسالة فاتان — بيرينيون هي قطرة الماء التي أفاضت

108 AN مجموعة بالولفي 313 AP 205. إن ديوان وزير الحربية يتبادل طلبات التعريرات المعر عنها من طرف المقيم العام أو القيادة العليا لقوات المغرب بالوحدات التي تم إرسالها لكي يخلص إلى أن نابيس قد أرست دوما الرباط في نفس الاتجاه، وحلّاهما للأزاء التي أبداهها هوبير — حاك، مشار إليه سابقاً، أنظر المقدم لور، الانتصار الفرنسي — الاسباني في الريف، 1927

109 إنه لم يعرف كيف يتوقع المجرّد الريف، ولا كيف يتحد صده التناوير الصورية، كسكت كل من لوكوتيدايك (19 يوليو 1925)، لوه (22 يوليو 1925)، لوراديكال (29 شتبر 1925)، لينوفيل («ليوطي التماس، الذي لم يتوقع

الكأس. فصار عليه أن يتخلى عن سلطاته العسكرية للجنرال نولان قبل أن يخضع نهائيا من الساحة المغربية. ولم ينتبه اليصار الذي لم يكن مُحَرَّكاً، بمحصر المعنى، إلى أن تهجمات ضيِّد ليوطي، كانت تساعد أنصار حرب الإبادة ضيِّد عبد الكريم. لقد كانت أركان الحرب العامة مُتَعَجِّلَةً لِئَنْ تستبدل تصورات المقيم العام، الذي لا ينفصل العمل الحربي بالنسبة إليه عن العمل السياسي، بِمَذْهَبٍ حَرْبٍ أَكْثَرِ كِلَاسِيكِيَّةً، لا يتردَّد في استعمال الوسائل الأكثر أهيمَة والأكثر عَصْرِيَّةً. وسيجسد بيتان، الذي استقبل تعيينه بترحابٍ من طرف قطاع كبير من اليصار (١١٥)، هذه الإرادة (١١١).

لم تكن لذهاب ليوطي تَبَعَاتٍ عسكرية فحسب، ولكن أيضا دِلَالَةً سياسة ينبغي أن نتوقَّف عندها قليلاً، لأنهما تمنحنا واجداً من مفاتيح قطاع من اليصار تجاه الحركة الوطنية المغربية. لقد احتفت الأوساط الراديكالية والاشتراكية في أكتوبر 1925 بتعيين رجل سياسي، هو السناتور ستيك (١١٢)، في منصب المقيم العام، واعتبرت ذلك بمثابة انتصار. كيف أمكن أن يكون الأمر مخالفاً لذلك، في حين أن تلك الأوساط نفسها هي التي ناهضت، على مر السنين، النظام التعسفي الذي كانت تعرفه الحماية، وطالبت بإخلال إدارة مدنية محل الإدارة العسكرية ؟ إننا نعرف أن ليوطي قد رفض الرَّدَّ بالإيجاب على طلب عصبة حقوق الانسان الساعي لأن يُعَلَّقَ في المؤسسات العمومية، والبلديات، والمدارس، إعلان حقوق الانسان (١١٣). «لقد اعتبر الحاكمُ الفارسيُّ للمغرب الميثاقَ الكبير للبورجوازية الفرنسية تخريباً وخطيراً»، هكذا علّق الشيوعي نكيان — إي — كوك. وبينما كان الرجل الذي سيعرف

شيئا، ولم يلاحظ شيئا، ولم يحضر شيئا» 10 غشت 1925). «لا ينبغي أن نساومه طويلا في استراحة راحها حيدا». لوبوتي بلو، 14 غشت 1925.

110 انظر لوفر، 31 غشت و 3 شتنبر 1925، ليونيل، 21 يوليوز 1925، لوراديكال، 24 يوليوز 1925، لوم لير، 28 يوليوز 1925. عل عكس ليوطي الذي لم تنتقد فقط سياسته بل شخصه أيضا ويعتبر، من الراديكاليين الى الشيوعيين، لم يصدر بصدد تعيين بيتان أي تعليق شخصي انتقادي أوفظ.

111 أنظر في هذا الموضوع المداخلة المتأخرة ل د. ريفي في ندوة عبد الكريم - القيادة الفرنسية وردود فعلها تجاه الحركة الزهلية، 1924 — 1926، مشار اليه سابقا، ص 101 — 136. قد أبدى بيتان رأيه بالعبارات التالية حول مخطط العمل المقرر من طرف ليوطي، الذي أحر به في 18 غشت من طرف وزير الحربية «لقد اعتبرت الزناح المروص في هذه الوثيقة غير كاف. فهو لم يتقصده بالفعل، سوى أهداف سياسية أساسا، ولم يشكل، في أي حاس، تهديدا مباشرا لقوة عبد الكريم، كما أنه سمح قبل الأوان بالأمل في إنهاء عمل بنا لي أنه يتطلب مجهودات مغايرة في الحرم والتكلفة والوقت» AN، مجموعة نابلوي، 313 AP 205 (رسالة 20 أكتوبر 1925، الى رئيس المجلس، وزير الحربية).

112 عضو اليصار الراديكالي، ومشارك بصفته وزيرا للعدل في حكومة نابلوي.

113 يرى ليوطي بأن هذا الطلب ليس مطابقا لنظام الحماية، لأن مبادئ إعلان الحقوق «سامية لسلطة السلاطين» وللنظام الشخصي للمعارة المثلث بواسطة الشريعة الدينية. دلائل حقوق الانسان، 1924، ص 139، و ص 510 — 511.

باسم هوشي منه يعطي للإعلان محتوى كَوْنياً ويدعو المغاربة للكفاح من أجل استرداد حقوقهم (114)، لم يَحُلْ مَوْقِفُ العُصْبَةِ من الالتباس. هكذا كان الكفاح الذي تخوضه لصالح «الحرية الجمهورية» يستهدف عملياً الحصول على حقوق سياسية لصالح فَرَنْسِيّي الحماية وَحَدَهُم (115). وقد طالبتُ فدرالية المغرب مرة أُخرى، في مؤتمرها لعام 1925 تمثيلهم عَبرَ الانتخاب العام في مختلف مجالس الحماية (116). وكان هذا المَطْلَبُ يَنْخَرِطُ في جَوْ هِيْمَنَتِ عليه منذ نهاية الحرب العالمية الأولى رغبةً الحماية في إزاحة العوائق التي يضعها ليوطي أمام تطوُّرها (117). ولم تكن غرف الفلاحة (118)، أو نواب الجزائر (119)، وحدهم الذين كانوا يطالبون بسياسة تعمير زراعي فرنسي، بل لقد رأينا اشتراكياً مثل كاريت — بوفي كان مناصراً لهذا المطلب، لا سيما وأنّه بدا له متعارضاً مع استعمار الشركات الرأسمالية الكُبْرى الذي كانت تشجّعه الإقامة (120)، كما أن ليبراليين مثل مكسيم دو روكمور (121) ودوني (122)، كانا يشاطران وجهة النَّظَر هذه.

- 114 مراسلة دولية، 17 أكتوبر 1924.
- 115 في 1922، صاح كيريو في المؤتمر الفدرالي للدار البيضاء: «أيها الفرنسيون، إنكم تتمتعون في فرنسا بكل حقوقكم السياسية. وعندما جئتم إلها (فقدتموها كلها (...)) هالك، كنتم مواطنين، وهما أنتم رعايا...» الدفاتر، 1924، ص 231.
- 116 عن المطالب المضبوطة للعصبيين المغاربة، أنظر متمنيات الفدرالية، نفسه، ص 484، مقال ماريوس موتي عن العدل في المستعمرات، الذي يثير فيه بالخصوص معارضة ليوطي لانتخابات ممثلين فرنسيين في اللجان البلدية وفي غرفة استشارية، نفسه، ص ص 563 — 570، والمقررات المتبناة في هذا الاتجاه من طرف المؤتمر الفدرالي لـ 1924، نفسه، 1925، ص 5.
- 117 بعد أن عرض دوبيجي، بعد بضعة أشهر لاحقا، أمام اللجنة المركزية، مطالب الفروع المغربية للعصبة، كان فيليسيان شالاي وحده الذي اتدهش لكن الأمر لا يتعلق بمشاركة الأهالي في الأجهزة التي كان يطالب بإنشائها. نفسه، ص ص 590 — 591.
- 117 نعرف عداء ليوطي للاستعمار الزراعي الصغير: «لا ينبغي التردد في أن ترى بوضوح أن المغرب ليس ولن يكون أبدا مستعمرة للتعمير الزراعي الصغير» كتب المقيم العام إلى وزير الشؤون الخارجية، وأضاف بأن المعارضة لديهم «وسواس مما حدث في الجزائر في نهاية احتلالنا، أي تجريد الأهالي من أراضيهم» رسالة رقم 66 في 14 يناير 1921 (أرشيفات شخصية).
- 118 انظر لوماروكان، 5 شتنبر 1923، لأبريس ماروكان، 6 شتنبر 1923.
- 119 «ليس نمة معمرين في المغرب؛ إنه واقع أكيد في أنه لا يريد أحد، في هذه الأرض الشاسعة»، صاح آبو، نائب قسطنطينية، أمام المجلس، لافريك فرايسيز، أبريل 1923، ص 201، أنظر أيضا نفسه، يونيو 1923، ص ص 295 — 296 (روكس فرايستينغ).
- 120 لوكري ماروكان، 28 شتنبر 1924. لقد أعيد نشر المقال من طرف لومانيي (10 أكتوبر 1924) التي انبرت بهذه القضية، ودون أن «تحصى» معارضة المقيم للتوافد الكبير للمعمرين الجدد.
- 121 لانيرون ماروكا، 14 مارس و25 أبريل 1926.
- 122 مشار إليه سابقا، ص 35.

لقد قوت الترددات التي أبداها المقيم العام في قتال عبد الكريم من عداء أولئك الذين يعتبرون أن تثبيت حقوق المستعمرات الفرنسية لا ينفصل عن تنحية الزعيم الريفي. وكان أغلبية عصيوني الحماية يشاطرون طريقة النظر هذه. هكذا كتب رئيسهم، دو بيهتي، وهو من أعيان الرباط، إلى اللجنة المركزية بأن القيادة الفرنسية عاجزة على مُجابهة انتفاضة القبائل، وطلب «بأن تكون للجنرال نولان سلطات واسعة جدا. والشرط الأساسي للتفوق هو أن يكون نولان سيد الوضع بإطلاق، أي فوق المارشال ليوطي» (123). بعد أيام من ذلك، شكّر فرع الدار البيضاء «الحكومة على تفهمها لخطورة قضية الريف وتعيينها لبيتان ونولان. وطلب إرسال لجنة تحقيق في الأخطاء والأغلاط المرتكبة» (124). إن أولئك الذين شكّدوا، على غرار كاريت — بوفي أو دوني، على ضرورة تنفيذ سياسة تقديم اقتصادي واجتماعي لصالح الجماهير المغربية، مع تطوير الحماية في نفس الوقت، أخذوا ليوطي على كونه لم يعرف إبرام تسوية سلمية مع عبد الكريم. وفي فرنسا، كان الاشتراكيون والراديكاليون على الخصوص متأثرين بإجماع الانتقادات ضد المقيم العام. فهو تنقصه الصفات الضرورية إما لقتال الريفيين، حسب البعض، أو لاقامة السلم معهم، حسب البعض الآخر. لكنه لم يعرف، أكثر من هذا، — والآراء لم تعد مختلفة هنا — اجتذاب «المُعمرين الشيطانيين» وتسهيل التوسّع الفرنسي في المغرب، (125). ولا ينفصل النجاح «الديمقراطي» الذي مثله ذهابه عن اندفاع الاستعمار وتقوية امتيازاته التي ستؤكد مع تحليفه (126). ولن تمر هذه الوضعية دون أن تؤثر في موقف قطاع عريض من اليسار تجاه المغرب، إذ سيقوي توسيع الحضور الفرنسي في الحماية تياراً استعمارياً لدى عدد من المناضلين ويقودهم إلى اتخاذ موقف أكثر عداء إزاء المطالب الوطني.



لِقَطْع دَابِر الانتفاضة الريفية، بدأ التنسيق العسكري الوثيق بين فرنسا وإسبانيا لا مندوحة عنه. بالنسبة لحكومة بانلوفي، يُعتبر الأمر بديهياً. إذ سرعان ما سلم بحجج القواد

- 123 دفاتر حقوق الانسان، 1925، ص ص 363 — 367.
- 124 اجتماع 26 يوليوز 1925، نفس، ص 525.
- 125 فحسب صحيفة الد.س.ح.ت، فإن بيا ذهاب ليوطي «استقل بازياج حقيقي من طرف الأغلبية العظمى للمعمرين المجهدين للمغرب، وخاصة من بين أولئك الذين لا يصنفون في فئة المستفيدين الكبار» ليهيل، 30 شتنبر 1925.
- 126 إن الاستعمار «الرسمي» سيتسارع : فتوزيع الأراضي من طرف مصالح الحماية لـ 24000 هكتارا في المتوسط بين 1926 و 1930 مقابل 15000 بين 1918 و 1925. وعدد الضيعات الفرنسية «الرسمية» التي تم إنشاؤها على هذا

العسكريين (127). ويَبْتَ مألقي لِيَحْضُرْ لِأُسْ مفاوضية عامة مع ديوان مدريد. وبدل اختيار هذا المفاوضي، المُشْتَج عليه في البين، على الاحتياطات التي عزم كل من بانلوفي وبريان على اتخاذها. فأمام البرلمان، لا يمكنهما الكشف عن نواياهما في التوصل إلى اتفاق عسكري مع حكومة برعو دي ريفيرا، دون المجازفة بإزعاج خطير يُقسِم من الكارتيل لا يُقَدَّر إطلاقاً النزعات الفاشية للهيئة الحاكمة في إسبانيا. لذلك فضلاً اللحاق على الموضوعين الآخرين للحوار الدائر: رَدُّ عِجْجِ الأسلحة إلى المغرب (128)، وضع «نظام نهائي وقار مع الريفيين»، مُهَيِّء للبحث عن سِلْمٍ فعلي (129). وفي الواقع، كان التحضير لعمل مُنَسَّقٍ عسكري بين القوات الفرنسية والإسبانية ضدَّ عبد الكريم سِرّاً شائعاً (130). فقد كان الراديكاليون يَتَمَتَّونَهُ (131)، وعندما تَمَّ التوقيع على الاتفاقات الأولى (132)، وحدهم الاشتراكيون احتجوا على الخيانة (133). لقد وضع للبيان، منذ ذلك الوقت فصاعداً، أن حكومة بانلوفي — بريان لن تدخر أية إمكانية لانحياز الحرب بِجَمْعِهَا لكل الوسائل المتوفرة. هل معنى هذا. أن الحكومة المدعومة من طرف الراديكاليين والجمهوريين — الاشتراكيين، لم تعد منذ صيف 1925 تتبين السِّلْمَ إلّا كخُتَامٍ لانتصار الأسلحة ؟ بالنسبة للشيوعيين الذين كانوا يطالبون بوقف العمليات الحربية وانسحاب القوات العسكرية، وبالنسبة للاشتراكيين الذين كانوا يَتَمَتَّونَ لو يَمُ الشروع في محادثات مع عبد الكريم، ينبغي للسِّلْم أن يكون في أعقاب تفاوض لا يجب تأجيله.

النحو، والتي كانت 690 في 1925 (أي 86 في السنة تحت ولاية لويطي) انتقلت إلى 1522 في 1930 (أي 166 في السنة بعد ذلك). معارضة ذلك، تطور الاستعمار الخاص بمحيط سيحوي في المجموع في نهاية 1929، 3178 مشروعا استعلايا أوروبا (مقابل 1794 في 1925).

- 127 SHA VM RIF 17 (مذكرة 11 يونيو 1925 لرئيس المجلس، وزير الحرية).
- 128 مناقشات المجلس، 28 مايو، المجريدة الرسمية، ص 2494.
- 129 نفسه، 29 مايو، المجريدة الرسمية، ص 2517 (بريان).
- 130 انظر لافريك فرانكس، يونيو 1925، ص 313، يوليو 1925، ص 348.
- 131 انظر لوراديهكال، 4 — 5 يوليو 10 شت 1925، لورلوفيل، 16 يوليو 25 و 25 غشت 1925، لوم لير، 27 يوليو 1925.
- 132 لقد تم التوقيع على اتفاق مسبق في 4 يونيو 1925. وأعطته ثلاثة اتفاقات في 8، 11 و 25 يوليو 1925 حددت مبادئ تعاون عسكري بين البلدين، ثم تم التوقيع على اتفاق حديد في 6 فبراير 1926 نص بتفصيل على العمليات المنسقة بين القوات الأسبانية والفرنسية. SHA VM RIF 18.
- 133 لقد نشرت لورلوفيل مقرا يتبين منه أن «الحزب الاشتراكي آسف (...) لظهور مخطط تعاون عسكري مع إسبانيا، أمام الرأي العام في الوقت الراهن قبل أن تعرف حتى اقتراحات الصلح، وخلافا للالتزامات التي أخذتها الحكومة على عاتقها أمام البرلمان...»، 31 غشت 1925. أما احتجاج روتوديل مكان أكثر ليونة : «فقط لأن شروط الصلح لا تنشر، في نظري، مما يمكن من السرعة، أفنينا إلى تعاون عسكري كامل عندما، إحصاء، لا يكن يتعلق الأمر بهذا الشكل أمام البرلمان» مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925.

اليسار والسّلم

مبدأ التفاوض مع عبد الكريم

عندما بدأت مناقشات البرلمان حول المغرب، في أواخر مايو 1925، لم تكن وزارة بانلوفي موجودة سوى ببضعة أسابيع. وكان غير واردٍ بالنسبة لبانلوفي التفاوض مع عبد الكريم الذي كان يعتبره، كما رأينا، مُتَمَرِّداً يُشكِّلُ مشروعه تهديداً للحضور الفرنسي في إفريقيا الشمالية. في هذا الاتجاه، كان مُتَّفِقاً مع يمين البرلمان، ومجموعات الوسط واليسار المُعتدل. لقد كان هؤلاء وأولئك متأثرين بضغط الفريق الاستعماري الذي كان المُعَبِّرُان عنه في المجلس وقتذاك هما ليون باريتي (134)، وروكس — فرايسينغ (135). وعَبَّرَ كيومون، رئيس الوفد البرلماني الذي بُعث إلى المغرب، من جهته، عن التحفظات التي يمكن أن يعثها لدى أصدقائه الراديكاليين فتح مُفاوضات مع عبد الكريم، وهو ما عبر عنه بقوله: «نعم، نتفاوض، ولكن بعد أن نكون قد قمنا بما ينبغي القيام به، بِعَمَلٍ ليس من اختصاصنا، نحن البرلمانيين، أن نُحدِّدَ لآفته ولا مداه لأننا لا نعرف الصعوبات التقنية التي يخضع لها» (136). إن الحكومة لا تنوي، الادلاء بتصريحات فظة النوايا من شأنها أن تعجل بتفكك الكارتيل، الذي بدأه قَبْلاً مشاريعها المالية. ومن جهة أخرى، عليها التأكّد من الإرادة السياسية للحكومة الأسبانية في الصمود للدفاعة الرّيفية، وأن تُدخِلَ في حسابها التعاون الممكن لإقامته بين باريس ومدريد والثمن الذي يمكن للهيئة الحاكمة أن تؤدّيه للحصول عليه. من وجهة النظر هذه، لا تُفصل التصريحات الحكومية، وكذا التصريحات المنسوبة إلى عبد الكريم، عن اللغة المزدوجة الدبلوماسية والعسكرية، التي ثُلُغَتْ في المغرب.

في فترة أولى، كان يتمّ تقديم الحجّة السياسية — القانونية لتُنحية إمكانية مفاوضات مع عبد الكريم، ولأنّ هذا الأخير لا يمتلك صفة مُحارِبٍ، فهو أيضاً لا يمكنه ادّعاء التفاوض. ولا يمكن لفرنسا من جهة أخرى أن تتصرّف بمفردها، فمصالحها مُتكَافِلةٌ مَعَ المصالح الأسبانية. إن على باريس ومدريد أن تتفاهبا، خاصةً حول الحدود بَيْنَ مَنطَقَتَي الحماية، قبل أن توضحا

134 كمصو بارر في اليسار الديمقراطي، ورئيس «للمجموعة البرلمانية للمغرب»، يرى ليون باريتي أن التفاوض مع عبد الكريم سيكون مظهر ضعف يؤدي إلى تعمير القاتل الواقعة من فرنسا عن هذه الأخيرة وتقوية الزعيم الريفي. انظر مناقشات المجلس، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2474 — 2479.

135 كاتب لوهراد، وعضو في اليسار الراديكالي، لاورتف روكس — فرايسينغ الصلح إلا عقب استسلام عبد الكريم : على الزعيم الريفي أن يطلب الأمان ويضع لشروط الحكومة الفرنسية. نفسه، 9 يوليو 1925، الجريدة الرسمية، ص 3301 — 3302.

136 نفسه، الجريدة الرسمية، ص 3305.

شروط السلم في الربف. لكن ديوان بانلوفي كان لا يزال حريصاً على مراعاة اليسار الاشتراكي الذي كانت أحواله ضرورية لتنصيبه. من هنا مجهودات برهان لكي يُقَسَّر في المجلس بأله من الممكن إجراء محادثات مع عبد الكريم دون فتح مفاوضات معه (117). ومع ذلك كان من الواضح بأن الحكومة لا تنوي الذهاب بعيداً في هذا الطريق.

ستعمل مسألة نشر شروط السلم وتصريحات عبد الكريم، خلال الصيف، على إحياء النقاش. لقد وُضِعَ بانلوفي بأن الحكومة مُستَعْلَةٌ لأن تغير القبائل الرهبة بالخطوط العريضة لنوايا فرنسا، حتى قبل أن تكون اتفاقات مُلَبَّد قد ضُبِطَتْ. لكن إرسال شروط السلم مباشرة إلى عبد الكريم أمر غير وارد. فهذا الأخير سيرفضها، دون أن يكون أي مَسْنَى — «من شأنه أن يبدو كطلب للسلم» — قد تمَّ القيام به إزاءه (138). لقد حصل رئيس البرلمان قبل بضعة أيام من ذلك، في لجنة الشؤون الخارجية، على انضمام رونديل إلى نهجه (139)، وهذا ما لم يمنع هذا الأخير، أن يطلب في جلسة عمومية، «تقديم» هذه الشروط إلى الزعيم الرئيسي (140). وستتخذ الأجهزة القيادية للحزب الاشتراكي موقفاً أكثر وضوحاً : فهي لا تفصل نشر شروط السلم عن تبليغها إلى عبد الكريم. هكذا كان فهم ممثلي التنظيمات الاشتراكية الفرنسية والاسبانية والانجليزية المجتمع بباريس في 08 يوليوز (141)، والمؤتمر الوطني الاستثنائي لأيام 15 — 18 غشت (142)، ومؤتمر الأهمية الثانية، الذي انعقد بعد بضعة أيام من ذلك في مرسيليا (143). ومن جهتهم، ثابر الشيوعيون، الذين كانوا يطالبون بسلم فوري، على إظهار أن عبد الكريم مستعد كل الاستعداد لذلك. ودعوا الحكومة إلى تشكيل لجنة تضم خصوصاً ممثلي المركزيين النفايين، س.ج.ت، و س.ج.ت الوحشية وتنظيمات الفلاحين، وذلك استعداداً للمفاوضات (144). لقد أعطت لومانيتي صدى واسعاً لتصريحات «رئيس جمهورية

137 انظر نفسه، 29 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2517.

138 نفسه، 9 يوليوز 1925، الجريدة الرسمية، ص 3313.

139 مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، 17 يونيو 1925.

140 «لن من أولئك الذين يعترضون أن على عبد الكريم أن يأتي إلينا بالحبل في عنقه ؟ كلا، ستحدث مفاوضات»

مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2779.

141 انظر لوبيلور، فاتح غشت 1925.

142 طبقاً للمقرر الذي تم تبنيه في 28 يوليوز، فإن المؤتمر «أسف : لكن الحكومة الفرنسية تراجعت عن النشر الفوري لشروط السلم المقررة مع الحكومة الاسبانية؛ لكننا لم نر ضرورة أن تبلغ مباشرة أو ربما شروطها للسلم إلى عبد الكريم، مقدمة هذا للزعيم الرئيسي تعالت لكي لا يعطى جوابه عن الاقتراحات مقدمة على هذا النحو» نفسه، 31 غشت 1925.

143 تستعيد المذكورة التي تبناها الأهمية الثالثة بالضبط نص مقرر 28 يوليوز السابق. نفسه.

144 جدول أعمال مقترح على المجلس، باسم الحزب الشيوعي، من طرف كاشان، مناقشات المجلس، 29 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2513.

الرّيف»: فأعادت تُشرّ المقابلات الصحفية التي تحصّ بها الصحفيين الأجانب (145)، وعُرِفَتْ بـ «شروطه للسّلم» المُبلّغة عَبرَ وَسْطَاء (146)؛ ونُشِرت، أخيراً، الرّسالة التي وَجَّهها للبولان الفرنسي (147). لكن لم تكن الجريدة الشيوعية وحدها التي أرادت تعريف الرّأي العام بنوايا عبد الكريم. فقد نشرت جريدة الكوتيديان، المُشتَبهة قليلاً وأولاً بالتعاطف مع القضية الريفية، في 23 يوليو وثيقة مُعَنّونة بـ «خطاطة شروط السّلم الموضوعة من طرف عبد الكريم»، التي وَضَحَتْ في اليوم التّالي بأنّها بُلِّغَتْ بها من طرف ضباط برطانيين. وفي الواقع، تعلق الأمر بالقبطان كوردن كانينغ، مُنْشِط الرّيف كوميني الذي لم يتوقّف عن إثارة الضّجيج حوله. لقد كان لهذا التّشر، في جريدة تنتمي دائماً للأغلبية الحكومية، وَقَعُ القنبلة. لا سيما وأن كاتب افتتاحيتها، ب. برتراند، ألحّ على أن هذه الوثيقة تشكل أساساً لنقاش مقبول (148). فثارت ثائرة اليمين، وتصاعد الاحتجاج من الجرائد الراديكالية: فالأسلوب المُستعمل يُشكّل «نوعاً من التّحدّي للقاعدة الطبيعية للمحادثات الدبلوماسية» (149).

ومن جهتها، رفضت الحكومة، التي أُنْهَتْ ضبط شروط السّلم مع الحكومة الاسبانية، نُشْرَ هذه الشّروط، رغم الاحاح الشّدِيد للحزب الاشتراكي وعصبة حقوق الانسان (150). لقد اكتفّت بالانحياز بأن المندوبين الفرنسيين والاسبان ينتظرون في مليلية وطنجة مجيء مبعوثي عبد الكريم لمعرفة (151) وأكدت مذكرات شبه رسمية أن هذا الأخير يرفض الشّروع في مفاوضة إن لم يتمّ الاعتراف، مسبقاً، باستقلال الرّيف (152). وفي 20 غشت، بُلِّغَ تيّاً مفاده أن الحكومتين، بعد أن اعتبرا أنّ مندوبيهما صَبَرُوا ما فيه الكفاية، أَمَرتا هؤلاء بالعودة الى وظائفهم المعتادة. لقد علقت لافريك فرانسيز قائلة بأن عبد الكريم قد تَهَرَّبَ من «نداء صريح ومباشر (...) ووحدها القوة يمكنها من الآن فصاعداً حلّ المُشْكِال الرّيفي» (153).

145 لوماني، 23 يونيو (استجواب عبد الكريم في شيكاغو ليمون)، نفسه، 25 يونيو (مختص الاستجواب «المزعوم» لعبد الكريم في بوهولو ديطاليا، نفسه، 28 يوليو 1925).

146 نفسه، 28 يوليو («للمرة الثانية، يعلن عبد الكريم أنه مستعد للسّلم»)، نفسه، 31 يوليو («للمرة الثالثة، عبد الكريم يقترح السّلم»)، نفسه، 23 شتبر 1925 («للمرة الثالثة (كذا) ما هو اقتراح للسّلم باسم الشعب الريفي»).

147 نفسه، 21 غشت 1925.

148 لوكوتيديان، 24 يوليو 1925.

149 لوراديكال، 15 — 26 يوليو 1925، انظر أيضاً لوفر، 24 يوليو، ولوراديكال، 25 يوليو 1925.

150 انظر رسالة 17 يوليو 1925 الموجهة من طرف مكتب العصبة الى رئيس المجلة، دفاتر حقوق الانسان، 25 يوليو 1925، ص 354. في 11 غشت، كرر مكتب العصبة طلبه. نفسه، 25 غشت 1925، ص 381.

151 لافريك فرانسيز، غشت 1925، ص 405 وما يليها.

152 نفسه، شتبر 1925، ص 456 — 457.

153 نفسه. لقد كان ليون غابرييل، المراقب المدني في تاوريرت، بمنطقة وجدة، «الوسيط شبه الرسمي» المعين من طرف الحكومة الفرنسية، بحكم معرفته الحيدة بالبلاد الريفية وشكّك الاتصالات التي تمكّن من إقامتها مع الزّكّان العامة لعبد

وكانت وجهة النظر هذه متبادلة بشكل واسع في الأوساط الراديكالية : «إن التفاوض مع عبد الكريم خطأ. (...) فلم يكن ممكناً قطع دابر عبد القادر إلا بأسره» (154). «لا ينبغي أن تُشجع النذل (...) ولا يكفي صدّه (عبد الكريم) داخل حدوده. فهو لن يفهم أنيحييتنا. (...) ينبغي ربط كل حيوان مُزعج.» (155).

يلزم انتظار 3 أكتوبر لكي يُعلن بانلوفي أخيراً في خطابه بنيم عن شروط السلم المقررة من طرف الحكومتين الفرنسية والاسبانية، ويؤكد على أنها «رُفضت» من طرف عبد الكريم (156). وفي 21 أكتوبر كرر توضيحاته أمام لجنة المالية، لكن الاشتراكيين ظلوا مُرتابين. لقد «تأسف» رونديل، الذي شكّد موقفه، لأنه شاع من قبل ب «أنها ستُنقل الى علم عبد الكريم بطريقة لا تدع أي مجال للشك» (157). ثم اقترح، مع فانسون أوربول، بأن تُرسل الى عصبة الأمم، حتى يقوم هذا الجهاز بتبليغها الى عبد الكريم «في حالة ما إذا امتنعت الحكومة الفرنسية عن تبليغها اليه بنفسها» (158). وبالرغم من أنه لمَح الى أن الموقف الاشتراكي حول اعتمادات الحرب سيتوقف على الأجوبة المُعطاة لهذه الأسئلة، فإن الزعيم الاشتراكي اصطلم بتصميم بانلوفي. لقد اكتفى بالرد بأنه مُعادي لفكرة توجيه «دعوة جديدة لاخلال السلم» لعبد الكريم، لأن ذلك سيد اليه «كلّ اعتباره»، مادام أن الزعيم الرئيسي لم يُعد سوى «رجل في حالة فرار». أما عرض الأمر على عصبة الأمم، فلا يرى أن ذلك ممكن،

الكريم ومع الزعيم الرئيسي نفسه تحت مراقبة ليوطي. وبعد ثمانية وعشرين سنة على الأحداث، أكد عابريتي أن التوجيهات الحكومية «لم تد (له) متوفرة على أي أمل في النجاح»، ليس فقط بسبب تصميم عبد الكريم على الحصول على الاعتراف الكامل بولته، ولكن سبب تدخل اسبانيا. «كان ذلك معناه فقدان كل أمل في الوصول الى تسوية خاصة مع الريف، مثلما كان يحلو لي الأمل» ل. عابريتي، عهد الكريم وأحداث الريف، الدار البيضاء، ص 132.

- 154 لوراديكال، 17 غشت 1925.
- 155 نفسه، 22 — 23 غشت 1925. انظر أيضا ليونيل، 23 غشت 1925 ولوم ليبر، 4 شتنبر 1925.
- 156 يوحد الجزء المتعلق بالمغرب من خطاب نيم، خاصة في لافريك فرانسيز، أكتوبر 1925، ص 529 — 530 وفي دفاتر حقوق الانسان، 5 أكتوبر 1925، ص 469 — 471.
- 157 لقد ردّد هذه الصارة مرتين في سياق تدخله. مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925.
- 158 نفسه. يعتبر اللجوء الى عصبة الأمم لتسهيل حل سلمي يراعي مصالح الأطراف المتنازعة في حرب الريف فكرة «اشتراكية» حصراً. لقد تم تقديمها بالخصوص من طرف مؤتمر 28 يوليو ومؤتمر الأُممية الثانية لغشت 1925. إن الشيوعيين الذين كانوا يرون في المؤسسة الدولية قبل كل شيء أداة في خدمة الامبريالية («جمعية الأمم الكبيرة لسحق الصغرى») آخذوا مع ذلك، بصوت دوريو، الاشتراكيين على عدم لجوئهم اليها في نزاع الريف. انظر مناقشات المجلس، 27 مايو 1925، المجلة الرسمية، ص 2461. بعد ثلاثة أشهر من ذلك، أعلن نائب سان — دوني أمام اللجنة المركزية : «ماذا فعل الاشتراكيون خلال كل مناورات السلم هذه ؟ لقد قالوا : «ينبغي وضع (كلها) الريف تحت مراقبة عصبة الأمم (. .) وهذا الاقتراح ليس له سوى هدف واحد، ألا وهو تقوية الامبريالية الفرنسية، والانجليزية والاسبانية» أرسيفات معهد موريس طوبز، سلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 مشفت 1925.

واعتبر أن «ذلك سيخلق سابقة خطيرة جدا» (159). كان المؤتمر الرّاديكالي الاشتراكي قد اختتم أشغاله قبل ذلك بثلاثة أيام، وتغيّر إجماع المُشاركين، الذي أفسدته المشاريع المالية لكايو، إلى تأييد السياسة المغربية لبانلوفي، الذي دُعي إلى حفل الاحتتام، مع التذكير بضرورة «وقف القتال في المغرب بلّسرع ما يمكن» (160). لقد كانوا يعلمون، منذ 6 أكتوبر، بأنّ واجداً منهم، هو ستيك، سيخلف ليوطي.

لقد دافعت حكومة جديدة، في نهاية السنة، عن هذه السياسة المغربية أمام البرلمان، لكن مع بقاء نفس الأشخاص في مراكز القيادة : فقد احتفظ بريان، الذي صار رئيساً لمجلس الحكومة، بالشؤون الخارجية، وظل بانلوفي في الحرية. لقد كانا يعلمان بأنّ أصدقاؤهما الرّاديكاليين بدأوا يقلقون لتهديد العمليات — فأمام العسكريين، لايعود ستيك سيّد اللعبة — وللعيب المالي الذي تستتبعه (161). لذلك سعيا إلى طمأنة البرلمان. إنّ الوضع تحسّن بشكل واضح : هكذا يتحدث بانلوفي عن «حماس» القبائل التي تنضمّ إلى فرنسا (162)، ويؤكد بريان بأنّ الحسائر في الرّجال، «قد تقلّصت»، منذ شهر على الخصوص، «إلى الحد الأدنى. فلم تعد هناك معارك» (163). وبناءً عليه، يعتبر أن مسألة التفاوض ينبغي أن تُستأنف على أسس جديدة : «لسنا مُزعمين، قبل كل شيء، على اعتبار أنّ عبد الكريم هو بالضرورة من ينبغي التفاوض معه. هل هو مؤهّل حالياً من طرف جميع القبائل ؟» (164). غير أن كاشي ورونوديل لايفهمان المسألة على هذا النحو. «أنتم في حُزب مع عبد الكريم، وعليه، ينبغي أن تتفاوضوا معه إذا كنتم تريدون إخلال السّلم». وقد طلبا أن يستقبل الوزير كانيغ حامل عروض السّلم. إلّا أنّ بريان رفض هذه الامكانية وحتم قائلاً : سنتفاوض مع الرّيفيين، مع جبالة. وإذا انتخبوا عبد الكريم كممثل فلن يسعنا سوى القبول» (165). فصنّف أغلب الرّاديكاليين (166). لكن عصبية حقوق الانسان استأنفت النقاش. لقد أيد كل من سكرتيرها

159 مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925.

160 AN F7 13191 (المؤتمر الثاني والعشرون للحزب الراديكالي — الاشتراكي، نيس، 15 — 18 أكتوبر 1925).

161 متحدثاً باسم الحزب الراديكالي، صرح مالفي، الذي هو أيضاً رئيس لجنة المالية : «لقد ألقينا في المغرب أكثر من مليار في تسعة أشهر، ولنا في المغرب أكثر من مائة ألف رجل، حوالي أربعين جبرالا، وكان عامة عديدة. ولدينا فيه عتاد حربي مهم كان علينا أن نأخذه من الاحتياطات الموجودة في فرنسا (...) إن هذه، على أية حال، نفقات مفرطة بعض الشيء في الوضعية المالية التي نوجد فيها» مناقشات المجلس، 30 دجنبر 1925، الجريدة الرسمية، ص 4858. نفسه، ص 4859.

162 نفسه، ص 4843 — 4855.

163 نفسه، ص 4855 (رونوديل).

164 نفسه، 4868.

165 انظر لوفر، 23 دجنبر 1925 ولوراديكال، 2 — 3 يناير 1926.

العام، كيرنو، وبوكلي، رفض الحكومة استقبال كوريدن كانينغ. بينما عارض فكتور باش، مدعوماً باعتدال من طرف إميل كان، وجهة نظرهما (167). وقد تم الاتفاق على عبارات رسالية مُوجَّهة لرئيس البرلمان تأسف للأقوال التي تفوه بها كل من بانلوفي والرئيس أمام المجلس، ونقرأ فيها: «إنَّ ما يقلقنا أكثر هو أن نسمع وزير الحرية يضيف خلال نفس هذه الجلسة، شرطين جديدين لشروط السِّلْم المُقرَّرة في يوليو: عدم التفاوض سوى مع رجال يهودون حقاً السِّلْم ومؤهلين للحصول عليه. وأن نسمعكم أنتم، سيدي الرئيس، تصرِّحون بأنَّ الحكومة لم تعد تعترف لعبد الكريم بصيغة التفاوض حول السِّلْم، لأنه لم يعد زعيم حرب، وأنَّه لَقَدْ غاصبته، ولأننا نَقْدُفنا. فأقول من هذا القبيل تسمح بالتفكير في أنَّ شروط يوليو التي عُرضت على عبد الكريم حينما كان مُتَّصراً لم تعد صالحة له، في رأيكم، منذ صار مُنْهَزمًا» (168). ولم يكتف كيرنو نفسه، في لوكوتيديان، بملاحظة أنَّ الحكومة غيّرت موقفها. بل استشعر بأنَّ ما هو واريْد ليس مجرد تغيير مُخاطب، بل مبدأ التفاوض الحقيقي نفسه لتفاوض حقيقي (169).

استقلال، استقلال ذاتي أم محضوع الزيف ؟

صوت مجلس النواب في 23 يونيو 1925، بأربعمئة وأربعة وتسعين صوتاً ضدَّ واحد وثلاثين (الأصوات الشيوعية وصوتان اشتراكيان) وحولاً أربعين امتناعاً راديكالياً — اشتراكياً واشتراكياً، على جُلُول الأعمال المُقدَّم من طرف الأغلبية. لقد سجَّل هذا الأخير تصميم الحكومة على «الدفع بالمفاوضات مع إسبانيا نحو حَلِّ يلام بين احترام المعاهدات الدولية والتطوُّر الحرَّ للسكان الرِّيفيين ويؤمن أيضاً جوازهم السلمي مع المنطقة الفرنسية (للحماية)» (170). لا ينبغي لهذه الأغلبية السَّاحقة أن تؤمِّنا. فقد تمَّ التصرُّ المُعتمد والتقاش الذي تلاه عن نوع من الالتباس. وتبعاً لللاحاح على احترام المعاهدات الدولية أو على التطوُّر الحرَّ للسكان الرِّيفيين، كان يتمُّ التَّأرجح بين سياستين. لقد كانت الأولى تستهدف الحصول على

167 جلسة اللجنة المركزية للعصبة في 4 يناير 1926، برئاسة فكتور باش، دلائل حقوق الإنسان، 10 فبراير 1926، ص 60 — 61.

168 نفسه، 25 يناير 1926، ص 41.

169 «الراحة كانت الحكومة تريد أن تتفاوض مع عبد الكريم. واليوم لم تعد تريد ذلك» لوكوتيديان، 20 يناير 1926. أنظر أيضاً نفسه، 30 يناير 1926.

170 مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، المجلدة الرسمية، ص 2781.

خضوع القبائل المتمردة للسلطات وللحكومتين الفرنسية والاسبانية، في إطار المنطقتين المكلفتين بإدارتهما. أما الثانية فتستتبع ألا تحول المهمة التي تتحملها فرنسا — واستطراداً إسبانيا — طبقاً لمعاهدة الحماية، دون منح الريفيين نظاماً خاصاً يؤمن لهم نوعاً من الاستقلال (171). وفي كلتا الحالتين، كان الأمر يتعلق بالريف، وبالريف وحده؛ إذ أن الحلول المُرْتَقِية لا تعوق الحفاظ على الحضور الفرنسي في المغرب.

لقد زوبعت الأطروحة الشيوعية هذا الغرض. فقد طالب الحزب الشيوعي، دون ريب، باستقلال الريف، ولكنه عندما ربط السلم بالجلاء العسكري عن المغرب طرح مشكل شرعية الاحتلال الاستعماري. يمكننا أن نميز في محاجته ثلاثة مستويات للتحليل. أولاً هناك الممارك ضد الريفيين : ينبغي وضع حد لها بالاعتراف باستقلالهم، أي برفض «تسليم الريف» لاسبانيا وللسلطان. وفي مقام ثانٍ، وضعت مسؤوليات النزاع في الاعتبار لتلافي تكرره وتسجيل مقاومة المغاربة للاحتلال الفرنسي : فالسلم الحقيقي، والتهاني، مُرتبطين بالجلاء العسكري عن المغرب، أي في الواقع مغادرة الحماية. يعتبر هذا الحل، الذي تفرضه، في نظر الشيوعيين، الأحداث، مطابقاً في الأخير لموقف الأُممية الثالثة لصالح تحرر الشعوب المُستعمرة، ولكن تعميمه لا يُمكن أن يُرتقب، كما ذكر دوريو، إلا بعد وصول الشيوعيين الى الحكم، أي بعد ثورة البروليتاريا. فأطروحة الجلاء هي التي كانت في قلب المُحاجة الشيوعية؛ وقد سمح التباسها الرئيسي، المقصود من طرف الحزب، بالربط بين موقف براغماتي وسيلميوي — أي شيء يمكن أن يكون طبيعياً أكثر من المطالبة بانسحاب القوات في وجهة النظر هذه ؟ — وموقف مذهبي وثوري يستهدف استقلال جميع المستعمرات. ويفصح الحيز المُخصَّص للاستشهادات من جوريس في عروض الحزب الشيوعي عن هذا الالتباس (172). لقد تم الاستناد الى جوريس، لأن الشيوعيين ظلوا متأثرين بمكانته لدى الجماهير، ولأنه بدا لهم أن من الانصاف، رغم تحفظات المُتمسكين بالمذهب، وسُم مكان الخطيب الكبير في التقليد الفرنسي المُعادي للاستعمار. ولكن أيضاً، ولكن أساساً، لأن الحزب الشيوعي بتدكيه بموقف جوريس إبان غزو المغرب، وبوضعه لأطروحة الجلاء تحت رعايته، استهدف إرباك الاشتراكيين. غير أن هؤلاء احتجوا : لقد ميز جوريس بين الغزو الذي رفضه دائماً والأمر

171 يوضح كاشان : «على الحكومة أن تحمل لنا هذا المساء التأكيد بأن هناك استعداد للاعتراف باستقلال الريف (مقاطعات في الوسط) أو أن الكلمات لم يعد لها معنى» نفسه.
172 تعتبر الاستنادات الى جوريس في المجلس تقليدية — أنظر مناقشات، 28 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2496 (بيرون)، 29 مايو، الجريدة الرسمية، ص 2513 (كاشان) —، ولي الاجتماعات العمومية أو في مقالات صحافة الحرب. ومما ذكرى موته، ولم يتردد كاشان في أن يكتب : «إن حملته ضد المغرب، كانت ستنتهي قله»، لومانجي، 2 عشت 1925.

الواقع الاستعماري الذي سَلَّم به وبدنا له أنه يتضمن منافع لا يُستهان بها لصالح السكان المُستَظَرِّ عليهم. إلَّا أنَّهم، بدافع السَّجَال الذي جَرَّفَهُمْ، ودون ريب أيضاً، بدافع الرغبة بالنسبة للبعض منهم، في تبيير تطوُّرهم الخاص، مَحَوَّ كِفَاحَ الزعيم الاشتراكي، الطويل، لصالح استقلال ووحدة المغرب (173). وأكَّدوا بأنَّ الجلاء الذي يقترحه الشيوعيون «يعني مغادرة وربما قتل الأهالي المُجمَّعين تحت حمايتنا والمُعمرين المُجتَدين من طرفنا إلى هذه المستعمرة» (بلوم) (174).

لا يمكن ارتقاب السَلْم، بالنسبة للاشتراكيين، إلَّا شريطة تقديم اقتراحات مقبولة لعبد الكريم (175). لقد وَصَفَ رونوديل الريفيين كـ «أناس من عِيَنَة خاصة، لهم طبيعهم الخاص، وهمُ خاص باستقلالهم» (176)؛ وطلب من الحكومة أَنْ تُؤمِّنَ لزعيمهم «الاستقلال السياسي الذي هو في حاجة إليه» (177). وتحدثت لوكوتيديان في نفس الاتجاه (178). أمَّا الراديكاليون فمُنقسمون: لقد كان أغليبيتهم، كما رأينا، أكثر انشغالاً بتقوية وسائل الحرب منهم بمِثْ شروط السَلْم. مع ذلك قَبِلَ البَعْضُ في بداية صيف 1925 بإمكانية

173 هكلا استفاد رونوديل وكومير — موريل من تعلق جوريس بميثاق الجزيرة الخضراء والمعاهدات الدولية لتبرير احترام معاهدة الحماية. نفسه، 29 مايو 1925، المجلد الرسمية، ص 2516 وص 2518. وحيا استشهد طومسون بخطاب لجوريس لصالح التوصل السلمي (نفسه، 30 دجنبر 1925، المجلد الرسمية، ص ص 4859 — 4853) لم يأخذ أي نائب اشتراكي الكلمة لكي يُلَكِّر بأنَّ الأمر يتعلق بص ل 1903 ولكي يحتج على هذا الاستعمال التعسفي لأقوال نائب طاز من طرف أحد زعماء الفريق الاستعماري. في المقابل، أكد بطويل مع ذلك بأنه «يمكن أن يكتشف في خطاب جوريس حول المسألة المغربية المدأ الأساسي لسياسة استعمارية اشتراكية هي بالأول سلبية» ليهيل، 24 يونيو 1925.

174 مناقشات المجلس، 9 يوليو 1925، المجلد الرسمية، ص 3315. إن إميل غان صريح: فالجلاء «من شأنه أن يعطي إشارة الانطلاق للنهب، والانتصاف والقتل. ليس فقط في المغرب، بل في مجموع شمال إفريقيا» 25 يونيو 1925، ص ص 291 — 299. أما كيرنو فكتب من حانه: «قتل الأوربيين، حمية، نهب، معارك قاتلة للأعوة بين القتال، نزاعات التفوذ بين الدول المتنافسة، هذا ما ستكون عليه العواقب الحتمية للشعار الشيوعي إذا ما تم اتباعه» لوكوتيديان 25 عشت 1925. بينما عشي فكتور باش، بلهجة أكثر رزانة، من ألا يكون التدخل عن المستعمرات «لغالبية الأهالي، ولكن لغالبية الأمم الأوربية، التي ربما لن ترق أساليبها الاستعمارية إلى مستوى أساليبنا». ليهيل، 7 يوليو 1925. ينبغي أن نلاحظ بأنَّ حمدة «القتل» تم حذفها أيضا في المقرر الذي صوت عليه المؤتمر الاشتراكي الذي «عين أنه ضد الجلاء عن المغرب الذي سيخلق تعقيدات دولية أكثر خطرا من الوضع الراهن» ليهيل، 31 عشت 1925.

175 «ينبغي أن تعرفوا ليس فقط ما يمكنكم منحه لعبد الكريم، بل ينبغي أن تتشغلوا أيضا بما يمكن أن يقبله» (رونوديل)، مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، المجلد الرسمية، ص 2779.

176 نفسه.

177 نفسه، 27 مايو 1925، المجلد الرسمية، ص 2450.

178 30 يونيو 1925.

استقلال الرّيف (1979). بينما ذكّرت عصابة حقوق الانسان بأنها أُنْخِرَتْ رئيس البرلمان، في دجنبر 1924، بأنّه «كان ممكناً وسيكون مُستَحْسَناً الاعتراف بسلطة عبد الكريم، في إطار الامبراطورية الشريفة» (180). لكنّ الخلافات لم تتأخّر في الظهور داخل لجنّتها المركزية. فلم يرتدّ كل من بوكلي وماريوس موني المعادين بشدة لعبد الكريم، تقديم أيّ تنازل للرّعيم الرّيفي، وعلى عكس فيليسيان شالاي، عبّرا عن ثقتهما في الحكومة لاجتاد تسوية سلمية (181). ومن جهته، أصرّ فكتور باش أنّ من بين المبادئ الأساسية للعصبة يوجد حقّ الشعوب في تقرير مصيرها: «إذا كنّا اليوم قد غيّرنا رأينا، ينبغي أن نقولها» (182). أمّا الفروع المغربية التي تمّ استفسارها، فبدت هي أيضا منقسمة حول سبيل السّلم (183)، لكنّ رئيس الفدرالية استبعد إنكّائية ريف مُستقلّ يكون من شأنه «إقامة بؤرة بالغة الخطورة بالنسبة للحضارة في إفريقيا الشمالية»، واعتبر أنّ معرّج للنزاع سوى ب «استسلام عبد الكريم، إمّا بفحص الزيتون أو بالسلاح» (184). ومع ذلك، أكّدت الحكومة الفرنسية، بلسان بريان، أنها لا ترى ضرراً في وجود «ريف حرّ بين أيدي الرّيفيين» (185). وقد تساءل أمام لجنة الشؤون الخارجية عن الطابع «المستقلّ قليلاً» الذي سيكون هذه المنطقة، وكذا عن الدور والصّفة اللذين سيخولان لعبد الكريم (186). أمّا بانلوفي فكان بعد ذلك بأيام أقل وضوحاً أمام المجلس، لكن بلم انتزع من كلام رئيس الحكومة أن «أساس السّلم المعروض من طرف فرنسا سيكون الاستقلال الفعلي السياسي والاقتصادي معاً للرّيف وللقبائل المُتجمعة حول عبد الكريم» (187). إلّا أن بانلوفي امتنع عن تأكيد أو نفي تأويل الرّعيم الاشتراكي. ولكن في 15 غشت، ذكّرت لوكوتيديان

- 179 اطر لوراديكال، 7 و 10 يوليوز 1925.
- 180 محضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 25 مايو 1925. دفاتر حقوق الانسان، 25 يونيو 1925، ص ص 307 — 308.
- 181 نفسه، 25 غشت 1925، ص ص 375 — 376 (محضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 6 يوليوز 1925).
- 182 نفسه
- 183 مذ دحبر 1924، صرح فرع طنجة: «إن الرّيف، ككل مستقل، لا ينبغي أن يتم عزوه بالسلاح؛ ينبغي أن ينظم بالرضى الحر لسكانه». وفي 8 شتنبر 1925، عمّا على استثناء العصبة، طلب بأن تحمى مفاوضات الصلح «على أساس الاعتراف بالاستقلال الإداري، والاقتصادي والسياسي وبوكل أمر مراقبة تلك المفاوضات الى دولة عظمى «معرض من جمعية الأمم» أما فرع تالونيرت، فكان مع صلح مشرف «حتى وإن كان لأرضي شوفينين في فرنسا الذين سيصبحون مرة أخرى بالخيانة» (يوليوز) في المقابل، أعلن فرعاً وحدة ومشروع بلقنيري بأنهما مع مواصلة العمليات العسكرية (15 و 21 يوليوز) لنفسه، 25 شتنبر 1925، ص ص 438 — 441
- 184 نفسه، 25 غشت 1925، ص ص 363 — 367 («في المغرب» بقلم أ. دويهي، رئيس الفدرالية المغربية: مقتطفات من رسالته الى اللجنة المركزية بتاريخ 19 يوليوز 1925).
- 185 مناقشات المجلس، 29 مايو 1925، المجلد الرابع، ص 2517.
- 186 لجنة الشؤون الخارجية، فاتح يوليوز 1925.
- 187 مناقشات المجلس، 9 يوليوز 1925، المجلد الرابع، ص 3315.

بلاغاً شبيبة رَسْمِيَّ ينص على أنه «سيفتح الاعتراف باستقلال الريف من جديد المسألة المغربية برمتها» (188). فعاد الاشتراكيون للأمر، وطالب مؤتمر الأُمِّية الثانية، المنعقد في مرسيليا، بأن «تكون المفاوضات مع عبد الكريم مرتكزة على استِقلال الريف، وأن يكون هذا الأخير مرفوقاً بتصحيح للحدود يسمح للريفيين بتنظيم اقتصادهم، والتمون بشكل طبيعي» (189).

خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة، دَارَ بخلد الطبقة السياسية أن أفكار الحكومة لم تُقرَّر بوضوح حول النظام الذي كان ممكناً تخصيصه للريف. لقد رفض الاشتراكيون أن يَرَوْا بأن بريان وبانلوفي منشغلان، قبل كل شيء، بتطوُّر المعارك وبمقدرة الاسبان على مساعدة الجهود العسكري الفرنسي. ومع ذلك، أمكنهم الاعتقاد بأنه إذا لم يتعلق الأمر باستقلال حقيقي، فإن باريس ومديد مُستَعْدَّان للاعتراف للقبائل الريفية باستقلال ذاتي واسع تحت سلطة عبد الكريم. لقد أظهر خطاب نيِّم الحدود التي تَوَزَّت الحكومتان الفرنسية والاسبانية تعيينها لهذا الاستقلال الذاتي. ففي مقام أول، من غير الوارد أن يتمكن الريفيون من الاعتراض على الاتفاقات الدولية المتعلقة بالحرية التجارية وعلى «المواد الجمركية»، وهذا يعني منعهم من التدخل لتقنين إنتاج السلع ودخولها ورواجها داخل ترابهم. وفي مقام ثانٍ، يمنع عليهم استيراد الأسلحة والدخوة، إذ أن فرنسا وإسبانيا هما اللتان تحَصِّنَا نفسيهما بمراقبة تنظيم الشرطة والأمن. وأخيراً، ينبغي لهم أن يقبلوا باحتلال الاسبان لقطاع من الساحل بمجرد توقف القتال. وعليه، فإن عبارة استقلال ذاتي لا تنطبق سوى على إدارة القبائل بمعناها الضيق، وبالإضافة إلى هذا ينبغي تسجيل غياب أية إشارة إلى عبد الكريم. فقد رفض هذا الأخير، حسب بانلوفي، هذه الاقتراحات (190)، التي أضاف رئيس المجلس بالتشديد على أنها مطابقة لـ «المعاهدات الدولية». لقد نَسِيَ بأن يَذْكُرَ، علَّقَ الاشتراكي المعتدل روجي سالونكرو، بأن تلك الاقتراحات كانت ستضع الريفيين في وضعية تبعية أكبر من الاستقلال الذاتي الواقعي الذي أفلحوا في استرداده ثم في الحفاظ عليه، سواء تجاه إسبانيا أو تجاه السُلطان (191). ولم

188 في 9 شتنر أظهر هيو أمام المجلس العام للرون أن استقلال الريف منافع لميناق الجزيرة الخضراء. عرض المفاوضات، ص ص 830 — 831.

189 لوبيلير، فاتح غشت 1925.

190 مجلس النواب، لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925 (تصريح بانلوفي).

191 لوبيلير، 24 أكتوبر 1925 في AN F7 13177 (الشمال). ينبغي تسجيل أنه في نفس العدد من دفاتر حقوق الإنسان الذي نشر قسماً من خطاب نيم المتعلق بالمغرب، شهر هنري سي، العضو الشرقي للجنة المركزية للعصبة، بـ «الاحتلالات الديبلوماسية» و«رجال المهنة» الذين يمنعون الحكومة من أن تجدد حلا سلمياً. ينبغي، نعم قالوا، «الاعتراف للريفيين باستقلال حقيقي هو الذي يتمسكون به لاسيما وأنه لم يسبق لهم أن خضعوا لأحد». الدفاتر، 5 أكتوبر 1925، ص ص 468 — 469.

يمنع هذا بالنولفي من أن يؤكد داخل لجنة برلمانية بأن فرنسا «ضربت للعالم مثالا في الجلم الكبير، وأبدت إنسانية وأرحية لا مثيل لهما» (192). لكن رونوديل لم يكن مقتنعا بذلك. فقد انتقد الشروط المتعلقة بممارسة الشرطة داخل الريف واحتلال جزء من الساحل من طرف إسبانيا، ذلك الاحتلال الذي اعتبره غير ممكن القبول (193). وفي المقابل، احتفى الراديكاليون بالليبرالية التي تطبع في رأيهم الاقتراحات الفرنسية — الاسبانية (194) واكتفوا بطلبهم بأن تُعْث من جديد الى عبد الكريم (195).

لقد شجعت الانتصارات التي أحرزت عليها القوات الفرنسية في بداية الشتاء أنصَار حَرْبِ الإبادة. فَقَلَّصَتْ عصبية حقوق الانسان. لقد اعتبرت أن شروط السلم التي ذُكِرَ بها بالنولفي في نيَم تشكّل أساساً لتفاوض مقبول، لا سيما وأن عبد الكريم، حسب بغضي المعلومات (196)، لن يعتبر أبداً الاعتراف باستقلال الريف شرطا لازما للمحادثات وأنه سيكتفي بالوعْد باستقلال إداري. كما لفتت انتباه رئيس الحكومة الى هذا العرض للزعيم الريفى، وانهزت الظرف لكي تؤكد بأن العصبية «لن توافق على إلحاق، مهما كان عن طيب خاطر» (197). لقد كتبت رسالة جديدة لكي تفصح عن تأثرها لما علمت بأن «الوضعية الجديدة للانتصار التي توجد فيها الحكومتان الفرنسية والاسبانية تدفعهما الى فرض شروط جديدة على القبائل الريفية وجباله، وأنهما لن توافقا على السلم هذه المرة إلا مُقابل الاستسلام» (198). لقد كانت مخوفات العصبية مُبرزة. فبالنسبة للحكومة الفرنسية، كانت ساعة المفاوضة قد ولت. لقد أخذ التعاون الفرنسي — الاسباني يتقوى، وتطبيقا للاتفاقات، ضُبط بيتان في مدريد خطوط هُجُوم ربيع 1926، الذي يستهدف، باخترافه مرتفع بني ورياخل، تدمير قواعد عبد الكريم وإرغام الزعيم الريفى على طلب الأمان. وكان على بريان والنولفي أن يجابها في المجلس معارضة تشدد أكثر فأكثر تجاه الحرب. لقد صرح كاشان في 30 دجنبر بأن هذه الأخيرة «قد سببت قبل الآن خسائر قاسية لبلادنا، خسائر لا

192 لجنة المالية، 21 أكتوبر 1925.

193 نفسه.

194 انظر لوفر، 4 أكتوبر 1925.

195 لقد صوت مؤتمر الحزب، المنعقد بنيس، بالاجماع على مذكرة مقدمة من طرف مالفي تدعو «الحكومة الى أن تجدد، نية إنسانية لن يتنكر أحد لظاهرها (...)»، بأنها مستعدة دائما لأن تصنن للسكان الريفين وحياله أوسع استقلال ذاتي سياسي وإداري وتجاري، في إطار المواثيق الدولية»، AN F7 13191.

196 نشرت من طرف لوماتان لـ 14 نونبر 1925.

197 رسالة 25 نونبر 1925. دلائل حقوق الانسان، 5 دجنبر 1925، ص 595.

198 رسالة 11 يناير 1926. نفسه، 25 يناير 1926، ص. 41 إن الأهمية التي علقها مكتب العصبة على هاتين المراسلتين (التي ستظلان دون جواب) تؤكدهما السرعة، غير المعتادة، في نشرهما.

تُعَوِّض، بدون الحديث عن العار الذي تثيره والمتمثل في كونها تريد فرض قانونها على بلد لا يريد به ويقاوم من أجل استقلاله !» وها أن الحكومة الأسبانية تريد «مواصلة الحرب الى غاية قرار نهائي بالسلاح» (199). لقد عبّر رونوديل عن نفس التخوفات : «أودُّ كثيراً لو أنكم لا تقاتلون من أجل إسبانيا» (200). كلاهما ألحّا على الاحتفاظ بشروط السّلم. وفي 26 فبراير، تخلّط حوالي عشرين راديكالياً وراديكالياً اشتراكياً تصويتهم بتصويت الاشتراكيين لتأييد التعديل الشيوعي الرّامي الى تخفيض الاعتمادات العسكرية للمغرب. لقد ظهر في تصويت جديد بعد ذلك بوقت قصير، انقلاباً للأغلبية : فقد اتّجه مائتان وأربعة وستون صوتاً — بينما لم يكن الشيوعيون والاشتراكيون يشكلون سوى مائة وأربعة وعشرين — ضدّ مائتين وستة وأربعين، وأربعة وثلاثين امتناعاً، الى تعديل اشتراكي استهدف، من خلال تخفيض رمزي للاعتمادات الموجهة لعمليات المغرب وسوريا، إظهار «الرغبة في إنهاء هاتين الحملتين» (201).

خلال التّصنيف الأوّل من مارس، طرّحت الحكومتان الفرنسية والاسبانية، كونهما لاتنويان مبدئياً وفي كلّ حال من الأحوال التفاوض إن لم تُقبل الشروط التالية من طرف الرّيفيين : أولاً : الخضوع للسلطان؛ ثانياً : إبعاد عبد الكريم؛ ثالثاً : تبادل الأسرى؛ رابعاً : تجريد القبائل من السلاح مقابل ضمانات ستحدّد. لقد تمّ إبلاغ هذه الشروط لعبد الكريم من طرف كاتبريلي، وفي 21 أبريل افتتح مؤتمر وجدة أشغاله (202). لقد رأى الشيوعيون بأن هذه الشروط غير مقبولة وأنها تمثّل «قناعاً لمواصلة الحرب» (203). أما جريدة لوم ليبر «، القليلة التعاطف مع الرّيفيين، فلاحظت بأنها «لا يمكن أن تقبل إلا من طرف مهزوم»، وتساءلت : «هل يُعتبر عبد الكريم مهزوماً ؟ هذا هو السؤال» (204). لقد عزمت كل من باريس ومدريد، في حالة الرّفص، على شنّ عملية عسكرية «نهائية»، لكن سيكون من

- 199 مقالات المجلس، 30 دحر 1925، الجريدة الرسمية، ص 4842.
200 نفسه، ص 4856.
201 تفسير تصويت ميترال، صاحب التعديل، نفسه، 26 فبراير 1926، الجريدة الرسمية، ص 1003. إن عددا من التصحيحات في التصويتات أدت لتغير نتيجة هذا الاقتراع (رقم 491). في الأخير، لم يعد ثمة سوى مائتين وستة وخمسون صوتاً للمصادقة على التعديل مقابل مائتين وتسعة وستين صوته وثمانية عشر امتناعاً.
202 عن المظاهرات الفرنسية — الإنسانية والدور الذي لعه غارنيل في هذه المواجهة المسقة. انظر : المقدم لور، عمل مشار اليه، ول. غارنيل، عمل مشار اليه.
203 لوماني، 15 أبريل 1926 (دويو)
L'homme libre *
204 لوم ليبر، 13 أبريل 1926

الأفضل كثيراً، علقت جريدة أوجين لائتي (205)، أن يُفضي المؤتمر الى نتيجة، بحيث يتم تلافي «إراقة جديدة للدماء» (206). لقد اعتبر ليونوفيل أن فرنسا، بعكس إسبانيا، «ليس لها ما ترمحه» من مواصلة القتال، وأكدت بأن عبد الكريم «سيتلقى تعويضاً» نظير إبعاده (207). أما لوكوتيديان، التي عبرت عن اقتناعها بأن الشروط الفرنسية — الإسبانية لا يمكن أن تُعتبر نهائية، فنشرت البلاغ الذي سلمه الوفد اليفي للصحافة في وجدة والذي وضح التعديلات التي يجرى إدخالها على الطلبات التي وجهت إليه (208). ولكن ها أن الأنباء تقول بأنه ليس فحسب ثم الاحتفاظ بهذه الشروط، بل إن الوفد الفرنسي الإسباني طالب، منذ افتتاح المؤتمر، بإرجاع فوري للأسرى دون تبادل، كما فرض شرطاً تمهيدياً آخر للتفاوض : تقدم القوة الإسبانية بستج كيلو مترات. «إجمالاً، علّق جون يو في لوفر، قبل التصدي لمناقشة الاتفاق، كان يمكن أن يطلب من اليفيين أن يقلدوا أيديهم بأنفسهم ويضعوا أنفسهم في وضع لا يعود في مقدورهم معه أي نقاش. بحيث يمكنهم الاعتقاد بأن هدفنا الحقيقي إنما كان الاستيلاء، بالحيلة وبلا مقاومة، على نقاط هامة وبعدها لن نأبى كثيراً للنتيجة الحسنة أو السيئة أمام إنذار نهائي سابق» (209). أما كيزنو فانفجر قائلاً : «هل السلم مع اليفيين مرغوب فيه ؟» وهل سيتم الكف عن هذه «الاثارات لمواصلة الحرب» (210) ؟. لم تكن هناك فقط أسباب تتعلق بالسياسة الداخلية هي التي تُفسر هذا السخط الذي أبداه جزء من اليسار الراديكالي (211) بل الإحساس بأنه مُخدع من طرف الحكومة، والغم للملاحظة أن متطلبات «الشرف» (ج. يو) و«الحق» (كيزنو) لا تتلاءم جيداً مع واقعية العسكريين. لقد نظمت عصبة حقوق الانسان تجمعاً عمومياً كبيراً للاحتجاج. وعبر الخطباء عن تأثرهم أمام الشروط المفروضة على اليفيين. وصرح جان لونكي بأن مطالبتهم بأن يتركوا للاستبان المواقع التي لم يعرف هؤلاء غزوها، «معناه الرغبة في أن يهتّى اليفيون بأنفسهم الحبل الذي سيخنقهم» (212). أما إميل كان فالتج على نظام الاستقلال الذاتي

- 205 غادر لوتون، التي كان أحد كتاب أخبارها الرئيس قبل حرب 1914، لكي يأخذ، في 1919، إدارة لوم لير، الصحيفة القديمة الكليماسو.
- 206 مقال مشار اليه.
- 207 ليونوفيل، 10 و 14 أبريل 1926
- 208 لوكوتيديان، 21 أبريل 1926
- 209 لوفر، 20 أبريل 1926
- 210 لوكوتيديان، 27 أبريل 1926.
- 211 تماماً مثل لوكوتيديان، تدو لوفر معادبة لقطعة نهائية للراديكاليين مع الاشتراكيين.
- 212 عرض الاحتجاج العمومي المنعقد في 20 أبريل 1926 باريس، دلائل حقوق الانسان، 30 مايو 1926، ص ص 248 — 249.

الواسع جداً الذي ينبغي منحه لهم؛ بينما أكد العقيد ميطوا بأن «السلم لن يكون ممكناً إلا يوم نضمن للقبائل استقلالها ونخلص البربر من واجب الاعتراف بسلطة السلطان» (213). لكن بوكلي على الخصوص، بوكلي المعتدل جداً والذي عاد من المغرب مُعجِباً بالعمل الفرنسي، صرَّح بدوره بأن «المطالبة بإبعاد عبد الكريم جنون أعمى أو حساب وقح» (214). وبعد أن رَفَضَ الوفد الرِّيفي الانذار النهائي توقفت المفاوضات. واستأنفت العمليات العسكرية، وفي 27 مايو سَلَّمَ عبد الكريم نفسه للقيادة الفرنسية.

أثار استسلام عبد الكريم لدى الراديكاليين، ردود فعل مختلفة. فقد عبر غابرييل كوديري عن ارتياحه دون تحفظ وهناً بانلوفي الذي «بَقَّهره عبد الكريم سمح لبلادنا بأن ترفع رأسها عالياً عاملاً بهذا على إعادة هذه الثقة التي سترُدُّ أكثر من كل الاعتمادات الذهب، الفرنك إلى قيمته وأعداءه إلى صوابهم» (215). وامتدح السناطور شومي ستيك مُحمِّد قِن المغرب (216). أما لوفر فقد اختارت بقلم كوستاف تيري، الاحتفاء ببريان، «الرجل السعيد : إنه يُفلح دائماً وفي كل شيء، حَسْبُهُ أن يريد». فعشية الدخول البرلماني، ارتفع الفرنك من جديد، واستسلم عبد الكريم : «لقد سوَّى الأمر، مثل انقلاب مفاجيء» (217). غير أنها ظَلَّت تخشى أن يَدْفَعَ «عقاب شديد» لعبد الكريم العصاة إلى مواصلة مقاومتهم (218). لقد اعتبر كيرنو أن روح الاعتدال ثَقُلَتْ وأَعْرَبَ عن اقتناعه بأن السلم انتصر لأن عبد الكريم فهم بأن الحكومة الفرنسية لا تروم لا إلخاقاً ثريباً ولا انتفاكاً وأن القبائل الريفية ستحتفظ بحرياتها (219). وفي الواقع، لم يعد الأمر يتعلق بنظام للاستقلال الذاتي للريف. فقد كانت الوعود التي قَدَّمها بريان مُرتبطة بوضع عسكري ملتبس واستهدفت إلزام الأغلبية البرلمانية الحياد. لكن لا الحكومة الفرنسية، ولا الحكومة الأسبانية كان بإمكانهما احتمال وجود ريف مُوَحَّد تعتبرانه تهديداً كامناً لاقامتتهما في إفريقيا الشمالية. فَرَّقَ تسُد : لقد كان «تفكيك الكتلة الريفية» هو الهدف الذي تَقْصُده العسكريون كما «السياسيون» المتجمعون حول ستيك (220). وطبعاً، لقد احترس القادة الفرنسيون من الكشف عن نواياهم إلى حين

213 نفسه

214 نفسه.

215 ليونفيل، 25 مايو 1926.

216 لوراديكال، 8 يونيو 1926.

217 لوفر، 28 مايو 1926.

218 نفسه، 30 مايو 1926.

219 لوكريديان، 28 مايو 1926.

220 انظر الاتفاق الفرنسي — الأسباني لـ 6 فبراير 1926 ورسالة 4 مارس 1926 لستيك. SHA VM RIF 14.

انعقاد مؤتمر وجدة. فقد أكّد بانلوي وقتذاك أمام المجلس، بأنّ جِزْصه على استقلال القبائل الرّيفية بالغ الشّدة. إلّا أنّ هذه الأخيرة خاضعة «لهيمنة مُعينة (...) لمؤسسة نظام عسكري بالغ القسوة» ينبغي مساعدتها على التحرّر منه. فباسم حرّية القبائل واستقلالها الدّائي، صرّح بانلوي بأنّه يحارب وَحْدة الرّيف ورغبته في الانعتاق من الهيمنة الاستعمارية التي يمثّلها عبد الكريم (221). لقد كان النقاش مُؤذجياً. ماهي الحالة الأكثر تحلّفاً للمغرب ؟ «إنّها طبعاً الحياة المستقلة للقبائل، أجباب دوريو، فتوحيد القبائل تحت حُكْم قوي، تعتبرونه مُفْرِط القوّة في رأيكم، هو على أية حالة ثَقُلْمُ مُحَقِّق في التّنظيم المستقل للمغرب والرّيف. وعندما تستهدفون تدمير هذا التّوحيد، فإنّكم تتبعون سياسة رجعية وليس سياسية ثَقُلْمُ» (222).



لقد وصلت الحكومة الفرنسية إذن إلى أهدافها. فقد قادت الحرب ضدّ الرّيفيين بمشقة كبيرة وأرغمت زعيمهم على الاستسلام. إنّها ربحت السّلم، ولتفهم من هذا أنّها، رغم التزاماتها، أخضعت القبائل المتمردة لسلطة القوى الحامية ومَحَتْ كلّ فكرة لنظام استقلال ذاتي للرّيف. ومع ذلك كان انتصارها العسكري والدبلوماسي مُهَدّداً ليس فحسب بمقاومة الرّيفيين وقُدرة عبد الكريم على حمايتهم، ولكن أيضاً بالحملة التي طوّرها حينئذٍ، اليسار المتطرف الشيوعي، وبمستوى أقل، بعض الأوساط الاشتراكية والتحرّرية داخل البلاد.

221 مناقشات المجلس، 23 أبريل 1926، الجريدة الرسمية، ص 1963.

222 نفسه الجريدة الرسمية، ص 1965. انظر أيضاً نفسه، 11 يوليو 1926، الجريدة الرسمية، ص 2500.

الفصل السادس

اليسار الفرنسي وحرب الرّيف (تابع) الحمّلات ضدّ الحرب

لم يكن الشيوعيون وحدهم الذين احتجّوا في البلاد ضدّ حرب الرّيف. فلا يمكن إغفال المعارضة التي لقيتها سياسة الحكومة في قلب تنظيمات اليسار الأخرى، وسنّفحصها بتفصيل. لكن لم يكن لها لا الاتّساع ولا الطّابع المُتنظّم اللذان كانا للحملة التي طوّرتها تنظيمات الحرب الشيوعي الفرنسي. فقد اعتزم هذا الأخير، بالفعل، عدم إغفال أي شيء للتعريف بسياسته المغربية وخلق حركة رأي تؤثر على السلطات العمومية. كما أنّه رأى في هذه الحملة الوسيلة الممتازة لتنفيذ تكتيكه لجهة وحيدة وتقوية تنظيمه ونفوذته.



الحملة الشيوعية

لقد بدأ التحريض الشيوعي ضدّ حرب الرّيف منذ النصف الثاني من سنة 1924، وتعمّم وأخذ بسرعة كثافة كبيرة انطلاقاً من مايو 1925، وتحفّ بعد إضراب 12 أكتوبر، ثم استأنف في بداية 1926 وامتدّ حتّى استسلام عبد الكريم. وسنّفحص تباعاً توجيهات هذه الحملة وتنظيمها، وكيفيات التحريض المطوّور في كل أنحاء البلاد ومحاولات تحقيق جهة موحدة ضد الحرب.

سؤال أولي : هل بادرة الحملة الشيوعية متوجبة على الحزب الشيوعي الفرنسي أم على الأُممية الثالثة ؟

لِنَقُلْ فوراً بأنه من المُستحيل الاجابة بصراحة على هذا السؤال في الوضع الراهن للتوثيق، ومع ذلك فإن بعض الملاحظات يمكن أن تنير الموضوع. أولاً، لم تناقش الأُممية الشيوعية حرب الرِّيف، لا في مؤتمرها الخامس سنة 1924، ولا في جلسات اللجنة التنفيذية من 1923 الى 1926. ولم يَجِدْ نَدْحُلْ المندوب الاسباني أباريسيو، في يونيو 1923، حَوْلِ المنافسة الفرنسية — الانجليزية ضرورة القيام بحملةٍ للتخلي عن المغرب، أي صدى وتذك (1). ولم تستند المناقشات المستفيضة للمؤتمر الخامس حول المسألة الاستعمارية أبداً الى الرِّيف أو الى المغرب بصفة عامة. وفي يونيو 1925، كَلَفَتْ اللجنة التنفيذية مكتبها الشرقي بإطلاق نداء «ضِدَّ حرب الرِّيف» لصالح «تأخي الجنود الفرنسيين والرِّيفيين من أجل سِلْمٍ عاجل» و«الاستقلال الكامل للشعوب المُستعمرة» (2)؛ وقد كان سيمار أحد المُوقَّعين على هذا النداء الذي صدر بعد تسعة أشهر على البرقية التي وجهها لعبد الكريم، وفي لحظةٍ كانت فيها حملة الحزب الشيوعي الفرنسي قد هوشِرت. فضلاً عن ذلك، هُنَا زِنُوفيف، رئيس الأُممية الشيوعية، في خطاب ألقاه في 11 يونيو بموسكو، الحزب الفرنسي على موقفه تجاه حرب الرِّيف (3).

يكشف فحص صحافة الأُممية بدوره غياب الاهتمام بحرب الرِّيف. فقد ألح مقال روزي عن «المغامرة الاسبانية في المغرب»، المنشور في المراسلة الدولية * لـ 19 نونبر 1921، بصفة خاصة على تنافس الامبرياليتين الفرنسية والاسبانية وأغفل عبد الكريم (4). واستند مقال فايان — كوتوربيه عن «إفريقيا الشمالية والشيوعية» لـ 26 أبريل 1922، إلى الجزائر وتونس (5). بينما يعتبر مقال 17 أكتوبر 1924 لِنُكبان — إي — كوك، هجوماً عنيفاً على سياسة ليوطي، وليس له علاقة بالرِّيف (6). أما المقالان اللاحقان، وهما مقال كيتيدورُودسكي في 20 مايو، ومقال علي كمال فولادي في 13 يونيو 1925، اللذان علّقا على العمليات العسكرية

1. كولوق بيشيل و روبيرازي، مشار اليه، ص 107

2. مراسلة دولية، 13 يونيو 1925، ص ص 503 — 504.

3. نفسه، 24 يونيو 1925، ص ص 527 — 528.

La correspondance internationale *

4. نفسه، 19 نونبر 1921، ص ص 95 — 96.

5. نفسه، 26 أبريل 1922، ص 243.

6. انظر أعلاه.

رسمية ضدّ الرّيفيين، فقاما بتحليل أعمق من التحليل الذي خصصته الجريدة الشيوعية رسمية قبل سنّة من ذلك للوضع في الرّيف ولدور عبد الكريم (7).

ثانياً، لا تسمح أرشيفات الحزب الشيوعي الفرنسي بمعرفة المزيد. كما أننا لا نتوفر على ضر السكترارية وليس أكيداً أنّها سُجّلت. ولا تستند تقارير المكتب السياسي، وخاصة رير اللجنة المركزية، المتميزة بالغرارة حول حملة الحزب ضدّ حرب الرّيف، إلى الأهمية (8)، ولا هُر فيها أنه كان لاندوني الأهمية الشيوعية دور قيادي، اللَّهُمَّ رُبّما، كما سنرى عندما تعلق بر بعلاقات الحزب الشيوعي بالاشتراكيين.

ثالثاً، يبقى أن مبادرات الحزب الفرنسي كانت منسجمة مع الخط العام للأهمية اللفة. فقد ركّزت هذه الأخيرة في المؤتمر الخامس على الدّعم الذي يتعيّن على المُنظّمات شيوعية أن تقدمه لمكافحة الامبريالية والحركات تحرر الشعوب المُستعمَرة. ويبدو جميع شيوعيين من قيادة الحزب الى مناضلي القاعدة بتنظيمهم لحملة ضدّ حَرْب الرّيف، مُقتنعين عمل طبقاً لتوصيات الأهمية (9).

رابعاً، لنختم بملاحظة أخيرة. إن المآخذ الذي سيُسجّل على الشيوعيين بكونهم كانوا حرب الرّيف بالضبط مُنفذين لموسكو، لم يكن له من معنّى وقتذاك لدى الغالبية العظمى مناضلين. لقد كان شعور التضامن الثوري والدّولي عالياً جداً، في تلك الفترة التي لم تكن عكرتها تجليات الاستبداد الستاليني، بحيث أنه عندما كانت تنشأ اعتراضات داخل حزب ضدّ توجّه وطُرق الحملة ضد الحرب — وليس ضدّ مبدئها — فإن هؤلاء المُعارضين نوا يمتكمون إلى الأهمية الشيوعية، جاعلين من هذه الأخيرة قاضياً في الأخطاء والقرارات نكبة في نظرهم من طرف قيادة الحزب الشيوعي الفرنسي.

رجيات والتنظيم

شعارات والتكتيك

تهم توجيهات الحزب الشيوعي من أجل الحملة ضدّ حَرْب الرّيف بثّ شعارات وبكتيك الجبهة الموحدة مع الاشتراكيين والـ س.ج.ت (10).

لغسه، 20 مايو 1925، ص 430 و 13 يوليو 1925، ص 504.

ما عدا، كما سنرى لاحقاً، بمناسبة التحريض بين النساء.

لقد توصل كيرماديسل الى نفس الاستنتاجات مشار اليه، الجزء الأول، ص 71 — 72.

إن قسماً كبيراً من معالمتنا يستند الى محاضر اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. لنوضح بشأن هذا الموضوع أن اللجنة المركزية كانت تجمع كثيراً في 1925. هكذا، كانت مسألة المغرب إما قد أثيرت، وإما لوقشت باستفاضة

لقد كانت شعارات الحزب أربعة : أولاً : السُّلم الفوري مع الرِّيف، ثانياً : الجلاء عن المغرب، ثالثاً : استقلال الرِّيف، رابعاً : التآخي. لكنها لم تُقدَّم فوراً بهذا الشكل. لقد بدأ الحزب الشيوعي بتمييز وَقْف النزاع والسُّلم في الرِّيف، الذي غالباً ما ارتبط بالمطالبة باستقلاله. إن اختيار عبارة «السُّلم الفوري» وقع انتقاده من طرف ثُران «لأن بإمكانه أن يَسْتَوِرَّ في ترويج وهم خطير بين الجماهير التي يمكن أن تُعْتَقِدَ بأنَّ في استطاعة الامبريالية إقامة السُّلم بين يوم وآخر» (11). لكن دوريو سيُفسَّر لاحقاً بأنَّ «السُّلم الفوري» يُعارض «السُّلم السريع» المرفوع من طرف كتلة اليسارات : «السلم السريع معناه إبادة الريفيين، أي إرسال خمسمائة ألف جندي لسحق الريفيين» (12). والجلاء، هل هو الكلي أم الجلاء العسكري عن المغرب ؟ إننا نجد التعبيرين معاً في أدبيات دعاية الحزب. ويوضح دوريو أيضاً بأن تعبير «الجلاء العسكري» كان «فَعَاءً» للاشتراكيين الذين صاغوا هذا الشعار قبل حرب 1914. لكن من الواضح أنَّ «الجلاء العسكري والجلاء العام مُرادفان بشكل مطلق، على الأقل فيما يخص المغرب» (13). وتمثل هذه الشعارات الثلاثة الأولى أهدافاً، أما الرابع، وهو شعار التآخي، فَيُقدَّم كوسيلة للعمل من أجل السُّلم. وسيكون كما سنرى، مثار انتقاد خاص. لِتُسَجَّل، الآن، بأن اعتياده كان مناسبة لنقاش حول الانهزامية، التي يشكل التآخي دعامتها الأساسية. لقد كان ثُران ودوريو مُتَّفَقَيْن على ضرورة مُعارضة الدعاية للحرب بتحريض لصالح «الهزيمة العسكرية الامبريالية» في المغرب : «لا ينبغي ربط مآل الجنود الفرنسيين ومآل القيادة العليا للجيش الفرنسي» (14)، وبما أنَّه من مصلحة البروليتاريا أن تنهزم الامبريالية، فإن على الدعاية لتآخي الجنود أن تُساقِها دعاية تدعو الجماهير العمالية الى «مقاطعة صنَّع الذَّخيرة ونقلها، والى منْع الجنود من الذهاب» (15). ويتعلق الأمر هنا، كما يوضح س. طوريز بشعارات مشتقة إن جازا القول من شعار التآخي ولا ينبغي أن يكون فيها أي

في الاحتجاجات التالية : 3 فبراير، 19 مايو، 2، 16 و 26 يونيو، 13، 28 و 29 يوليو، 18 غشت (صباحاً ومساءً)، مانتج، 10، 22 و 29 شتنر، 7 أكتوبر، لقد كانت هذه الاحتجاجات تضم حوالي ثلاثين مشاركاً لم يكن معظمهم أعضاء مشتين في اللجنة المركزية

- 1 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925.
- 12 نفسه، السلسلة 142، محضر اللجنة المركزية الموسعة لـ 8 أبريل 1926.
- 13 لقد بدا مومغسو متحفظاً : «إن الجلاء من غير قيد أو شرط، المطروح كشعار أمام الجماهير، يمكن أن يستغل كجلاء لجميع المعمرين وجميع العمال» بينما «لا يعمل الجلاء العسكري أي الفاس» لنفسه، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925. لقد كان طوماس (انظر نفسه) قد صرح في 28 يوليو أمام اللجنة المركزية، بأنه «ينبغي أن تتخلّى عن شعار الجلاء العسكري عن المغرب الذي يسبب الاتساع»، لنفسه.
- 14 نفسه.
- 15 المؤتمر الثالث لـ س.ج.ت. الوحدوية، باريس، 26 — 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص 73.

ليس؛ فهي تُعبّر عن تضامن الشّغاليين مع الجنود ومع الرّيفيين وعن رغبتهم في أن تنتهي الحرب؛ لكن ضرورة العمل لا تعني أن الثورة قد بدأت (16).

في اجتماع المكتب السياسي يوم 19 مايو 1925، لاحظ قادة الحزب الشيوعي أن هناك تيارا يتكون داخل كتلة اليسارات ضد الحرب. وتبعاً لذلك، توجب تقديم اقتراحات للكفاح المشترك للاشتراكيين من كل المستويات. وقد وضع طوماس، أحد مندوبي الأمانة لدى الحزب الفرنسي (17)، قائلاً: «إن اقتراحاتنا ستقابل دائماً بالرفض من طرف الاشتراكيين، لكنها ستسمح لنا بالتشهير بالقادة» (18). وقد استأنف دوريو قائلاً بضرورة اعتماد تكتيك من مرحلتين: أولاً، التنقيص على العمال الاشتراكيين الذين يختارون شعاراتنا. وبعد ذلك إظهارهم على أنهم مناهضون لرؤسائهم. ويضيف: «هكذا سنتلافى الخطر الذي يحدونا منه مونوسو، والمائل في دفع يسار الحزب الاشتراكي نحو اليمين، هذا اليسار الذي يكره التورط مع الشيوعيين. إن علينا، من جهة أخرى، أن نتقل من تكتيك آخر بسرعة تقل أو تزداد، حسب الأوضاع المحلية» (19). وفي 5 يونيو، دعت مذكرة للجنة المركزية سكرتيري المناطق إلى توجيه نداء خاصة للمنظمات النقابية الكونفدرالية وللغدراليات والفروع الاشتراكية لتشكيل لجان للعمل ضد حرب المغرب. وقد وضحت مع ذلك بأن الهدف هو خلق «حركة وحدة عمالية واسعة ضد الاتحاد المقدس للبورجوازية الرأسمالية والزعماء الاشتراكيين الديمقراطيين الذين يخونون الطبقة العاملة» (20). ولم يتم تحديد الموقف الذي ينبغي مراعاته تجاه العناصر الاشتراكية بوضوح. هذا ما اشتكى منه مندوب الأمانة: «ليس لدينا تكتيك واحد، بل عشرة تكتيكات» (21)، وقد انتقد على الخصوص الموقف المبالغ في التفهم الذي أبداه بعض القادة تجاه عناصر من يسار الحزب الاشتراكي. هكذا استحسن كاشان، في إحدى افتتاحيات لومانيتي، توجهات الشرارة * وهي صحيفة أقلية اليسار الاشتراكي، التي «تبذل جهداً لانتزاع الاشتراكية من نفوذ زعماء اليمين» بل لقد مضى إلى حد إبداء اقتناعه بأن

- 16 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 20 يوليو 1925.
- 17 حسب أندري فوا، الذي سألتناه في هذا الموضع، فإن طوماس قد يَكُون هو الاسم المستعار لغورالسكي، مهووت الأمانة الشيوعية، المقدر كثيراً من طرف زيتوفيف. لقد كان بألمانيا في 1923 حيث كان معروفاً باسم كلاين، قبل أن يقدم إلى فرنسا. وقد كتب بعض المقالات في لومانيتي تزييف لويوتي.
- 18 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 95، محضر المكتب السياسي لـ 19 مايو 1925.
- 19 نفسه، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 2 يونيو 1925.
- 20 AN F7 13092 (مذكرة عامة رقم 103 في 5 يونيو 1925).
- 21 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 28 يوليو 1925.

«قسما مهما» من مناضلي، القاعدة مستعدون لمغادرة «حزب رونوديل، ليس من أجل الهجاء إلى الشيوعية (هذا غير وارد) ولكن ليقفوا ضد سياسة التعاون التي يهجمها الكارتيل» (22)، إنه لم يفهم شيئا في رأي مندوب الأمية الذي رأى بأنه «عندما يصير مناضلو الحزب الاشتراكي، الذين يمثلون دور معارضة البورجوازية، حمرا من الغضب، ينبغي ضربهم بقوة أكبر» (23). أما سيمار فقد حرص على فصل الزعماء الاشتراكيين عن مناضلي وعمال القاعدة : «ينبغي أن نتبع نهج الحزب الاشتراكي، ثلاثة تكتيكات مختلفة وذلك تبعاً تعاملنا مع الزعماء، مثل بلوم وشركاه، الذين يتعين علينا مهاجمتهم بقوة لاسيما وأنهم يتصنعون الجنوح أكثر إلى اليسار؛ ومع المناضلين الذين تبنا وجهة نظرنا والذين يخدمون تحريرنا، أو مع عمال القاعدة» (24). لقد اقترحت الجبهة الموحدة من طرف الحزب الشيوعي على أساس شعارات الحزب، ومن ضمنها شعار التآخي. وفقط في مؤتمر فاتح دجنبر اعتبرت القيادة أن فرض هذا الشرط كان خطأ تكتيكيا وقررت بأن القبول به لم يعد يشكل منذ ذلك الوقت فصاعدا شرطا للجبهة.

لجنة العمل ضد حرب المغرب

لقد ذكر دوريو أمام اللجنة المركزية بأن الأمية اعتبرت التوفر على سياسة جيدة لا يكفي، لأنه إذا لم يكن لديكم تنظيم جيد لن تتمكنوا من تنفيذ الشعارات السياسية. وفي سنة 1925 تلك، التي بدأت بـ «مؤتمر البلشفة»، أخذت مسألة التنظيم أهمية كبيرة داخل الحزب الشيوعي. لقد أثبت باستمرار لتفسير ضعف الأعمال التي قامت بها الحركة الشيوعية. إن البنيات التنظيمية التي تم وضعها بمناسبة الكفاح ضد حرب الريف لم تنجز دون عناء ولا دون احتدام نقاشات حادة بين قادة الحزب. لقد كان تجمع لونا بارك ضد حرب المغرب الذي تم في 16 مايو تحت رعاية لجنة عمل ضمت الحزب الشيوعي، و س.ج.ت. لوحيدوية والجمعية الجمهورية لقدماء المحاربين، التابعة للحزب، والشبيبات الشيوعية (25). وهذه الصيغة ليست جديدة، فقد سبق أن طبقت على الخصوص أثناء الحملة التي نظمها الحزب الشيوعي ضد احتلال الرور، وعندما طلبت اللجنة المركزية تطبيقها على الصعيد المحلي، بدا من المحتمل أن تكون بعض المناطق قد سبقت إلى ذلك. لكنها لم تكن مع ذلك

22 لومانتي، 26 يوليو 1925.

23 حضر اللجنة المركزية لـ 28 يوليو 1925، المشار إليه سابقا.

24 للنس، حضر اللجنة المركزية لـ 29 يوليو 1925.

25 انظر لومانتي، 14 مايو بالنسبة للاعلان عن اللقاء و 17 مايو بالنسبة للعرض. إن عبارة لجنة العمل ضد حرب المغرب لن تستعمل من طرف اليومية الشيوعية إلا ابتداء من 6 يونيو 1925.

خالية من المشاكل : سواء فيما يخص المشاركين في لجان العمل هذه، أو الدور الذي كان على هذا التنظيم أن يلعبه بالنسبة الى الحزب، أو الوسائل التي ينبغي منحها له، إلى درجة أن التجريبية تغلبت في البداية، وقد حولت سلطة تقديرية واسعة بما فيه الكفاية لتنظيمات الحزب الجهوية والمحلية لانشائها. لقد دعى سكرتيرو مناطق الحزب الى عدم الاكتفاء بإنشاء لجان المقاطعات، بل عليهم أن يتدخلوا على مستوى القاعدة «مبهنين على روح المبادرة»، وأن يجعلوا جمعيات المعامل تصوت على جداول الأعمال، وأن ينظموا لجان وحدة بروليتارية ويتأهبوا على الخصوص على إنشاء لجان عمل مع «الزعماء والمناضلين المحليين الاصلاحيين» (26).

لم يتوجّه الحزب نحو إرساء تنظيم حقيقي للجان العمل إلا تدريجياً. في الأسابيع الأولى للحملة، لم يتضمن إنشاء لجنة عمل على الصعيد الوطني إخضاع اللجان الجهوية والمحلية لهذه الأخيرة، (27) لقد أدى الى تشكيل لجنة عمل مركزية، وذلك في أعقاب مؤتمر عمّال المنطقة الباريسية ليؤمّي 4 و 5 يوليوز، وهو من أول التظاهرات الجماهيرية التي نظمها الحزب ضدّ حرب الرّيف. لقد ضمت هذه اللجنة المركزية للعمل، مبدئياً، مائة وخمسة وعشرين عضواً مُنتخباً، أي مائة ممثّل للمعامل الأكثر أهمية مُنتمين الى مختلف التنظيمات المُتمثلة في هذا المؤتمر، وخمسة وعشرين مندوباً للجان الجهوية للاقليم (28). لكن تم التسليم في الواقع بأن يكون الحزب الشيوعي، والشبيبات الشيوعية، و س.ج.ت. الوحديّة وقدماء المحاربين، هي العناصر المكونة للجنة المركزية واللجان الجهوية والمحلية. وكانت تتوفر على هيئة تنفيذية من تسعة وعشرين عضواً تم اختيارهم على الخصوص من بين ممثلي التنظيمات الأربعة. لقد كان المُشكّل، بالنسبة للحزب الشيوعي هو أن يجنّد لها مُنشطاً، لأنه حتى ذلك الوقت، كان بولفون هو العنصر الوحيد المُداوم في سكرتارية لجنة العمل، ومهما تكن مزاياه فإنه لم يعد

26 AN F7 13092، مذكرة عامة رقم 104 في 11 يونيو 1925 الى سكرتيري المناطق.

27 إن الحزب الشيوعي، وليست لجنة العمل، هو الذي لعب وقتذاك دور المشط والمنسق هذا، كما تشهد بذلك المذكرات التالية :

1) نخر مذكرة 29 مايو 1925 للمنطقة الباريسية للحزب الشيوعي، سكرتيري المنطقة بقرار اللجنة المركزية للحزب أن تشكل باتفاق مع ال س.ج.ت. الوحديّة والشبيبات الشيوعية «لجنة عمل للنضال ضد حرب المغرب»، وتعرض برنامج الاحتجاجات المعد قصد التحضير لمؤتمر عمالي يوضع تحت رعاية اللجنة الجهوية للعمل. أرشيفات معهد موريس طوريو، السلسلة 119.

2) لقد شرحت مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي لـ 5 يونيو، لسكرتيري المناطق ضرورة إنشاء لجان عمل في كل مكان. أما مذكرة 11 يونيو فعادت الى المسألة موضحة شروط تحقيق الحبة الموحدة. AN F7 13092 (المذكرتان رقم 103 و 104).

3) دعت مذكرة جديدة للجنة المركزية بـ 24 يونيو المناطق الى الاجابة عن استفتاء جد محدد حول تكوين لجان العمل، والاحراءات المتحدة قصد تحقيق حبة موحدة واللقاءات المنظمة. AN F7 13175 (مذكرة رقم 105).

28 لومانيي، 7 يوليوز 1925.

كافيا لهذه المهمة (29). وسيقع الاختيار على طوريز، وستفسر سوزان جيرو دوافع هذا الاختيار في اللجنة المركزية المُجتمعة يوم 13 يوليوز : «يلزم على رأس لجنة العمل رفيق يكون عليه أن يُشيعَ فيها توجهات الحزب، ولكن دون أن يكون معروفاً كشيوعي مشهور، وأن يكون لديه حسٌ سياسي، وألا يدع العناصر المتعاطفة تتجاوزه، وألا تُصرفه عن هذه المهمة الأساسية أية مهمة أخرى. إن المكتب السياسي يقترح عليكم طوريز، رغم الصعوبة التي سنجدها في تعويضه في منطقة الشمال» (30). لقد كان طوريز، حتى ذلك الوقت، مُحْتَكراً فعلا من طرف منطقة الشمال. ولم يتدخل تقريباً في اللجنة المركزية حول مسألة المغرب الى غاية ذلك الثالث عشر من يوليوز حيث قَدِمَ تقريراً عن المؤتمر العمالي المنعقد بليبِل والذي خصّه بكل عنايته. وتكشف تقارير اللجنة المركزية وقتذاك عن مناضِل جَدِيٍّ ومُتَوَاضِعٍ، ومُعَادٍ لِلتَقَاشَاتِ السِّياسِيَةِ التي يعتبرها غالباً تجريدية حرصاً منه على الفعالية، ومنشَغِلٌ قبل كل شيء بمسائل التنظيم. وستكون مهمته هي دَفْعُ الحملة ضِدَّ حَزْبِ المغرب وتنسيقها. لقد اعترم القيام بذلك على نحوٍ يرتبط بشكل وثيق مع مُقَرَّرَاتِ الحزب. لكن كان يلزمه لذلك أن تكون لديه الوسائل التي تُمكنُه من قَرْضِ احترام تلك المُقَرَّرَاتِ، ودورِهِ هو الذي تكفل بإظهار الصعوبات التي يصطدم بها المسؤول الجديد للجنة العمل.

بعد شَهرٍ من تعيين طوريز، قَدِمَ نائب سان — دوتي ه — أمام اللجنة المركزية تقريراً حول دور الحزب في لجنة العمل. وقد بدأ بالتشكيك بأن تعليمات المركز لا تُطَبَّقُ في الخلايا، ثم تابع قائلاً : «نفس الشيء في لجنة العمل. فطوريز وبونفون وكارالب (31) هم الذين يقومون بكل شيء. إن الشعارات لا تُرَدُّدُ من طرف تنظيمات القاعدة التي يبدو أنها تستخف حقاً بها. ولجنة العمل التي ليس في وسعها تطبيق الشعارات هي لجنة استعراض لا يمكنها قيادة العمل ضِدَّ حزب المغرب وَحَمَلَةِ الوحدة ذات الأهمية البالغة بالنسبة للحزب و س.ج.ت. الوجودية». لقد أخذ المكتب السياسي على كونه «آلة لاطلاق الشعارات» وكونه لم يسهر على

29 يبدو أن بونفون إطار نقابي؛ إنه عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي.

30 لم يسمح تصريح سوزان جيرو الخال لأي تعليق. لقد أعقبه «قرار» اللجنة المركزية بالترخيص لطوريز بأن «يقبل تكليفه سكرتيراً للجنة المركزية للعمل»، أضيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 13 يوليوز 1925. إنه ليس صحيحاً أن يكتب، بأن لجنة العمل كان يقودها طوريز منذ شهر أبريل 1925. كما فعل ذلك كل من ن. لوكينيك وج. كرماديلس (مقال وكتاب مشار إليها). ينبغي أن نسجل، من جهة أخرى، أنه يقتضي قرار لم نَعثر على أصله، عين طوريز رئيساً للجنة العمل، بينما احتفظ بونفون بصفة السكرتير (انظر رسالة اللجنة المركزية للعمل الى الحزب الاشتراكي والى ال.س.ج.ت، المنشورة من طرف لومانيي، 23 يوليوز 1925).

بتملق الأمر بلديرو.

31 لقد كان كارالب أيضاً إطاراً نقابياً موصوعاً رهن إشارة لجنة العمل.

رُبط العمل التنظيمي بالعمل السياسي، واعتبر، على الخصوص، أن إنشاء الأجنحة النقابية (32) غير كافٍ جداً. أما بالنسبة لـ «هشاشات» لجنة العمل، فإنه ينبغي تصحيحها بإعطاء اللجنة الوسائل الضرورية «إذا أردنا لها ألا تنتهي إلى الافلاس». وألح أيضاً على ضرورة التحرك أكثر في اتجاه المعامل ولجان الوحدة البروليتارية التي ينبغي لتشكيلها أن يتسع أكثر في البلاد (33). وقد وضّح طويريز بدوره مصاعبه. فبدأ بالتشكي من لومانيي التي لا تمنح لحملة لجنة العمل حيزاً كافياً (34). أما بالنسبة للتظاهرات الرئيسية للجنة، تلك التي ينبغي أن تُقيم في الأوساط العمّالية، فإن الحياة التنفيذية للجنة العمل هي التي تتحمل مسؤوليتها؛ غير أنه لا أعضاء الحزب الشيوعي ولا أعضاء س.ج.ت. الوحدة الذين يشكلون جزءاً منها يحضرون الاجتماعات؛ فهذه الأخيرة تنعقد فقط مع «بعض مندوبي المعامل». لقد حاول كثيراً، رفقة كارالب، تنظيم تجمّعات في المعامل، لكن هنا أيضاً «تخلّى عنا كل من الحزب الشيوعي و س.ج.ت. الوحدة فيما يتعلق بالخطباء والمُعدّات والأموال» (35). لكن موموسو ردّ بأنه إذا كان مناضلو س.ج.ت. الوحدة لا يحضرون فلأن ذلك ليس بإمكانهم مادامت هناك مهام أخرى تمنعهم من ذلك؛ فغياهم مشفوع إذن بـ «التنظيم السيء» (36). لقد بدا واضحاً بأن السكرتير العام لـ س.ج.ت. الوحدة، لم يكن مُقتنعاً بإعطاء لجنة العمل دوراً مُنشطاً الكفاح ضدّ حرب الرّيف. وسيعود إلى هذا بُعد بضعة أسابيع من ذلك، خاصّة عندما سيتعلّق الأمر بتحديد المسؤوليات الخاصّة لهؤلاء وأولئك في التحضير للاضراب العام لـ 12 أكتوبر. لكن طويريز الذي كان يستفيد من الدّعم الكامل للقيادة السياسية — خاصة دعم سيمار وسوزان جيرو — سيكون قد تمكّن، خلال ذلك، من إعطاء فعالية أكبر للجنة العمل، وذلك بتكثيف دعايتها وجمعها، لعدّد من العمّال غير المُنظمين حول المناضلين الشيوعيين والنقائين رغم ما في ذلك من مصاعب.

تنظيم الدعاية

لقد تطورت الحملة الشيوعية بدعم من صحافة الحزب (37)، ج.ففي باريس، أصدرت لومانيي، التي كانت تسحب في نهاية 1924، مائة وسبعين ألف نسخة (38)، ملصقات

32 أي الخلايا الشيوعية داخل تنظيمات نقابية.

33 أرشيفات معهد موريس طويريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925.

34 «عندما حاولنا إطلاق حملتنا في لومانيي بنشرنا مقالات عن الشعارات وعن المقررات، قيل لنا بأن هذا كثير على لومانيي وبأنه ليس ثمة حيز. وانتقلت أوراقها إلى الصفحة الثابتة ثم الثالثة، ثم إلى ركن شكل صغير» نفسه.

35 نفسه.

36 نفسه.

37 انظر أدناه، الأشرطة المتعلقة بصحافة الشباب الشيوعية.

38 من باب المقارنة، ينبغي أن نلاحظ بأن سحب لوفر هو من نفس المستوى (170 000) وأن سحب لوكوتيديان بلغ

لتنمية بيعها بارتباط مع أحداث المغرب (39). وفي الاقليم، كانت الصحف التي يتوفر عليها الحزب الشيوعي الفرنسي تعيد نشر النداءات الموجهة من طرف التنظيمات المركزية. وكانت بعضها تنشر أخبارا عملية أو مقالات جديدة موجهة ضد حرب الريف (40). لقد كانت معدات الدعاية هامة : إذ كانت تتضمن كراسات (41)، وملصقات ومناشير وإعلانات صغيرة (42) نشرت مبدئيا من طرف المركز (43)، ووجهت من قبله الى مختلف المناطق، ليس دون صعوبة أحيانا. وتميزت بعض الفدراليات بتأمينها، لاعادة طبع تلك المنشورات بوسائلها الخاصة (44) أو حتى بنشرها لنص جديد (45). هناك شكل آخر للدعاية : ترويج عرائض تطالب بالصلح الفوري مع الريفين (46). إلا أن التجمعات العمومية تظل هي الشكل المفضل للتحرير لدى الشيوعيين. لقد دعت قيادة الحزب، ثم قيادة اللجنة المركزية للعمل، لمسؤولين الجمهوريين والمحليين الى المضاعفة منها. ووجهت إليهم «مخططات محاضرات». ولقد كانت لهذه الأخيرة استعمال مزدوج : من جهة يمكن أن تصلح مخططات للنقاش داخل

- 39 انظر AN F7 13174 (الس).
- 40 انظر لوماني دوميدي، 2 يونيو، 19، 20 و 21 يوليو 1925 — لوطرالايور دوسوتر — أويست، 4 يوليو و 3 أكتوبر 1925، — لاديش دولوب، 11 يونيو 1925 (في AN F7 13173 و 013175 ولوشيني دولور إي يا — دو — كالي، 6 و 13 يونيو، 12 و 26 شتير 1925.
- 41 لستشهد خاصة بـ ضد حرب المغرب، الذي يتضمن ثلاثة خطب لدوريو، ويرون وكاشان أقيمت بالجلس أيام 27 — 29 مايو 1925، — وكتب لوماني، أعاد نشر استعمار دوريو لـ 23 يونيو، مسبقا بنسخة من رسالة فانتان — يريون وتوطعة لران، — نطق أنا نقاتل من أجل الوطن . نص من خمس صفحات، غير موقع، ومسبوق بتوطعة لأندري ماري، ومزوح في 2 أبريل 1926 («لماذا يموت أبناء الشغالين في المغرب»...) وعن نجاحها، ينبغي تسجيل البرقية الموجهة من طرف شيوعيين من ليم الى الادارة البلدية (والتي تم احتجازها) : «ابحثوا لورا كتيبات ضد المغرب، كاشان — دوريو — يرون؛ على نحو مستعجل، تراكتت علينا الطلاب». AN F7 13176 (كار).
- 42 نجد ملصقات عديدة، ومناشير وإعلانات صغيرة (وعالها بسح أصلية) في العديد من صاديق الأرشيفات الوطنية وفي بعض مجموعات الأرشيفات المقاطعية. وقد جمعت مجموعة منها في AN F7 13172.
- 43 حسب مذكرة لمفوضية الشرطة، غير مؤرخة ولكن من المحتمل جدا أنها في 1925، كان عدد المطبعين بالمنطقة الباريسية، الذين «اشتغلوا لحساب الشيوعيين» أحد عشر. APP BA 1676. وفي الواقع أتت أهم الملصقات والمناشير حسب علما من مطبعة دوعان. ولا تتوفر سوى على إشارات حزبية عن أعداد السحب المنحرة (انظر أدناه، أعداد سحب مطبوعات الشبيبات الشيوعية).
- 44 هذه هي حالة المنطقة الأطلسية (انظر AN F7 13105، لوار أنفيمور، تقرير أدبي موجه للمؤتمر الجهوي لـ 1926) ومطبعة بوردو (انظر AN F7 13176 جيروند).
- 45 أعاد الاتحاد الاقليمي للنقابات الاتحادية للألب — مانيتم ومنطقة بيس للحزب الشيوعي وجمعية قدماء المحاربين أعد ونشرا في أواخر مايو 1925 ملصقا رائعا بالألوان يؤكد على أن حرب الريف تم «لغاثة نك باريس واليهي — با والشركة المرسيلية للقرص التي كان نائبها مانيتي (لألب — مانيتم) حاكما» AN F7 13173 (ألب — مانيتم) — كما تم سحب مناشير في كل من مرسيليا والجزائر بمناسبة إرسال تمزيقات عسكرية. أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 117.
- 46 أنظر حاصصة AN F7 13174 (الشمال و 13175 (باس — آلب)

خلايا الحزب، داخل الشبيبات والنقابات، ومن جهة أخرى يمكنها تسهيل التدخلات في التجمعات العمومية (47).

إننا لا نتوفر على عناصر تسمح لنا بتقييم كلفة هذه الحملة (48). لقد كان تمويلها يشغل، كما رأينا، بال موريس طوريّز (49). وعلى أية حال، كانت تنظيمات القاعدة مدعوة للحصول على أموال بواسطة بيع الكراسيات والشارات، ومن خلال جمع التبرعات التي كانت اللجنة المركزية للعمل تسمى للاستثمار بأكبر حصة من مداخيلها (50).

تحريض في جميع الاتجاهات

لقد تطورت الحملة الشيوعية على صعيدين : فمن جهة استهدفت تعبئة الخمسة وستين ألف منتمي للحزب (51)، وتغطية جزء كبير من البلاد خاصة بواسطة حملة من التجمعات العمومية. وقد توجهت لـ «شغالي المدن والحقو، شغالي فرنسا والمستعمرات»، لكن إذا كانت هذه العبارة قد استعملت غالبا — لأنه من الضروري التأكيد دائما على التضامن الذي يجمع كل الشغاليين — فإن تنفيذ الدعاية كان يتطلب، من جهة أخرى، بذل مجهودات خاصة باتجاه مختلف فئات السكان، فكان يتعدى الشغاليين اليديويين عند الاقتضاء. كانت الحملة التي قررها الحزب الشيوعي حملة في جميع الاتجاهات : وكان من شأن بنيتها، وتجدره في الأوساط النقابية وتنظيماته الجماهيرية أن تجعل منها حملة ممكنة.

- 47 هناك أشكال كثيرة منها. أنظر تلك التي في آنذر — إي — لوار (AN F7 13173)، والشمال (AN F7 13174) والمنطقة اللبونية (AN F7 13177) والمنطقة البوردولية (AN F7 13090).
- 48 حسب اليومية الشيوعية. كانت نفقات ومداخيل اللجنة المركزية للعمل تقدر، في أواخر أكتوبر 1925، بـ 261 336 فرنكا، مع مراعاة مبلغ 77000 من استحقاق المطيعين، لومانيي، 10 لولر 1925
- 49 هل ساهمت الأهمية الثالثة في هذا التحويل وبأية حصص ؟ لا يعرف شيئا عن هذا. لكن تصريح فلوريوت بونط الذي يقول بأنه تلقى من الحزب الشيوعي الهولندي، من باب التضامن الشيوعي الدولي، «سلفا هاما» لمساعدة اللجنة الجهوية للعمل للشمال حتى تقوم بدعايتها ضد حرب المغرب. AN F7 13177 (الشمال).
- 50 «إن الموارد المحتملة للجنة العمل الجهوية سيقدمها بيغ الطاقات (؟) ووضع لوائح للاكتساب يتم التنازل لها عن قسط 25%» مذكرة اللجنة المركزية للعمل في 25 غشت 1925، AN F7 13092.
- 51 AN F7 13096 («وضعية الحزب الشيوعي عادة المؤتمر الوطني لكليشي»، مذكرة أعدها الأمن الوطني في أبريل 1925).

حملة التجمعات العمومية

لقد شكل تنظيم التجمعات العمومية في مجموع فرنسا التظاهرة الأكثر مشهدة في الحملة الشيوعية ضد حرب الريف. وقد طرح انعقاد التجمعات بعض المشاكل، سواء فيما يتعلق بالإعلان عنها عن طريق ملصقات، أو بحجز القاعات، أو بتوفير المركز لخطباء معروفين أو بالاحتياطات التي وجب اتخاذها بحكم المراقبة البوليسية. لنكتف الآن بأخذ نظرة عن مدى الجهود المبذول من طرف الحزب الشيوعي ولجان العمل (52). فبالرغم من أن الأرشيفات لا تخلو من ثغرات حتمية، بدا لنا بأن المعلومات المستقاة تسمح بتقدير إيقاع هذه الحملة وكثافتها، وكذا مقدرتها التعبوية (53).

بعد انطلاق بطيء جدا للحملة في مايو 1925، نلاحظ نوعا من التفاوت بين الاقليم، حيث كان برنامج التجمعات مكتظا على الخصوص في يونيو وبرنامج المنطقة الباريسية حيث توزعت تلك التجمعات بانتظام طيلة أشهر الصيف الثلاثة. لقد انخفض إيقاعها في شتبر واستأنف في بداية أكتوبر، عند اقتراب إضراب الأربعة والعشرين ساعة. هكذا أحصينا من 15 مايو إلى 15 أكتوبر مائة وخمسة تجمعات في المنطقة الباريسية وأربعمئة وثمانية وخمسين تجمعا في الاقليم. وتعتبر هذه الأرقام دون الواقع بالتأكيد، إذ أن التجمعات لم تكن كلها موضوع تقارير من طرف مصالح الشرطة وسلطات المقاطعات (54). ومن جهة أخرى، تبدو المعلومات، في بعض المقاطعات منعدمة أو جد متقطعة بحيث لا يخلو في وسعنا إيرادها. لم تتوقف الحملة بعد شهر أكتوبر؛ لكنها عرفت نوعا من الهدوء حتى نهاية السنة. ثم استأنفت في يناير وامتدت حتى يونيو 1926. وبالرغم من أننا لا تتوفر على معلومات في منتهى الدقة عن هذه الفترة الأخيرة، فإنه من الواضح أن كثافة الحملة وقتذاك قد قلت (55) وأن عدد التجمعات المخصصة أساسا للمغرب قد تقلص.

- 52 لا تدخل في مجال بحثنا الاجتماعات التي انعقدت بالمادة الوحيدة للشبيبات والتي سيأتي الحديث عنها لاحقا.
- 53 يتكون مصدرنا من التقارير المرسلة من طرف وزارة الداخلية حول «الدعاية الشيوعية ضد حملة المغرب» والتي هي مرتبة حسب المقاطعات : إنها تشمل الفترة الممتدة من نهاية شهر مايو 1925 إلى شهر يونيو 1926. AN F7 13173 إلى 13178 (1925) و 13104 إلى 13105. (النصف الأول من سنة 1926). وقد أقمنا عددا من التجمعات في مجموعات الأحياء المقاطعية بأما لا تتوفر حول هذه المسألة الخاصة، ماعدا بعض الاستثناءات القليلة جدا، على معلومات مختلفة أوتكميلية. (أنظر في الحاشية، مصادر - بيلوغرافيا).
- 54 بشكل خاص، الاجتماعات الكثيرة جدا، المرتحلة تقريبا، التي تمت في مخرج المصانع. ترى هل لأنها احتسبت هذه الأخيرة بشكل واسع أكدت لدولية الحزب الشيوعي للمنطقة المتوسطية أنها سهرت على «أكثر من 400 اجتماع» ضد حرب الريف تقرير أدني لسنة 1925، AN F7 13104. (بوش - دو - رن).
- 55 أقل مع ذلك كما كان يعتقد كل من ل. لوكييل، مقال مشار إليه، وكريما ديلس كتاب مشار إليه، اللذين يريان بأن الحملة الشيوعية توقفت تقريبا في أكتوبر 1925

الكامل للريف»، وقرّر بأن يوصي بالتأخي، ومقاطعة صنع الأسلحة والذخيرة والنقل العسكري، وكذا بتنظيم إضراب إنداري طيلة أربع وعشرين ساعة.

لم تكن الـ س.ج.ت. الـ وحدوية تنكر، بأنها تطوّر نفس الأطروحات التي يطورها الحزب الشيوعي الفرنسي. بالعكس، لقد كانت تعتبر أن هذا التطابق في النظر يقوّيها. لكنها كانت تُموّض حملتها في إطار كفاحها لصالح التوحيد النقابي. وكان هذا الأخير يمرّ، في رأي الاتحاديين، عبر التّشهير بقيادة الـ س.ج.ت.؛ مُدّعِي حكومات الكارتيل، وعبر تبني برنامج مُعادٍ للامبريالية. وفي 23 مايو 1925، اقترحت اللجنة التنفيذية لـ س.ج.ت. الـ وحدوية على الـ س.ج.ت. تنظيم جولة مشتركة واسعة للدعاية في مجموع فرنسا بهدف الاحتجاج ضدّ حرب الريف التي تشكّل «مَسّاً بحقّ الشعوب في تقرير مصيرها، وهو حقّ مُسلّم به من طرف الحكومة ومُدافع عنه من طرف مُنظّماتنا» ودعّت «الكونفدراليين» الى تبني شعارتي «الصلح الفوري» و«الجلء العسكري عن المغرب»، مُدكّرة بأن هذا الأخير كان مُطالباً به من قِبَل من طرف الـ س.ج.ت. (60). وفي نفس اليوم، شهِر ليون جوهر * بـ «التزعة الأُممية المزعومة لقادة الأُممية الثالثة (التي) ليست، في الحقيقة، سوى دعوة للتزعة الوطنية الأكثر ضيقاً. إنّ الشُعّالين، أضاف، لا يَقْبَلُونها مثلما لا يَتَوْن اللحاق بدسائس أولئك الذين يريدون تشجيع المُقامرة ويحلمون بغزوات جديدة» (61). لقد رُدّ مؤتموسو باتهام سكرتير الـ س.ج.ت. بـ «تأييد الطابع الألحاقِي للحزب المغربي وبتقويته، وذلك على حساب الجمهورية الريفية ولفائدة بعض ملاكِي الأبنك، ولو كان ذلك بهلاك ملايين الأشخاص على جانبيّ نَخط التار» (62). إننا نلمس اللهجة. لكن كان هناك خلف المواجهة العادية بين المركزيّين التقابليّين، تعارضٌ صريحٌ حول المعنى نفسه للنزاع المغربي، كَشَفَتْ عنه حملة المُنظّماتين. فبينما كانت جريدة «الكونفدراليين» تُقدّم عبد الكريم كـ «زعيم عصاية» فَصَلَهُ «يُحصّام» عن الاسبان (63)، كان «الاتحاديون» يلحّون على الطابع الوطني والشعبي لقتال الريفيين ويضاعفون ضغطهم : «إن المبدأ الأكثر بساطة لحقّ الشعوب في تقرير مصيرها يُلزِمُ القادة الكونفدراليين بكلّ تصميم بالانضمام الى صَفّنا للمطالبة بالصلح الفوري مع الريفيين،

59 المؤتمر الثالث لـ س.ج.ت. الـ وحدوية، باريس 26 - 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص 67 -

68

60 لوماني، 23 مايو 1925

الكاتب العام لـ س.ج.ت. (الفترة من الحرب الاشتراكي)

61 لوبول، 23 مايو 1925

62 لوماني، 25 مايو 1925

63 لوبول، 29 مايو، 3 و 18 يونيو 1925.

وبعد ذلك بالجلاء العسكري عن المغرب، وهي الضمانة الأساسية للمستعمرين ولحياة الجنود الذين يسقطون كل يوم من أجل قضية ليست قضيتهم» (64). يستتبع الصلح حسب ال.س.ج.ت. حلاً يحفظ في نفس الوقت الحريات الزيفية والحضور الفرنسي في المغرب؛ وبالتالي ينبغي الشروع في تثبيت حدود المغرب الفرنسي (65). المغرب الفرنسي؟ «أين يوجد هذا الاقليم المجهول؟» تساءلت جريدة الحياة العمالية «ساخرة» (66). وبما أن صحيفة لوبل اتهمت الشيوعيين بكونهم «أعداء السلم»، لأنهم كانوا يتمنون «انهزام القوات الفرنسية في المغرب» (67)، فقد رد مونوسو بأن «انهزام الشعب الزيفي سيعني التقوية المؤقتة للحكم البورجوازي على حساب البروليتاريا الفرنسية» (68)؛ فالاصلاحيون هم الذين «يقبلون بمواصلة الذبح في ظل الصيغ المتناهية الدهاء للصلح الوهمي المفروض على عبد الكريم» (69). إن ما أثار سخط قادة ال.س.ج.ت. ليس فقط الدعم الذي يقدمه الحزب الشيوعي وال.س.ج.ت. الوحشية للزيفيين، بل كونه يخطر داخل استراتيجية مرتبة من طرف موسكو. وفي مؤتمره الوطني، شرح مليون، معزاً قوله بسبيل من الاستشهادات، بأن الشيوعيين يشجعون تطور كل العوامل الوطنية في العالم من أجل تثبيت أفضل لكتاتوريته «بأدى الأمر في روسيا، وربما بعد ذلك في العالم» (70).

إلى أي حد أمكن لهذه الحجج أن تؤثر في مناضلي القاعدة؟ سنرى لاحقاً أن كل التقاين الكونفدراليين لم يكونوا ليشاطروا وجهات نظر قيادتهم حول المشكل المغربي. إن المعلومات تنقصنا حول المواقف المتبينة من طرف مختلف الفدراليات الاتحادية. لقد كانت في المجموع تمثل حبهة موحدة (71). وقد تمت المصادقة على تقرير مونوسو بإجماع المؤتمر، ما عدا امتناع واحد هو امتناع مندوب نقابة سيككي (شالون — سور — مارن الذي أبدى تحفظاته حول مدى ملائمة شعار التآخي للطرف الراهن (72). ولكن ستظهر

64 لاني أولفير، 26 يونيو 1925

65 لوبل، 10 يونيو 1925

66 لاني أولفير، 12 يونيو 1925

* La Vie ouvrière

67 لوبل، 23 يوليو 1925

68 لاني أولفير، 14 غشت 1925

69 نفسه، 7 غشت

70 المؤتمر الكونفدرالي الثامن عشر ل.س.ج.ت. 26 — 29 غشت 1925، باريس، عرض المناقشات، ص 163.

71 لقد نشرت لاني أولفير بالخصوص الشعارات ضد الحرب الصادرة عن الاتحادات الاقليمية «الحلما الشيوعية»، أعظم

19، 26 يونيو و3 يوليو 1925.

72 عرض، مشار إليه

تاعدات الرأني داخل الـ س.ج.ت الوحوية، كما سنرى، بمناسبة إضراب الأربع وعشرين ساعة، الى حد أن بعض المناضلين سيقطعون علاقتهم مع الحزب الشيوعي ويتعدون عن قيادة المركزية الثاقبية.



هناك فئة خاصة من العمال سعى الشيوعيون الى تعبئتهم ضد حرب المغرب. لانهم العمال الأجانب أو الذين ينتمون الى المستعمرات. فهؤلاء الذين كانوا مستغلين بشكل مزدوج بصفتهم عمالاً وبصفتهم مستعمرين، كانوا قابليين للتأثر على الخصوص بانداءات الحزب الشيوعي الفرنسي لتحرير شعوب ما وراء البحار. في هذا الوسط، كان التخليص لصالح عبد الكريم مكرراً على الملمح الوطني لكفاج يُقدّم على أنه نموذجي. لقد ردّدت لوباريا، «منبر البروليتاريا المستعمرة»، باكرراً صدّى المارك التي يخوضها المغاربة وامتدحت «جمهورية الريف» (76). ولم ينتظر اتحاد التضامن مع المستعمرات (74) هجوم الزعيم الريفني على القوات الفرنسية لكي يُعبّر له عن تعاطفه الشديد. وفي 30 شتنبر 1924، وجّه الحاج علي، في أعقاب اجتماع بباريس ضمّ أربعمئة شخص، تحية الجمع الى عبد الكريم «الذي يكافح، كما فعل عبد القادر سابقاً، من أجل استقلال بلاده» (75). لقد انعقدت تجمعات جديدة في 3، ثم في 17 أكتوبر؛ فحياً يوطون خلالها «البطل عبد الكريم الذي سيكون انتصاره دليل تحرير الأشخاص الملونين» (76). أمّا مؤتمر العمال الأفارقة الشماليين للمنطقة الباريسية، المنعقد في 7 دجنبر، فختم أشغاله بإرسال برقية موجهة «الى المغاربة وإلى زعيمهم عبد الكريم» مؤكدة لهم تضامن العمال معهم «في عملهم من أجل تحرير أرضهم» (77). وفي 26 مايو 1925، انعقد بمرسيليا المؤتمر الأول للعمال الأفارقة الشماليين لـ البوش — دي — رون، الذي انتهى بصيحات «عاش السلم الفوري في الريف: عاش استقلال الشعب المغربي. عاش الحزب الشيوعي!» (78). لقد كان الحزب الشيوعي الفرنسي يوزّع منشائر باللغة العربية بين الشغاليين المغاربة. وقد استرعى واحد من هذه المنشائر، وهو طويل للغاية، انتباهنا.

73 لوباريا، فبراير 1924 («عاش المغرب الحر»)، يونيو — يوليو 1925 («عاشت جمهورية الريف»).

74 عن الاتحاد اليس إستمعاري، أنظر أهلاه، الفصل الرابع
AN SOM، شؤون سياسة 2415، مذكرات حول الدعاية الثورية...، 30 شتنبر 1924.

القمه، 31 أكتوبر 1924.

القمه، 31 دجنبر 1924

AN F7 1317 (بوش — دو — رون)

فبعد أن أثار بتعابير مثالية الوضعية في المغرب قَبْلُ الاستعمار وشَدَّد على أطماع الرأسمالية الدّولية، أكَّد تضامن الشعب الفرنسي مع الشعب المغربي : «لايرغب أغلبية العُمال، والفلاحين والجنود الفرنسيين سوى في استقلالك الكامل، ولا يعترفون بحقّ رأسماليهم في الهيمنة عليك ولا في استعبادك. وهم أنفسهم يسعون الى التحرّر من استعباد رأسماليهم؛ ويسعون الى محاربتهم، وكذا محاربة حكومتهم التي أهانتك، لأن الظُّلم يهيمن في فرنسا أكثر منه في المغرب العربي. فما يرغب فيه عُمال وفلاحون فرنسيون لأنفسهم، يرغبون فيه لك أيضاً. ومُتّجدين معك، سيهتفون عالياً من أعماق القلب : عاش استقلال المغرب العربي» (79). هل قررت سلطات الحماية في أكتوبر منع خروج الشغاليين المغاربة المتوجهين الى فرنسا بسبب الخشية من انعكاسات هذه الدّعاية أم لأسباب محلّية ؟ انعقد، بعد استسلام عبد الكريم، تجمّع ضمّ الشّغاليين الأفارقة الشّماليين بباريس، فألقى كوست، السكرتير العام للمنطقة الباريسية للحزب الشيوعي، كلمة موجزة، ثم أخذ إسماعيل الكلمة باللهجة القبايلية وبن لكحال ومناضل تونسي باللغة العربية. وقد صرحوا بأنّه «اذا كان عبد الكريم قد استسلم فإنّ المقاومة ليست أقلّ مما كانت ضدّ الاحتلال الفرنسي...» (80)

لقد كان الشّغاليون المهاجرون الآخرون يتلقّون دعاية لا يبدو أنه كان لها نفس الطابع التّنظيمي. وتسمح معلوماتنا، وهي جدّ ناقصة، بافتراض أنّ هذه الدّعاية كانت تركز أساساً على الد.س.ج.ت.الوحدوية، التي كانت تمنح بعض التسهيلات لمتخلف المجموعات الوطنية، في الحدود الضيقة المفروضة من طرف القمع البوليسي. هكذا كان العُمال البولونيون يُصدّرون صحيفة تدعى الاتحادي البولوني ثمّ منّعها بقرار وزاري في 4 يونيو 1925 (81). وبعد ثلاثة أسابيع من ذلك. غُوَضِّتْ بصحيفة جديدة هي الحركة النقابية تُضمّن عددها الأوّل مقالاً مُتعلّقاً بحرب الرّيف وبالتّحضير للمؤتمّرين العُماليين والفلاحيين لباريس وليل. وفي التّصف الثاني من غشت، قام طوماس أولزانسكي، وهو بولونيّ تُجسّس لالجنسية الفرنسية، ومندوب دائم لـ د.س.ج.ت.الوحدوية، بالقاء سلسلة من المُحاضرات على مواطنيه السّابّقين، في ليل، وبلان — ميسرون، وفيك أونينغ وفيكواني وأنزان، حيث تحصّن حيّزاً كبيراً للأسئلة المطروحة من طرف الكفاح ضدّ حرب المغرب (82). أمّا العُمال الايطاليون فكانوا يشاركون بكثرة في

79 إن ترجمة هذا المنشور، التي قامت بها دون ريب مصالح مطوية الشرطة، تحمل تاريخ 16 أبريل 1925 AN F7 13171.

80 AN F7 13103.

81 احتيالا بسبب المقالات المتعلقة بأحداث المغرب، APP BA 1676.

82 AN F7 13177 (الشمال).

التجمعات العمومية المنظمّة من طرف لجان العمل المحلية، وليس فقط في الميدي الفرنسي في الشرق أيضاً (83). لقد ضاعفت لوماني، عشية الاضراب الاندازي لـ 12 أكتوبر، نداء باللغات الأجنبية : الأرمنية، الإيطالية، التشيكية، الأسبانية وحتى بالعبرية (84). كما كان المناشير الموزعة من طرف الـ س.ج.ت.ت الوحيدة تتضمن ترجمة إيطالية وترجمة أسبانية (وذلك لدعوة المناضلين إلى تكثيف حملتهم، من 20 نونبر إلى 20 دجنبر، ضيّد غلاء المعين وضيّد الحرب الإمبريالية معاً).

الفلاحون

غالباً ما كان الحزب الشيوعي يربط في نداءاته للتظاهر ضيّد حُرْب الرّيف، بالفلاحين والعمّال (86). لقد كانت الطبقة الفلاحية الفرنسية، التي ابتليت كثيراً بحرب 1914، مجّالاً قابلاً للتأثر على نحو خاص. ثرى هل قام الشيوعيون، لهذا السبب، بأعمال خاصة اتجاهها ؟ إن توثيقنا ناقص في هذا الأمر. ولا يسمح لنا سوى بإشارات جزئية جداً. يبدو أن المؤتمرات العمّالية والفلاحية الجهوية، التي ستعود إليها لاحقاً، لم تجمع سوى عدد قليل الفلاحين، ولم يتدخل منهم في المنصة سوى ثلاثة حسب تقارير لوماني (87). ويعكس ذلك، يبدو أن الدعاية الشيوعية ضيّد حُرْب المغرب غالباً ما همت مُستمعين تتكون أغليبيتهم من الشغّال الزراعيين وصغار الفلاحين. ويمتحننا وجود مجلس فلاحى فرنسي، وهو تنظيم جماهيري للحزب (88)، سبيلاً للبحث لم يكن في مقدورنا ارتياده. فباسمه تدخل مُتَشَبِّهُ على الصعيد الوطني وهو رونو جان، من منصة مؤتمر المنطقة الباريسية (89). ويبدو لنا بأن هذا الجهاز قد طوّر

83 أطر 13173 و 13174 AN F7

84 لوماني، 8 و 10 أكتوبر 1925

85 AN F7 13104 (ماس - آل)

86 لنورد إعلاميين صغيين تعريفين : «لقد قاتل العمال والفلاحون طوال خمسة أعوام من أجل الصاعين وأرباب الأرباك يعودوا يريدون الطاعة. لتسقط حرب المغرب» «من يموت ؟ أبناء العمال والفلاحين. من يؤدي الشن ؟ العمال والفلاحون» AN F7 131 72

87 ليونس روسي في مؤتمر باريس، لوماني، 6 يوليو 1925 — وناش في مؤتمر بري، نفسه، 18 عشت 1925 وميو في مؤتمر مرسيليا، نفسه، 24 عشت 1925.

88 قدمت السلطات بشكل غير دقيق المجلس الفلاحى الفرنسي على أنه ينتمي إلى الـ س.ج.ت.ت الوحيدة الزراعية، تعلق الأمر بالنسبة لهذه المنظمة تجمع صغار الملاكين والفضال ضد التنظيمات الزراعية القائمة والموحدة «نحت تأ الكليروس وكبار الملاكين» (قوانايزان، 28 نوسر 1925) عبارة ذلك تنزير الـ س.ج.ت.ت الوحيدة على لدرالية للزرا تدأ على جمع الأحرار الزراعيين.

89 يعتبر رويو — حاد، ثالث لو — إي — غارون، دون ريب أحد أقوى شخصيات الحزب الشيوعي الفرنسي. لقد كل من طرف الحزب بتتامة المشاكل الفلاحية، وأنشأ مد 1922 أسوعية، لافوا بايزان، وهي الصيغة الزراعية للحزب

على الصعيد المحلي، أعملاً مطلوبة نوعية كانت مناسبة لاثارة مسألة الريف. هكذا كانت المشاكل المتعلقة بزراعة الكروم موضوع حملة في الاجتماعات في لبيروني أورينطال، في ذروة الكفاح ضد الحرب : في 26 يوليوز 1925 ب سان لوران دو لا سالانك (ثلاثمائة شخص)، وفي 28 ب إيسيرا دو لاكلي (مائة)، وفي 29 ب إيلن (ثمانون)، وفي 30 ب بيزيا دو لا ريفير (سبعون)، وفي فاتح غشت ب ريفيزالت (خمسمائة) وفي 2 ب بار دو مالو (ستون)، وفي 3 ب بيكساس (مائة) (90). وأخيراً، نعلم بأنه بين نهاية 1925 وبداية 1926، عقد المجلس الفلاحي حوالي إثني عشر مؤتمراً جهوياً سبقتها تجمعات عمومية وزعت خلالها لافوا بيزان «، الحريدة الأسبوعية للحركة، بالمجان على آلاف الفلاحين؛ لكننا نجهل الحيز المخصص في هذه التظاهرات لحرب الريف (91).

وحسب وسائل الدعاية الموضوعية تحت تصرف المناضلين، يبدو أنه تم تطوير حجتين رئيسيتين في الحملات : حجة النزعة السلمية — «أيها الفلاح الشاب كفى من الدماء» — وحجة التبذير المالي : «إن كتلة اليسارات لا تجد المال للزراعة. لكنها تجده لشرب الحرب في المغرب» (92)؛ ويمكن ربط كلتيهما بالتهام الرأسمالية (93). ولم يكن الوعي بحق الريفيين في الاستقلال غائباً في المناقشات. لنسجل بأن أحد المزارعين، وعمره ستة وأربعون عاماً، وضّح في لاكوكي، وهو موضع صغير من البيرفور، عندما استدعي الى اجتماع من طرف الشبيبة الشيوعية، بأن السمعة الفرنسية لا يمكن أن تُمس إلا إذا تم انتهاك حدود فرنسا نفسها لأن «العرب لم يتجروا نحو مرسيليا. والمغرب لا يعود لنا. بل يعود للعرب طيقاً لحق الشعوب في تقرير مصيرها» (94).

الشيوعي التي صارت في 1925 «لسان حال المجلس الفلاحي الفرنسي». للأسف، لا تتوفر الحزاة الوطنية، فيما يخص فترة حرب الريف، سوى على خمسة أعداد من هذه الحزاة

90 إن الاشارات حول عدد المشاركين من مصدر بوليس AN F7 131 77 (بيوي — أورينطال).

La Voix paysanne *

91 ضعيف دون رب اعصارا لكون هذه المؤتمرات تمت في فترة انخفضت فيها كثافة التضال ضد الحرب ويخصص عرض مؤتمر كوسن، وهو الوحيد الذي توفرنا عليه 3 أسطر للمغرب من 120 سطرا. لافوا بايزان، 28 نونر 1925.

92 AN F7 131 72.

93 «سيو الناس، سيو التغلدة، سيو العلاج، بلون أناء من عائلاتهم، هذا هو الوضع الذي فرض على حنودنا في المغرب. وهذا فقط لأن حفة من أرباب الأبنك وقع اختيارهم على ثروات الأرض واطن الأرض المغربية» لافوا بايزان، 5 دجبر 1925، أنظر أيضا 26 دحتر 1925.

94 الأرشيفات المقاطعية للوردولي، 4 M 193 (عرض اجتماع 7 يويو 1925).

الشبان

إن الشبان هم الذين يتم استدعاؤهم لمحاربة الريفيين؛ فالشبان العمال، والشبان الفلاحون، والشبان الجنود هم الذين يشكلون، من الجانب الفرنسي، أول ضحايا هذه الحرب. وعليه، كان ينبغي تطوير تحريض خاص في اتجاههم. ولم تكن هناك أية صعوبات في هذا الأمر، لأن التنظيم الشيوعي كان يتوفر لهذا الغرض على أداة ممتازة، هي فدرالية للشباب، ديناميكية، إلى درجة أن مشاركتها في الكفاح ضد حرب الريف هي ربما الملمح المعروف أكثر، من هذه الحملة. فبحرصها على أن تؤكد ذاتها بالمقارنة مع جيل لم يعرف كيف يمنع الحرب العالمية، دفعها حساسيتها تجاه النزعة الأممية إلى أن تثبّع بهمة تعليمات الأممية. لقد كانت فعاليتها — التي تمّ التزوع إلى الاعتراض بها على ترددات أو «عجز» الحزب، المحترق بتيارات متناقضة — متجسدة في أحد القادة، وهو جاك دوريو، الذي كانت له قبل ذلك حياة زعيم — وكانت قد عثرت على محرّج في الكفاحات المعادية للنزعة العسكرية : وقد أعقبت الحملة ضد حرب الريف الحملة ضد احتلال الرور.

لقد دعا المؤتمر الوطني للشبيبات الشيوعية، المنعقد في أواخر 1924، إلى تأخي الجنود الفرنسيين والشعب المغربي، وطالب بالجلء الفوري عن المغرب (95). ولم تكن تلك هي انطلاقة حملة الشبيبات الشيوعية. ففي نهاية الصيف، حيث تفوّقات عبد الكريم (96) وفي 30 شتنبر، أصدرت مع الشبيبات الشيوعية الأسبانية بياناً يمتدح الكفاح من أجل استقلال الشعب المغربي (97). وفي مُستهلّ 1925، كان عدد المنضمين تحتها يقارب اثني عشر ألفاً، إلا أن هذا العدد لا يمكن من تصور الحملة التي قادتها. في وسعنا مقارنة المجهودات التي قامت بها في تلك السنة إذا أحصينا عدد النسخ من الجرائد التي كانت تصدر تحت رعايتها. لقد كانت لافان كارد، وهي لسان حال الشبيبات الشيوعية، تُسحب 8.000 نسخة في 1925؛ وستحوّل من نصف شهرية إلى أسبوعية ابتداء من شتنبر، دون أن تغرّر من سحبها الذي سيرتفع، بمناسبة فاتح مايو 1926 إلى 17000 (98). لكن العدد الخاص لأواخر مايو 1925 الذي تضمّن النداء إلى التأخي مع الريفيين سُحب في 50.000 نسخة (99). أما الصحافة

95 أنظر لافان — كارد، 15 — 31 يناير 1925.

96 نفسه، 15 — 30 شتنبر 1924.

97 نفسه، فاتح — 15 أكتوبر 1924.

* L'Avant-Garde

98 حسب التقرير الأدبي المقدم إلى المؤتمر الوطني الخامس للشبيبات الشيوعية (سان — دولي، 11 — 14 يوليوز

1926)، وهو متضمن في كتيب مطبوع في 32 صفحة يتضمن أيضاً مشاريع القوانين ومشاريع الأطروحة المقدمة من

طرف الفدرالية AN F7 1318

AN F7 1317 (السين)

المعادية للنزعة العسكرية، فكانت تتّوفر، من جهة على جريدة نصف شهرية هي لاكازيرن^{١٠٠}، التي كانت تُسحبُ 10.000 نسخة وملحقاً شهرياً، ولاباج دوجون لوكان^{١٠١} التي سُحِبَ من عددها لـ 5 يونيو الذي دعا الجنود والبحّارة الى «التّأخي مع المغاربة والصّينيين» 5.500 نسخة^{١٠٢}. ومن جهة أخرى، كانت هناك نُشرتان تُصدّران مرّتين في السّنة، في فترة محالّس المُراجعة العسكرية وهما لوكونسكري التي سَحَبَتْ 30 000 نسخة في مايو وفي نونبر 1925 و 40.000 في أبريل 1926، ولولييري، التي صدرت لأوّل مرّة في مايو 1925 بـ 20.000 نسخة، و25.000 نسخة في نونبر 1925 وفي مايو 1926^{١٠٣}. لقد نشرت فدرالية الشّبيبات الشيوعية وسائل دعائية مُعادية للنزعة العسكرية تُضَمَّنَتْ في الفترة المُمتدّة من تاريخ يناير 1925 الى 5 مايو 1926، 22.000 مُلصقاً و1.108.000 منشوراً و1 520 000 إعلاناً صغراً. لقد تمّ ابتكار معظم هذه الوسائل بارتباط مع الحملة ضدّ حرب المغرب^{١٠٤}.

لقد شاركت الشّبيبات الشيوعية في مختلف لجان العمل وفي التّجمعات العمومية المُنظّمة من طرف هذه الأخيرة. وبشكل مُوازٍ، هيأت عدداً من اللقاءات بوسائلها الخاصة. ومن الصّعب القيام بإحصاء لعدد الاجتماعات التي عقّدها على هذا النّحو ضدّ حرب الرّيف؛ بيد أنّنا نتوفّر، بخلاف ذلك، على مُخطّط هيأته الفدرالية بمناسبة «الأسبوع الدّولي للشّباب» من 30 غشت الى 5 شتنبر 1925 وعلى الحصييلة التقديمية لهذه الاجتماعات^{١٠٥}. لقد شاءت صدفة التوقيت أن يحلّ هذا الأسبوع تقريباً في ذروة الكفّاح ضدّ حرب المغرب : فكانت هذه الأخيرة تحتلّ الصّدارة في المُظاهرات المُرتقبة. هكذا يكون في مُكُنّتنا تكوين فكرة عن المحوّدات الخاصة المبذولة من طرف الشّبيبات الشيوعية لتنظيم حملة التّحريض هذه، والمصاعب التي واجهتها في مستوى التّنفيذ. لقد تمّ الاعلان عن ثلاث

* La Caserne

* La Page de Jean Gouin

- 100 نفسه، حسب مذكرة اللجنة المركزية، فإن سحب كازيرن كان، في 1926، بين 12500 و14000 نسخة ولاباج دوجون لوكان 4000 بحكم «ضعف» التنظيم الشيوعي، بالنسبة لهذه الأخيرة، في تولين وبريست وأشباهات معهد موريس طوريكز، السلسلة 177.
- 101 تقرير الأدبي، مشار إليه سابقاً.
- 102 نفسه
- 103 مذكرة موجهة من طرف الفدرالية الوطنية للشّبيبات الشيوعية بمناسبة الأسبوع الدّولي للشّباب (30 غشت — 5 شتنبر 1925) AN F7 130 92. إن الحصييلة التقديمية توجد في التقرير الأدبي المقدم إلى المؤتمر الوطني الخامس للشّبيبات الشيوعية، المشار إليه آنفاً.

سلاسل للقاءات : 1) إثنا عشر لقاء دوليا، بمشاركة مناضلين ألمان، وبلجيكيين، وإيطاليين، وإسبان وروس. لكن لم يحضر أحد من هؤلاء الخطباء. فتَمَّتْ تسعة لقاءات مُبَيَّتْ ثلاثة منها بالاختفاق (١٩٠٤). وكان أحسن الاجتماعات في الشمال، بـ هيلم — ليبل، وخاصة بـ إينان — ليطار (أربعمئة مشارك)، وفي الميدي، بـ آلي حيث أعقب اللقاء مظاهرة-لبضعة آلاف من الأشخاص (١٩٠٤). 2) إثنان وتسعون لقاء مُنظَّمًا من طرف المركز، أي ستون في المنطقة الباريسية وإثنان وثلاثون في الاقليم، بِخطباء قَدَّمَتهم قيادة الحزب الشيوعي وقيادة الشبيبات الشيوعية. وفي الواقع، لقد تَمَّ إنجاز حوالي ستين من تلك اللقاءات، بحضور أربعمئة شخص في المتوسط. لقد علقت الفدرالية قائلة بـ «أن أغلب الرفاق الذين وضعهم الحزب تحت تصرّفنا تَمَّت استعادتهم من طرفه بعد ذلك، أو أُخِلُّوا بالتزاماتهم»، وهذا ما يُفسَّر «التجّاح القليل لبعض الاجتماعات» (١٩٠٤). 3) لقاءات تُنظَّم بمبادرة من الوفقات. إثنان لا تتوفّر على مُعطيات مُرقّمة؛ غير أن الفدرالية تعتبر أنّها كانت عديدة : «إنها لم تضمّ، في المجموع، جمهوراً غفيراً، لكنها جلبت في كل الحالات تقريباً، انخراطات وصمحت لنا على الخصوص بأن نُجَدِّد الاتصال في القاعدة المحلية مع كثير من المنخرطين الذين كانوا قد غادرونا» (١٩٠٧). وقد وَضّحت الفدرالية بأنه، على عكس ما حدث مع القيادة المركزية، كانت «مساعدة الحزب للقاعدة أفضل، وأكثر فعالية» (١٩٠٨).

إن الشبيبات الشيوعية ولم تُقَصِّر نشاطها على ترويج وسائل الدعاية وعلى تنظيم تجمّعات عمومية (١٩٠٩). لقد كانت أكثر هِمّة في نقل التناقض الى التجمّعات المُنظَّمة من طرف الحزب الاشتراكي والـ س.ج.ت، كما كانت تعرف أيضاً تنشيط سهرات فنية تُفسِّح مكاناً للخطاب السياسي. مجوار الأغاني والعروض المسرحية. ولم يكن اختيار المتن محايداً. هكذا، مناسبة افتتاح المَدْرسة الثانية للشبيبات الشيوعية، كان مُلصَق المسرح البلدي لسان — دوني يحمل كعنوان في 16 شتنبر 1925 : الريف «مسرحية من الأحداث الراهنة في لوجتين»، ألّفها كرايجوان ومثلّتها على الخصوص بَمدام لارا، وهي مشتركة في الكوميدي فرانسيز. لقد سبقَت العَرَض كلمتان موجزتان ألقاهما كلٌّ من مارسيل كاشان وفرانسو

104 «لأقاعة في مرسيليا، وجمهور قليل في تولوز، و 300 شخصا تقريبا في ليون»، التقرير الأدي، مشار إليه.

105 نفسه

106 نفسه

107 لقد مرر هذا الجانب أكثر، وصحت الفدرالية، في المنطقة الباريسية، لنفسه.

108 نفسه

109 مائة للدعاية في الأوساط العسكرية، أطر أدناه، الفصل السابع.

شاسيني، سكرتير الشّبيبات الشيوعية (١١١٥). وحتى الأغنية صارت وسيلة للتعبير السياسي. فاستعاد مونتيوس أغنية «إلى ضحايا المغرب» وهو مونولوج سيلمي كان قد ألّفه قبل 1914 (١١١٦). وكانت ذات استلهام مُجاور لهذا المتولوغ تلك الأغنية التي كتّبتها جول هوبير وشارليس، وهما كاتباً كلمات معروفات، وفق لحى دولوروسا.

إنهم يمضون هناك،
تحت الشّمس المغربية
ماذا نرى سيكون غدّهم.
ففي قلبنا،
ثمة ألم كبير
لرؤية هؤلاء البؤساء يرحلون
هم الذين يمضون هناك. (١١٢).

كانت «تحت الشّمس المغربية» أغنية ناجحة؛ فهي تذكر حنين الجندي الفرنسي الذي يفكر أمام الرّيفيين في حبيبته التي بقيت في الوطن. لقد كان اللّحن في متبى الشعبية بحيث أن الشيوعيين الشّبان سطوا عليه وجعلوه، في خدمة معركتهم بكلمات جديدة. وكان عنوان أغنيتهم «المغرب للمغاربة»؛ وهذه لازمتها :

تحت الشمس المغربية،
تهلك جوعاً وعطشاً ونُؤساً
لماذا المُضّي عند الرّيفيين
الذين هم في وطنهم ولماذا شن الحرب ؟
كفى من الكفّاحات اللائحة
فليس للبروليتاريين هناك ما يفعلون
وبالتّأخي سيتركون أخيراً
المغرب للمغاربة (١١٣).

110 لوماني، 15 شتر 1925. لسجل هذا الصدد أن الفدرالية الشيوعية للسور تتوفر على فرقة مسرحية امتدصتها خارج باريس هكذا قدمت، في نهاية شهر مايو 1925 بليون، عرض لـ لار، وهي دراما من عشر لوحات، حسب نابوس، أمام محسماتة إلى سماء متفرج، وقتل رفع الستار قدم القيم على المسرح عرضاً حول حرب المغرب AN F7 131 74 (الزود).

111 انظر أعلاه، الفصل الثاني

112 لأقت الأغنية بعض الحاج، مادما نعرف أن لها طبعين APP BA 1676.

113 إن الأهمية الموقّعة ح. لودوفيك من الفرع الرابع عشر والوثاق الرابع، مكونة من ثلاثة مقاطع إن نصها موجودة في لوكونسكري أكتوبر 1925 ومارس 1926

قليلة هي الأمثلة التي لدينا عن مظاهرات الشَّارِع. فتلك التي وقعت في سان — دوني لاحتتام الأسبوع الدَّولي للشباب جمعَتْ، حسب مفوضية الشرطة، ألفي شخص. لقد كانت هناك لاقطات رفعت أمام البلدية بِمَثَل «المغرب للمغاربة»، «الصلح الفوري مع الرِّيف» وجاورَتْ شعاراتٌ مُعادية للنزعة العسكرية وسليمية أو مُعادية للسياسة الاقتصادية والاجتماعية للحكومة. وعندما مرَّ الموكب أمام الكاتدرائية، انضافت إشارة معادية للاكليروس : لقد أخذ المتظاهرون يُنشدون الأُممية ويصيحون بهتافات : «لتسقط الحرب»، «البورجوازيون في المغرب»، «هُوَ هُو رجال الدِّين»، «الاكليروس في المغرب». عند انتهاء المُظاهرة، تُعرَض خمسة شبان إيطاليين للاعتقال بسبب مشاركتهم فيها؛ ومنذ اليوم التَّالي نصُّ قرارٍ وزاري على طَرْدِهِم (١١٤).

لقد كان للدَّعاية ضيِّدٌ حرب المغرب لدى الشيوعيين الشَّباب محتوى يَتميِّز أساساً بمعاداة النزعة العسكرية. فحزب المغرب معناها «صَلْبُ» الجنود، والتموين غير الكافي، والتلجج والصَّقيع (١١٥)، وهي أيضاً المسالك الوعرة، و«الوَحَلُ الذي يُلْتَصِقُ بالفخذين والكُفَّين»، و«الأُمراض، والجراح والموت» (١١٦). ولم تكن الاشارات الى الرِّيفيين غائبة. كانت فقط أقلَّ عَدَدًا أو بِدَقَّة أكثر أَقلَّ صَحْبًا. لقد ارتضى التحريض المُعادِي للنزعة العسكرية شعارات بسيطة، مُفجِّمة، وليست بحاجة لأية برهنة حتى تفهم. أمَّا الكفاح ضيِّدُ الامبريالية فكان يمكنه عند الاقتضاء أن يفسح المجال لبعض الشعارات، لكن كانت هذه الأخيرة تظلُّ شكلية، مجرَّدة، وغريبة عن وعي المناضلين الشَّبان، إن لَمْ تُرَفَّقْ بتفسير. لقد كان هذا الأخير يعم على مستويين : فالأوَّل يستعيد مُحااجة الحزب الشيوعي حول عُملاء الحرب، الرأسماليين الذين يَسْتَفِيلُون الشَّعَالَين ويسعون للاستحواذ على ثروات الرِّيف. أما الثاني، وهو الأكثر جِدَّة، فيشدُّد على الصُّحَايا. «إن المتمرِّد أخوكم، والامبريالية عدوكم»، هذا هو عنوان مقالٍ نُشرَتْهُ لاكازين (١١٧). لكنَّ مُنْشوراً لفدرالية الشَّبيبات الشيوعية تمكَّن، رغم تعقُّرات التعبير، من العثور على لهجة أكثر مباشرة؛ لقد تُخَيَّل حواراً بين شائِبين تلقى أحدهما ورقة الدَّهاب الى المغرب : «نصبيحة : اعتبر العرب بمثابة إخوة لك وضحايان نفس المُستَغْلين مثلك. فإذا

114 APP. Prov. 238 (عرض مظاهرة الشبيبات الشَّعْبية سان — دوني في 6 شتنبر 1925) أنظر أيضاً ج — ب — بروني، سان — دوني، المدينة الحمراء، 1890 — 1939، نابيس، 1980، ص ص 269 — 270.

115 حلالات المُلَقَّى أُممية تحت الشمس المغربية، يعرف الحيدود أن الرِّيف سلسلة من الحمال يكسوها التلجج في فترة من السنة.

116 أنظر لاكازين، فاتح أكتوبر 1924، 20 أبريل، 20 مايو، 5 يونيو، 5 يوليو، 20 أغسطس، 20 أكتوبر 1925، 20 مارس 1926.

117 لنفسه، 20 يناير 1926 (ص 2).

كافحون للتحرّر من المبتزّين الفرنسيين مصاصي الدّماء، مُدّ لَهُم يدين أُخَوَيْتَيْن، سم ولا تُنسَ أبداً أن تحت بَزْتُكَ يستقرّ وجه المُضْطَّهَد. أصْلَحَ هذا بمساعدة الشعوب هدة على التحرّر». (118). كما استعملت صيغة الحوار، التي عبّرت عن هذه الرّغبة في وفي تفسير اقتراحات سياسية بعبارات بسيطة، ميسورة للجميع، مِنْ طَرَفِ الطّبعة لـ لافانكارْد التي وَضَعَتْ في المشهد امرأة وجنديا. لقد كان هذا الأخير يتحدث ت من أجل الوطن فأحابت المرأة بأنها لا تفهم : كيف يمكن لفرنسي أن يموت من لئله في المغرب ؟ يمكن القبول على الأكثر بأن يموت مغربيّ هناك من أجل وطنه مُدافِعاً سه ضيّد الفرنسيين. لكن ماذا يعني الوطن إذن (119) ؟

سـ

في مايو 1925، أُخْبِرَت مارغريت فوسكاف، المسؤولة عن السكرتارية النسوية بفرع باللجنة المركزية، سكرتيري المناطق الشيوعية بقرار اللجنة المركزية بـ «القيام بعمل لتعبئة النساء ضيّد حَرْبِ المغرب». ولذلك، فهم مدعوون لأن يُخَصَّصُوا لهن حيزاً في جرائدهم ولمصقاتهم ولقاءاتهم ولأن يُنظِّمُوا تجمعات في المعامل من أجل «استنفار ت ضيّد الحَرْب» (120). لقد شجعت ديامبكية بعض المناضلات على انعقاد ت نسوية أساساً : فحسب لومانيتي استجاب : خمسة آلاف «شغالة» بباريس، سوزان حيرون في 27 ماي (122). كما أن النداء الى الأمهات، الذي كان تقليدياً قبل احتفظ بقوّته (121). لقد استُقبلَ وَقَدْ من العاملات والشغالات، بقيادة كارشيري، ف رئاسة الحكومة. وكان ذلك لتسليم عريضة احتجاج ضيّد حَرْبِ الرّيف : «لقد وَلَدْنِ في الحرب (حرب 1914)، قالت في نهاية المقابلة إحدى المُشاركات. وعلى ، أن يذهب في نونر القادم. أُقسِمُ بآئكم لن تأخذوه مِنِّي من أجل حربكم في

مشور معول د : الحروب الاستعمارية، ورع حاصة سات، في يناير 1926، AN F7 131 82
لافان — كارد، الطعة الأكراسية (باللغة الألمانية)، عدد 9، يوليو 1925 في AN F7 131 77 (الأكراس).
مذكرة عامة رقم 102، في 22 مايو 1925، مدقة عـ د - التبطه من طرف ر - دالي، وعن السكرتارية النسوية من

طوب مارغريت فوسكاف، AN F7 130 92

لومانيتي، 27 و 29 مايو 1925

لنفسه، 30 يوليو 1925.

«... أيتها الأمهات، أيتها النساء، أولاً يعتبر دم أسائكم كذا أنكم كثير من ملايين أرباب الأساك نفسه 27 مايو 1925 (ميشل مارت). «أيتها الأمهات إلى أساءكم قتلوا» يقرأ في الملصقات المعلقة فكان من طرف الشابات

الشيوعية AN F7 131 73 (آلب — ماريتيه)

الحزب، وليس فقط أولئك اللواتي «يَصْنَعْنَ القذائف»، ولكن كلّ الشّغالات، خصوصاً شغالات النسيج والملابس الجاهزة (131). هل يمكننا الاستنتاج من هذا أن التحريض النّسويّ يتطلب تنظيمًا خاصًا داخل الحزب نفسه وداخل لجنة العمل ؟ لقد أوّلّت ماري ديوي، مندوبة الأمية (132)، في هذا المنحى التعليمات التي تلقّتها. فقد رَجَعَتْ «إلى تطبيق الثورة الرّوسية برمتها»، واقترحت على اللجنة المركزية تنظيم ندوة لعاملات المنطقة الباريسية. وسيكون على هذه الأخيرة أن تعين لجنة للعاملات، مرتبطة بلجنة العمل، وستعمل معها «لاجتذاب حوالي خمس عشرة مناضلة من الجماهير حتى تكون هناك ارتباطات مباشرة مع عاملات أهمّ العمال» (133). لقد انفجرت الاحتجاجات. فأبدى طويريز اعتراضه على تشكيل لجنة جديدة بجانب لجنة العمل (134)، ورغم الدّعم الذي لقيته لدى دوريو، سحبت ماري ديوي هذا الاقتراح الأخير. ولم يحتفظ إلا بمبدأ تنظيم ندوة لعاملات المنطقة الباريسية. وفي الواقع، عندما ستعقد هذه الندوة في 27 شتنبر، بمبادرة من اللجنة المركزية للعمل، سيكون لها طابع آخر. ستحوّل إلى «ندوة نسوية للمنطقة الباريسية»، لقد تمّ افتتاحها من طرف بونفون، بينما أعطى تقرير لومانييتي لتدخلات المناضلين (135)، أهمية أكبر من تلك التي خوطبها لتدخلات المناضلات. وقد دعت لوسيان ماران، التي شدّدت على أهميّة «الشغالات» إلى جوار «العاملات» و«غير المتحرّيات» بالمقارنة مع «المنظّمات» (136)، إلى الكفاح في إطار التّنظيمات الموجودة : لجان العمل ولجان التّوحدة البروليتارية (137).

- 131 المؤتمر الثالث إل س.ج.ت الوحديّة، مشار إليه سابقا، ص 60 — 61.
- 132 إن ماري ديوي، هي من حسية ألمانية، حسب أندري فيزا. ولا بد أن تقارير الشرطة التي وصفها كامرأة شابة بين خمسة وعشرين وثلاثي سنة، قد اشتهت في أصلها الأجنبي، مما يسمح على الأقلّ بافتراض أنها كانت تتقن الفرنسية كثيرا. لقد ماصلت بنشاط داخل إل س.ج.ت الوحديّة ومثلت الصناع الحلاقين للسوى في المؤتمر الوطني.
- 133 أرشيفات معهد موريس طويريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 18 عشت 1925.
- 134 إنه يذكر بوجود لجنة الأُمّهات والأُمّال التي تشغل، على حدّ قوله، بطريقة مرضية لنفسه.
- 135 كاهار عن الشبيبات الشيوعية، دوكلو باسم جمعية قدماء المحاربين، أعبري عن الاتحاد الأحمر، ومرة أخرى كان أحد الماصلين وهو دوسوسلاد — الذي اعترض في اللجنة المركزية على اقتراح ماري ديوي — الذي ختم الاحتجاج. لومانييتي، 28 شتنبر 1925.
- 136 تعطي لوسيان ماران أرقاماً حول التمثيل النسوي : 555 مندوبة (ينبغي أن نقرأ دون ريب 556) أي 211 شغالة و345 عاملة؛ ومن هذا المجموع 301 لاحتزب لمن و255 منظمات. وكشّلت أيضا عن أن هناك في هذا المجموع 68 ضحية للحرب الكبرى.
- 137 نفسه. سينشر الحزب الشيوعي في فبراير 1926، تماسة «الأسروع الدولي للمرأة»، ملصقا راعيا بثلاثة ألوان ينادي النساء إلى التضال «ضدّ العلاء والضرائب، ضدّ حربي المغرب وسوريا، ضدّ الفاشية ومن أحلّ حماية الأمومة والطفولة والحصول على الحقوق السياسية للمرأة» AN F7 13105 (لوار — آنفيريل).

قدماء المحاربين

كان الحزب الشيوعي الفرنسي يودُّ أن تُطوَّر الدَّعاية التي كان يقوم بها ضدَّ حَرْب المغرب، بشكل واسعٍ لإزاء قدماء المحاربين. لقد استعملت الجمعيةُ لقدماء المحاربين، لهذا الغرض، الزَّاوية التي كانت تمنحها لها لومانيتي بانتظام. كما أنها أُشْرِكَتْ، في كل المواضيع التي توجد بها، في تشكيل لجان العمل (138). هكذا شاركت في حملة التَّجمعات العمومية، وبادرت أحيانا إلى عقد بعض اللقاءات. لقد كانت قيادتها الوطنية تبعث مندوبين إلى الاقليم. فكانت تدخلاتهم موسومة في الغالب بروح معادية للزَّعة العسكرية وبنزعة سَلَمِيَّة ذات شَكْل تقليدي. هكذا شَرَح لانكران، بتولوز، أمام حضور من أربعمائة وخمسين شَخْصاً، بأنَّه شَاهَدَ في مرسيليا إبَّحار الجنود الشَّبان نحو المغرب وأنَّه لاحظ بأنَّ هؤلاء الشَّبان كانوا سيكون، ليقينهم بأنَّ أغلبهم لن يروا عائلاتهم مرة أخرى (139)، وفي بيرجيراك، كان جَلْبِير، وهو مبتور السَّاق، أكثر عدوانية. فقد تحدث عن «الجنود المرتدين للملابس الرِّثة العريضة على السيد بانلوفي. والذَّاهبين لِحَمْل الحَضَارَةِ إلى أولئك المغاربة المُتَوَحِّشين الذين بدفاعهم عن بلدهم لا يفعلون سوى أنَّهم يُكْرِّرون سلوكنا لـ 1914»؛ وَخَتَمَ قوله بالتَّداء إلى التَّأخِّي كما حصل على التَّصويت على جدول أعمالٍ يطالب «باحترام الاستقلال المغربي» (140).

لكن الجمعية الجمهورية لقدماء المحاربين لم تكن الجمعية الوحيدة لقدماء المحاربين التي كان يمكن للحزب الشيوعي أن يسند إليها حملة عند الاقتضاء. فعلى الصعيد المحلي، كانت جمعيات المعطوبين والمُسَرَّحين، وجمعيات الأرامل وأيتام الحرب تُنَشِّط في بعض المَرَّات من طرف مناضلين شيوعيين. إنَّ واجداً منهم، يُدَّعى باشيودي، ومهنته جَزَّار هو الذي كان سكرتيراً عاماً لجمعية المعطوبين، والمُسَرَّحين ومتقاعدي الحرب بمقاطعة كَان. ومنذ 24 مايو 1925، استدعى جَمْعاً عاماً قَرَّرَ القيام فيه بدعاية فعَّالة ضدَّ حرب الرِّيف. لقد نُشِرَ الجَمْعُ مُلَصَّفاً يَطوِّر فيه موضوعين : موضوع رعب الحرب وموضوع المُسْتَفِيدِينَ؛ لكنه لم يَخْلُصْ لا إلى التَّأخِّي، ولا إلى الجَلَّاء عن المغرب، وهو ما يسمح بقياس حُدُودِ عَمَلِ المناضلين داخل بعض التَّنظيمات الجماهيرية (141). لقد كانت هذه الجمعية مرتبطة، دون ريب،

138 تلو تعدادات جمعية قدماء المحاربين، حسب أ. بروس، «صحة التقدير»؛ وهو يورد ثلاثة تقديرات بالسنة 1926، أي 10000، و23000 و25000، تلو لنا ضعيفة جداً. قدماء المحاربين والجمع الفلنسي، 1914 —

1939، ثلاثة أجزاء، باريس، 1977، الجزء الثاني، ص 27.

139 اجتماع 3 أكتوبر 1925، A.D، هوط — غارون، 1136 M.

140 اجتماع 18 يوليوز 1925، A.D، دوردوني، 1 M 76.

141 AN F7 13173 (ألب — ماريتيم).

بالفدرالية العمّالية والفلاحية للمعطويين، التي كان مقرها المركزي ببوردو (142). وعلى نحوٍ مُوازٍ لهذا التنظيم الأخير، كانت توجد به نيس جمعية للمُسرحين وضحايا الحرب مستندة في يناير 1926 مع الفدرالية العمّالية والفلاحية وتَبَجَّح منذ ذلك الوقت بأن لها قرابة مائة ألف منضو (143). لقد كانت لديها جريدة نصف شهرية وهي لوليبيري «، كانت تهاجم ليوطي (144)، وفي أوائل يونيو 1925، أصْدَرَت مُلصَقاً ذا استلهم سِلْمِي : «ينبغي مدّ اليَد للرفيقيين» (145)، وفي غشت، جرّت هذه الجمعية جمعياتٍ أخرى — الأرامل وأيتام الحرب، معطويي ومُسرحي الآلب البحري، معطويي ومُسرحي الجبهة — للتوقيع بمُوارها على ملصق آخر «من أجل السِّلْم ضدَّ كلِّ الحروب» (146). وفي دجنبر، طالبت بالتصويت على قانون «يُخصّص بالبحث عن آثمي الحرب الكبرى ومعاقبتهم وكذا التحري عن المسؤولين عن الحرب في المغرب وعن الحرب في سوريا ومعاقبتهم» (147). كما احتجّت، في بداية 1926، على استئناف العمليات في الرّيف (148)، وأخذت الحكومة على وَضْعها لشرط إبعاد عبد الكريم من بين شروط السِّلْم (149). ومن جهةٍ أخرى، وُزِعَتْ منشائر عديدة صادرة عن بحارة وجنود البحر الأسود، وعن الجنود الحمر (150)، أو عن متمردٍ طريق دي دام (151). لقد دَعَوْا

142 تعتر الجمعية العمالية للمعطويين، المؤسسة في 1916 تحت رعاية الـ س. ح. ت. هي أصل الفدرالية العمالية والفلاحية للمعطويين، التي أنشأت في 1919. وهي لا تميز كثيراً عن جمعية قدماء المحاربين في بداياتها، وقد حدث أن كان للتظيمين نفس المسؤولين على الصعيد المحلي، ومع ذلك فهي مبتعدة كثيراً عن الحرب الشيوعي. انظر أ. بروس تشار اليه، الجزء الأول، ص. 70.

143 لوليبيري، 15 فبراير 1926 في AN F7 13141. إن أ. بروس، الذي لا يذكر لا هذه الجمعية، ولا حريتها، يفسر إلى الفدرالية العمالية والفلاحية 80.000 عضو في فترة 1932 — 1935، مشار اليه، الجزء الثاني، ص. 54.

* Le libéré

144 لوليبيري، 31 مايو 1925، في AN F7 13173 (آلب — مارتيم).

145 AN F7 13173 (آلب — مارتيم). لا بد أن هذه الجمعية جهاز التقاط في إيتر، لأننا نجد هذا الملصق مرة أخرى معلقاً في فوران، A.D. إيتر، 1 M 76 (23 يونيو 1925).

146 AN F7 13175 (آلب — مارتيم).

147 لوليبيري، 31 دجنبر 1925، في AN F7 13141.

148 نفسه، 15 فبراير 1926.

149 نفسه، 15 مايو 1926.

150 منشور مورع بهيست في يوليو 1925 «خفية» حسب تقرير المفوض الممتاز. AN F7 13173 (ليستور). وإذا كان منشور قدماء ملاحي وحُود البحر الأسود صادراً بشكل ملحوظ عن عناصر شيوعية، فإن المنشور الذي وقعه الجنود الحمر يبدو لنا، رغم النداء إلى التآخي، صادراً عن عناصر حركة للحز. انظر أيضاً المقال الطويل حول التآخي المرسل من طرف جماعة قدماء الملاحين أعضاء الحرب الشيوعي، 13 فبراير 1926 (ص. 4).

151 تم توزيع لداء قدماء معتردي طريق دي دام (1918) إلى الذين يذهبون إلى المغرب في نهاية شهر يونيو 1925 بالثكنات في فالونسيان، AN F7 13174 (الشمال) وفي إيوج. A.D. هوط — ليس 1 M 184.

مُجْتَدِي الوحدات العسكرية، المُحْتَمَل إرسالهم إلى المغرب، إلى استلهم نموذج البدء أكبر منهم وإلى التقاضي مع الريفيين.

نُرى هل سمحت الحملة ضدّ حزب الرّيف للحزب الشيوعي الفرنسي بمه مُستتمعه من قدماء المُحاربين (152) ؟ إننا لا نتوفّر على إحصائيات تسمح بالإجابة عن السؤال. فالأرقام التي لدينا، والتي هي الأكثر قُرْباً من هذه الفترة، تُهم أعضاء الـ العُمالية والفلاحية في 1928. وعليه، يبدو أن المُقاطعات التي قدّمت لهذا التّنظيم الأعداد من المنضوين هي، بالترتيب، لأدوردوني، لاسين، لولو، لوفينستير، لاجيرونا شارونط أنغيور (153). وباستثناء مقاطعة لولو، التي ليست لدينا عنها سوى معلومات فإن الأمر يتعلّق جيداً بمقاطعات كان الحزب الشيوعي قد قام فيها سنة 1925 بحملة بما فيه الكفاية. ومع ذلك، سيكون من التهور استنتاج وجود علاقة سببية بين الظّاهرتي سيما وأن العلاقات بين الحزب الشيوعي والفدرالية العُمالية الفلاحية، بدت، في 1926، بأنها موسومة بالفتور (154).

المثقفون

كان المثقفون آخر هدف لحملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضدّ حزب الرّيف. 1925، تحمّد الحماس الذي أثارته الثورة البلشفية في الأوساط الأدبية والفنية اليسار صار-أناتول فرانس، الذي كان قد مات منذ سنة، رغباً عن لومانيي، مُعْتَرِضاً على طرف الجليل الجديد. وابتعد رومان رولان عن الحركة الشيوعية. لقد أقلقّت الصعوبات و التي عرفتها روسيا السوفياتية وعواقبها على الحزب الشيوعي الفرنسي، كثيرين من بين الذين أعلنوا غداة مؤتمر تور عن انضمامهم أو تعاطفهم مع الحزب الشيوعي الفرنسي ذلك، هناك قاسيم مُشْتَرِكٌ جَمَعَ أولئك الذين يكافحون داخل الحزب وأولئك الذين أ عنه : إنه الرّعب من الشوفينية والحرب. لقد صرّحوا، تحت حكومات الكتلة الو عدائهم لمعاهدة فرساي واحتلال الرّور. وكانت حَرْب الرّيف مناسبة للحزب الشيوعي

152 ثم إظهار العلاقة بين هذه الحملة ومجهود التطبيع من خلال النص التالي الموجود في إعلانات صغيرة : «أيها القديم، إن الآلام التي تحملها طوال خمس سنوات تجعلها حالياً حود تمساء في حبة الرّيف. لكي نحميهم، أد الحزب الشيوعي» الأرشيفات المقاطعية للمورث - إي - موليل، 1 M 641 (تقرير 3 مارس 1926).

153 أ. بروتست. مشار إليه، الجزء الثاني (لائحة التعدادات المقاطعية لجمعية الحاربين في 1928).

154 نفسه، الجزء الأول، ص 102

يقيس مدى الاهتمام بأطروحاته داخل هذا الوسط، (155). ويعود الفضل في القيام بهذا التحري لـ «كلارطي»، وهي نشرة أسسها باربوس قبل أن يتعد عنها منذ 1923 (156). نشرت هذه المجلة منذ عدها ليونيو، «رسالة مفتوحة للمثقفين السلميين، وقدماء المحاربين، والثائرين» لكي تطلب منهم بأن يفكروا في حرب المغرب، وإعدة بأن تنشر الأجوبة كاملة ودون تعليق. لكنها، دون أن تنتظر، وضحت: «بالنسبة لهذه الحرب الجديدة، أبرم الساسة والمثقفون مرة أخرى الوحدة المقدسة والمُشينة لـ 1914، متمدنين حملة الرّيف وحق فرنسا في التدخل طبقاً للمعاهدات الدولية التي لا ينقصها سوى رضى الشعب المغربي نفسه» (157). وقد أعقبت «الرسالة المفتوحة» افتتاحية طويلة لمارسيل فورزي بعنوان «رأينا في الأمر» استعادت الأطروحات التي كان يطورها الحزب الشيوعي الفرنسي، حول استغلال الأهالي وإخماد الفتن «بطلقات الرشاشات وقنابل الطائرات»، ومرامي الامبريالية حول ثروات الرّيف. وبعد أن امتدحت قتال عبد الكريم، أُنكرت أن يكون عملها يرمي الى «تشجيع الجامعة الاسلامية» و«دعم الزعماء الأهالي، المضطّهدين هم بأنفسهم»: «فحركة التحرر الوطني تدعو بدءاً وطبعاً الى اتحاد كل القوى الوطنية ضيداً المضطّهد»، وستختفي «الانحيازات الوطنية» عندما ستتغير الحياة الاقتصادية للبلاد، بقدر ما تسمح وضعية الرّيف ونوايا قاداته بالتفكير في ذلك (158). لقد بعثت كلارطي رسالتها داخل مظروف مضمون الى أكثر من مائتي مثقف فرنسي. وثم نُشر الأجوبة (159) في 15 يوليوز؛ فكانت تتراوح بين بضعة أسطر وقرائات عديدة، وهي تسمح بتمييز ردود فعل مختلفة.

لقد صرحت بعض الشخصيات التي تم استفسارها، مثل الأستاذين رشي، ورويسن، ومدير توفيل ليجير، موريس مارتان كار، دون تحفظ، باتفاقهم مع السياسة الحكومية... بينما عبر عدد من الكتاب والصحفيين عن احتجاجهم على عمليات الرّيف لأسباب إنسانية وسلمية أساساً. هذا هو شأن شيوعيين سابقين مثل جورج بيوش الذي احتج على تقنيل

155 طلب فابان — كوتوري أن يتم القيام بعمل بواسطة باربوس قصد إثارة احتجاج المثقفين السلميين، رومان رولان بيوش، إلخ، ضد الحرب. أرشيفات معهد موريس طوريز، محضر اللجنة المركزية لـ 2 يونيو 1925.

* Clarté

156 لقد كانت حياة تحرير كلارطي بعيدة عن الانسجام، وكانت تضم وهناك الى جانب بيرلي، مارسيل فورزي، وفابان — كوتوري ورجالاً مثل ج.ر. بولش أو إ. بيوت الذين كانوا أكثر مقاومة لإرشادات الحزب الشيوعي.

157 كلارطي، يونيو 1925.

158 نفسه.

159 من بين الذين لم يحسوا، الكاتب رولان دورجوليس والأساتذة لانجمان، هادامار، أندلير، حيز، بوكلي، هناك وسلميون أمثال لوسيان لوفواي، مارك سانتي وكيزو.

«جنود فرنسيين أبرياء» و«جنود ريفيين أبرياء» (160)، وسيفرين الذي اقتضرت إجابته على ست كلمات : «ضد كل الحروب دون أي استثناء» (161)، وفرانز جوردان : «أمرت الحرب، أمرت القتل، أمرت العنف» (162)، ولوسيان ديكايف، وجورج دوهاميل وأنطونان آرطو، أو الفوضوي الكطلاني هان راينر. أما روجي مارتان دي كار، فرأى بأن هذه الحرب «مقيدة» لكنه عبر عن «اضطراب»ه، لأنه يرى أن إدانة كل مشروع استعماري تعني «إقامة دعوى على التاريخ العالمي وعلى كل ما اصطلاح تسميته حضارة» (163)، كما أن البعض عدلوا من عدائهم للحرب بتحفظات كبيرة على عبد الكريم بحيث تساءل بيارهامب «هل تعتقدون بأنه يمكن أن تكون هناك جمهورية ريفية يكون رئيسها عبد الكريم ؟» «عندما سينتهي القائد الشديد البأس من استعمال البربر كجنود، فإنه سيستعملهم كمنجمين، وإنه لما يخشى منه أن يشبه القانون الاجتماعي لرئيس الجمهورية هذا، كثيراً قواعد شرطة رومانوف» (164). وبالنسبة لجوزيف حولينون، فإن عبد الكريم «يتبع عن قرب خط رئيس العصاة القادر على أن يصبح سيديا فيوداليا، مستغلا للمناجم، صانعا للنقود، ومُعزماً للقبائل» (165). لكن أليس حريا بـ «مغامري البلشفية ذوي النزعة العسكرية» أن يدانوا في نفس الوقت مثل «وطنجي فرنسا» (166)، سأل بول روبوكس (166). لقد كان مورياك أكثر صراحة : «إن عبد الكريم لم ينهض ولم يستمر إلا بفضل الأمل الكبير الذي أعطيتموه إياه. ونحصد حرب المغرب هذه، على نحو راقع مقاصد موسكو (...) هذا هو ما يثير سخطي؛ هذا السخط، هذه الحساسية البورجوازية التي تتأثر للدم المراق، التي تلمس الحق، وتحب السلم لدى أناس تكمن قوتهم الحقيقية، فيما يبدو لي، في صدق شامل، في غضب لا يابيه لأي شيء» (167). إن بعض الأجوبة فقط هي التي ركزت على حق الشعوب في تقرير مصيرها. لقد كتب شارك فيلدراك (168)، بأنه «في المغرب، يعتبر المغاربة في وطنهم». أما الشاعر جورج

160 نفسه

161 نفسه.

162 نفسه.

163 نفسه.

ه الاشارة هنا الى قصر روسيا ما قبل ثورة 1917.

164 نفسه.

165 نفسه.

وطنجي (patriotard) ذو الوطنية الصاخبة (2).

166 نفسه.

167 نفسه، (مشدد عليه في النص)

168 نفسه.

شنفير فوضح رأيه باستفاضة قائلا «... إن المسألة لا تكمن في معرفة ما إذا كنا نمثل الحضارة في المغرب، بل إذا كنا هناك، في وطننا أم لا. هل ثمة رجل صادق وعادل بمقدوره الزعم بأن لنا في المغرب حقوقا أكثر من حقوق المغاربة أنفسهم!» (169). وكتب لويس كيطان «بالنسبة لنا، يعتبر وجود جمهورية الرّيف في مثل قداسة وجود اسبانيا أو فرنسا»، وعليه، فقد طلب من الجنود أن يتأخّوا مع الريفيين (170). بينما ذكر ييار باراف بأن احترام حق السكان في تقرير مصيرهم لا يقبل أية تقييدات «من الصين الى إيرلندا، من الهند الى مصر، ومن جورجيا الى المغرب» (171)، فيما رجا فكتور مارغريت أن تتم المواءمة بين هذا المبدأ والحفاظ على الاستعمار الفرنسي. أما بالنسبة للسورياليين، فإن النداء الى المبادئ الكبرى، ومقولاتي الحق والحضارة، مردولة على السواء. لقد كان أراغون صريحا: «... بما إنه باسم فرنسا يمكن إرسال الناس للموت، فلتندثر هذه الفكرة مثل جميع الأفكار الوطنية من على الأرض (...) لكن اسمحو لي، أيها السادة، لهذا السبب نفسه، بأن أواخذكم لكونكم استعملتهم تعابير مختلفة تنبع من الكلام الوطني وذلك قصد تعنته الجميع لهدف سياسي دون ريب: استقلال، سيادة وطنية، حق الشعوب غير القابل للتقادم في تقرير مصيرها. ليس ثمة شعوب بالنسبة إلي، وقد اقترب الى فهم هذه الكلمة — أي كلمة شعب — عندما تكون مفردة. وأخيرا، فأنا لأقبل بكونكم تتوجهون بالحديث الى أولئك الذين يعتبرون أنفسهم، مهما تكن جذارتهم، قدماء محاربين: إنني اعتبر كل شخص يتباهى بهذا اللقب مغفلا أو نصابا. أنا بجانبيكم، أيها السادة، ضد الوطن (172). أما روني كروفيل وإيلوار فقد تحاملا، بعنف شديد، على «الحضارة» الفرنسية، بينما ذكر رومان رولان، بغرابة، بأنه «تنبأ» بـ «اجتياح أجناس اسيا وافريقيا» هذا الاجتياح الذي لن يميز بين «الامبرالية وشيوعية أوروبا» (173).

لم ترض أغلب هذه الأجوبة هنري باربوس. فقد أقرطت في تأملات توشك على صرّف العقول عما ينبغي أن يكون هو الأساس: التشهير بالحرب. لذلك أعاد مؤلف (التار) الكرة. فأطلق في أعقاب الأجوبة التي أتينا على فحوصها «نداء» جديدا «للسّغاليين المثقفين»: «هل تدينون الحرب أم لا؟». لكن مادام الأمر قد تعلّق هذه المرة بجمع أكبر

169 نفسه. (مشدد عليه في النص)

170 نفسه.

171 نفسه

172 نفسه. (مشدد عليه في النص).

173 نفسه.

عدد من المثقفين حول قضية الريف، فإنه مما التّهجمات العنيفة ضدّ الاستعمار والاشارات الى الاسلام أو حتّى الى شخص عبد الكريم. ولم يبق سوى الكفاح ضدّ الحرب وتأكيّد حق الشعوب في تقرير مصيرها (174). ويسمح هذا النص الجديد بقياس المسافة التي أخذها باربوس من شعارات الحزب الشيوعي: فلم يعد التآخي مع الريفين وارداً، ولا الجلاء عن المغرب. لقد توجّه النداء لصالح السلم — «فوق الخلافات الباريسية للأحزاب السياسية» (ليس ثمة كلمة تميّز الحزب الشيوعي) — ليس فحسب الى الرأى العام والحكومة ولكن الى عصبة الأمم، مُنضمّاً بذلك الى اقتراح تمّ التعبير عنه مراراً من طرف الاشتراكيين والتّقيّد بشيئة من قبيل الشيوعيين. ومنذ ذلك الوقت، قَبِلَ قِسْمٌ كبير من بين أولئك الذين كانوا قد أبدوا تحفظات أن يصدّقوا على توقيع هذا النداء (175)، الى جوار مجموعة تحرير كلاًزطي (176)، والمجموعة السريالية (177)، ومجموعة «فلسفات» (178). كما انضمّ إليهم صحفيون مثل هنري جونسون، وأستاذ مثل كازاميان، ومثله مثل مدام لارا. هكذا كانوا حوالي المائة أولئك الذين عارضوا المثقفين المُقدّمة لائحتهم من قبيل ليكلير * والفيغارو هؤلاء الذين حرصوا على دعم الحكومة وتأييد القتال الذي تخوضه القوات الفرنسية «من أجل الحق، والحضارة والسلم» (179).

سيكون أمّذ هذا الانعطاف التكتيكي قصيراً. فابتداءً من 15 أكتوبر استعاد مارسيل فورني المواضيع المُعتادة للحزب الشيوعي وردّ على الاعتراض الذي يرى بأن الجلاء عن المغرب سيكون مُؤشراً لتقتيل البيض إذ قال «لقد وردت حُجة الدّم هذه في كتابات كلّ سِلْمِي العالم؛ لقد صُلّحت كقنّاج خداع للحيانة الاشتراكية لـ 1914 (...) وفي الواقع، إذا حَدَثَ يوماً تَقْتِيلٌ للبيض في إفريقيا الشمالية، والهند، والصين أو في جهة أخرى، فالغلطة غلطة البيض. ولأننا وضعنا أنفسنا في مجال الأخلاق وحده، الذي هو رُبّما المجال الأخير حيث لا يزال بمقدورنا أحياناً أن نقترّب من السّلميين البورجوازيين الشُّرفاء، نجرؤ على الزّعم

174 نفسه.

175 ب. هامب، ج. حوليوب، ف. مارهرت، ر. رول.

176 22 موقعا.

177 19 موقعا.

178 4 موقعين : ل. كيرماك، ه. لوهير، ب. مورانج، وح. بولتير

L'elain *
le Figure *

179 لقد أعاد كلاًزطي نشر النداء الذي طهر في هذه الحرائد — ونشرت تكديها للبول بول فارك يتّح فيه على استعمال اسمه من طرف لوليفارو، 15 أكتوبر 1925.

بأنّ ظلّم الغزوات والاحتلالات الاستعمارية والأحلاقيتها يُبرّران أسوأ أشكال العنف من جانب الشعوب المُضطهدة. إننا لانطلب من السّلميين أن يصيروا ثوريين؛ وإنّما نطلب منهم أن يظلّوا شرفاء، الى جانب كونهم سِلميين؛ وألا يظهروا بالتالي بخصوص المغرب، والجزائر، ومصر، والهند والصين، مشاعر مبتذلة تليق بتجار للعبيد» (180). لقد شهِرت المجلة، التي واصلت فضلاً عن ذلك استقصاءها، بـ «الجُبن الجماعي تقريباً للمُثقفين السّلميين» (181). وغداة استسلام عبد الكريم، رثّت إحدى الافتتاحيات لـ «انهيار الجبهة الرّيفية (...)» وهي هزيمة كبيرة للبروليتاريا (الفرنسية)» وأكّدت على أنّه إذا كانت «الايديولوجيا الامبريالية قد تغلّغت في الطبقة العاملة» فذلك بفضّل «الانتهازين أشباه المُثقفين البروليتاريين الذين هم في الواقع مثقفون بورجوازيون مُستترُونَ براءة». ومع ذلك، استخلصت كلازطي، بأنّه «لم يتجل حس استقلال الشعوب المستعمرة أبداً بمثل هذه الحدة. كم من الزمن سيظل بمقدور الدول الرأسمالية لأوربا أن تحتفظ بقوة السلاح، وبامبراطورياتها المتفطرة؟» (182).

في المجموع، كانت حصيلة التحريض الذي نظّمته كلازطي ضدّ حرب الرّيف إيجابية بالقدر الذي شجعت به المجلة عدداً من المُثقفين على التعبير عن تيارٍ معاد للحرب وللسياسة المغربية للحكومة. وبخلاف ذلك، سمّح الاستقصاء بقياس المسافة التي كانت تفصل غالبيتهم عن الأطروحات المدافع عنها من قِبل الحزب الشيوعي. إلّا أن التاريخ يُسجّل، مع ذلك، بأن تمرّد عبد الكريم كان مناسبة تقارِب بين مُعاوِني كلازطي ومجموعة السرياليين. ويمكننا أن نتساءل عمّا إذا لم يكن الطّابع العاصفي للعلاقات التي ستكون لهؤلاء مع الحزب الشيوعي قد تمثّل مُسبقاً وبشكل واسع في بعض ردود فعلهم أمام أحداث المغرب.

تطبيق خطة الجبهة الموحدة وإخفاؤها

تطبيقاً لتعليمات اللجنة المركزيّة، دُعِيَ سكرتيرو مناطق الحزب الشيوعي الى اقتراح حملةٍ اتّحادية على التّنظيمات الاشتراكية وعلى نقابات الس.ج.ت. ضدّ حرب الرّيف (183). لقد كان على هذا الاقتراح أن يُوحّج الى جميع المستويات، بدءاً من الرّعاء الى المناضلين

180 كلازطي، 15 أكتوبر 1925 (مشدد عليه في النص).

181 نفسه.

182 نفسه، 15 يونيو 1926.

183 مذكرتان للجنة المركزيّة رقم 103 و 104 ليومي 5 و 11 يونيو 1925، المشار اليهما سابقاً

العاديين. لكن لم يكن لدى قيادة الحزب الشيوعي أيّ وفهم : فقد كان رَفَضُ الرّعاء في حُكْمِ الأمرِ المُقَرَّرِ بالنسبة إليها : «إتّنا نكرّر على أسماعكم اقتراحنا لجهة موحدة، صاح دوريو في المجلس، باتجاه الاشتراكيين. ونحن نعرف بأنكم سترفضونه» (184). كيف كان يمكن للأمر أن يكون غير ذلك. بالنظر إلى الطريقة التي كان يُعاملُ بها قادة الحزب الاشتراكي في الصحافة الشيوعية (185) ؟ لقد كانت الاقتراحات الأولى التي وجهت إليهم عدوانية حتى في شكلها نفسه. لنأخذ المثال من منطقة الشمال. فقد استُهلّت الرسالة التي وُجّهت لـ «المواطن سالونفرو» سكرتير فدرالية الحزب الاشتراكي، من طرف سكرتارية المنطقة الشيوعية، بمقاضاة الرئدوكسية الاشتراكية — «بخلافًا لميثاق حزبكم، صوّت النواب الاشتراكيون على الميزانية (لحرب المغرب)...» — كما أكّدت على مسؤولية الحزب الاشتراكي في تحويل المغرب إلى «رُكام جُثث» و«أبنائنا (و) إخوتنا إلى قاتلين أو إلى جثث». ولمُحَث إلى أن الممارسة السياسية للاشتراكيين متناقضة مع الالتزامات التي تعهدوا بها أمام الناضحين (186). ولا يتعلق الأمر هنا بإبداء تقدير لقيمة هذه الحجج؛ إذ يمكن اعتبارها مع ذلك شرعية بين «جزئين شقيقتين» لا تُحفلُ أساليبهما السّجالية بالفروق الدقيقة. لكن تلك الحجج كانت تتسجّل في سياق خاص : سياق غرض كِفاح مُشترك ضدّ حَرْب الرّيف. وفي الواقع، كان رَفَضُ القادة الاشتراكيين أو الكونفدراليين للاقتراحات الشيوعية — أو في الغالب غياب إجابتهم عليها — يشكل عُنْصراً لا يمكن فصله عن تكتيك الجهة الموحدة. لقد كان الأمر يتعلق بـ «البّهنة للجماهير العمّالية على خيانة زعمائها وبـ «دعوتها لأن تُنجز معنا العمل الضروري، رغم هذه الخيانة» (187). وقد قام الحزب الشيوعي إذن بدعاية نشيطة على مستوى القاعدة لصالح عمل اتّحادي، وسيستعمل لهذه الغاية وسيلتين اثنتين، تقنيتين للتجميع، تقنية المؤتمرات العمّالية وتقنية لجان العمل. وقد تم التخطيط لكليهما لتكونا متكاملتين، لكنّ شروط تنفيذهما سمحت باكتشاف مصاعب جَمّة تعكس، في النهاية، تصورات متعارضة للجهة الموحدة.

184 مناقشات المجلس، 27 مايو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2462.

185 «شهوراً رؤسائكم وعادوهم تعالوا إلينا لجاناً الامنيالين حبة وحيدة قوية ()» (إسهم) لم يتحرّروا على التصويت ضد اعتمادات حرب المغرب، لقد امتنعوا عن، لومافيتي، 14 مايو 1925 في 31 مايو، أعلنت اليومية الشيوعية عن فتح «مسر للمحتجين»، أي في المقام الأول، «للعمال الاشتراكيين الذين يريدون الاحتجاج على موقف نواب حزمهم» «أيها العمال الاشتراكيون، لاتنصحبوا مع رؤسائكم الاصلاحيين» لنفسه، 5 يونيو يسمى مواصلة العمل لاحتداب «جميع الروليتاريين الشفاء الذين يداوم الاشتراكيون على شددهم إلى عربة الامنيالية». نفسه، 25 يونيو 1925.

186 AN F7 13174 (الشمال).

187 مذكرة اللجنة المركزية رقم 104 في 11 يونيو 1925، المشار إليها سابقاً.

المؤتمرات العمالية والفلاحية

لقد تم تنظيم سبعة مؤتمرات عمالية وفلاحية من طرف الحزب الشيوعي و س.ج.ت. الوحيدة، خلال صيف 1925 للاحتجاج ضد حرب المغرب. وكان على الحزب الشيوعي ليس فحسب أن يجتذب جماهير عريضة من الشغاليين، بفضل عمل النقابات الاتحادية، بل أيضاً أن يدفع أكبر عدد ممكن من المناضلين الاشتراكيين والتقاييين المستقلين والكونفدراليين الى المشاركة في هذه التجمعات. ويمكن تلخيص الحصيلة، كما استخلصت من التقارير المنشورة من طرف لومانيتي. لقد كانت المعطيات المرقمة التي جُمعت هنا، كما سنرى، موضوع نزاعات حادة. لقد أكد هذا التقديم في نفس الوقت على الأهمية التي أعطاها الحزب الشيوعي لمؤازرة المناضلين غير الشيوعيين وعلى حُدود مجهوده. وتظهر بداية هذه الحُدود أكثر عند قراءة تقارير اليومية الشيوعية. فخلافاً لما كان يمكن توقعه، لم يتم تعويض الضعف النسبي لتمثيل الاشتراكيين والتقاييين المستقلين والكونفدراليين بالأهمية التي أُعطيت لتدخلاتهم في الطيز: فاثنا عشر منهم تقريباً، فقط، هم الذين أخذوا الكلمة في المؤتمرات الخمسة التي تم سرد نقاشاتها (188)، وكان الحيز الذي خصص لهم في تقارير لومانيتي هامشياً (189). إننا نجد من بينهم اشتراكيين بارزين على الخصوص وهما ديشامب وليبوت. كما ديشامب مناضلاً معروفاً من فدرالية الشمال. وكصحفي، كان يساهم في كل من ليتانسيل ولافاك أوفريير. كما كان ينشد مجموعة من اليسار المتطرف (190)، ويؤاخذ قيادة الحزب الاشتراكي بقوة على رفضها لوحدة العمل مع الشيوعيين من أجل الكفاح ضد حرب المغرب (191). لقد ساهم بنشاط في مؤتمر ليل (192)، وسبقه، عقب ذلك، بأن يكون شريكا في أغلب

188 اشتراكيان ماريس (دولمار)، الذي يتكلم باسم عمال المؤسسات العسكرية، وماضل آخر لم يتم توضيح اسمه) إثنان ليل (ديشامب وأووست)، واحد لليون (ليبوت)، إثنان سربي (دولمار وسدوب فرع فوط)، إثنان مرسيليا (فاسينو، مسؤول الشبيبات الاشتراكية لليون وسدوب فلاح للباس - آلب)، قايان كونفدراليان ماريس، واحد لليون، واحد مرسيليا حيث تدخل أيضا سدوب المقابلة المستقلة لأرباني.

189 كمثل على ذلك، يتخصص عرض المؤتمر العمالي لماريس فقط بعض الأسطر المتعلقة بتدخلات الاشتراكيين ونقالي ال س.ج.ت.، بينما تم إيراد تدخلات المثاليين الملحكيين الإصلاحيين الثلاثة بشكل مطول. أما فيما يتعلق بتدخلات الحطاء الشيوعيين، لذكر، حسب الأهمية مجموعو (164 سطر)، سوزان جرو (162)، دويو (131)، باريوس (118)، كاشان (110)، رولو حان (188)، تراك (75)، فايك - كيتوري (61)، طويوز (43). لومانيتي، ل 6 يوليو 1925

* La vague ouvrière

190 الذي يضم 110 عضوا حسب والي الشمال. رسالة الى وزير الداخلية في 8 يوليو 1925. AN F7 13177 (الشمال)

191 رسالة 7 يوليو، مشار إليها من طرف ف. بوط في لومانيتي ل 10 يوليو 1925

192 AN F7 13117 (الشمال).

مبادرات اللجنة المركزية للعمل. وقد طرد من الحزب الاشتراكي، مثلما سيكون هذا هو مآل ليبوط، مناضل فرع افيري (193). فقد صار هذا الأخير، منذ مؤتمر باريس، سكرتيراً للجنة المركزية للعمل، وبهذه الصفة شارك في مؤتمر ليون. لقد أبدى ديشامب، وليبوط، تقريباً كل المندوبين الاشتراكيين والنقابيين الكونفدراليين الذين تم إيراد تدخلاتهم، معارضتهم لموقف قادتهم. وأعلنوا جميعاً اتفاقهم مع الأطروحات التي يدافع عنها الحزب الشيوعي حول حرب الريف وأبدوا الشعارات التي أطلقها الحزب.

لقد أوصى مندوب الأمية الثالثة بـ «السهر على الحفاظ على قيادة المؤتمرات العمالية بين أيدينا» (194). لقد تجاوزت النتيجة التوقعات : فقد حالت المراقبة التي قام بها الحزب دون وقوع أي نشاز. إذ لم يعبر أي مشارك، حسب الجريدة الشيوعية. لكن هل كان المنظمون وحدهم موضوع الخلاف ؟ لقد كانت الحاجة إلى الوحدة محسوساً بها بقوة بحيث إن المناخ لم يكن يسمح أبداً بنقاش حقيقي حول مضمونها وأبعادها. ففرحة اللقاء جنباً إلى جنب، والشعور بأنه يمكن التأثير على الأحداث بشكل جماعي هما اللذان يفسران، أبعد من إرادة الأجهزة، كون التحليل الملموس للاقتراحات الشيوعية، لسبيل ووسائل معارضة حرب الريف، وللصعوبات المعترضة من أجل تعبئة شغالي المدن والحقول، قد ظل في المرتبة الثانية. لقد سجلت المؤتمرات العمالية، حسب مونوسو، نجاحاً للجبهة الموحدة (195). شريطة التوضيح بأن الجبهة الموحدة بدت، من خلال هذه التظاهرات، كانهضام لأمشروط لغير الشيوعيين إلى اقتراحات الحزب الشيوعي، لدرجة أن انخراط بعضهم في الحزب يمكن أن يظهر كتمديد فوري لهذا الموقف (196).

المبادرات المحلية وردود فعل الأركان العامة

بموازاة مع التحضير للمؤتمرات العمالية والفلاحية الأولى، كَوَّن سكرتير المناطق الشيوعيون لجان عمل ضيداً حرب الريف. لقد أمرتهم قيادة الحزب بالآلا يكتفوا بإنشاء لجان

193 لومانيي، 3 شتنر 1925. انظر في لافالك أوفرير إي باهرران (11 أكتوبر 1925) احتجاج السيد ديشامب ضد هذا الطرب. لقد تصامم فينيررون، المستشار البلدي الاشتراكي للراجل مع ليوط وانحط في اللحة المحلية للعمل، لومانيي، 9 شتنر 1925.

194 أرشيفات معهد موريس طويرز، محضر اللحة المركزية لـ 2 يونيو 1925.

195 انظر لافي أوفرير، 10 يوليوز 1925.

196 إنها حالة لوسيان فاسيو، قائد الشبيبات الاشتراكية لتولون، الذي غادر تنظيمه ليحط في المغرب الشيوعي، بعد بضعة أيام على مؤتمر مرسيليا (انظر رسالته المفتوحة إلى أعضاء الحزب الاشتراكي والشبيبات الاشتراكية المشورة من طرف لومانيي في 8 شتنر 1925).

مقاطعية. فكان عليهم أن يتدخلوا في القاعدة «مبهنين على أكبر قدر من المبادرة» (197). وقد تمّ لفت انتباههم دون ريب إلى ضرورة عدم القيام بتنازلات حول شعارات الحزب الشيوعي. لكنهم مُلزمين، بأنْ يأخذوا بعين الاعتبار في ممارستهم اليومية العوارض المحلية التي تُدخل نوعاً من المرونة في علاقاتهم مع العناصر الاشتراكية والكنفدرالية. فكان يمكن اجتذاب هؤلاء إلى المشاركة في لجان العمل انطلاقاً من الهمّ الأساسي لمعارضة حزب الرّيف، وتطوير تحريض برغم الحكومة على تعديل سياستها والتوجّه نحو السّلم، دون أن يقبلوا، لأجل هذا التحليل النتائج الشيوعية، بشكل كلي. ومن جهة أخرى، رافق التكوين التدريجي للجنة المركزية للعمل ليوثة كبيرة في علاقاتها بالتنظيمات الاصلاحية. هكذا استعادت الرّسالة التي بعثت بها في 4 غشت للحزب الاشتراكي اقتراحاتٍ وُحِدَ العمل على أساس الشعارات المتبنّاة من طرف مؤتمر باريس وليل، دون الاشارة الى شعار التّآخي. لكنها، لم تتضمن بصفة خاصة أقل انتقاداً للمواقف المتبنّاة من قبل الحزب الاشتراكي. أو لم يكتب كاشان، قبل ذلك بأيام، في لومانبي بأن «المؤتمر الاشتراكي القادم لـ 15 غشت سيتوجّه نحو تحقيق جهةٍ وحيدةٍ عمّاليةٍ واسعةٍ أكثر فأكثر» (199). إلا أنّ صلابة الأجهزة لن تسمح بالتقدّم جدّياً في هذا الاتجاه. إذ سيتقلب الحذر والأحكام المُسبقّة الاشتراكية من جهة، والطائفية الشيوعية من جهة أخرى، مانعة تطوّر عمل اتّحادي حقاً.

لقد تميّز المؤتمر الاشتراكي لُغشت 1925 بتصرُّب واضح للحزب تجاه السياسة المغربية للحكومة. فلم يعد الحزب الاشتراكي راغباً في أن يمنح أصواته لعمليات الحرب. لكنه اعتزم أيضاً إدانة «كل إثارة دماغية من شأنها أن تقود جنوداً منغلين إما إلى التّآخي مع الرّيفيين أو إلى الفرار، فتجعل منهم ضحايا، في نفس الوقت، للزّعة العسكرية الفرنسيّة وللسياسة الخارجية للبُلشفية» (200). وإذ قد تم استهداف التحريض الشيوعي عبر التّآخي والاشارة الى البلشفية، وكذا عبر معارضة شعار الجلاء عن المغرب، لكن ليس أكيداً أن الصّياغة استتبعت، بالنسبة لجميع المناضلين، إدانة جذرية لكل سعي لعمل اتّحادي. لقد أعادت ليتانسيل نشر رسالة لأحدهم يُدعى فالونتان كولونيل من فرع لاموط سان مارتان ليزهر توضّح بأنه ينبغي رفض «الجلاء الفوري» عن المغرب والتّآخي، ولكن في المُقابل، ليس ثمة سبب يمنع من الانضمام إلى لجان العمل : ف «أين إذن يكمنُ العصيانُ في ضمّ

197 ملّكرة رقم 104 لي 11 يونيو 1925، المشار إليها سابقاً.

198 هذه الرسالة ستكون موضوع أحد المنشائر، أنظر AN F7 13105 (لوار — آغريبور).

199 26 يوليو 1925.

200 لوبيلير، 31 غشت 1925.

المجهودات الخاصة الى مفاوضات خُزء من البروليتاريا، ضدَّ حَرْب الرِّيف» (101)، ؟ إثم لم يكن وحده في هذا الرأي. إلّا أنَّ قيادة الحزب رأت أنَّ من الضروري، في كل الأحوال، أن تضع التقط على الحروف. فبتوقيع بول فور، أصدرت باسم اللجنة الادارية للحزب «تحدير المنضمين للحزب من المناورات الشيوعية واقتراحات ما يُسمَّى بلحان العمل، حيثُ تبدو الطريقة المعتادة لعملاء موسكو» وبعد أن أكَّدت بأنَّ عمل الاشتراكيين ضدَّ حَرْب المغرب ليس له أيَّ قاسم مُشترك مع الحملة التي أوحى بها البلشفيون، ختمت بالتذكير بأنَّ «في كل البلدان التي ثُمَّت فيها محاولة جبهة وحيدة مع الشيوعيين، سعي هؤلاء دوماً الى الاستفادة منها، طبقاً لتكتيك مُغلَّن بوقاحة، لمحاولة الحط من المتهورين الذين يتفادون لمقاصدهم الماكرة وإضعافهم» (202). لقد غذت علاقة موسكو - الحزب الشيوعي موضع التقذ الذي طوَّره الاشتراكيون، لا سيما وأنهم سعوا، مستندين الى أحداث جورجيا، الى وُضْع الشيوعيين في تناقض بخصوص إرادتهم للعمل على تحرر الشعوب...

أثارت بقض المبادرات التي اتُّخِذَتْ من طرف الشيوعيين داخل البلاد لصالح جبهة موحدة، تحفظات كبيرة داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي. لقد طَلَب موموسو بأن يُمنَعَ الدَّخُول الى لجان العمل على الفوضويين (203)، بينما لاحظ سيمار، في أواسط الصيف، بأنَّ «هناك نزوعاً في بعض المناطق الى توسيع لجان العمل التي، إنَّ لَمْ نلزم الحذر بحُكم التكتيك الجديد المتَّبِع من طرف قادة الحزب الاشتراكي، ستقلب قريباً ضدَّنا» (204). إنَّ الأمرُ يتعلَّق أيضاً بمنع السَّاسة المحليين من استعمال لجان العمل للتَّمويه على الجماهير العمَّالية واستعادة تأثيرهم. فلا يمكن، التخلي عن المواقف الأساسية المُحدَّدة من طرف الحزب الشيوعي، ولا التراجع عن إدانة الاشتراكية الديمقراطية بذريعة اتحاد واسع. فمُنذ مؤتمر الحزب الاشتراكي وهذا الأخير يسعى حسب دوريو «لأنَّ يجتذب داخله كل المُعارضة التي ضدَّ حَرْب المغرب وتقوم بتحييدها»، أي، في الواقع، «تقوم بمنع لجنة العمل (المركزية) من الانتصار». إلَّها «مناورة» تستهدف «السَّماح للبورجوازية الفرنسية بمواصلة الحَرْب دون أن يُورط ذلك العناصر الاشتراكية كثيراً» البرهان ؟ استمرار تهجمات الاشتراكيين ضدَّ الحزب الشيوعي ومُعارضتهم لشعار الجلاء عن المغرب (205). لقد رأت القيادة الشيوعية إذن أنَّ من

201 ليتانسيل، 17 أكتوبر 1925 (مشدد عليه في النص).

202 نفسه

203 أرشيفات معهد موريس طوريوز، السلسلة 93، محفد اللحة المركبة لـ 2 يونيو 1925.

204 نفسه، محفد اللحة المركبة لـ 29 يوليو 1925.

205 نفسه، محفد اللحة المركبة لـ 18 عشت 1925.

الضروري أن تُعيد تأكيد تعلّقها بالبرنامج السياسي الذي صادقت عليه المؤتمرات العمالية. فلا يمكن أن تكون هناك جبهة موحدة أخرى غير تلك التي حُدِّثَتْ تحت مراقبة الحزب. لقد أفصحت طلبة الانذار التي أرسلتها لومانيتي عن مدى قلق قادة الحزب وعن الحدود التي يتوون تعيينها للتجمعات التي تتم تحت رعاية لجان العمل : «حتى الآن، كانت لجان العمل مكان اجتماع مندوبي مختلف التنظيمات العمالية، الذين يأتون ليناقشوا لانهايا هذا التفصيل أو ذاك من تفاصيل الأّلاعمل (كذا) أو ليغالوا في التدقيق حول الاختلافات الابدولوجية. حاليا، تعتبر اللجنة المركزية واللجان الجهوية للعمل، وهي أجهزة منتخبة من طرف الممثلين المباشرين للعمال والفلاحين على أساس برنامج دقيق ومحدد، مكلفة بتطوير تحريض عميق والقيام بعمل جدي يلزم التجمعات المشاركة» (206).

يلزم انتظار الندوة الوطنية لفتاح دجنبر 1925 لكي تنتقد قيادة الحزب الشيوعي الطابع المتصلب جدا لتكتيكها الأّلتحادي. لم يتعلق الأمر بالتخلي عن الشعارات المتعلقة بحرب الريف، إذ يعبر شعارا التآخي والجلء عن المغرب عن موقفين مطابقين للأطروحات الشيوعية حول المسألة الاستعمارية والكفاح ضد الامبريالية، لكن كان من الخطأ طرح قبولهما كشرط للجبهة الموحدة (207). هكذا أقر الحزب الشيوعي بإمكانية تنظيم حركة اتحادية دون أن يطلب من المشاركين فيها انضماما لأمشروطا لأطروحاته. لكن يبدو أن وقت تشكيل جبهة وحيدة قوية ضد حرب المغرب كان قد فات. إذ لم يعد للعمليات العسكرية نفس الوقع في الرأي العمومي. وأخذت الانشغالات الاجتماعية والمالية تطفئ على المخاوف التي كانت تثيرها أبناء الجبهة. للدرجة أن لجان العمل، عند توسيعها لنداءاتها، لم تعد تضع في مقدمة اقتراحاتها «السلم الفوري في المغرب»؛ فمنذ ذلك الوقت، تم دمج هذا الشعار ضمن مطالب أخرى.



لقد كان إخفاق الجبهة الموحدة بشكل عام من صنع الأركان العامة السياسية. ولا ينبغي لهذا الاخفاق أن يخفي بأن بعض مسؤولي النقابات والأحزاب قد حاولوا، على الصعيد المحلي، وألحوا أحيانا، في تجميع قوى اليسار ضد حرب الريف.

206 لومانيتي، 17 شتنر 1925 (ص 5) «دور الحرب في اللحة المركزية للعمل»، مقال غير موقع.

207 «لقد اقترنا هذا الخطأ العادح، صرح طوير، بطرحا قبول شعار التآخي» كشرط للجبهة الموحدة واستعملت سوراو حيرو ندورها عبارات مطابقة تقرها. في المقابل، أكد طوير بشكل عري «الابسي أن تحلى عن شعار الحلاء، في حين أن الحماهيم تطله، والأشتراكبي والورحواية نفسها يتكلمون عنه» أوشيفات معهد موريس طوير،

في الشمال، وبالرغم من العلاقات المتوترة التي كانت بين الاشتراكيين والشيوعيين، تمت مظاهرة اتحادية كبيرة بدانكيرك في 15 غشت 1925، بمبادرة من النقابات. لقد أخذ كل من الشيوعي فلوريون بونط، مسؤول فدرالية الحزب وهوك، سكرتير الاتحاد المقاطعتي لـ س.ج.ت، الكلمة أمام حضور قدر من طرف الوالي بألف وثمانمائة شخص. وطالب المتلمس الذي تم التصفيق عليه في نهاية اللقاء، على الخصوص، بالوقف الفوري للقتال مع المغرب وسوريا وإعلان استقلال الريف. ثم نظم المتظاهرون استعراضا كبيرا كان على رأسه، بالإضافة الى الخطيبين المذكورين، مسؤولوا النقابات الكونفدرالية والاتحادية الجبهوية، وبارا، وهو نائب شيوعي، وخمسة مستشارين بلدين اشتراكيين من (دانكيرك) (208). لكن هذه المظاهرة سببوا دون أية لواحق في المقاطعة.. وفي بداية 1926، نظمت لجنة العمل لدائرة فولونسيان، اجتماعا كبيرا يلعب الخيل. وقد دعمه كل من السكرتير السابق، وأمين الصندوق للفرع الاشتراكي، المطرودين من طرف الفدرالية. لقد ثابرا، رفقة روث وديشامب، من أجل اجتذاب رفاقهم القدامى من الحزب الاشتراكي لكن دوائر الحزب ردت بسرعة. ففي آخر لحظة، امتنع موريس موران، مدير ليتانسيل، الذي كان مقررا كخطيب، عن المشاركة، عقب رسالة من القيادة المحلية الجديدة للحزب الاشتراكي. كما أن حظهما كان سيئا : فهي هو كونستان هوبري، هو مناضل معروف من الحزب الاشتراكي الذي قبل المشاركة في اللقاء، يموت صبيحة المظاهرة بالذات. وستوضع هذه الأحيوة تحت رئاسته الشرفية، بينما قبل أدولف هينفار، المستشار البلدي للحزب الاشتراكي نيابة الرئاسة. لكن واحدا من زميليه الاشتراكيين، الموجودين في المكتب، غادر الاحتجاج، لاختلافه دون ريب مع ما ورد من أقوال ديشامب، الذي كان يمتدح التآخي. ومع ذلك فقد تم ذلك الاحتجاج أمام ألفين وثلاثمائة شخص (209). أما في لاسوم، فلم تجد نداءات لجنة العمل صدى ايجابيا سوى لدى فوضوي المقاطعة، المجتذبين من طرف باستيان، رئيس تحرير جيرمينال، جريدة آميان الفوضوية (210).

في الشرق، وفي بداية صيف 1925 لَحِقَتْ مجموعةٌ وفاقِ اشتراكيةً من بوزانسون، رفقا مينجوز، بالشيوعيين داخل لجنة عمل. وقد نشروا مع الـ س.ج.ت الوحيدة مُلصَقاً

السلسلة 91، المؤتمر الوطني لفتح دحر 1925. بلره انتظار مؤتمر يونيو 1926 لكي يضع سيمار في نفس المستوى التآخي والحلاء العسكري عن المغرب، لكن أظهرت الرسالة المفتوحة إلى المناضلين (انظر نفسه) والممارسة اليومية بأنه لم يعد واردا بعد مؤتمر فاتح دحر، تقديم هذين الشعارين كشط للجهة الوحيدة.

208 AN F7 13177 (الشمال)

209 AN 13105 (الشمال)

210 AN F7 13178 (سوم).

ومنشوراً يطالبان بـ «الوقف الفوري للقتال، والجلء عن وَرَعَةِ الْمُحْتَلِّ من طرف قواتنا، في انتظار الجلء الكامل عن المغرب كما عن كل المستعمرات المغتصبة من سُكَّانِهَا بالرَّغْمِ من حَقِّ الشعوب في تقرير مصيرها؛ وكذا الشروع في المُفاوضات مع عبد الكريم» (211). كما نَظَّمُوا اجتماعات، لكن دون أن يتوصلوا، فيما يبدو، إلى جَمْعِ عَدَدٍ مُهمٍّ من الحُضور (212). بخلاف ذلك، رفض أعضاء الحزب الاشتراكي بـ رمس المشاركة في المظاهرات المنُظَّمة من طرف الحزب الشيوعي، والاتحاد الاشتراكي — الشيوعي والاتحاد القُوضوي (213).

وفي منطقة الرّون — آلب، تُسجَّل غياب جواب الاشتراكيين والتّقايبين الكونفدراليين على الدّعوات التي وجهها إليهم شيوعيو إيزير أو رفضهم لها (214). في حين نجد أنَّ قيادة الفدرالية الاشتراكية لـ سافوا، التي شاركت في التظاهرات الأولى للجنة العمل بـ شامبيري، عَدَلَتْ فيما يبدو بِسُرْعَةٍ عن هذا الموقف (215). أمّا بـ ليون، فكان الوَضْعُ أكثر انسجاماً. فقد ضَمَّتِ اللجنة الجهوية، بالإضافة إلى الحزب الشيوعي، والشبيبات الشيوعية، والـ س.ج.ت، التّقابة المستقلة للبنائين. وقد نَظَّمَتْ، في 2 غشت، مُظاهرةً جمعت ألفاً ومائتين من الأشخاص وتلقّت بهذه المناسبة عون نقابة التبغ الـ س.ج.ت وبعد تدخلات مختلفة، من ضمنها تدخل ليوط، وضَّح نائب اشتراكي بأنه ينبغي تجاوز تعليمات الرُّغماء (216).

في الغرب، مكَّن التحريضُ النشط ضِدَّ حَزْبِ الرّيف الذي لُوْحِظَ في الأوساط التّقابية لـ بريست من تنظيم لقاء اتّحادي كبير في 25 يونيو 1925، لكن لا أحد من المُشاركين أشار إلى التّآخي أو إلى الجلء عن المغرب (217). لقد كانت مُشاركة العناصر الاشتراكية أو التّقابية الكونفدرالية، إلى جانب الشيوعيين، ضئيلةً في باقي المنطقة. يُسجَّل مع ذلك بأن الفرع الاشتراكي لـ تريكي بـ لي كوط دي نور، طلب في نهاية 1925 «بأن تُدرَس المُشاركة في الجبهة الموحدة المُقترحة من طرف الحزب الشيوعي بصدق، وذلك من أجل أهداف متفق عليها»، ومن ضمنها العمل ضِدَّ الحروب الاستعمارية (218).

211 ارسيفات معهد موريس طرينز، السلسلة 117

212 AN F7 13175 (دوب)

213 تمّ تجمع في فاتح غشت 1925 أمام 600 شخص وبعد الشيوعيين، احتج على موقف قيادة الحزب الاشتراكي كل من لوريال من الاتحاد القوضوي وبواسيري من الاتحاد الاشتراكي — الشيوعي. AN F7 13177 (مارك).

214 AN F7 13173 (إيزير). نفس الموقف في لالوار، AN F7 13174 (لوار).

215 AN F7 13178 (صافوا).

216 AN F7 13177 (رون).

217 تمّ تنظيم اللقاء من طرف الشبيبات القابية، وبورصة الشغل المستقلة، وبورصة الشغل الاتحادية ونقابة الـ س.ج.ت للصناعة AN F7 13176 (مستير)

218 ليتانيل، 26 دحس 1925.

في الليموزان، رَفَضَ الاشتراكيون ونقايبو الس.ج.ت، في البدء، الرُّدَّ على دعوة الحزب الشيوعي و س.ج.ت الوحشية لتشكيل لجنة عَمَل. ولأنهم كانوا أقرباء بَدَعِمِ التَّقَابِيتِينِ المُسْتَقْلَتَيْنِ للأُحْذِيَّةِ وصناعة الخزف، كَرَّرَ الشيوعيون اقتراحهم. فردَّ الكونفدراليون بالموافقة شريطة أن تتكون اللجنة خصيصاً من ممثلي التنظيمات التَّقَابِيَّةِ. وانضمَّ الى هذه الفكرة المستقلون والمجموعة التحررية. أما س.ج.ت الوحشية فطلبت مهلة للتفكير، ثم رَفَضَتْ : بحيث لَنْ تَضُمَّ لجنة العمل لمنطقة الليموزان في الأخير سوى عناصر شيوعية (219). وفي الشَّيْر، كان لابد من انتظار الأيام الأولى من 1926، لكي تتمكن لجنة العمل من أن تُلْحِقَ بها عناصر غير شيوعية، وتتمثل في أعضاء المجموعة الاشتراكية — الشيوعية، والاتحاد الفوضوي، وعصبة حقوق الانسان، والفكر الحر، والمحافل الماسونية، لكن لا الاشتراكيون ولا الكونفدراليون كانوا مِنَ الْمُنْضَمِّينَ (220).

وفي الجنوب الغربي، كان إخفاق وَحْدَةِ الْعَمَلِ مع الاشتراكيين والتَّقَابِيَّينِ الكونفدراليين والمُسْتَقْلَيْنِ، جَلِيًّا في بوردو، رغم مجهودات فدرالية الكتاب (221)، نفس الشيء في الدوردوني (222)، وفي تولوز، حيث نسَجَلْ، مع ذلك، في بداية 1926، تَحَسُّناً في العلاقات بين الشيوعيين والاشتراكيين (223). أما في طارن، فقد نَحَمَ وَضَعَ خَاصَّ في أواخر شهر مايو 1925، بسبب القرار الذي اتَّخَذَتْهُ أَعْلِيَّةُ الْقِيَادَةِ الاشتراكية ضد الرأْيِ الْقِطْعِيِّ للسكرتير الفدرالي، بالقيام بعمل مُشْتَرَكٍ مع الحزب الشيوعي ضِدَّ حَرْبِ الْمَغْرِبِ، قَصَدَ فرض «السَّكْمِ الْفَوْرِيِّ وَالْلاَمْشُورِطِ مع الرِّيفِ، والاعتراف بالرِّيفِ، والجلاء العسكري عن المغرب». بعد بضعة أَيَّامٍ مِنْ ذَلِكَ، تَمَّ تَنْظِيمُ لِقَاءٍ فِي آلْبِي، حيث تَدَخَّلَ الى جوار الاشتراكيين والشيوعيين مُمَثِّلُ التَّقَابِيَّاتِ الْاِتِّحَادِيَّةِ وسكرتير الاتحاد الاقليمي لـ س.ج.ت. لكن لا يبدو، مع ذلك، أنَّ وَحْدَةَ الْعَمَلِ هذه قد امتدَّتْ أَبْعَدَ مِنَ الصَّيْفِ (224).

في الميدي المتوسطي، كانت الأعمال الْاِتِّحَادِيَّةُ قَلِيلَةً أَيْضاً وَمَخْصُورَةً فِي بَعْضِ الْأَمَاكِنِ. ففي لوكار، ظَلَّتِ التَّدَاعَاتِ التي وُجِّهَتْ الى الاشتراكيين والى الكونفدراليين من طرف الفرع الشيوعي لـ رِيْمٍ مِنْ أَجْلِ إِعْدَادِ حَمْلَةٍ ضِدَّ حَرْبِ الرِّيفِ، دون طائل. وفي المقابل، شارك متحمون للشبيبات الاشتراكية والتَّقَابِيَّاتِ الْمُسْتَقْلَةِ بـ آلْبِي، وهي منطقة نفوذ

219 الأرشيفات المقاطعية للهوط — ليس 184 M 1

220 AN F7 13104 (شبر)

221 الأرشيفات المقاطعية للاميرود، 2-363 M 1 (نقبر 4 أكتوبر 1925)

222 الأرشيفات المقاطعية للدوردوني، 193 M 4

223 الأرشيفات المقاطعية للهوط — غارود، 968 M

224 انظر AN F7 13174 (طارن)

شيوعي، في الاجتماعات التي تَظَمَّتْهَا لجنة العمل المحلية (225). أمّا د. بيرنيان، فوحده عُصْوُ من الاتحاد الفوضوي تَدَخَّلَ بَعْدَ الحُطْبَاءِ الشيوعيين في لقاء فاتح يوليوز (226). بينما رأينا في الفار، أخيراً، كيف تم طرد رعيم للشبيبات الاشتراكية من طرف فدراليته بسبب انضمامه الى المبادرات الشيوعية (227).

إضراب 12 أكتوبر 1925

نعثر على أول إشارة لإضراب احتجاجي ضِدَّ حَرْبِ المغرب في تَدَخُّلِ لطلوماس، مندوب الأهمية لدى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي. لقد قال بأنه ينبغي «توسيع لجنة عملنا والتحصين لمؤتمر العمال (...) وتوجيه نداءات للنساء ونداءات للشعاليين. إن إضراباً احتجاجياً يمكن أن يصير على هذا النحو ممكناً». لكنه وَضَحَ بَأَن «هذا الاقتراح للإضراب ينبغي أن يَصْنُرَ عن الجماهير، عن النساء وعن العمال، ولكن ليس عن الحزب الشيوعي» (228). أمّا ماري دوبوا، التي تَدَخَّلَتْ مباشرة بَعْدَهُ، فقد طالبت بَأَن يُحَصَّرَ المؤتمر العُمَالِي للمنطقة الباريسية، الذي سينعقد بَعْدَ شَهْرٍ، «للإضراب السياسي» (229)، بينما ذَكَرَ دوريو في تلخيصه للترتيبات المُقَرَّرَة من طرف اللجنة المركزية بَأَن من بينها «إضراب احتجاجي سيسبقه مؤتمر عُمَالِي هام» (230). وفي 5 يوليوز 1925، صَعَّدَ فور — براك، مندوب ستروين في مؤتمر العُمَالِ والمُسْتَعْدَمِينَ والفلاحين للمنطقة الباريسية، الى المنصة ليقتراح إضراباً عاماً لأربع وعشرين ساعة «تكون نتيجته إيقاف الطبقة العُمَالِيَة في مجموع البلاد» (231). وقد تَمَّ الأخذُ بالفكرة في قَرَارٍ صوتت عليه الجمعية كما أن المؤتمرات التي انعقدت بالأقليم بين يوليوز وشتنبر، ومؤتمر ال.س.ج.ت.الوحدوية (أواخر غشت)، انضمت الى هذا الاقتراح.

225 في 30 مايو، 2 و 12 غشت، 25 شتنبر و 12 أكتوبر 1925. AN F7 13179 و 13176 (كار).

226 AN F7 177 (بيرني — أوروبتال).

227 انظر أعلاه و AN F7 13178 (فار).

228 أرسيفات معهد موريس — طوريز، السلسلة 93، محضر اللجنة المركزية لـ 2 يونيو 1925.

229 نفسه.

230 نفسه.

231 لوماني، 6 يوليوز 1925.

الدلالة

قبل أن نتساءل عن تنظيم هذا الاضراب، ينبغي توضيح دلالاته. إن هذه الأخيرة لم تكن في الأصل مرتبطة أساساً وبِقُوَّة بحرب المغرب. فبالنسبة لطوماس، يُعْتَبَر الاحتجاج ضيِّد العمليات العسكرية مناسبة لبشَن حملة ضيِّد المشاريع المالية للحكومة ولصالح مطالب الشَّعَالَيْن. وفقط بعد انعقاد مؤتمر العمَّال ليليل، أخذ الاضراب، قبل كل شيء، معنى احتجاج البروليتاريا الفرنسية ضيِّد حَرْب الرِّيف، لكنَّ التحضير له أظهر حينئذ استحالة قَصْر التَّظَاهرة العمَّالية على هذا الهدف.

إِنَّ ثَمَّة التباساً ينبغي رَفْعُهُ : لم يكن وارداً في ذهن القادة الشيوعيين، أَنَّ بمقدور الاضراب إيقاف الحَرْب (232). لقد قال طوريز هذا مراراً وبكل وضوح (233). وها أن مذكَّرة من اللجنته المَكْنِيَّة لِلْعَمَلِ تُوضِّحُهُ بِقُوَّة : «يجب علينا مكافحة الوهم الذي يرى بأن الاضراب وَحْدَهُ، يمكنه أن يجعل الحَرْب تضع أوزارها. إن إضراب الأربع وعشرين ساعة ليس سوى أحد الأسلحة التي ستمكنا من توجيه الضربة الأولى. و(هو) ليس سوى بداية الكفاح الفعلي للبروليتاريا الميتروبوليتانية ضيِّد حَرْب الرِّيف» (234). لقد تخيل ميشيل مارتي الحوار التالي في إحدى الحانات : «أعتقد بأن بقاءنا مَكْنُونِي الأيدي سيوقف دَوِي المدفع ؟ سَأَل أَحَدُ العمَّال. كَلَّا، أَيُّهَا الرفيق، لا أعتقد ذلك، لكنَّ هذا سيجعل الحكومة تفكَّر كثيراً» (235). بطريقة أَوْضَح، بدأ الاضراب في نهاية الصيف بمثابة رَدِّ عَمَالِي على شَن الهجوم الفرنسي على المغرب. لقد اقتنع الشيوعيون بأنَّ القُوَّتين المشتركين، الفرنسية والاسبانية، ستُسَحِّقان الرِّيفيين سريعا. وعلى الاضراب أَنْ يُعَبِّرَ عَنْ تضامُن البروليتاريا الفرنسية مع الشَّعْبِ الرِّيفِي الذي

232 «إن الاضراب العام، كما تصوره الشيوعيون، كان (.) من نوع اليوم . فقد اعتقد الحزب الشيوعي الفرنسي أن بإمكانه إيقاف آلة الحرب بواسطة إضراب العمال الفرنسيين وحده»، ن لوكيبك، مقال مشار إليه، ص 47.

233 أمام المؤتمر الوطني لـ س.ج.ت الوحديية . «لا وهم هاك ! وكل كل شيء ليس الوهم الكبير بأن الاضراب قادر، وحده، في الوقت الراهن، على منع الحرب في المغرب، إن ما نطلبه من الرفاق، إن ما نريده دين عيو، وما أشارت اليه المؤتمرات العمَّالية، هو مطاهرة، هو احتجاج، هذا كل ما هاك»، المؤتمر الثالث لـ س.ج.ت الوحديية، 26 - 31 ششت 1925، عرض المناقشات، ص 74 وأمام اللجنته المركزية للحزب : «لن يوقف الاضراب حرب المغرب»، أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 94، (مصدر احتيا 10 ششت 1925).

234 مذكَّرة عور مؤرخة، بعنوان «الاضراب المقل لـ 24 ساعة»، AN F7 13092. نجد طمعا في الخطاب والكتابات العديدة حول الاضراب أقوالا تؤكد مما يبدو وجود هذا الوهم لدى بعض الماصلين. هكذا كتبت أليس برسي : «أيتها النساء، لوقف المحازر الاستعمارية، حضرن لاضراب الـ 24 ساعة» لوماليتي، 12 ششت 1925. لكن ينبغي، دون ريب، أن تأخذ بعين الاعتبار قوة الشعار وحمية الخطاب.

235 لوماليتي، 30 ششت 1925

قرّرت حكومة بابلوفي «تحقّقه» (236). لكن ها أن دوريو يورد من الجزائر، حيث كان، بأن الهجوم الذي شنته بيتان كان «إفلاساً ذريعاً» : وأن الحرب ستواصل طوال الشتاء. وإذّن، كان على العمّال أن يُظهروا مُعارضتهم بواسطة الاضراب ضد هذه الحملة وضد تمديد العمليات (237).

مع ذلك، ووعيا منه بالاعتراضات التي كان التّخضير للاضراب يلقيها داخل الـ س.ج.ت الوحشية، تساعل موموسو في فاتح شتنبر «عمّا إذا لم يكن مُمكنًا إضافة بعض الشعارات المطلوبة لِشعار إضراب الأربع وعشرين ساعة» (238). وقد عاد الى هذا الأمر بإسهاب في 10 من نفس الشّهر : «من الأكيد أنه إذا أردنا نخوض المعركة على أساس الشعار الخصوصي «ضيدّ حرب المغرب» فإن 75% لن يتّبعونا. يلزمنا ربطه بالوضعية الاقتصادية للعمّال. فينبغي أن نرى إذا كان ممكناً أن نلصق شعار الكفاح ضد الضرائب الجديدة، ومن أجل الزيادة العامة في الأجور بشعار الكفاح ضد الحرب....» (239). لقد كانت هذه الانشغالات مُشتركة بين عدد كبير من أعضاء اللّجنة المركزيّة للحزب. وتشهد نداءات اللّجنة المركزيّة للعمّال (240)، والمذكرات التي وجّهها الحزب الشيوعي الفرنسي في النصف الثاني من شتنبر بتوسيع الشعارات (241). وسيعمل قادة التّقابات الاتحادية على تأويل هذه التعليمات تبعاً لانشغالاتهم الدّاتية وحساسيتهم الخاصّة. فالمنشور الذي أصدره شغالو التّغدين والدّاعي الى الاضراب، لم يتضمن سوى خمسة أسطر حول حرب المغرب، لكن الإشارة الى الهجوم الامبريالي ضيدّ الشّعب الرّيفي كانت خالية من أيّ لبس إذ «أن أبناء الشّغالين يسقطون من أجل قضية ليست قضيتهم (...) يقولون بأنهم يحملون الحضارة لشعوب ليس لديها ما تصنعه بهذه الحضارة، ولا تطلب سوى أن تعيش بسلام (...) إن ما يرومون، هو الاستحواذ على ثروات الرّيف» (242). على عكس ذلك، دعت نقابة التّجارهين، السّلمية النزعة، المنضمّين إليها الى إضراب احتجاجي ضيدّ الحرب، دون أن يرد ذكر

236 انظر لومانبي، 22 شتنبر 1925 (ناسار) ولاي أولفهر، 14 عشت 1925 (موموسو).

237 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 94، (محضر اللّحة المركزيّة لـ 29 شتنبر 1925).

238 نفسه، (محضر اللّحة المركزيّة لفاتح شتنبر 1925).

239 نفسه، (محضر اللّحة المركزيّة لـ 10 شتنبر 1925).

240 انظر حاسة لومانبي لـ 12 و 19 شتنبر 1925.

241 إن المذكرة العامة رقم 120 (غير موقعة)، تاريخ 21 شتنبر 1925، توضح، في موضوع تنظيم الاضراب : «يلزم الالتاح بشكل خاص على الشعارات التالية : «الزيادة العامة في الأجور، الصلح الفوري مع الرّيف وسرباء ضد صائب كابوكس؛ إطلاق سراح المساحين المدنيين والعسكريين، إعادة إدماج جميع المطرودين؛ من الأناك، والنقل الحظري والسكك، الخ.» A1 F7 13092.

242 AN F7 12919 (منشور تم توزيعه في 10 أكتوبر 1925).

للمغرب أو الريف في ندائها ذاك (243). لقد بدا بعض قادة نقابات السُّكَّكِين ومُستخدِمي الثَّقَل للمنطقة الباريسية، حريصين على إظهار تضامن الشَّعَّالين ثُحَاة الجنود الذين يسقطون كُلَّ يوم في المغرب (244). لكن الوضع الدَّاخلِي لهذه النَّقَابَات لم يسمح لها بأن تُرْجِعَ صَدَى هذا الاشغال. فالْمَرْجِعُ الْمَغْرِبِي لا يكاد يستجيب لمشاكلها للدرجة أن سكرتير نقابة شركة النقل (245)، تَمَكَّنَ من جَعْلِ خمسة آلاف شخص يهتفون في الاضراب بَعْدَ أَنْ أُعْطِيَ لهذا الأخير اتِّجَاهاً جَرِيقاً بِمَحْصَرِ المعْنَى (246). ومع ذلك، ظَلَّ الاحتجاج ضَدَّ حَرْبِ الْمَغْرِبِ في مَقْدَمَةِ النداءات الى الاضراب التي أَطْلَقَتْهَا كُلُّ من لومانيتي ولافي أوفريير. كما أَنَّهُ كَانَ حَاضِراً في الملصقات والمناشير التي أَصْدَرَتْهَا، اللَّجْنَةُ الْمَرْكَزِيَّةُ لِلْعَمَلِ بِهذه المناسبة (247).

التنظيم

يطرح التحضير للاضراب ثلاثة أسئلة متشابكة على نَحْوِ وثيق سنعمل، على التمييز بينها لأغراض التحليل : من كان مسؤولاً عن تنظيمه ؟ كيف كان رَدُّ فعل النَّقَابَات وبشكل عام القطاعات المهنية الرئيسية في الأسابيع التي سبقت المظاهرة ؟ وأخيراً، كيف تَمَّ تَحْدِيدُ تاريخ الاضراب ؟

اختيار المسؤولين

لقد كَلَّفَ قرارٌ من المؤتمر الْعُمَالِي للمنطقة الباريسية لَجْنَةَ الْعَمَلِ بالسَّهْرِ على التحضير للاضراب وتحديد تاريخ باتِّفَاقٍ مع التنظيمات النَّقَابِيَّة. غير أن المناقشات التي جَرَتْ داخل الحزب الشيوعي تُظْهِرُ بأنَّ تطبيق تلك الترتيبات لم يتم دون مصاعب. ففي 18 غشت 1925، لَاحَظَتِ اللَّجْنَةُ الْمَرْكَزِيَّةُ للحزب الشيوعي بأن التحضير للاضراب لم يتقدَّم إِلَّا قليلاً : «إننا، نحن لجنة الْعَمَلِ، صَرَّحَ طوريز، ليست لدينا الوسائل لإطلاق الشَّعَّار، طالما أَنَّا لم نَجْمَعِ الْعُمَالُ في لجان وَحَدَّةٍ بَرُوليتارية» (248). لقد اعتبر كُلُّ من سوفاج وراباخي أن

243 نفسه، (ملصق تم تعليقه في 9 أكتوبر 1925).

244 انظر لومانيتي، 24 شتنبر 1925 (مقال س. سيلبي، سكرتير مكلف بالدعاية في نقابة الفنادق و 27 شتنبر 1925

(مقال لوبورسي، سكرتير نقابة S T C R. P

245 شركة النقل العمومي للمنطقة الباريسية (الميترو والحافلة).

246 شملت المطالب التي تقدم بها دوفو، السكرتير العام لقناة النقل الحصري . مساواة المستخدمين في النقل بالمستخدمين الملبدين، وجعل الشارة النقابية، والاعتراف من طرف قيادة لحائ المخار والمعامل، وإعادة إدماج الأخوان المطرودين من بداية السنة. AN F7 12919 (احتجاج شومود - نالاس في 6 أكتوبر 1925)

247 انظر AN F7 12919

248 أرسيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محصر اللحمة المركزية ل 18 غشت 1925.

الاضراب من اختصاص المكتب السياسي للحزب وكذا الهيئة التنفيذية لِلْجَنَةِ الْعَمَلِ. أما موموسو فكان صريحاً: «لأنني مُقْتَرِضٌ كُلَّ الاعتراض على الاضراب الْمُتَنَظِّم من طَرَفِ لجنة الْعَمَلِ وَخِدها، لكنني مع الاضراب العام الْمُتَنَظِّم بِكُلِّ الْمُسَاهَمَات» (249). في 10 شتبر استأنِفَ النَّقَاش. إِنَّ مُحَفَظَاتِ بَعْضِ الثَّقَابِيين حول إعطاءِ لجنة الْعَمَلِ دَوْرَ منظمة الاضراب لم تُنْمَج. فلجنة العمل هي التي كان عليها أَنْ تُعْطِيَ التَّوْجِيهَ وَتُكَلِّفَ بِالْمِهْمَةِ؛ لكنّها لم تَقْمِ بِأَيِّ عَمَلٍ ملموس، صَرَّحَ بِذلك رشيطة، سكرتير الفدرالية الاتحادية للنسيج (250). لكن موموسو كان أَشَدَّ فَظَاطَةً: «إِنَّ لُجْنَةَ الْعَمَلِ عاجزةٌ سِيَّاسِيًّا على تحديد حركة إضراب» (251). لقد أَقْرَ طوريز بأن لجنة الْعَمَلِ، في صيغتها الأكثر بساطة، ليست في مستوى تَحْمِلِ المسؤولية التي عُهِدَ بِهَا لـ «أَنَّا عاجزون عَنْ قَوْلِ ما إذا كان في مُكَيِّنَاتِنا عَمَلٌ شَيْءٌ ما. وإذا استمررنا، فإنه الافلاس التَّام. لقد أَسَّسْنَا لُجْنَةَ عَمَلٍ تَكْتَفِي بِعَقْدِ مَوْثَمَاتٍ عَمَّالِيَّةٍ وَبِإِرسالِ مَقَالَاتٍ الى لومانيي. إِنَّهَا لَسُخْرِيَّةٌ. وَإِنَّهُ إِفْلَاسٌ لِلْحَرَكَةِ ١» (252). ولم يكن تحامله خَدَّاعاً، ولا كانت لهجته مِرافعة، لكنها تقريباً لهجة اتِّهام. لم يكن وارداً التشكيك في صيغة لجنة الْعَمَلِ، ولكن في مقدرة المُشَارِكِينَ، ومقدرة الحزب والثَّقَابَاتِ على استعمالها. استطرد شاسيني «إِنَّ طوريز على حَقِّ. ماذا تريدون من رفاق لجنة الْعَمَلِ أَنْ يفعلوا هم الَّذِينَ ليسوا سوى اثنين أو ثلاثة (...) إِنَّ أَوْلَى الْمَهَامِ لِلتَّحْضِيرِ لِلْإِضرَابِ، هي إعطاء جهازِ لِلْجَنَةِ الْعَمَلِ» (253). لقد اعتبر موموسو من جهة أن تنظيم الاضراب مُفْرَضٌ على الحزب الشيوعي الفرنسي والـ س.ج.ت. الوجودية. إِلَّا أن قيادة الحزب لا تشاطرُه هذا الرَّأْيَ. لقد قال تران بأن «لدينا لجنة إضراب مُشْكَلَةٌ على نَحْوِ مُسَبِّقٍ، إِنَّهَا لَجَنَةُ الْعَمَلِ»، ووضع سيمار بالتأكيد على أن دور الحزب والنقابات يعتبر أساسياً، وأَقْرَ، في مَعْرِضِ حديثه، بأنه «كان هناك ضعف داخل حزب بالنسبة لكلِ الْمُنَاضِلِينَ وَ(أنه) لم يُؤَخِّذِ التَّحْضِيرَ لِلْإِضرَابِ العامِ لِأَرْبَعِ وَعِشْرِينَ سَاعَةً مَأْخُذَ الْجَدِّ» — لكنَّ الفكرة التي لِيَعْضِيهِمْ عن لجنة العمل فكرة مغلوطَة: «لَقَدْ خُيِّلَ لكثير من الشَّغَالِينَ بأنَّ لُجْنَةَ الْعَمَلِ مُنَظَّمَةٌ فوق الحزب وفوق الـ س.ج.ت. الوجودية أي مُنَظَّمَةٌ جَبْهِيَّةٌ وَحِيدَةٌ، بينما هي اندماج الحزب الشيوعي والنقابة» (254). لَقَدْ أَذَلَّتْ سوزان جيرون بتصويب: نعم، كانت لجنة الْعَمَلِ مُكوَّنةٌ سابقاً من الحزب

249 نفسه.

250 نفسه، السلسلة 94 (عصر اللوحة المركبة لـ 10 شتبر 1925)

251 نفسه

252 نفسه

253 نفسه

254 نفسه

255 نفسه

الشيوعي، والشبيبات الشيوعية، وال س.ج.ت. الوحدوية، والجمعية الجمهورية لقداماء المحاربين... لكن بَعْدَ مؤتمر المنطقة الباريسية، صارت «شيئاً أوسع». فقد ألحقت بها عَمَّالاً غير مُنظَّمين. سيكون إذن إطلاق شعار الاضراب من طرف التنظيمات التقليدية رجوعاً الى الوراء وذهاباً بعكس الهدف المنشود (256). وقد اقترح مَارَان، الذي كان في الرئاسة، بأن يُعَهَّد بتنظيم الاضراب الى «هيئة صغيرة» مُشكَّلة داخل الحياة التنفيذية للجنة العمل ومُكوَّنة من ثلاثة مسؤولين يمثلون الحزب الشيوعي، وال س.ج.ت. الوحدوية ولجنة العمل. هكذا تُمَّ تعيين تران، ومونوسو وطوريز. لقد وضح سيمار بأن هذا لا يمنع الحزب وال س.ج.ت. الوحدوية، بأن يعملوا الى جانبهم. إلا أن مونوسو لم يقتنع كثيراً فيما يبدو. لذلك عاد يُكرِّر: «هل تعتبر أن علي لجنة العمل أن تُعطي شعار الاضراب العام للجماهير؟». فأجاب سيمار «أعْتَبِرُ، أن من المستحيل أن يتكفل تنظيم آخر بإطلاق هذا الشعار. إن لجنة العمل، المُمَثَّلة المباشرة للمؤتمرات العمالية، هي التي يتعين عليها إطلاقه. أقول بأنه في لحظة الانطلاق، لا ينبغي الاكتفاء بتقديم لجنة العمل ببساطة بل لجنة العمل باعتبارها تضم الحزب الشيوعي وال س.ج.ت. الوحدوية، الشبيبات الشيوعية، الخ» (257).

موقف النقابات

يشهد قرار توسيع دلالة إضراب الأربع وعشرين ساعة بالمقاومات التي لقيتها الشعارات الأولية للجنة العمل المركزية داخل الطبقة العاملة. لقد لاحظ مونوسو في 18 غشت 1925 أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بـ «أن الجماهير لا تزال مُقاومة لفكرة الاضراب العام» (258). وكان المؤتمر الوطني لـ س.ج.ت. الوحدوية، الذي انعقد بَعْدَ بضعة أيام من ذلك، مناسبة لتوضيح بعض هذه المقاومات. لقد قبل المشاركون بالاجماع قراراً مطولاً «حول الكفاح ضد الامبريالية والحرب»، انتهى بدعوة الى الدفاع لدى كل التنظيمات النقابية على مبدأ إضراب من أربع وعشرين وساعة، «مُرْتَبط بشكل حميمي بحملة التحريض ضد حرب المغرب، وبشعار التآخي ومقاطعة صناعات الأسلحة والدخيرة والتقل الحربي» (259). ولم يتصدى لهذا الاجماع، إلا ثلاثة امتناعات، لكن الممتنعين كانوا يمثلون

256 نفسه.

257 نفسه.

258 نفسه، السلسلة 93 (معهد اللغة المركزية لـ 18 غشت 1925).

259 المؤتمر الثالث لـ س.ج.ت. الوحدوية، مارس، 26 - 31 غشت 1925، عرض المناقشات، ص 67 -

فدراليات هامة : فدراليات السككين، والتدريس، والمصالح العمومية، وقد رفض كل واحد منهم، بطريقة، توريط موكليه. وأكد رولو، على الخصوص للمؤتمر تضامن المدرسين أعضاء النقابة مع المجهودات المبذولة من طرف ال.س.ج.ت. الوحدوية في حملتها ضد حرب المغرب، لكن نظراً «لعقلية أغلب موظفي التعليم» فقد اعتبر أن من المستحيل أن يندى رأيه «حتى حول مبدأ إضراب الأربع وعشرين ساعة» (260). هناك ما هو أدهى من هذا. فباستثناء موموسو، لم يأخذ أي زعيم نقابي الكلمة لكي يعلق إيجابياً على شعار الإضراب العام. لقد لاحظ السكرتير العام ل.س.ج.ت. الوحدوية هذا الأمر في فاتح شتنبر أمام الحزب : «سياسياً، يُعتبر إضراب الأربع وعشرين ساعة فاشلاً. لقد كان يمكن أن يُستقبل بالهتاف. إلا أنه استُقبل بطريقة بادرة، إنه لَفَشَل» (261). وفي 10 من نفس الشهر، عاد للالحاح : «يمكننا أن نقول بأن ثمة مقاومة في مجموع البلاد. وإذا كانت هناك مقاومة من الأوساط النقابية، فلأن الجماهير لاتستجيب لندائنا». لقد ربط موموسو هذه المقاومة بالتراجع الذي طبع، في نظره، النشاط النقابي منذ بداية السنة، فقد «ترجمت الحية التي أثارها عدم تحقيق الوحدة بنوع من الفتور في بعض فئات نقاباتنا الاتحادية». وأضاف بأنه ينبغي أن تؤخذ المشاكل النوعية لكل جبهة بعين الاعتبار. فمن الصعب تصور إضراب لدى السككين والبريديين، بحكم التأثير الذي تمارسه، ال.س.ج.ت. على الخصوص؛ في حين أن تأثير هذه الأخيرة على المنجمين قليل. كما أن الشروط التي تؤمن الوزارة ضمنها وصايتها على الصناعات الحربية لا تسمح لعمالها بالإضراب. على عكس ذلك، تبدو تعبئة العمال، في كل من قطاعي التعدين والتسيج، أمراً ميسوراً (262).

لقد كان أعضاء الحزب، الذين لم يكونوا يمارسون مسؤوليات نقابية، يدون أكثر تفاؤلاً. لقد ألح طويريز على «الخطأ» الذي يرتكبه كثير من الشيوعيين بخصوص ال.س.ج.ت. فبذريعة أنها تجتذب مدرسين وموظفين «خصوصاً في أوساط اليمين» يتم

260 نفسه، ص 69 — 80. لقد وضع موموسو بأنه غير وارد «توريط الطبقة العمالية في عمل يبدو صعب الانجاز»، لكن الأمر يتعلق بـ «الثقة في التنظيمات المركزية» لكي يحدد، «بعد احتلاق السيكولوجيا الاضرابية»، الشروط التي «سيم ضمنها تحديد كميات الاضراب العام». وبعد أن اطمأن كل من رولو، وبيزو، والمتنب من طرف شعالي المصالح العمومية، انضموا الى هذا المقرر أما بيزو، ممثل السككين، فناقش بالخصوص شعار التآحي واحتفظ بامتاعه. نفسه، ص 70 — 75.

261 أرشيفات معهد موريس — طويريز، السلسلة 94، (عصر اللجنة المركزية لفاتح شتنبر 1925).

262 نفسه، عصر اللجنة المركزية لـ 10 شتنبر 1925.

الادعاء، خطأ، بأنه ليس لديها قاعدة بروليتارية جدية (263). لقد أكد أنه «ليس العمال هم الذين يرفضون الكفاح ضد الحرب»، بل «نحضر نقول على مناضلين لا يريدون دفع (هم) الى إضراب من أربع وعشرين ساعة، ولو كان محدوداً». ولم يكن وارداً، دون ريب، تعبئة جميع العمال، «ولكن لابد من حشد كبير حتى يمكن القول بأنه كانت هناك مظاهرة». ولأجل هذا، لا يتعلق الأمر بخصص إمكانات كل جبهة بل «ينبغي أن نقول لأنفسنا: ما هي المراكز الكبرى التي بإمكاننا أن نجعلها؟ ماهي المراكز الصناعية المهمة التي بإمكاننا أن نعمل فيها (...) عندما سنقوم بهذا، سنرى أين وصلنا في حين أننا الآن لا نعرف أي شيء. نحن عاجزون عن قول ما إذا كان في مكنيتنا فعل شيء ما». (264). وقد تدخّل سيمار في نفس المنحى قائلاً «علينا أن نشن إضراب الأربع وعشرين ساعة رفقة القوى الثقافية التي ستكون الى جانبنا، وألا نزعّم بأننا سنجلب الجماهير العمالية والفلاحية العريضة حول مسألة مثل مسألة حرب المغرب. إنه أمر في متبى الصعوبة. فمن البديهي أن البروليتاريين يجتذبون أكثر الى حركة إضراب حول المطالب الفورية مما لو كانت حول حرب المغرب». والأساسي هو عدم تبديد القوى، هو الاهتمام بالمراكز الأكثر مؤاتاة، وإعفال المواضع الثانوية. لقد اعتبرث سوزان جيرو، هي الأخرى، بأن مؤتموسو يقلل من إمكانات التجاح، وطالبث بأن تضاعف الاجتماعات في النقابات والدوائر الشيوعية وأن يتم القيام بمحملة بين الجماهير غير المنظمة بالمعامل (265).

بعد أن قرّر الحزب إرسال مندوبين الى الأقاليم للتحضير للإضراب وتنظيمه، اجتمعت لجنة مركزية موسّعة في 7 أكتوبر للاستماع الى تقاريرهم. جميعهم ألحوا على الطابع المتأخر لتدخلاتهم وعلى المصاعب التي لاقوها. في منطقة الشمال، يعتقد راباطي في نتائج حسنة لدى العاملين في قطاع التعدين، رغم قرار بعض أرباب العمل القاضي بالتراجع عن التخفيضات الأخيرة للأجور (266). وفي المناجم استغلّ الاصلاحيون هذا القرار ضدّ

263 لم يصطدم أبداً ماشية موموسو، لكن كان تحليله على طريي بقيص من تحليل السكرتير العام لـ س. ح. ت. الوندوية : «إني مستمر في الاعتقاد بأن تركيبة مؤتمر الـ س. ح. ت. (كان قد انعقد قبل ذلك بضعة أيام، من 26 الى 29 عشت)، ما عدا بعض القنات، كانت بروليتارية حتة لأريد أن أتوسّع، لكني أسوق مثال محمدي ما - دو - كالي الذين كانوا 30 000 إسمه ليسوا أشخاصاً فقدياً كل وعي طقي» نفسه، (محضر اللجنة المركزية لعاش 10 شتير 1925).

264 نفسه، (محضر اللجنة المركزية لـ 10 شتير 1925)

265 «إنيك تهيؤنا لثلاثة أشهر من العمل ا» صاح موموسو. نفسه.

266 ص. ح. بأنه لدى وصوله «كان عبد الرفاق الماصلين وبشكل خاص القنات تشاؤم كبير» نفسه، (محضر اللجنة المركزية لـ 7 أكتوبر 1925. إن المعلومات التي تنصها هذه الفقرة مستقاة من هذه الوثيقة)

الاضراب؛ ومن جهة أخرى، لاحظ كيرش بأنّ الدّعاية لم تشمل العمّال البولونيين (267)؛ ومع ذلك ظلّ مُتفائلاً. أمّا في التسيج فقد اصطدم المناضلون على العكس بمصاعبٍ جَمّة. في وقت بدا الوضع سيّما في الشرق. ففي الألزاس، وَضَح شارل، عمل القرار الذي اتّخذته ال س.ج.ت الوحشية بإضافة المَطْلَب الاستقلالي الى شعارات الاضراب، على التقليل من الامكانيات : إنّه يُقدَّر بأنّ الحركة لن تُشَمَل سوى ثلاثة أو أربعة آلاف عامل، وثلاثة أو أربعة آلاف منجمي. وفي اللورين، حسب ستينجير، لا ينبغي الاعتماد سوى على 10% من المضربين بين التسعين ألف عامل. وفي منطقة ديجون، يبدو الوضع رديّاً : فإذا كان المنجميون مع الاضراب، فإنّ عمّال المصانع هم بالأحرى ضيّده. وفي ليون، علّق هيركلي بدوره، «لسنا نعتدّ مُستعدين لارتقَاب حركة جيّدة» : فلا يمكن الاعتماد سوى على 25% من عمّال المعدّات؛ وفيما يتعلق بالنقل المحلي (الحافلات والترامواي)، ليس هناك من أمل سوى في إضراب نصف ساعة على الأكثر؛ أما النسيج فلن يتحرّك؛ وفي روان، لن تتوقف المصانع طويلاً، وفي ساوون إي لوار، لا يمكن وَضْع الثقة سوى في منجمي مونسول — مين. وفاسار يعتمد على 70% من منجمي (لوا) وعلى 30 الى 40% من عمّال قطاع التعدين؛ وهو يعتقد أيضاً بأنّ صنّاع الأسلحة بسان — إيتيان سيُضربون. لقد وَضَح موموسو بأنّ الوضعية في الوسط تبدو جيّدة، سواء في بوج (باستثناء دار الصّناعة) أو في المَوَاضِع القريبة من ألي، خاصّة تلك التي توجد بها مناجم. أمّا فايي وكريمي فقد اقتسما المنطقة المُتوسّطة. لقد لاقيا هناك مقاومات كبيرة. ومع ذلك، يعتقد كريمي في إضراب الترامواي بمرسيليا وكذا إضراب عمّال الغاز. وفي ال فوكلوز، يتوقّع أن تكون الحركة عامّة في أربعة أو خمسة تكتلات. ويقول فايي بأنّ نصف عمال التعدين بلوكار سينضمون للحركة. وفي سيت، يأمل في تَعَطُّل ثلاثة آلاف من عمّال أحواض السفن. لقد بدا من المؤكّد أن الحركة ستكون مُهمّة في المراكز المنجمية كما أنّ البلديات الرّاعية لـ (بييني — أوربانطال) بدت له مُهيّأة. وفي الأكيين، يعتقد بوفيل بأنّ الاضراب سيكون عامّاً بال بوكو، في حين أنه لن يشمل أكثر من أربعة آلاف عامل في بوردو. أما ثرويار، العائد من منطقة باس — سين، فقد شهّد، على العكس، ثَقَلَباً لِصَالِحِ الاضراب؛ إنه يُعلِن بأنّ حركة المُرور في ميناء روين ستتوقّف عَقِبَ تَعَطُّلِ عمّال أحواض السفن، وأنّ الاتحاديين والكوفدراليين، في إيلبوف، مُتفقون على التوقّف عن العمل في معامل النسيج، وأن سبعمائة سكي، في سوطفيل، أقرّوا الاضراب. يبقى الهافر Le Havre، حيث لم يُنْضَجِ الوُضْعُ بعد. وأخيراً، فإنّ رايتو يوكّد بأنّ «عَمَلُ تحضير المنطقة

الباريسية مُكْتَمِلٌ». ويُقدَّر أنَّ من الممكن الاعتماد على 50% من المُضربين في قطاع التَّعْدِين. بيد أن التحرك سيكون صَغْباً لَدَى الشَّعَالِين الْبَلْدِين الَّذِينَ اسْتَفَادُوا مُؤَخَّراً من زِهَادَةِ فِي الْأَجُور، وسيكون مَحْدُوداً جَدّاً لَدَى الْمُسْتَحْدَمِين (من 10 إلى 15%). لكن الاحتمالات إيجابية في قطاع البناء، وقد ذَكَرَ رَابِنُو بأنَّ مُسْتَحْدَمِي الثَّقَلِ الْعُمُومِي مُسْتَعْدُونَ لِشَنْ إضرابٍ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ سيكون «ناجحاً كُلَّ النَّجَاح».

اختيار التاريخ

هناك ثلاثة اعتبارات بدت حاسمةً للشيوعيين لتحديد تاريخ إضراب الأربع وعشرين ساعة هي المستوى الذي يَلْقَته تعبئة الجماهير العمالية، والشروط التي كانت يَتِمُّ ضمنها العمليات العسكرية، وأخيراً ضرورة ربط الحركة بقرار الإضراب الذي اتخذته الثَّقَلُ الْعُمُومِي للمنطقة الباريسية.

لقد صاح مونغوسو أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي المجتمعمة في 18 غشت أن «عَلَيْنَا أن نتوصَّل إلى تحقيق الإضراب العام في فاتح أكتوبر أو في تاريخ قريب منه وإلا سنصير مثيرين للسخرية أمام الجماهير» (268). لكننا رأينا كيف أَنَّهُ كَانَ يَعْتَبَرُ بأنَّ الْعَمَالِ لم ينضجوا بَعْدُ لِتَحْرُكٍ كهذا (269)، وفي 10 شتنبر صرَّحَ بأنَّه من الْمُتَعَذِّرِ تَحْدِيدُ تاريخ ما (270). لقد أزره سيمار، بينما أكَّدَ راکامون، مُتَلَرِّعاً بِالْعَمَلِ الَّذِي يَتَطَلَّبُهُ «تَحْضِيرُ الْأَطْر» صرَّحَ «لن نكون على أهبة إلا في شهر دجنبر على الأقل» (271). عندئذ انفجر طوريز قائلاً «لم أعد أفهم شيئاً. (...) هل ينبغي للعمل الاعدادي أن يستمر ثلاثة أشهر؟» (272). لكن للعمليات العسكرية مُقتضياتها. لذا قَدَّرَ شاسيني أن أفضَلَ تاريخ هو 20 شتنبر، اليوم العاشر للهجوم. ففي تلك اللَّحْظَةِ تكون التَّيَبَّات الدَّامِيَّة للمعارك قد ظَهَرَتْ لِلرَّأْيِ بِوَضُوحٍ أَكْبَرٍ. و أضاف قائلاً إننا إذا تَأَخَّرْنَا، سنجازِفُ بأن نَجِدَ أَلْفُسْنَا أمام انتصار فرنسي يُبْطِلُ الرَّأْيَ العام ويقلبه ضِدَّنَا. إِنَّهُ إِذَنْ مَعَ التَّارِيخِ الْأَقْرَبِ ما أمكن. أما تران فقد أَظْهَرَ، مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، بأنَّه بسبب مَوْسِمِ الْأَمْطَارِ، فإنَّ العمليات العسكرية قد تتوقف بَعْدَ 15 أكتوبر. لقد أَلَحَّتْ سوزان جيرو بأن يَتِمَّ تَحْدِيدُ تاريخ أَقْصَى لِشَنْ الإضراب، فانضمَّ سيمار لهذا الاقتراح، وصَوَّتَتِ اللجنة المركزية المجتمعمة في 10 شتنبر بالاجماع على 15 أكتوبر كتاريخ أَقْصَى (273).

268 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، (عصر اجتماع اللجنة المركزية لـ 18 غشت 1925).

269 لقد شكك كادو من جهة في إمكانية شن إضراب في 20 شتنبر أو حتى في فاتح أكتوبر. نفسه.

270 نفسه، السلسلة 94، (عصر اجتماع اللجنة المركزية لـ 10 شتنبر 1925).

271 نفسه.

272 نفسه.

273 نفسه.

في الأسابيع التي تلت، لم تُخبر الدعاية للاضراب بأي تاريخ، بل اكتفت بتديد أن هذا الأخير سيم تحديده «في أميد قريب» (274) من طرف اللجنة المركزية للعمل والتنظيمات النقابية (275). وحسب جليمن، لم يعد النقاش إلى هذه المسألة، لادخل الأجهزة القيادية للحزب، ولا داخل أجهزة الـ س.ج.ت. الوحشية، إلى غاية اجتماع لجنة مركزية موسعة للحزب الشيوعي في 7 أكتوبر. لم يكن حماس موموسو في هذا اليوم، كبيراً جداً، كما رأينا، لكن، وضح قائلاً، «سيظل المشكل هو نفسه خلال ثمانية أو خمسة عشر يوماً أو حتى خلال شهر، ولن يتغير الوضع». ومع ذلك رُفضَ تعيين تاريخ محدد (276). عندئذٍ تدلّ تروان : «لكي لا يمتدّ النقاش كثيراً، ألقى للمناقشات بفكرة إضراب عام ليوم الاثنين 12 أكتوبر». فاعترض راكمون بأنه من الصعب الاتصال بالعمال في يوم أحد، وأنه يرجو أن يُشنّ الإضراب غداة يوم عمل. أما كالفي فرأى بأنه من الأفضل في (الباس — سين) وخصوصاً في (الهافر) اختيار الأربعاء 14، لكن طوريز أظهر، ومن بعده كيرش، بأنه بالنسبة للمنجمين ينبغي قطعاً اختيار الاثنين. لقد تلاشت تحفظات القادة النقابيين، موموسو، راكمون، وراينو، عندما أكد طوريز بأنّ المصقات ستكون جاهزة في الوقت المناسب. ثم، بالأخص، لم يُعدّ مُمكنناً إزجاء التحرك أكثر، لأن نقابة النقل الحضري (مترو) قررت أن تُضرب ولم يعد في مُمكنّتنا إمساك مناضلي النقابة أكثر من أسبوع (كان يوم الأربعاء) : «وإلا، قال طوريز، لن نحصل لا على إضراب الأربع وعشرين ساعة، ولا على إضراب نقابة النقل الحضري (مترو)» (277). لأنه من الواضح جداً أن إضراب النقل يشكل عُنصرًا هاماً في نجاح التحرك في المنطقة الباريسية. وبعد تدخلات مختلفة، أعلنت اللجنة المركزية الموسعة شن الإضراب الانذاري لأربع وعشرين ساعة يوم 12 أكتوبر. لقد اتُخذَ هذا القرار بالاجماع، ما عدا امتناع واحد، هو امتناع بوفيل (278).

274 إنها العبارة المستعملة في مذكرة للجنة المركزية للعمل، غير مؤرخة، لكن من المحتمل جداً أن تكون قد كتبت في أواخر شتير أو الأيام الأولى لأكتوبر AN F7 13092.

275 مع ذلك تسجل، حسب تقرير للشرطة، أن موموسو قد يكون وضح أمام المؤتمر البين فدرالي لـ س.ج.ت. الوحشية، المجتمع في 17 شتير أن الإضراب سيُشن في الأسبوع الأول لأكتوبر. نفسه، F7 12919، كما أن برترز سكرتير لجنة العمل للمنطقة الباريسية قد يكون صرح في 16 شتير، حسب والي الرون، بأنه كان ينبغي التفكير في أن يتم الإضراب في النصف الثاني من أكتوبر. نفسه، F7 13177 (الرون). بينما قد يكون شاسيني، مسؤول الشبكات الشيوعية، أكد من جانبه، بمناسبة اجتماع العقد ساريس، باليليفيلوار، في 30 شتير، أنه بالرغم من أن التاريخ لم يحدد بعد، ينبغي الاستعداد لـ 15 أكتوبر. نفسه، F7 12919.

276 أرسيفات معهد موريس — طوريز السلسلة 94، (عضو جلسة اللجنة المركزية الموسعة لـ 7 أكتوبر 1923).

277 نفسه.

278 إن هري بوفيل سكرتير لفدرالية شمالي التغذية، وعضو هيئة تحرير لاتي أوفرهار. لقد سبق أن اتبعت من طرف الحزب لتنظيم الإضراب في المنطقة البوردولية والتحضير له وهو أحد الموقعين على رسالة الـ 250 إلى الأمة انظر أدناه

عشية الاضراب، بدأ الشيوعيون ومناضلو ال.س.ج.ت.ت. الوحدوية منعزلين. فلا الحزب الاشتراكي، ولا ال.س.ج.ت.ت. أجابا على اقتراحات لجنة العمل. أمّا لووبل، لسان حال النقابات الكونفدرالية، فقد لُزمت الصمت تقريباً حول التحريض لصالح الاضراب (279). وحدهم الفوضويون قرروا، منذ وقت طويل، الانضمام اليه، مُظهريين وجهة نظرهم الخاصة التي لم تخل من سخرية: «عجبا، عجبا! فكرة الاضراب العام هذه، المُشتنع عليها كثيراً، المُهانة كثيراً!» (280). ويوم الأحد 11 أكتوبر، أصدرت لوليبيتر عِدداً خاصاً، يدعو بعنوانين كبيرة الى الاضراب العام ويوضح شعاراته الخاصة: «ضيد كتلة اليسارات، ضيد عبد الكريم، ضيد كل المُغامرين، ولكن من أجل الحُرّة للجميع، من أجل انتفاق الشغاليين»، تعالوا لتنهقوا: «كفى من المجازر، كفى من الدّم، لتسقط الحُرْب!».

الحصيلة

عنونت لومانيتي في 13 أكتوبر 1925، على سبعة أعمدة بما يلي: «كارثيل اليسارات يتقل العُمال». لقد تميز يوم 12 بالفعل بأحداث خطيرة: ففي سُورين قُتل عامل شيوعي يدعى أندري ساباثي؛ وفي سان - دوني، أطلقت الشرطة النار على المتظاهرين؛ كما أن جاك دوريو اعتُقل على إثر صدام مُتهماً بضرب رجال الأمن وحُجِسَ في سجن لاساتي. هذه الأحداث هي التي أحدثت ضَجّة في الجريدة الشيوعية. أما عن حجم الاضراب، فقد أبدت الصحيفة ارتياحاً في منتهى الاعتدال. ولم تعط لا في ذلك اليوم، ولا في الأيام التي أعقبته، التقدير الاجمالي لعدد المُضربين. لقد أكّدت بأن التعطّل عن العمل في باريس وضواحيها كان أكثر من فاتح مايو السابق، وهذه إشارة بالغة الضلالة. أما الصحيفة الناطقة بلسان ال.س.ج.ت. الوحدوية، وهي الحياة العمالية التي ظهرت عُدّها بعد ثلاثة أيام على الاضراب، فقد كانت هي الأخرى أكثر تحفظاً. وفي 14 أكتوبر نُشِرَ بَلَاغان. الأول صَدَرَ عن المنطقة

279 في 11 أكتوبر، نشرت لووبل مقالا عن «الاضراب الشيوعي» لكن الأمر تعلق فقط بالعمل الذي قام به المستخدمون الاتحاديون لنقابة النقل الحضري، وفي 12 أكتوبر اكتفى لسان حال ال.س.ج.ت.ت. بحصول: «سبحان الشيوعيين هذا الصباح شن اضراب «عام» لأربع وعشرين ساعة. إن فشل التحرك في نقابة النقل الحضري يسمح بالنكث في نجاح هذه المظاهرة».

280 لوليبيتر، 2 أكتوبر 1925. يبدو صاحب المقال قلقا لكون الاضراب المحصر في بعض المدن. وفي 9 أكتوبر، عند عرضها لاحتجاج بطمعة لجنة العمل في آنيان، أكدت لوليبيتر أن كاشان وإ. حورو تعرضا فيه لسياسة الجمهور الحاضر وأن شاروف، الذي حالفهما، واجه الفوضويين الذين سيفربون بمناضلي النقابات الاتحادية للسكك الحديدية والهند والميترو الذين سيعملون.

الباريسية للحزب الشيوعي؛ وقد امتدح الأضراب (281). أما الثاني، وهو من اللجنة المركزية للعمل، فقد توجه «إلى جميع الشغّالين»، وشجب القمع الذي طُبِعَ يوم 12، لكنه ظلّ مُتَكَتِّمًا حول حجم الأضراب (282).

هل يتوجب إذن تصديق صحافة اليمين والصحافة الحكومية اللتين اعتبرتا بأن «الأضراب الشيوعي» قد مني بالاحفاق ؟ لقد كتب محرر افتتاحيات جريدة لوفر بأنه «إذا كان هناك شيء في هذه القضية يُشرف سياسة الكارتيل، فليس كون حكومة بانلوفي قد أوقفت الحركة الكبرى المُعلن عنها، بل كون الحركة الكبرى المُعلن عنها لم تحصل» (283). أما صحيفة لوجورنال، فقد نشرت تصريحاً أدلى به، وزير الداخلية شراميك ليلة 12 : «إن انطباعي عن الأضراب هو أنه شكّل فشلاً ذريعاً». غير أن أرشيفات الداخلية تكذب بشكل واسع تصريح الوزير. فبالرغم من أن المعلومات المستقاة من ساحة بوفو صبيحة وفي بداية منتصف نهار 12 غير دقيقة ولا مكتملة، إلا أنها بعيدة فعلاً عن الاستهانة بعدد المضربين.

في السّين، يمكن تلخيص تقديرات إدارة الشرطة في اللائحة التالية (284) :

القطاعات	عدد المضربين	عدد العاملين
1) المصالح العمومية وذات الصبغة العمومية		
□ نقابة النقل الحضري	1961	16 254
□ الطاكسيات	4483	8 004
□ الشغّالون البلديون	100	9 000
□ ليس ثمة مضربون بين السكّكين والبيديين ومصالح الماء والغاز والكهرباء.		

281 «استحدثهم يوم الاثنين لبدء حركتهم للعمل بحركة إضراب واسعة سيصل صدها حتى حال وسواحل الريف لكي يُمَثَّ الحدود والملاحين الفرنسيين على إنهاء الحرب بتأجيلهم مع الرهين»، لومانيي، 14 أكتوبر 1925.

282 نفسه

283 13 أكتوبر 1925 (حال يور)

284 AN F7 12919

2) الصناعات المختلفة :

	1 000	□ البناء
		□ المتعدين
28 750	2425	رونو .
16 000	2400	سيثروين
1918	900	سالمسون
2000	730	هيسبانو — سوزا
2400	123	دولاج
8565	601	آخرون
4000	1000	□ مصافي البترول

القطاعات عدد المضربين عدد العاملين

فيما يتعلق بالأقليم، يمكن جمع المعلومات المُرسلة من طرف الولاية كالتالي (285) :

- كان العمل طبيعياً في ثلاث وثلاثين مقاطعة (286)؛
- كان عدد المضربين دون الخمسمائة في اثنتي عشرة مقاطعة (287)؛
- كان بين الخمسمائة وثلاثة آلاف في إحدى عشرة مقاطعة (288)؛
- فاق ثلاثة آلاف في ثلاث مقاطعات (289)؛
- وأخيراً فإن الاشارات المُرسلة من أربع وعشرين مقاطعة كانت ذات طابع كيميائي أو أعطيت بالنسبة المئوية من تعداد الشغلين. وفي مقاطعتين فقط وهما لوكار والرون كان التعتّل مهماً نسبياً.

- 285 لم يتم إبلاغ أي خبر يتعلق بمقاطعات هوط — ملون، أورن — هوط — بيهني ودو — سيفر. نفسه.
- 286 من بينها لحد الآن — ماريتيم — ايزرادين، دون، أندلر، لامور، مورتيان، هو — راس، فاز ولينا.
- 287 من بينها أفهون، كانطال، هوط — عارون، سين — إي — مارن وفوكلور.
- 288 أبراش — بو — دو — روك، كالفادو، حيرود، إنزير، لوار — آناهير، مين — إي — لوار، مورث — إي — موزيل، مارس — بيهني، سين — إي — وار وسوم.
- 289 إيسن (3200)، الشمال (8.500)، لوار (28 000).

تستدعي هذه التقديرات بعض التعليقات :

في السنين، من المضبوط أن أغلبية المصالح العمومية الكبرى لم تُضرب (290). لكن يبدو لنا أن عدد المُضربين في التَّقل العمومي كان أهم بكثير. ففي النقابة الاتحادية للنقل الحضري حدها نجد إثني عشر ألفاً وستائة عَوْنًا. وقد كانوا، كما أكدنا على ذلك، مُحَفِّزين حدا للاضراب. لذا من الصَّعب الاعتقاد بأن 15% من بينهم فقط هم الذين اتبعوا تعليمات قادتهم (291). وفي الصناعة الخاصة، يعتبر قطاعا التعدين والبناء أهم قطاعين مُسًا أكثر بالاضراب : فاعتقالات المُضربين التي تَمَّت خلال ذلك اليوم تُؤكِّد هذا (292). لكنهما لم يكونا، مع مصافي البترول، الفروع المهنية الوحيدة التي همَّها الأمر. لنسجل، قطاع الكتاب، وقطاعَي الأثاث والجلد في ضاحية سان — أنطوان، وقطاع التغذية في النائرة التاسعة عشرة، وذلك لكي لا نشير سوى الى قطاعات كان التحريض فيها محسوسا على الخصوص (293). ينبغي أيضا أن نُدخِل في الاعتبار كَوْن المعلومات المُقدَّمة مِنْ طرف مفوضيَّة الشرطة لا تعني سوى «المُؤسَّسات الأكثر أهمية». ويبدو لنا في الأخير أنه من غير الممكن ألا يَكُون الاضراب الذي مَسَّ التَّقل العمومي قد أثر على تعدادات العمال والمُستخدِّمين العاملين في قطاعات أخرى.

إن أهمية حركة الاضراب في الاقليم أكثر صعوبة في التقدير. فإذا لم نأخذ بعين الاعتبار سوى الاشارات المُعطاة من طرف سلطات المُقاطعات، وقبلنا أرقامها حرفيا، وحاولنا تحديد كمية المعلومات المُقدَّمة بالنسبة المائوية أو بالترتيب الكيفي، نصل الى تقدير من مائة ألف مُضرب في خمسين مُقاطعة. لكن ينبغي أن نُسجل بأنه باستثناء (الوَّاز) التي يعطى الوالي بصددتها تقديراً إجمالياً من ثمانية وعشرين ألف مُضرب، فإن كل الاشارات الأخرى جزئية. هكذا لا يهمُ الثمانية آلاف وخمسمائة مُضرب الذين تم إحصاؤهم من طرف والي الشمال سوى حَوْض أنيش المنجمي بمفرده (تسعة آلاف عامل ا). بينما لم يُحصى والي

290 كانوا معروفين، و كل الأحوال، أنهم يستوجوب الطرد الفوري. أنظر تصريح شراييك الى جورنال، 13 أكتوبر 1925.

291 لقد ادعت لومباتي أن 12000 عونا قد أصروا. هذا الرقم مبالغ فيه وقد كدسه الى حد كبير الداء الى «غير المصدين» (لأن إصابات قناة النقل الحضري استمر ما بعد 12 أكتوبر) الذي نشرته اليومية الشيوعية بعد بضعة أيام من ذلك (15 أكتوبر 1925) من جهة أخرى، وحسب الإدارة، فإن عدد السيارات التي كانت متحركة في 12 أكتوبر هو 2015 مقابلا خدمة طوعية لـ 2761. لكن لايسى أن سحار الى هذا الرقم نظرا لتدخل العسكريين والمستعدين الخارجين على المؤسسة.

292 انظر أدناه

293 في 11 أكتوبر، عشية الاضراب، توقعت مذكرة لمفوضية الشرطة 2500 مصريا فقط في قطاعي الكتاب والتعدين،

9000 في الحلد والبراء و 5000 في الأثاث AN F7 12919.

(الهوط — كارون) سوى تسعة مُضْرِبِينَ في تولوز، ولَزِم الصمت عن باقي المُقاطعة. يمكننا مُضَاعَفَةُ الأَمْثَلَةِ التي تُشْهَدُ بتناثر المعلومات المُرسَلَةِ (294). فإذا قَارَنَّا المسألة من خِلالِ الفروع المهنية، نجد أن إضراب البناء غير وارد سوى في مقاطعتين اثنتين، الرّون 60% من العاملين وليس 10%، أما في المناجم، فباستثناء مركز أنيش، المُشار إليه آنفاً، يكون الإضراب قد مَسَّ، حَسَبَ السُّلْطَات، «غالبية العَمَال» في لوكار وفي اللوار، وأعداداً قليلة في باقي المُقاطعات (295). بينما لا تتوفّر، بخصوص التسيج، سوى على إشارتين مُقدّمتين من طرف والي لارييج الذي سجّل ستائة مُضْرِب في لافلاي، ووالي السين آنغيبور الذي قدّرهم بـ 11% من تعدادات المُستخدّمين في إيلبوف.

يقودنا تقدير العدد الاجمالي للمُضْرِبِينَ، بالتالي، الى تصحيح المُعطيات المستقاة من طرف وزارة الداخلية وتكميلها (296). ويبدو لنا أنه، لكي نأخذ بعين الاعتبار البُحْصَ الحاصل في التّقدير البلدي لبعض احصاءات القطاعات المهنية المنسية، وكذا الاجحاف الذي مس في الاقليم إحصاء مناطق كاملة مصنّعة بشكل قوي، ينبغي أن نضرب على الأقل في اثنين وعلى الأكثر في أربعة التّقديرات التي أتينا على ذكرها في السين وفي المقاطعات. هكذا نتوصّل الى وَضْع عَدَدِ المُضْرِبِينَ في السّين بين خمسين ألف كعدي أدنى ومائة ألف عامل كعدي أقصى. وفي الاقليم نصيّل الى تقدير مُتَضَمِّن بين مائتي ألف وأربعمائة ألف مُضْرِب. وبالتالي، فإنَّ عَدَدَ المُضْرِبِينَ يكون مُتَضَمِّناً في المجموع بين مائتين وخمسين ألف وخمسمائة ألف.



هذه الأرقام بعيدة جدّاً عن رقم تسعمائة ألف مُضْرِب الذي كان يَظْهَرُ، بشكل شعائري، وخاصة منذ نهاية الحرب، في كتابات القادة الشيوعيين، عند إثارتهم لعمل الحزب

294 في سين — إي — كارون، أحصى الوالي 120 مصعباً عولاً، 60 عم و 27 هروفان. في فوكلور، 150 نأفنيو، 200 مولين. وفي ليري، «حوالي ألف من المضربين من قراءة 100 000 عامل» في مين — إي — لوار، 800 مصربا، ولكن في مؤسسة واحدة لاغير، في جورود، 1100 مضربا في الأوراش الحرة من 1700 عامل، «من جهة أخرى حوالي 3% في مورث — إي — موريل، 667 مضرب من 30000 عامل محمي وتعديني».

295 400 في أفيرود، 444 في شابانايك، في كايغال، محمان في ييني — أوريوسغال، لكن لا تم الإشارة الى أي مضرب من يني محمي يا — دو — كالي وساود — إي — لوار

296 ينص أيضا أن حصص في أدهاننا بالتقديرات التي قدمها في 7 أكتوبر مسؤولو الحرب الشيوعي حول درجة التحضير للاضراب.

الشيوعي الفرنسي ضدَّ حَرْب الرّيف (297). ينبغي أن نتوقّف لحظةً أمام هذا الاختلاف. وبالفعل، يعزو العديد من المؤرخين، ومن بينهم كثيرون لا يخفون موقفهم التقدي إزاء الحركة الشيوعية، تقدير التسعمائة ألف مُضْرَب هذا للحزب الشيوعي الفرنسي نفسه، غداة 12 أكتوبر 1925. بل إنَّ بَعْضَهُمْ مُقْتَنِعُونَ بأنَّهم قرأوه في لومانييتي (298). لكن ينبغي أن نكرر بأن اليومية الشيوعية لم تعلن لا في 13 أكتوبر، ولا في الأيام التالية، رُفْعاً كهذا، سواء في عناوينها، أو في تعليقاتها. لقد تميّزت لهجة لسان حال الحزب الشيوعي، بعكس ذلك، بالغياب الكلي للترعة الانتصارية. وَحَدَّثَها، ألبير ثران، في 15 أكتوبر، ومورس طوريز، في مقال المراسلة الدولية، في 28 أكتوبر، تحدّثا عن «مئات الآلاف من المُضْرَبِينَ» (299). حقاً، لقد أثَّهَ المائتان وخمسون مُعَارِضاً داخل الحزب، في رسالتهم المفتوحة للأمية (300)، المكتب السياسي بـ «الترويج في كل مكان بأن أكثر من مليون عامل اتَّبَعُوا في 12 أكتوبر شعار لجنة العمل»، في حين كان الاضطراب في رأيهم، «فَشْلاً مُحْزِناً». ومع ذلك، لم يَقم أيُّ بلاغ للحزب أو للجنة المركزية للعمل، كما رأينا، بالإشارة إلى تفوق مُمَاتِل. لقد انتهجت لجنة الحزب الشيوعي للمنطقة الباريسية، المجتمععة في 14 أكتوبر، للنتيجة (301)، لكن بعبارات كانت

- 297 «إن الاضراب ضد حرب العرب وسوريا، ضد صراكت كايوكس، من أجل الرهابة العامة في الأحرار، تم في 12 أكتوبر 1925. وقد شارك فيه 900000 عاملاً إنه أول إضراب سياسي جماهيري منذ الحرب»، طوريز، ابن الشعب، الطعة الثامنة 1949، ص 53 — 54. «في 12 أكتوبر، أصرب 900000 شمال وتظاهروا»، تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي، المنشور تحت إشراف حاك دوكلو وفرانسوا بيوكس، 1964، ص 169. «إضراب عام تم في 12 أكتوبر بمشاركة حوالي 900000 شمال» ح دوكلو، ملكرات، 1968، الجزء الأول، ص 241.
- 298 أ. عياش : «في 12 أكتوبر 1925، وبنءاء من لجنة العمل، قام 900000 عامل فرنسي بإصراف سياسي جماهيري لأربع وعشرين ساعة لكي يظلوا وقف الحرب التي تشن على الشعب المغربي»، المغرب، 1956، ص 333. حان بروها ومبارك بيولو : «في 1925، شاركت ال.س.ح.ت الوحدة في اللجنة الوطنية للصلال ضد حرب المغرب (كندا) التي دعت إلى الاضراب العام وفي 12 أكتوبر، توقفت 900 000 عاملاً عن العمل»، مخطط لتاريخ ال.س.ح.ت، 1966، ص 106 — 107. ن. لوكييك : «أصرب 900 000 عامل حسب لومانيي، بضعة آلاف حسب الصحافة الحكومية، في 12 أكتوبر» مقال مشار إليه، ص 52، ح. كرماديسس : «1 000 000 من العمال حسب الحزب توقفوا عن العمل» (أعطى الكاتب كمرجع لومانيي لـ 13 أكتوبر 1925)، مشار إليه، الجزء الأول، ص 123. وفي ندوة عبد الكريم سنة 1973، أثار إثنان من المشاركين هذا الاضراب : ر. شارفان : «توقف 000 900 عامل عن العمل في مجموع فرنسا، وبشكل خاص في بعض القطاعات. الحوص المنحني للشمال، والساء» ور. كاليسو : «في 13 أكتوبر، أعلنت لومانيي عن مليون من المضربين» مشار آفا، ص 228 و246
- 299 لقد شهر تزان بـ «المخطط البورجوازي» الذي يستهدف تقديم الاضراب العام كإحراق، لومانيي، 15 أكتوبر 1925 ومراسلة دولية، رقم 104، 28 أكتوبر 1925 (السيد طوريز : «المظاهرة البروليتارية لـ 12 أكتوبر»)
- 300 انظر أدناه.
- 301 أرسيفات معهد موريس — طوريز، السلسلة 119، (محضر لجنة الحرب الشيوعي للمنطقة الباريسية، 14 أكتوبر 1925).

من الاعتدال بحيث أن بيانها، المُخصَّص لأعضاء الحزب، لم يتحدث عنها حتى (302) وخلال التدو الوطنية لأيام 19 - 21 أكتوبر، لخص سيمار وجهة نظر الحزب الشيوعي الفرنسي : «إذا كان (الاضراب) لم يشمل الجماهير الواسعة، فقد حقق تحركاً قوياً ذا طابع سياسي واضح، بما أنه كان من أول الاضرابات الذي استنهض العمال حول مسألة سياسية ودافع عن لومانيته ضد الاتهام بكونها رفعت تقديرات عدد المضربين (303). أما في المؤتم الوطني ليلى في يونيو 1926، وخذ دوريو عاد الى الاضراب : «لقد أردنا اجتذابكم الى إضراب عام لأربع وعشرين ساعة. ليس من عادتي أن أكلّمظ بالكلمات. أعرف أن كثير منكم ممن يهتفون بشعارات الحزب لم يخرجوا (304). لقد أحسنوا صنعا أو بالأحرى أسأؤوه كان عليكم أن تخرجوا. لكن ليس هذا وقت مؤاخذات» (305). بينما استعاد سيمار بدوره، في كتاب حرب الويف، الصادر في نفس السنة، تعبير «مئات الآلاف» من المضربين (306) ولا بد من التأكيد على موقف لوماني في السنوات التي تلت. فنحن نعرف الأهمية التي يكتسيها الاحتفال بالأعياد السنوية على الصعيد السياسي. لكن بعد حديث كاشان في 2 أكتوبر 1926 عن «الطبقة العاملة (التي استجابت) لشعار لجنة العمل بقوة كبيرة وبأس شديد»، اتخذت اليومية الشيوعية تترع إلى ألا تحتفظ من هذا اليوم سوى بالموت التراجيدي لأندري ساباني (307).

من أين أتى، والحالة هذه رقم التسعمائة ألف وحتى المليون مضرب ؟ إن افتراضنا هو أن هذا التقدير ظهر في أوساط الأهمية. ففي أواخر 1925، حاول أحد التقايين هو ف بيلوك وهو مندوب ال س.ج.ت الوحلوية لدى الأهمية التقاوية الحمراء، بموسكو أن يقو بحصيلة ليوم 12 أكتوبر. فقلتر بخمسمائة وستين ألفاً عدد الشغالين الذين أضربوا في القطاعات الأربعة التي مستها الحركة بشكل أساسي : المناجم 200.000، التقدير

302 انظر نشرة المصلحة الباريسية، عدد 3 - أكتوبر - نوبر 1925، المعهد الفرنسي للتاريخ الإجماعي (مجموعة ماركس صندوق 208). لسجل أيضا بأن النشرة الاخبارية للحزب الشيوعي ذكرت طويلا في عددها الثاني لـ 15 شتير 1925 بأهمية إضراب ال 24 ساعة، لكنها لم تقل عنه شيئا في عددها الثالث (15 أكتوبر 1925؛ أكان الوقت مبكرا جدا ؟) وفي عددها الرابع (5 دحمر 1925؛ هل كان الوقت متأخرا جدا ؟) نفسه. (صندوق 218).

303 أريشفات معهد موريس - طوريز، السلسلة 90، (تقرير سيمار عن الوضعية السياسية) ودلائر البلشفية، فاتح نوبر 1925، ص ص 2080 - 2082.

304 أي : لم يعادروا أماكن عملهم للمشاركة في الاضراب.

305 المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي، ليلى، 20 - 26 نوبر 1926، عرض مختزل، ص 48.

306 مشار اليه ألفا، ص ص 77 - 87.

307 بين 1926 و 1936، تم إحياء هذا العمل التلكراري أربع مرات : في 1927، في 1929، في 1930 وفي 1933.

150.000، صناعة النسيج 110.000، والبناء 100.000 (308). وَدُونَ أَنْ يُقَدَّم أَيُّ تَفْسِيرٍ، اسْتَطَرَّدَ فَجَاءَ : «بِمَكْنَتِنَا تَقْدِيرَ عَدَدِ الْمُشَارِكِينَ، فِي مَجْمُوعِ فَرَنْسَا، فِي إِضْرَابِ الْأَرْبَعِ وَعَشْرِينَ سَاعَةً هَذَا بِحَوَالِي مِلْيُونٍ مِنَ الشَّغَالِينَ». هَكَذَا اسْتَسْلِمَ لَتَقْدِيرٍ فِي مَتْنِ الْجُرْأَةِ، قَائِمٌ عَلَى نَشَاطَاتٍ مَهْنِيَّةٍ غَيْرِ تِلْكَ الَّتِي تَدْخُلُ فِي الْقَطَاعَاتِ الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ أَعْلَاهُ، نَشَاطَاتٍ قِيْدُهَا بِالْجُمْلَةِ، دُونَ أَنْ يَفْسَّرَ ذَلِكَ، عَلَى أَنَّهَا عَرَفَتْ حَوَالِي أَرْبَعَمِائَةِ أَلْفِ مُضْرَبٍ (309). وَبَعْدَ بَضْعَةٍ أَسَابِيعٍ مِنْ ذَلِكَ، انْتَقَلَ طُورِيزُ بِدَوْرِهِ، أَمَامَ اللَّجْنَةِ التَّنْفِيزِيَّةِ لِلْأُمِّيَّةِ مِنْ «بَضْعِ مِثَالٍ مِنْ الْأَلْفِ»، إِلَى «حَوَالِي مِلْيُونٍ مِنَ الْمُضْرَبِينَ» (310). مَعَ زَيْنُوفِيْفٍ، تَجَاوَزَتْ الْمُبَالَغَةُ حَدُودَهَا. أَلَا يَرْجِعُ الْحُكْمُ التَّالِي إِلَى رَئِيسِ اللَّجْنَةِ التَّنْفِيزِيَّةِ لِلْأُمِّيَّةِ، الَّذِي يَدُو أَنْ غِيَابَ الْوَاقِعِيَّةِ طَبَعَ كَثِيرًا مِنْ تَدْخُلَاتِهِ : «فِي الْوَضْعِيَّةِ الرَّاهِنَةِ لِفَرَنْسَا، لَا يُمْكِنُ لِلْحَزْبِ أَنْ يَكْتَفِيَ فِي إِضْرَابِ إِنْذَارِي بِمِلْيُونٍ مُضْرَبٍ، بَيْنَمَا عَدَدُ الْبَرُولِيْتَارِيَا الْفَرَنْسِيَّةِ عَشْرَةُ مِلَايِينَ مِنَ الشَّغَالِينَ» (311). وَفِي 1931، أَوْرَدَ أُنْدَرِي فِيرَا فِي كِتَابِهِ تَارِيخَ الْحَزْبِ الشِّيُوعِيِّ الْفَرَنْسِيِّ — لِأَوَّلِ مَرَّةٍ فِي مَطْبُوعٍ فَرَنْسِيٍّ — حَصِيلَةً مُرَقَّعَةً لِلْإِضْرَابِ، الَّتِي «شَارَكَ فِيهَا قَرَابَةُ تِسْعَمِائَةِ أَلْفِ عَامِلٍ فِي مَجْمُوعِ الْبِلَادِ»، وَاسْتَعَادَ بَيْنَ قَوَسَيْنِ التَّقْدِيرَاتِ الْجَزْئِيَّةِ لِبِيلُوكِ 200.000 مَنْجَمِيٍّ، وَ150.000 عَامِلٍ فِي التَّعْدِينِ، وَ100.000 عَامِلٍ فِي الْبِنَاءِ، وَ110.000 فِي النَّسِيجِ، مُؤَكِّدًا عَلَى هَذَا النَّحْوِ قَرَضِيَّتَنَا (312). وَمِنْذَ ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَمْ يَبْقَ أَمَامَ مَوْرِيسِ طُورِيزِ، الَّذِي صَارَ سَكْرَتِيرَا عَامًّا لِلْحَزْبِ، سِوَى أَنْ يُصَادَقَ نَهَائِيًا عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ فِي سَيَرَتِهِ الذَّاتِيَّةِ.

- 308 الأُمِّيَّةُ الْفَرَنْسِيَّةُ الْحَمْرَاءُ، دَحْر 1925، ص 1043. يَقْدَمُ ف. بِيلُوكِ عَنَاصِرَ قَلِيلَةٍ لِتَدْعِيمِ تَقْدِيرِهِ مَعَ ذَلِكَ، يَبْهِي تَسْجِيلَ أَنَّهُ يَقْدَرُ أَنَّ حَوَالِي ثَلَاثِي الْمَحْمُومِينَ أَضْرَبُوا (40% فِي الشَّمَالِ وَبَا — دُو — كَالِي؛ 95% فِي كَارِ، وَالْمَرْكَزِ وَلُورَا)، وَهُوَ تَقْدِيرٌ يَدُو لَنَا مَالَعًا فِيهِ.
- 309 إِنْ الْأَشَارَاتُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي يَقْدَمُهَا جَمِيعُ النُّقْلِ الْعَمُومِيِّ فِي مَارِيسِ وَفِي الْأَقْلَامِ، وَكُنَّا نَتَوَقَّعُ عَمَلٌ مِثَالِي سِتِ وَرُوبِ، «بَضْعَةُ أَلْفٍ مِنْ عَمَالِ الْمَتَوَحَّاتِ الْكِيمَاوِيَّةِ» فِي لِيُودِ، «100% مِنَ الْمَصْرِبِيِّينَ فِي أَوْسَاطِ الْوَامِيْلِيِّينَ لَوُورْدُو»، وَ«سِتَّةٌ عَالِيَةٌ مِنَ الْمُضْرَبِينَ» فِي دُورِ صِنَاعَةِ طَارِبِ، بَرُوجِ وَرُودِ. لِنَفْسِهِ
- 310 «النتائج، أَيُّهَا الرِّفَاقُ ؟ قَرَابَةُ مِلْيُونٍ مِنَ الْمَصْرِبِيِّينَ. وَإِذَا أَحْذَرْنَا نَحْوَ الْإِعْتَارِ أَنَّ أَهْمَ الْفِدْرَالِيَّاتِ، تِلْكَ الَّتِي كُنَّا نَحْمَارِسُ عَلَيْهَا تَأْثِيرًا كَبِيرًا، مِثْلُ السَّكَّابِيِّينَ وَالْبَهْدِيِّينَ، وَالْمُوطَفِيِّينَ لَمْ تَشَارِكْ فِي الْحَرَكَةِ، يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ عَلَى الْأَقْلَى أَنَّ حَرَكَةَ الْإِضْرَابِ لَمْ تَكُنْ إِخْفَافًا» دِفَالْتَرِ الْمُلْشَقِيَّةِ، 15 أَرْبِيلَ 1926، ص 942 (دُورَةُ اللَّجْنَةِ التَّنْفِيزِيَّةِ الْمَوْسَمَةِ لِلْأُمِّيَّةِ الشِّيُوعِيَّةِ، حُلْسَةُ 20 فَرَايِرِ 1926). انْظُرْ أَيْضًا لَوِمْأَنِيَّتِي لَ 31 مَارْسِ 1926.
- 311 مَرَايِلَةُ دُولِيَّةٌ، عَدَدُ 64، 25 مَآيِ 1926، ص 706 (دُورَةُ فَرَايِرِ — مَارْسِ 1926 لِلْحَمَّةِ التَّنْفِيزِيَّةِ الْمَوْسَمَةِ، تَقْرِيرٌ حَوْلَ الْمَسْأَلَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ). إِنْ كُنَّا أَلَا 250 قَدْ حَمَلْنَا، كَمَا أَشَرْنَا إِلَى ذَلِكَ، الْمَكْبَ السِّيَاسِيَّ مَسْؤُولِيَّةَ رَقْمِ الْمِلْيُونِ مِنَ الْمُضْرَبِينَ لِإِبْنَادِ الْمَصْرُورَةِ فَرَضِيَّتَا : فَقَدْ تَوَحَّهَ الْ 250 لِلْأُمِّيَّةِ، وَهِيَ الَّتِي تَوَحَّوْا إِقْمَاعَهَا بِصَوَاتِ مَوْقِفِهِمْ وَتَنْبِيْهِهَا ضِدَّ التَّعْلِيقَاتِ، الَّتِي أَثَارَهَا الْإِضْرَابُ وَالَّتِي اعْتَبَرُوهَا مُعَالِيَّةً.
- 312 مَشَارَ إِلَيْهِ سَابِقًا، ص 148.

من غير المُجدي تماماً المغالاة في الأرقام لتقدير أهمية إضراب 12 أكتوبر 1925. فقد شكّل أول مظاهرات سياسية جماهيرية مُنظمة على الصعيد الوطني منذ نهاية الحرب. لقد أخذت الحركة على عاتقها، دون ريب مطالب اقتصادية واجتماعية عامة، وحتى فئوية، الى جانب الشعارات المتعلقة بحرب الريف، لكن لم يخطيء الأنصار ولا المعارضون حول مدلوله: لقد تم تنظيم الاضراب قبل كل شيء للرد على أحداث المغرب. وكانت نية جميع المشاركين إظهار معارضتهم لحرب امبريالية، وبالنسبة لأغليبيتهم، إظهار تعاطفهم مع الشعب الريفي. لقد ظل كثير من مناضلي اليسار مُصلّونين بذكرى عجز الحركة العمالية عن منع حرب 14. وفي 1912، بعد أن نشبت الحرب في اليلقان، تمكنت الس.ج.ت. من تنظيم إضراب إنذاري لوضع حدّ «لحماقات أوروبا العسكرية». وبعد عشرين شهراً من ذلك، انضمّ سكرتيرها العام، ليون جوهر، الى الاتحاد المُقدس. لقد شكّلت حرب الريف أول مناسبة لتقدير ابتضالية العمالية، ومقدرة الجيل الجديد من النقابيين على اجتذاب رفاقهم للتوقف عن العمل والتزول الى الشارع للهتاف بمعارضتهم للحرب. وعُصّر الجُلدة، بالنسبة للعالم العمالي، هو أن هذا الاحتجاج، الذي طُلِبَ بذلك الشكل لم يستهدف الحرب فحسب، بل استهدف لأول مرة في تاريخه حرباً استعمارية.

لا ينبغي أن ينسب عدّد المُضربين للتعدادات الاجمالية لـ C.G.T.U. فهذه التعدادات تصل الى خمسمائة ألف، في حين قررت فدراليات مهمة، مثل السككين، والبيدين، والتعليم العمومي، كما رأينا، ألا تتبع الحركة. أما في القطاعات الأربعة الأكثر أهمية التي منسها الاضراب وهي المناجم والتعدين والنسيج والبناء، فلم يكن هناك حسب تقديرات الـ C.G.T.U، سوى مائة وخمسين الى مائة وخمسة وثمانية ألف عضو نقابي اتحادي (313). فإذا سلّمنا بأنهم قدّموا ثلاثة أرباع العمال المُضربين، نستنتج بأن عدّد المُضربين، في هذه القطاعات وحدها، يساوي، على الأقل، عدد الأعضاء النقابيين الاتحاديين وعلى الأكثر الجماهير المُجتذبة الى الاضراب والتي تمثّل ضعفين ونصف من التعدادات المُراقبة من طرف الـ C.G.T.U. واعتباراً للمغالاة المُحتملة للتعدادات النقابية التي كانت في أساس هذا الاحصاء، يبدو لنا أن من المعقول القبول بأنّه من بين كل اثنين من المُضربين مُنضويين في الـ C.G.T.U هناك مُضرب غير اتحادي يمكن أن يكون إما مُنخرطاً في نقابة كونفدرالية أو مُستقلة وإما غير نقابي.

313 إن رقم 150000 عضو نقابي أعطاه بلوك، في المقال المشار اليه سابقاً، دون أن يعطي تحليله، ووضح بلوك نفسه في مقال آخر بأن النقابات الاتحادية كانت تضم في فاتح يناير 1926 40 000 مصوبيا في المعادن، 35 000 إلى 40000 في باطن الأرض، 35000 إلى 40 000 في النسيج و45000 في البناء. الأهمية النقابية الحمراء، مايو 1926، ص ص 483 — 488. بالنسبة لموموسو، فإن النقابات الاتحادية كانت تضم 60 000 مصوبيا في فبراير 1925 نفسه، أبريل 1925، ص ص 277 — 280.

مائتان وخمسون ألفاً إلى خمسمائة ألف مُضْرَب، ثلثهم من خارج صفوف الـ C.G.T.U. : لم تكن هذه الحصيلة لتشكّل إخفاقاً بئناً، اعتباراً للظروف، ولن يكون لها ما يعادلها إلى غاية 1934. فقد حد القمع الذي سُجِّلَ لاجئاً ملاحمه المختلفة، من التحريض لصالح الاضراب. وأبرز تهديد الطُرد المُلَوَّح به تجاه الشغّالين الأجانب، وموقف الاشتراكيين وقادة النقابات الكونفدرالية عزلة مناضلي الحزب الشيوعي الفرنسي والـ C.G.T.U. يمكننا أيضاً أن نتساءل عما إذا لم تكن نضاليتهم قد قلّت بسبب تضاعف التزعات الاجتماعية التي تنتمي بفشل النقابات العمالية. ومن جهة أخرى، حاول أرباب العمل تفكيك الحركة بقوْلهم عشية 12 أكتوبر تحقيق المطالب الجزئية (١١٤). كلّ هذه الأسباب حدّية بفحص عميق يتجاوز حقل دراستنا. فهي تترك مشكلاً أساسياً بدون مقارنة : مشكل العلاقات بين الحزب الشيوعي والكونفدرالية العامة الاتحادية للشغل C.G.T.U.

لم يكن إضراب 12 أكتوبر، بالفعل، سياسياً فحسب بحكم موضوعه. لقد كان كذلك أيضاً بسبب شروط تحضيره. إننا لا نتوفّر على عناصر تسمح بتقدير التصيب الذي أخذته الأهمية في هذه البادرة. لكن لا يبدو لنا، مع ذلك، أن من الضروري تفسير هذه الحركة بتدخلها. ففي 1925، يبدو لنا بأن الاضراب قد نبع مثل باقي تظاهرات الحملة الشيوعية ضيداً حرّ الزيف. من المسؤولية المباشرة والفورية للحزب الشيوعي الفرنسي. إن المسألة الحقيقية هي مسألة العلاقات بين الحزب والنقابات. فداخل اللجنة المركزية تأكّدت الرغبة في تنظيم هذا الاضراب. وقادة الحزب هم الذين أقنعوا تدريجياً مونموسو ورفاقه في C.G.T.U. ليس بضرورته — لأنهم كشيوعيين، كانوا مقتنعين بهذا سهولة — بل بإمكانية تنفيذه. لقد تجلّى الصنط الممارس على التقايين، كما رأينا، في التحضير للاضراب، وفي تعيين منشطيه، واختيار تاريخه. وقادت المركزة المفرطة التي نحدث عن هذا إلى إغفال مقارومات القاعدة العمالية في الاقليم على الخصوص. وبيدت أسبقية السياسي لكثير من الماضلين، بالرغم من موافقتهم عليها، قيمة باستتباع توضيحات حسيمة على صعيد التنظيم التقائي (١١٦). بعد

314 في سان - جويان، باليمور، صبح لوباب صساعة التقاير في 10 أكتوبر 1925 زبادات في الأخور من 10 إلى 20 ٪، A.D.، هوط — مي، 184 IM (رسالة إلى الزائي تاريخ 13 أكتوبر 1925) لشكر بأن الشغالين البلديين في المنطقة الانيسية استعمالها في نهاية صيف 1925 من زيادة في الأخور وفي الشمال ثم رد الأخور التي كانت قد حفظت في قطاع التصدير إلى مستواها السابق في الأيام التي سقت الاضراب. خلاف ذلك، يبدو بأنه لم يمّ الزقاء في الماحب مرد الأخور إلى مستواها السابق في 20 شتر انطر أورشيفات «عهد موريس طويرز، السلطة 94، محضر اجتماعات اللجنة المركزية يومي 10 شتر و 7 أكتوبر 1925.

315 في المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي لقاتح دشر 1925، أحمد بوير، من منطقة نوراجيل، بعض الرفاق من من ح.ت.ت. الوحديية عن «حجته»، إذ أبه أعليا عشية الاضراب : «يمكن أن يحدث أي تكسر تنظيماتنا، لكنا نقوم بقليل من الدعاية لأفدة وصل ماتكسر» نفسه، السلطة 91، (محضر المؤتمر).

ستين من ذلك، في مؤتمر C.G.T.U لـ 1927، أثار روسو، مندوب توركوان بمرارة موقف أليس بريسي، وهي مندوبة كونفدرالية: «عندما أطلعناها على حصيلة ثلاثمائة منضو مفقود، قالت لنا: حتى لو أدى الأمر إلى ضياعكم كلكم كان عليكم مع ذلك أن تقوموا بالاضراب العام» (316). سيمحي هذا الجانب من التاريخ العمالي، ويقدر ما سيتخذ الحزب الشيوعي موقفاً تقديماً من يوم 12 أكتوبر، سيأسف لكونه (ذلك اليوم) لم يكن موضوع «تحضير قاعدي كاف»، وهو الغيب الذي تُعيب بكل مقارعة إلى استمرار التقاليد الفوضوية — التقاوية (317).

احتجاج اليسار غير الشيوعي

لا يعني فشل الجبهة الوحيدة أن اليسار غير الشيوعي، انضم كإملاً وتصميم في حرب الريف إلى أنصار السياسة الحكومية أو أنه تراجع عن المقدمة. فلم يكن الحزب الشيوعي هو مُحْتَكِرُ التحريض ضدّ العمليات العسكرية في المغرب. لقد كانت هناك احتجاجات سواء داخل الأوساط التحررية والفوضوية أو وسط الفدراليات الاشتراكية والنقابات الكونفدرالية. إنها لم تكن تكتسي نفس أهمية الاحتجاج الشيوعي؛ إذ غالباً ما ظلت من صنّج أقلّيات؛ لكن سيكون إهمالها إنكاراً لأهمية التيار السلمي والقوة التي كانت لاتزال تحتفظ بها الأيديولوجيا المعادية للاستعمار.

الفوضويون والتحرريون والفوضويون

لقد ذكرنا أعلاه باللهجة السلمية التي طبعت المقالات التي خصصتها لوليبرتر للمغرب. وقد قام الاتحاد الفوضوي، من جهته، بوضع وسائل للدعاية تحت تصرف مناضليه. فنشر مُلصقاً كبيراً، كان عنوانه: لتسقط الحرب، ونَعِدَ أن شهر المرامي الامبريالية لفرنسا وإسبانيا في المغرب، حمل فيه على «الساسة»: على الاشتراكيين والراديكاليين والأحرار، الذين «يدعمون بتصويتهم وكلامهم عملية اللصوصية هذه»؛ على الشيوعيين الذين «يُشَهَرُونَ بِصَحْخِ هذه العملية، ولكنهم يبعثون ببقيات التهاني للدكتاتور المغربي عبد الكريم». إن الفوضويين ضدّ كلّ الحروب؛ ويطالبون للشعوب المُستَعْمَرة بحق تقرير مصيرها بنفسها، وهم «وحدهم، لهم الحق في أن يقولوا للفرنسيين، والاسبان والمغاربة: تمردوا! ضعنوا في كيس واحد كلا من بافلوفي وكاير وشراميك، الخ. دو نسيان بريان وبريمو

316 المؤتمر الرابع لـ س.ج.ت. الوحديّة، 19 - 24 شتنبر 1927، عرض المناقشات، ص 66.

317 لومانيي، 25 دجنبر 1930 (ب. دارنار: المذهب والتاريخ؛ 1925، المغرب وسوريا؛ اليوم، الهند الصينية).

دي ريفيرا والفونسييه وعبد الكريم وكل ابطلمحيي الدكتاتوريين» (318). لقد امتنع الاتحاد الفوضوي عن أي تهجم ضد الحزب الاشتراكي والحزب الشيوعي، في منشورته المَعنُونَتين بـ «حرب المغرب إستأنفت من جديد والقَتلة يستأنفون، وأكد بأنه «ليس للبروليتاريا الفرنسية ماتصنعه في المغرب»، كما أطلق شعار «لا مع عبد الكريم، ولا ضد عبد الكريم» (319). أما الشبهة الفوضوية فقد نشرت، من جهتها، ملصقاً عنوانه، الفاشية تتجلى في فرنسا، والدم يُراق في المغرب (320) وقررت القيام بسحب جديد لـ الاستسلام، كَتِيب إيرست جبرو الشهر (321). كما أن العُصبة الدولية للتأثرين على كل حرب نشرت أيضاً ملصقاً للحرب في المغرب، بَعْدَ أن تُدَثِّث فيه بالحماية، توجَّهت لـ «عَمال وعاملات فرنسا»: «عليكم أن تنصحو أبناءكم بالألأ يُريقوا دمهم من أجل هؤلاء اللصوص؛ فلا يمكنكم تشجيعهم على قتل إخوانهم في المغرب. وإذا أعطى لهم أمر إطلاق النار، فإن عليهم التفكير قبل أن يطيعوا هذا الأمر» (322). لقد تمَّ تشكيل لجنة عمل ثوري خلال شهر يونيو 1925، بمبادرة من الفوضويين والثقابين التحرريين للبناء للمنطقة الباريسية، فيما يبدو، (323). وقد ضُمَّتْ تنظيمات مختلفة (324)، تنوي إظهار معارضتها لحرب المغرب خارج أي التزام مع التنظيمات ذات النزوع الشيوعي. وقد أصدرت هذه اللجنة منشوراً عنوانه: «قفوا أيها المنبوذون! يدعو «قدماء المجزرة الكبيرة» الى عدم نسيان عهودهم بالأأ يحملوا السلاح «ضدَّ المُستَغْلَين والمُضْطَهدين مثلكم» وعندما توجَّه للنساء – «إن أزواجكن وأبناءكن، وإخوتكن هم الذين يسقطون في المغرب بالأآلاف بأمر من الصَّيَّارِقَة القَتلة» – طلب منهن الاقتداء بـ «مُشْعَلَات النار بالبرول» في الكومونة، ودعا الجنود الى رفض الذَّهاب أو «الاستسلام أمام إخوان (هم) في البؤس». وختم النص «لنرد بالأضراب العام الثوري على الحرب الرأسمالية» (325).

في المنطقة الباريسية، تُرْجِمَتْ حملة التنظيمات التحررية باجتماعات ذات أهمية متفاوتة، بقيت جميعها مجهولة لدينا. وفي 20 مايو، جَمَعَ اللِّقاء الذي نُظِّمَ بزنقة كرايج أو بيل

- 318 نص منشور في لولوتير، 4 يوليو 1925. عابراً على نسخة أصلية من هذا الملصق في الأرشيفات المقاطعية للهوط – هارون، M 1136.
- 319 AN F7 13174 (السين) «لا مع عبد الكريم ولا ضد» هو عنوان منشور أصدره الاتحاد الفوضوي في 24000 نسخة (السحب الأول؟) واستعيد نفسه على شكل ملصقات حدها معلقة في بيلفيل في 6 يونيو 1925. نفسه.
- 320 نفسه، 21 مايو 1925.
- 321 أنظر أعلاه، الفصل الثالث. لقد كان السحب الجديد هو 10000 نسخة؛ وقد بيع الكتيب لـ 15 ستيما. AN 13174 (السين).
- 322 نفسه (ملصق علق بارييس في 23 مايو 1925)
- 323 نفسه (مذكرة 26 يونيو 1925).
- 324 الاتحاد الفوضوي الفرنسي، الفدرالية المستقلة للنساء، القاعة الموحدة للنساء، النقابة المستقلة للحفارين، عصبة الحافرين من الحديدة، مجموعة دور الش الفوضوية، الشبكات الفوضوية، الجماعات الثورية الإيطالية والألمانية.
- 325 AN F7 13175 و 13177.

من طرف الاتحاد الفوضوي ثمانمائة شخصا (326). كما عرف الاجتماع الذي كان مُرتقبا في 27 يونيو من طرف لجنة العمل الثوري، رَغْم منع مفوضية الشرطة، نجاحاً كبيراً (327). وفي 10 غشت، تحدّث الفوضويون في الدائرة الثانية عشرة أمام أربعين مُستجِعا (328). بينما كان عدد المستمعين في 22 غشت ثلاثمائة، وقد أنصتوا تحت رعاية لجنة العمل الثوري، الى لاهورط، ولوربال، وسباستيان فور؛ وقد حدّر هذا الأخير الحضور من «خدعة» بعض شعارات الحزب الشيوعي الفرنسي (329). في الضاحية، ثمّ تسجيل اجتماعات بـ بيزون في 13 يونيو (40 شخصا)، بـ سان - أوين في 11 يوليوز (150 شخصا)، وفي 16 بـ لوفالوا (30)، وفي 18 بـ أوبرفليسي (100)، وفي 24 بـ بولوني (50)، وفي 23 غشت بـ أرجونتوني (300). وقد دعت لجنة العمل الثوري الباريسيين الى مظاهرة احتجاج ضيدّ حَرْب الرّيف أمام محطة سان - لازار، في 25 شتبر على الساعة السادسة والنصف مساء (331). وحسب مفوضية الشرطة، فإن حوالي مائة شخص فقط لبوا هذا التّداء، لكن هذا الرّقم يبدو لنا مُجافياً للواقع، إذا اعتبرنا أن أربعة وسبعين شخصاً قد اعتقلوا وقتذاك (332).

في الاقليم، يبدو بأن مجموعتي لوار وفينستير كانتا من أنشط المجموعات الفوضوية في الكفاح ضيدّ حَرْب المغرب. ففي هاتين المقاطعتين، تطوّرت دعايتهما بالاعتماد خصوصاً على نقابيين شبّان في متهى التصميم. لقد أظهرت جريدة هؤلاء، بسان إتيان، الشعب الرّيفي «فخوراً باستقلاله»، مكافحاً «ضيدّ الدّخيل، ضيدّ الغازي»، وشهّرت بـ «الوطنجيين المعنّيين»، و«الحكومات القاتلة» و«الجزائرين المرصّمين بالتجوم». كما طالبت بأن يتوقّف «الثّقثيل»، مُرجّعة لهجات كوسطاف هيرفي في 1908: «... ثرى هل سيفرض السّككيون أخيراً نُقل رفاقهم (...) وهل ستعرف نساؤنا وأطفالنا باستلقاتهم على قضبان السكة الحديدية منعهم من الذهاب ؟ وهل سيؤمّن البحارة دائما العبور في الموانئ ؟». (333).

326 الخطباء : لوربال، باستيان، بولدو، لرموان، جوبيل، AN F7 13174 (السين) إن هذا التقدير لعدد الحضور، كما التقديرات اللاحقة، صادرة عن الشرطة.

327 حسب لوليرتير، 4 يوليوز 1925.

328 AN F7 13178 (السين).

329 نفسه.

330 AN F7 13174 (سين - إي - واز) و 13178 (السين وسين - إي - واز).

331 لقد دعت طمعة حاصلة لوليرتير لمس اليوم بأحرف كثيرة الى هذه المظاهرة. بخلاف ذلك، حذرت اللجنة المركزية للعمل من سادّة هذه «اللّحة المرمومة للعمل الثوري» لومانجي، 25 شتبر 1925.

332 APP Prov. 238. عن هذا القمع، انظر أدناه، الفصل السابع.

333 لوكردي دي جون، الصحيفة الشهيرة للشبيات النقابية باللغة الفرنسية، التي كانت حياة تحريرها وإدارتها بسان إتيان، عدد 47، يوبو 1925، في AN F7 13174 (لورال).

الشيوعية؛ بينما أظهر التقاييون عن ميولات يساروية، ووزّعوا عن طيب خاطر لابطاي ساندبكيليت (314)، وعلّقوا مُلصقات فوضوية (33٩). وفي مرسيليا، وزّعت إحدى المجموعات منشوراً (أصلياً ؟) — «ضد الحرب المغربية، ضدّ كلّ الحروب !» «... لأني سبب يمضي أبناؤكم ؟ تكلّموا أيّتها الأمهات، أيّها الآباء، أيّها النساء، هل ودعوكم عند ذهابهم من أجل الموت في الأراضي المغربية ؟ هل ستخفون تخاذلاتكم من جديد خلف دموعكم !» (336). وفي تولوز اكتسى الاحتجاج الفوضوي شكلاً أكثر فعالية. لقد تمسّد في أحدهم يُدعى تريشو، عمره خمس وأربعون سنة، وهو خراط على المعادن ويدو بأنّه هو الذي كان في قلب النشاطات التحررية (337). فقد تدخل في 6 يونيو 1925 في نهاية لقاء شيوعي لكي يُوضح بأنّه هو الآخر ممّ وخلة العمل ضدّ حرب المغرب، لكن بعكس شعارات الحزب الشيوعي، دعا الأمهات الى «تمزيق قرار تعنة أبنائهن» (3٦8). وأعاد الكثرة في اليوم التالي، خلال اجتماع نُظّمته إحدى الجمعيات التي كان يُنشطها، وهي «مجموعة الدراسات الاجتماعية»، كما تحدّى رجال الأمن الحاضرين في القاعة بأن يعتقلوه. لم يكن ذلك سوى تأجيل للأمر؛ ففي فاتح شتنبر، عند نهاية لقاء شيوعي آخر حيث كان يوزّع منشائر فوضوية — «الاستسلام ! لا تذهبوا !» — تمّ اعتقاله وحُكِمَ عليه بثمانية أشهر سجناً (339). وفي الماهر، أظهر اجتماع نُظّمه الاتحاد الفوضوي ضدّ حرب الرّيف اختلافات الرأي التي تفصلّ التحريرين والشيوعيين (340). وفي كليرمون فيران، بدا شاروف في 29 مايو مندهشاً لكون الحزب الشيوعي يمنح دعمه لعبد الكريم الذي يعتبر «أكبر لئيم» على حدّ قوله. وبعد بضعة أسابيع من ذلك نادى في ييجو أمام مائتي شخص، الى وحدة العمل، ودعا الطبقة العمالية الى رفض المشاركة في صنع ونقل الذخيرة وعتاد الحرب (341). ثرى هل كانت تلك الكتابات التي رُوّيت حينئذ بأحرف بارزة حمراء فوق العديد من مآثر المدينة : «إنّ دمك يسيل في المغرب، أيّها الشعب، تَمَرّد !» من فعل الفوضويين أم من فعل الشيوعيين (342).

- 334 لقد تلقى سكرتير النقابة المسطرة لصناعة الأسلحة في نهاية يوليو 100 نسخة من لابطاي ساندكالكست
335 AN F7 13173 و 13176 (مستير).
336 الأرشيفات المقاطعية للوش — دو — رون، M 6 10803
337 إنه مشط الجماعة الفوضوية التي تحمل اسم «حرية وسعادة» وقد كتب الى لاديش التي وصفته مربع في الوقت
الذي لايتوفر فيه الموصيون على رعاء. الأرشيفات المقاطعية للهوط — غارون، M 969
338 في الموضع نفسه، M 1136
339 لقد دامت عمه الأستاذة سبوران لعمى من هبة عمامي نابس، عصوة لحة الدفاع الاجتماعي، نفسه
340 AN F7 13178 (سير — أميجير).
341 الأرشيفات المقاطعية للهوط — ليين، 4 M 316
342 AN F7 13178 (مذكرة 7 أكتوبر 1925) و A.D. هوط — فير 169 I M (مذكرة 19 شتنبر 1925) و I M
184.

الاشتراكيون والكونفدراليون

دعت الحياة الإدارية الدائمة، وهي جهاز قيادي للحزب الاشتراكي، في المذكرات المتبناة في مايو 1925، فدراليات المقاطعات الى أن تُنظَّم في مجموع البلاد مظاهرات ضدَّ حُرْب الرِّيف. لقد أعلنت تشبُّثها بمبدأ حقِّ الشعوب في تقرير مصيرها، لكنها رامت توجيه حملتها خصوصا نحو وَقْف المَعارك والمفاوضة مع عبد الكريم — ينبغي «العمل على وَقْف قريب لإزاحة الدماء» —. لكن لا يبدو مع ذلك أنَّ جهاز الحزب قد أقرَّ تدابير عملية لتسهيل دعاية مناضليه. فلم توضع رَهْن إشارتهم لا مناشير ولا ملصقات، كما أن تنظيم جولات الاجتماعات من طرف الزعماء الرئيسيين لم يَحْظَ بأي مجهود خاص. وفي الواقع، ثمَّ تَدخَّل الحزب الاشتراكي على الصعيد المحلي من خلال لجان فرع الحزب، ولجان عصبة حقوق الانسان، والمجالس البلدية وجمعيات المقاطعات التي كان يتوفر فيها على تمثيل مُهم، كما كان يستفيد من قاعدة جماهيرية واسعة في النقابات الكونفدرالية. لقد كان يتوفر أيضا على عَدَد من الجرائد الجهوية والمحلية. ويسمح لنا اللجوء الى الأرشيفات، التي تُشكِّل مَصَنَدَ معلوماتنا الرئيسي لتقدير حملة الشيوعيين وحملة الفوضويين، بتكوين فكرة، إنَّ لم يكن عن التحريض الاشتراكي في مجموعه، فعلى الأقلَّ عن توجهاته الرئيسية والتوترات التي كشفت عنها داخل الحزب الاشتراكي.

لقد بدا عَدَد من المناضلين أقلَّ انشغالا بتحديد سياسة مغربية مِنْهُمْ بانتقاد المواقف الشيوعية. هذا هو شأن أولئك الذين تَبِعُوا بكثافة كلا من أدريان ماركسي في بوردو (343) وروجي سالونغرو ولوبا في ليل (344)، وفالير وبريسمان في ليوج (345). وسرعان ما كان يتم في هذه الأوساط قمع كلِّ ذبذبة اعتراض على المواقف المتبناة من طرف الأركان العامة السياسة أو التقاوية أو من طرف المجموعة البرلمانية الاشتراكية، (346). لكن في بيلفور، لَمْ تمنع

343 كانوا يشغلون لجنة نقطة من أجل سلم سريع في المغرب جمعت حول الحزب الاشتراكي ممثلين عن الـ س.ج.ت. والاحقة المحلية لعصبة حقوق الانسان، لقد نددت هذه اللجنة، في ملصق علق في أوجر عشت 1925، بالصيغ «الديمقراطية» و«الصالح الخطيرة» الموحدة للجنود. وأدان بياناً تم التصويت عليه في نهاية لقاء وضع تحت رئاسة ماركسي، وجمع حوالي ألف من الأشخاص، «المزايدة الكلامية» للحزب الشيوعي AN F7 13176 (حبروند).

344 انظر لورينسي دونور، 7 و 12 يوليو 1925.

345 انظر عرض مداولات المجلس العام للهوط — فين، 18، 19 و 20 مايو 1925. ص ص 179 — 205 — 227 — 228 — 274 — 276.

346 هكذا، بعد أن أدان جورج هافين، سكرتير الشبكات الاشتراكية لـ با — دو — كالي، في الأسبوعية الجهوية للحزب الاشتراكي «الموقف السلمي» لحزبه أمام حرب الريف، حُلب لنفسه ردا مستاء من راول إيفرار، نائب با — دو — كالي و... مدير المهرجة السياسي الذي سيسهر، منذ ذلك الوقت، على عدم تكرار حادث مماثل. ليكليرور دو با — دو — كالي، أسبوعية الفدرالية لاشتراكية لـ با — دو — كالي، 14 و 21 يونيو 1925.

المُعارضةُ المتميّزة، التي أبدّوها الاشتراكيون إزاء الأطروحة الشيوعية، من أن يشهروا بالعمليات العسكرية الدائرة في المغرب وبـ «محاولة وَضْع اليد بفظاظة على بِلَدٍ ليس ملكاً لفرنسا» (347). وفي نانسي (348)، كما في بايون (349)، لَمْ يَصْحَبْ تعبيرهم عن عدائهم للحرب أيُّ تهجٍّ ضدَّ الحزب الشيوعي. وفي البوش — دي — رون، أَكَّدَ الملتمس، المُعْتَمَدُ في 22 مايو من طرف المجلس العام باقتراح من المجموعة الاشتراكية، إحترامه لـ «حقّ الشّعوب في تقرير مصيرها، مهما يكون الجنس الذي تنتمي إليه» (350). هل ينبغي اتّهام الأقلية الاشتراكية للمجلس البلدي لايكس — أون — بروفانس بالتّزوّع إلى الثورة أم أن نعزو فقط إلى رعونة في التعبير تصرّيحها التالي القائل بأنه «ينبغي ترك المغرب للمغاربة، كما أنّنا نحن في وطننا» (351). وفي أواخر غشت، ذكّر ليون بلوم، في مرسيليا، بموقف الحزب الاشتراكي. فقد قَدِمَ بطليّ من عصابة حقوق الإنسان ليلقي محاضرة حول «الحرب في المغرب» وأمام سيّئ إلى سبعمائة شخص، عبّر عن يقينه بأنه، مهما تكن الوجهة التي تنوي الحكومة اتّباعها، «ينبغي كثيراً تحقيق السّلم وترك الرّيف للرّيفيين». وقد امتنع عن مهاجمة الشيوعيين الذين حضرت مجموعة منهم للاستماع إليه (352).

قبل بضعة أيام من ذلك، كان قد انعقد المؤتمر الوطني للحزب الاشتراكي الذي أظهر، كما رأينا، تصلياً أكيداً تُجاه السياسة المغربية للحكومة. ويبدو لنا أنّ من المستحيل تفسير ذلك دون أن نُدْخِلَ في اعتبارنا المُعارضة الصّريحة التي أبدّتها بعض الفروع، بل فدراليات، بأكملها، لحرب الرّيف، والضّغوط المُمارسة على قيادة الحزب لدفعها إلى قُطْع الصّلة بالحكومة. فمنذ أواخر شهر مايو، كانت فدرالية السّين هي المكان المُفضَّل للاعتراض: لقد صرح بعض المناضلين بـ «أنّ سياسة الدّعم لم يُعَد لها من مُوجب، وعلى حزينا أن يعود لمكانه كحزب معارضة» (353). أمّا على الصعيد المحلي، فيمكن تفسير

347 AN F7 13173 (بلفور، 26 يونيو 1925).

348 AN F7 13177 (مورث — إي — موزيل، فاتح غشت 1925).

349 AN F7 13174 (ناس — بهبي، 9 يوليو 1925).

350 عرض مداوالت المجلس العام للبوش — دو — رون، 1925، ص 528.

351 مقتطف من سجلات مداوالت المجلس البلدي لايكس — أون — بروفانس، جلسة 29 مايو 1925، في الأرشيفات المقاطعية للبوش — دو — رون، M 6 10803.

352 AD بوش — دو — رون، M 6 10803 (رسالة المفوض المركزي إلى ويلي بوش — دو — رون في 23 غشت 1925).

353 مقتطف من تقرير للشرطة في 26 مايو 1925. AN F7 13174 (السين). لقد تست الفدرالية الاشتراكية للسّين بأغلبية كبيرة حول أعمال زروميسكي «الأسف لكون الحزب لم يحدد سياسته الاستعمارية الخاصة»، لوكويديان، 2 يوليو 1925.

معارضة مناضلين عديدين من الحزب الاشتراكي للقيادة للحزب، دون ريب، بتأثير الدعاية الشيوعية والتنافس بين الجزئين. لكن سيكون من الخطأ في رأينا، أن نُحلل بمنهجية سلوك الاشتراكيين كرد فعل دفاعي بسيط تجاه الحزب الشيوعي (354). إنَّ عددًا منهم يجدون في تريحهم أسباباً لمكافحة حرب المغرب وللامتناع عن اعتبار عبد الكريم بمثابة عدو. هذا ما عبرت عنه بقوة جريدة «البلد النورماندي» : «فقد هبت هذه الجريدة، التي كان مُنشطها ل. زوريتي، وهو أستاذ بكلية العلوم بكاين معروفاً بنزعة السلمية، هيئت منذ شهر يونيو ضيفاً «انبعاث حزب الاتحاد المُقدس»، وهذا ما جعلها تضع في نفس الرتبة كاشان ورونوديل. لقد تحدّثت «عن الملتزمات التي تصلنا من الفروع ضيفاً المشروع المجنون للمغرب وتصويت المجموعة البرلمانية». وأضافت «لقد تم التصويت على ملتزمات مماثلة، في مجموع البلاد. فرغبة الحزب الاشتراكي واضحة»، وميزت بين «أنصار الاشتراكية الحقة» و«أولئك الذين يخونون كلّ تقاليدنا» (355). لم يكن الأمر يتعلق بموقف أملتته النزعة السلمية فحسب، كما تشهد بذلك خاتمة مقال آخر : «مهما يكن رأي السيدين هييرو وبانلوفي، فإن المغرب ليس هو فرنسا، ولو كان بايرون لا يزال على قيد الحياة، لنارعتة نفسه دون ريب إلى تجديده الشعوب المضطهدة الجديدة» (356). في 12 يونيو، طالب الفرع الاشتراكي للهافر بالوقف الفوري للقتال والاعتراف بجمهورية الريف (357). وفي 17، رأى فرع لاروشيل أن من الضروري التأكيد بأن «الحروب الاستعمارية بوجه عام وحرب المغرب على الخصوص مُثارة

354 لا يمكن طعنا في الفعل الدفاعي هذا في بعض المقاطعات أو البلدان، وإذا كان لابد من تصديق المفوض الخاص، فتكون هذه هي حالة مرسيليا. ففي مجال تعليقه على إعلان لقاء ينظمه الحزب الاشتراكي ضد حرب الريف، كتب يقول : «حتى الآن كان الشيوعيون منفردون يقومون بالدعاية العمومية ضد حرب المغرب. (...) فبدأ الاشتراكيون الموحدون لمرسيليا يقومون بها بدورهم إن هداهم رما هو تلافي ذهاب الحجاج اليساري لحزبهم بسرعة إلى الشيوعية»، تقرير المفوض الخاص لمرسيليا في 28 شتنبر 1925. AD بوش - دو - رون، M 6 10803.

Le Pays normand &

بائي نورمان، 20 يونيو 1925

355 نفسه إن المقال من توقيع أ. بارلي (الأنفي حلقه مع المناضل الشيوعي هري بارلي). لقد استمع هذا العدد من بائي نورمان وبالأخص مقال بارلي تقريراً موجهاً من طرف المفوض المركزي لكايين إلى قاضي الجمهورية. AN F7 13173، (كالغادو). ونسج نجل ما آل إليه أمره. ينبغي أن نلاحظ أن زوريتي اقترح، في المؤتمر القلداري لكالغادو، ملكة تدعى أيضا السياسة المغربية للحكومة وموقف الحزب الشيوعي، لأن الخلاص من المغرب الذي ينضج به هذا الأخير «لن يتحقق» سوى وضع الدوليتين المعاصرة تحت اليد الأكثر شدة لكار القيا دون تحريضهم» لبائي نورمان، 8 عشت 1925.

357 AN F7 13174 (س - آتفيور). تستشهد لوماليني من جهتها هذه الملكة كما بتلك التي صدرت عن الفروع الاشتراكية ليل (دروم)، ليوار (أرديش) وللموط - سان - مارتان (الغير) وهي تسير في نفس الاتجاه، 16 يونيو 1925.

من طرف المصالح الرأسمالية الدولية. إنه آسف لكون موقف حكومة بانلوفي بهذا الصدد مُمَثِّلًا لموقف الحكومات البورجوازية التي سبقتها» (358). أما لوكري دو بويل، وهي صحيفة اشتراكية بريس، كانت قد شهِرت بالمسؤوليات الفرنسية وسياسة ليوطي — بانلوفي، فانشغلت بردود فعل العالم الاسلامي أمام وضعية الريفيين، المُرغمين «على كفاح يائس من أحل استقلالهم» (359). وفي غشت، قبل بضعة أيام من انعقاد المؤتمر الوطني، عُبِّرَت فروع عديدة من الفوج عن اهتمامها بأن يتوقف كل دعم لبانلوفي وطالبت بِعَمَلٍ فَعَالٍ ضِدَّ الحرب (360).

كان جميع نقابيين الـ س.ج.ت. من جهتهم أبعد ما يكونون عن مُشاطرة المواقف المُعتدلة المتنبئة من طرف قيادتهم. وهنا أيضاً لا ينبغي أن نَعزُو حركات الاعتراض على حرب الريف التي تم تسجيلها في الأوساط الكوفدرالية الى مجرد رد فعل دفاعي ضد الـ س.ج.ت. الوحشية (361). ففي الـ (إزير)، استعاد الاتحاد الاقليمي منذ 26 مايو، صيغة ما قبل 1914 : «لا ملِّم ولا رجل للمغرب» (362). وفي ديكازفيل، أنهى سكرتير الاتحاد الاقليمي للبوِي — دو — دوم، الذي قَدِمَ ليلقي عرضاً حول وضعية المنجمين، تدخله بإثارة المشكل المغربي : «مالذي يُؤَاخِذ الريفيون عليه ؟ كونهم يدافعون عن ممتلكاتهم ؟ ...» (363). أما الاتحاد الاقليمي للكَورن، فطالب بمفاوضة مباشرة مع عبد الكريم (364). في حين نشر الاتحاد الحلي بريس، في النصف الثاني من يونيو، ملصقا يشهر بـ «حرب النهب» ويطلب من الحكومة «السحب الفوري للجنود من الريف والاعتراف بمبدأ حق الشعوب في حكم نفسها بنفسها» (365). وعبر المُدرِّسون اللَّايكيون لِفَنستِر بدورهم عن تأييدهم لـ «الانسحاب

358 AN F7 13173 (شارونت — أنفيهور). قل بصحة أيام، كان الفرع الروشولي لعصبة حقوق الانسان قد تبنى. جدول أعمال يمتدح بقوة ضد كل الحروب «وبشكل خاص تلك التي تشن في المغرب» ويطلب بـ «إجراء مفاوضات متتالية مع الخصم» نفسه.

359 لوي ديبييل، 11 يوليوز 1925. لقد أعلن المؤتمر الفدرالي للفرنسيين أنه ضد التصويت على الاتحادات العسكرية للمغرب. نفسه، 15 غشت 1925.

360 خاصة تلك التي في سان — ديني، وتلك التي في ميكرور ولينل — لو — غران، انظر لوطرطاير فوجيهان، 15 غشت 1925، عدد مرسل من طرف والي فوج الى وزير الداخلية، AN F7 13178.

361 بالنسبة لوالي الرون، فإن التحريض الملاحظ في أوساط الـ س.ج.ت. يبدو متأصلا على الخصوص في «رضية قادة التنظيمات العمالية الاصلاحية في الرد، بموقف أكثر نشاطا، على اتهامات الاعتدالية في المسألة المغربية الموجهة لهم من طرف العدالية الشيوعية للرون» AN F7 13177 (الرون — رسالة الى وزير الداخلية في 16 يوليوز 1925).

362 لاديش دوليهواز، 26 مايو 1925، في AN F7 13173 (الزير).

363 الأرشيفات المقاطعية للفيرون، 11 M 4

364 لوباني لورمان، 20 يونيو 1925.

365 AN F7 13173 (فنستير).

الفوري للقوات الفرنسية من الرّيف» (366). أما مدرّسو الهوط — فيين فلذكروا بأنّه: «مِنْ غَيْرِ الْمُحْتَمَلِ فِي جُمْهُورِيَّةِ كَجُمْهُورِيَّتِنَا، أَنْ يَمَادِ الشَّعْبُ إِلَى حَيْثُ لَا يَرِيدُ قَطْعًا الذَّهَابَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُرَغِّمَ عَلَى تَحْمِلِ وِلاَئِ الْحَرْبِ مِنْ طَرَفِ قَلَّةٍ مِنَ الْأَشْخَاصِ يَرُومُونَ أَنْ يَجْعَلُوا الْأُمَّةَ مُتَضَامِيَةً مَعَ طُمُوحِهِمْ أَوْ مَعَ مَصَالِحِهِمْ» (367). بينما «أَلَحَّ» قرار اغْتِمَادِ بَدَائِكِيرِكِ فِي 17 يُولُوزِ مِنْ طَرَفِ التَّقَابَاتِ الْكَوْنَفِدْرَالِيَةِ فِي أَعْقَابِ اجْتِمَاعِ ضَيْدُ حَرْبِ الْمَغْرِبِ «عَلَى الِ س. ج. ت. أَنْ تَحْتَفِظَ بِمَوْقِفٍ يَسْتَجِيبُ لِمَشَاعِرِ الْجَمَاهِيرِ الْعُمَالِيَةِ. أَيْ أَنْ تُؤَصِّيَ بِشَيْئٍ بِكُلِّ حِمْلَاتِ الْاجْتِمَاعِ الضَّرُورِيَّةِ وَأَنْ تَنْظُمَهَا بِنَفْسِهَا عِنْدَ الْاِقْتِضَاءِ» (368).



تميز الدُّخُولُ بِحَدِيثَيْنِ : الهجوم الفرنسي — الاسباني على الرّيفيين، الذي شُنَّ فِي بَدَايَةِ شَتْنَبَرِ، والتَّحْرِيطُ الشَّيُوعِي لِصَالِحِ لِضْرَابِ الْأَرْبَعِ وَعَشْرِينَ سَاعَةً. لَقَدْ اسْتَبْعَ الْحَدِثُ الْأَوَّلُ تَهْجُمًا عَنِيفًا لِأَقْلَبِي الْحَزْبِ الْاِشْتِرَاكِي الْمَلْتَفِينِ حَوْلَ لِيْتَانَسِيلَ : «مَنْ تُرَاهِ يَشَلُّ حَرَكَةَ الْحَزْبِ ؟ (...)» لَمْ يَحِدْ هُنَاكَ سِوَى بُولِ بُونَكُورِ وَلِيُونِ بُلُومِ فِي الْحَزْبِ الَّذِينَ يَقُولَانِ وَيَكْتَبَانِ، إِنْ لَمْ يَكُونَا يَعْتَقِدَانِ بِأَنَّا نَخُوضُ فِي الرّيفِ حَرْبَ دِفَاعٍ» (369). وَفِي الْاَقْلِيمِ، بِدَا الْاِشْتِرَاكِيُونِ عُمُومًا مُتَزِينِينَ كَثِيرًا تَجَاهِ الْاِضْرَابِ الَّذِي كَانَ يُحْضَرُ لَهُ الشَّيُوعِيُونِ، لَكِنْ فِي الشَّمَالِ، حَيْثُ كَانَتْ دَعَايَةُ الْحَزْبِ الشَّيُوعِي نَشِيطَةً عَلَى الْخُصُوصِ، سَعَى لُوبَا إِلَى تَفْكِيكِهَا : «إِنَّا، نَحْنُ الْاِشْتِرَاكِيُونِ، نَقُولُ لِلشَّغَالِينِ : احْتَجُّوا ضَيْدَ الْحَرْبِ، احْتَجُّوا ضَيْدَ كُلِّ الْحُرُوبِ، اهْتَفُوا عَالِيَا بِرَغْبَتِكُمْ فِي السَّلْمِ، لَكِنْ لَيْسَ ضَرُورِيَا أَنْ تَوْقِفُوا الْعَمَلَ لِأَرْبَعِ وَعَشْرِينَ سَاعَةً، أَيْ أَنْكُمْ سَتُخْسِرُونَ أَجْرَةَ يَوْمٍ، إِنْ هُنَاكَ وَسَائِلُ أُخْرَى وَنَحْنُ نَطْبِقُهَا كُلَّ يَوْمٍ : الْاجْتِمَاعُ، الْجَرِيدَةُ، الْمَذْكُورَةُ، التَّظَاهِرَاتُ الْعُمُومِيَّةُ الَّتِي سَنَنْظُمُهَا قَرِيبًا» (370)، هَذِهِ هِيَ الْوَسَائِلُ الْحَقِيقَةُ الَّتِي تَسْمَحُ لِلطَّبَقَةِ الْعَامِلَةِ بِالتَّعْرِيفِ بِرَغْبَتِهَا فِي السَّلْمِ» أَمَّا الْوَسَائِلُ الْمُسْتَعْمَلَةُ مِنْ طَرَفِ الشَّيُوعِيِينِ «فَهِيَ وَسَائِلُ حَرْبٍ نَشَجِبُهَا بِكُلِّ مَا أَوْتَيْنَا مِنْ قُوَّةٍ» (371). أَمَّا فِي الْهَوِطِ — فَيِينُ فَقَدْ

366 AN F7 13176 (نسخة).

367 لُوبُولِيرِ دُوسُولِيرِ، 19 يُولُوزِ 1925، لِي AN F7 13178 (هوط — فيين).

368 AN F7 13177 (الشمال).

369 لِيْتَانَسِيلِ، 4 شَتْنَبَرِ 1925.

370 تَشَدَّدَ عَنْ قَصْدِ عَلَى هَذِهِ الصَّارَةِ الْكَاشِفَةِ عَنْ نَقْصَانِ الدَّعَايَةِ الْاِشْتِرَاكِيَّةِ ضِدَّ حَرْبِ الرِّيفِ فِي الشَّمَالِ إِنْ لَمْ تَقُلْ انْدَامَها.

371 هَرَضَ مَدَاوِلَاتِ الْمَجْلِسِ الْعَامِ لِلشَّمَالِ، جُلْسَةُ 7 أُكْتُوبَرِ 1925، ص 425 — 426.

آخذت الأغلبية الاشتراكية للمجلس العام الحكومة على كونها لم تُضغ حدّاً للحرب وطلبت منها أن «تُرسِلَ للرّفعاء الرّيفيين (وليس الى عبد الكريم) بالشروط القمينة بإقامة وفاق دائم خارج أي روج للغزو وأي مشروع للهيمنة» (372). لقد أُنْهَمَ فالير الحزب الشيوعي بكونه يعتبر النزاعات الاستعمارية بمثابة اتساع لصراع الطبقات، في حين تظل الحرب أياً كانت بالنسبة للاشتراكيين، «شيئاً فظيهاً». فغير وارد التّصنُّح بالتّأخي أمام «مُتَعَصِّين يقتلون ويشوّهون بطريقة شنيعة الأسرى الثّعساء الذين يقعون بين أيديهم» (373)، بخلاف ذلك، إذا كان راينو، نائب الفار، مُعَادِياً هو الآخر للتّأخي وللجلاء عن المغرب، فإنّه يؤكّد «اتفاق (هـ) مع الحزب الشيوعي» لتحقيق السّلم مع عبد الكريم والاعتراف بجمهورية الرّيف (374). لقد ركزت البلدية الاشتراكية ليهست انتقاداتها على الحكومة والتعاون العسكري الذي أقامته مع الحكومة «اللاديمقراطية والدكتاتورية» ليهو ذي ريفيرا، وطلبت بأن «تُقَدِّمَ مُنْذُ الْآنَ اقتراحات سِلمٍ مقبولة ومشرفة للزّعيم الرّيفي» (375). ومَعَ تمديد العمليات العسكرية تضاعفت التصريحات التي كانت تروم تبرئة الحزب الاشتراكي، وتجرم الرّاديكاليين (376)، وانتقاد شروط السّلم المفروضة على عبد الكريم (377).



هل ينبغي أن ننسب لبعض العناصر الاشتراكية تَجَلُّدَ التحريض الذي لُوْحِظَ في بداية 1926 في بعض فروع عصابة حقوق الإنسان ضدّ السياسة المغربية للحكومة ؟ ألا يُعزّى ذلك، بشكلٍ أعمّ، الى تقليد جمهوري باقٍ، خصوصاً في الاقليم، لا تتلاءم نزعتُه الليبرالية ونزعتُه السّلمية قطعاً مع التعرّض للشّبهات المُلازمة لولوج السّلطة وللبحث الدائم عن تحالفات جديدة للحفاظ عليها. لقد طالب عُصْبُوهُ ليون وشالون — سور — مارن

- 372 عرض مداوالات المجلس العام للهوط — فين، جلسة 28 شتنر 1925، ص ص 256 — 258.
373 نفسه، جلسة فاتح أكتوبر 1925، ص ص 408 — 409.
374 اجتماع منظم من طرف الحزب الاشتراكي بكان في 17 أكتوبر 1925، AN F7 13175 (آلب — ماينيم).
375 رجاء تته بلدية ميهست في 22 شتنر 1925 وأرسل من طرف والي فستير في 30 شتنر AN مجموعة بالنوي، 313.
AP 186.
376 أنظر تدخلات لويز سومولو بلازون، في 16 يناير 1926 — ريشاو نكاف، في 4 مارس — يوزي رول فور سان — جان — دالميل، في 6 مارس — أنطونيلي سيرجيوك، في 21 مارس. AN F7 13081.
377 انظر خاصة موقف اشتراكي الشمال (عرض مداوالات المجلس العام، 6 مايو 1926، ص ص 278 — 280) والهوط — فين (ملكرة 16 مايو 1926، في A.D. هوط — فين 167 I M).

يسلم سريع وذكروا بوعهد الاستقلال الدّائي الذي أُعطيَ للرّيفيين (378). وعبروا في باريس، بالدائرة الثامنة عشرة، وفي شارونطون — سان — موريس كما في أمبواز، عن تأسفهم الشديدة لكون اقتراحات عبد الكريم للسلم لم تؤخذ بعين الاعتبار (379). وفي أفالون، ذهبوا الى حدّ المطالبة، في 20 أبريل أيضاً، باستقلال الرّيف (380). وفي نيم أخيراً، أثار انقطاع مفاوضات وجدة تأثيراً شديداً. لقد عبّر الفرع المحلي عن سُخطه بسبب شروط السلم «المفروضة على الرّيفيين» والتي «لا تساوي فقط استسلاماً لا مشروطاً في الواقع، ولم تتناقض فقط، في المبدأ، مع مبادئ حقوق الانسان» بل «صيفت وثمّ التمسك بها عبّر انتهاك فظيع لكلّ التزامات الحكومة الفرنسية وبالأخصّ لبرنامج السلم الذي تمّ عرضُه نيم، في الحريف الماضي، من طرف الوزير بانلوفي. وقد شهر عصبويو نيم في هذا الظرف بـ «الموقف الدليلي للصّحافة، حتى الدّيمقراطية منها» ودعوا اللجنة المركزية «الى عدم الاكتفاء من الآن فصاعداً بتحذيرات غير مُجدية» (381).

خاتمة

نزعة سلمية، معاداة للتّزعة العسكرية أم تضامناً مع الشعب الرّيفي ؟

أية دلالة ينبغي منحتها للتحريض الذي طوّر ضيّد حرب الرّيف ؟ ماهي حوافز الحشود التي كانت تتجمّع في اللقاءات وتُصوّت على بيانات مُستنكرة للسياسة الحكومية وشاجبة للعمليات العسكرية ؟ هل ينبغي ألا نرى فيها سوى احتجاج ضيّد الحرب، احتجاج لا يتضمن أي تضامن مع الشعب الرّيفي ؟ بالنسبة لأوساط اليسار غير الشيوعي، يبدو الجواب للوهلة الأولى سهلاً. فأولئك الذين ثاروا ضد الحرب، وهم اشتراكيون وتحرريون، مناضلون في عُصبة حقوق الانسان، أعطوا

- 378 دفاتر حقوق الانسان، 10 فبراير 1926، ص 69 (احتجاج عمومي انعقد بليون في 30 دجنر 1925) ولفسه، 25 فبراير 1926، ص 93 (قرار فرع شالون — سور — مارن تمّ تنهيه في 16 يناير 1926).
379 لفسه، 10 مارس 1926، ص 118؛ 10 أبريل 1926، ص 165؛ 30 أبريل 1926، ص 213.
380 لفسه، 30 أبريل، 213.
381 لفسه، 25 يوليو 1926، ص 305.

لتظاهراتهم مَدْلُولاً سِلْمِيّاً أساساً، مَدْعُوماً بالخدر، وبالنسبة للبعض بالنفور الذي كانوا يشعرون به تجاه العسكريين. لقد أظهر لنا تحليلنا، بالفعل، بأن مُشْكِلَ شرعية تمرّد عبد الكريم كان مطروحاً من طرف بَعْضِهِمْ، ليس فحسب بمناسبة انعقاد المؤتمرات أو اجتماعات الأجهزة القيادية، بل أيضاً على مستوى التجمّعات المحلية، وفروع العصبة، والجمعيات البلدية. وفي حرائد الاقليم. لقد كان حق الشعوب في تقرير مصيرها مقولة لم يتمّ التّعيم عليها تماماً من طرف التّقدميات الأكيدة للفكرة الاستعمارية. لكن حتّى إذا كان فوضويو الماهر أو الليموزان، واشتراكيو الكالفادو أو الطارن، ونقايبو البوي — دو — دوم أو فينستير، قد اعترفوا للرّيفيين بحق الاستقلال، فإنّهم رَفَضُوا أن يروا في عبد الكريم رمزاً لاراداتهم في الانعتاق.

من جانب الشّيوعيين، يبدو الجواب أكثر تعقيداً. لقد تَحَقَّقْنَا مِنْ أَنَّ الحملة ضِدَّ الحرب كان لها بالنسبة لقيادة الحزب الشيوعي، محتوًى مُعَادٍ للامبريالية، وأنها كانت تمتنع حيّزاً كبيراً لكفاح الرّيفيين، من أجل استقلالهم تحت حماية عبد الكريم. ولم يكن هذا التوجه مَوْضِعَ سؤَالٍ من طرف القاعدة، لكن تَمَّ تأويله تبعاً للضرورات والانشغالات الخاصّة لكلّ فئة من المناضلين. فبالنسبة للشّيبات الشيوعية، كان الكفاح ضِدَّ الحَرْبِ، قبل كلّ شيء، مناسبة لتطوير تحريض عنيف مُعَادٍ للنزعة العسكرية. وبالنسبة للنساء وقدماء المحاربين، كان الجانب السِّلْمِي هو الذي يهيم ولا يَدْعُ سوى حيّز صغير للاعتبارات حول حق الرّيفيين في الاستقلال. أمّا بالنسبة لمناضلي الـ س.ج.ت. الوحدوية فكانت الحملة تدخل في إطار كفاحهم ضِدَّ السياسة الاقتصادية والاجتماعية للكارتيال. فقد كان يتمّ تقديم هذه الأخيرة على أنّها تُضَحِّي بمصالح العمال لصالح المجموعات المالية والصناعية. وقد جاءت عمليات الريف. المُطالبة بالرجال والمال، لتدلل في نفس الوقت على هذه الأطروحة. لقد نبع تضامن البروليتاريا الفرنسية مع الرّيفيين في التحليل الأوّل من مصلحتهم المشتركة في وقف الحرب، لأنّ هذه الأخيرة ليست قَدَرًا. إنّها مَقْصُودَةٌ من طرف الامبريالية التي تستغلّ الشّغاليين الفرنسيين وتُسَعِّي لاختضاع الرّيفيين. فلدى الجميع إذن نفس العدو، لقد دَفَعَ تطوير هذه الفكرة بالبروليتاريين الى المُطالبة بالجلء عن المغرب واستقلال الريف، لأنّ هذين معا هما شرطا سليم حقيقي، ولأنّهما قمينان بتكريس هزيمة الامبريالية. وقد بدا تضامن البروليتاريا الفرنسية مع الرّيفيين وقتذاك ثمرةً لتفكير سياسي، وتعميقاً للوعي الطبقي. فهذا تجاوزت ردود الفعل المستلهمة من طرف النزعة السلمية أو معاداة النزعة العسكرية دون أن تُناقِضها وذلك بضمّها إليها. لكن لم يكن عليها التوقّف عند ذلك؛ بل كان لابدّ من ترجمة القناعات الى أفعال : وذلك برفض الشغاليين المشاركة في صنّيع العتاد الحربي ونقله نحو المغرب، ورفض

الجنود قتال «إخوان» هم. لقد كان شعار التآخي نقطة انتهاء ذلك النداء الى التضامن. وتطلّب تنفيذه نوعاً من الروح البطولية. فلم يتعلق الأمر بالتآخي، مع زارعي كروم غير مُسلّحين كما في 1907 أو كما في الرور مع ألمان سلبيين. فقد كانت الحرب دائرة بكل معنى الكلمة، وكان الجنود الشبان مدعويين للتآخي مع مقاتلين. من هنا الانتقادات العنيفة التي ظهرت في أوساط اليسار غير الشيوعي، ألا تُعتبر تلك الدعاية لا مسؤولة، و«إجرامية» حتى ؟ (382) لقد تأتّى للقادة الشيوعيين بأن يُردوا بأن المجرمين هم أولئك الذين يُجندون للقتل، وأنّ المشكل ليس في مبدأ التآخي، بل في طريقه. سنرى لاحقاً إن كان قد تمّ الانصات لهذا الشعار. ولنحاول في الوقت الراهن، فهم كيفية انعكاسه وتأويله من طرف المناضلين المكلفين بتفسيره للجماهير.

لنستمع الى شيوعي شاب، وهو ميكانيكي سابقاً يفسر التآخي بأنه «ليس معناه الفرار للانتقال بالأسلحة والمتاع الى جانب الرّيفيين. فهذا لن يعني شيئاً ولن يُجدي شيئاً (كذا). بالتآخي نعني، نحن الشيوعيين، بأنّ ليس لأحد من أبنائكم أو إخوتكم أو أقاربكم الذين يُرسّلون للقتال في المغرب علوّ شخصي في صفوف أنصار عبد الكريم. وعليه، فلماذا محاربة هؤلاء، الذين لم يأتوا في حقنا بأي شيء. إننا لا نروم لهم شيئاً (كذا). إنهم أحرار ولهذا نمّد لهم أيدينا» (383). وإذا كان ذلك واضحاً جداً على مستوى التّوايا، فإنه لم يكن جلياً تماماً على الصعيد العملي، فهل تعلق الأمر بتوصية لرفض الطّاعة ؟ وضمن أية ظروف بالضبط ؟ لقد قال شيوعي شاب آخر بأنه لا ينبغي انتظار لحظة القتال لرفض الطّاعة لـ «أن التآخي لا يعني الذهاب للشّد على أيدي الرّيفيين» (384)، بل العكس، إنه منع الحرب من أن تُستمر. وهذا الأمر مُوجّه خصوصاً للعمّال لكي يمنعوا كلّ ترحيل للجنود والعتاد إلخ، لكننا ننصح

382 بالنسبة للاشتراكي فالير، يعتبر التآخي مستحيلاً، في مواجهة «متعصبين يعدون الأسرى التعماء الذين يقعون في أيديهم ويهزمونهم بطريقة عذرية»، مناقشات المجلس العام للهوط — فيرون، فاتح أكتوبر 1925، ص 408 أنظر أيضاً سيكست — كومان في لاللاك أولفريير إي يانيزان، 29 غشت 1925، إحاد في ليونفيل 18 يوليوز 1925، لوليفريير، 12 يونيو 1925. حتى المالك الاشتراكي لمار، رايو، الذي يصوت عالاً مع الشيوعيين، أكد بأن التآخي لا يمكن أن يقود أولئك الذين يمارسونه سوى الى عمود الاعلاء، فيما يبقى الذين يحصلون به مطمئنين في منازلهم. AN F7 14175 (آل — ماريتيم . اجتماع 17 أكتوبر 1925 نكان).

383 عاصمة ألفت بأوريبا، في 13 أبريل 1926 في موضوع «المادتا تعادي الشينيات الشيوعية الرزعة العسكرية» AN F7 1341 (رسالة من ويلي آرديش الى ورير الداخلية في 16 أبريل 1926)

384 عند دفاعه أمام محكمة حجاج بار — لو — دوك، في 19 أكتوبر 1925، عن شيوعيين متهمين بتحرش الجنود على العصيان، كان الأستاذ ساروت، معزول الأستاذ بيرثون، قد صرح : «التآخي مع الريفيين معه، كما كان سابقا المحاربون يشدون، من معركتين، على أيدي بعضهم بصدق (...) إن هذا التآخي يعني : تعاملوا مع الخصوم لوقف الحرب، ومن المحتمل أنه ستكون لنا، في مستقبل قريب، إمكانية وقف الحرب من طرف أولئك الذين يقومون بها» AN F7 13177 (مور)

الجنود أيضاً، بالأا يُطيعوا رؤساءهم في بعض الظروف» (385). لقد حاول جينستي، وهو مسؤول شيوعي عن المنطقة التولوزية، توضيح هذه الظروف بقوله «أعني بالتآخي، رفض إطلاق النار، ورفض الزحف، وفي البحر، رفض الذهاب بتعطيل مُولد البخار. باختصار، كل فعل من شأنه المساهمة في إيقاف الحرب» (386). وبمناسبة جولة للدعاية في بروتاني، سعى مندوب القيادة الوطنية للشبيبات الشيوعية الى تبديد الطابع الدرامي للوضع موضحاً «أن التآخي لا يعني أنه عندما يلتقي الجنود الفرنسيون والمغاربة ويأخذون في إطلاق النار على بعضهم، يكون على البعض (كذا) أن يشرعوا في الرقص وسط القتال». وضرب المثال بفصيلة من مراقبي المناطيد مكنها رفضها للطاعة من أن تظل محتجزة في بوردو، بعد أن تخشي الرؤساء من أن يتكرر هذا العصيان في المغرب، ثم تحتم: «لو أن كل الجنود كانوا فعلوا مثلها، لكانت حرب المغرب قد وضعت أوزارها. أي جندي في المغرب مات لهذا السبب ؟» (387). وبالتسبة لأندري مارتى وشارل تيون وبصفة عامة بالتسبة للجناح الشيوعي للبحارة والقدماء الذين حُكم عليهم لتمردهم، ينبغي التزام الواقعية: «عملياً، لا يمكن لسرية أو فيلتي أن يُؤاخي بإلقاء السلاح وفتح الأخضان لخصومه (...) فنحن الذين تمرسنا بتجربتنا، نرى أن هذا الفعل غير ممكن التحقيق، ما عدا في حالات خاصة جداً». وأضافا: «التآخي، معناه التمرد، أي الاعتقال الفوري والعزل عن الضباط وجواسيسهم. (...) والتآخي ليس هو التخلي عن الأسلحة، بل الحفاظ عليها لاستعمالها من أجل حماية حق التآخي، ورفض الطاعة ورفض القتال» (388). هكذا أعطيا للتآخي محتوى قريباً من ذلك الذي كان بعض فوضويي ما قبل الحرب الكبرى يُعطونه له. حتى قاموس تلك الفترة الذي استُعيد من طرف خطيب من الـ س.ج.ت. الوحلوية C.G.T.U دعا الجنود الى «الاستسلام، وإذا أمروا بإطلاق النار على الشغلين الريفيين (أن) يدوروا اعلًى أعقابهم و(أن) يطلقوا النار على الذين أمروهم» (389). وفي الواقع يقود تحديد الشروط الملموسة للتآخي مع الريفيين الى تحديد وضع

385 خطاب القي من طرف الشاب دوكلير به ديهان، في 24 أبريل 1926، AN F7 13104 (كوط — دو — نور)

386 AN F7 13104 (هوط — غارون : تقرير المفوض الخاص لتولوز أرسل من طرف وزير الداخلية الى وزير الحربية تحت رقم 3355، في 18 أبريل 1926).

387 AN F7 13182 (عرض الاحتجاجات التي قام بها جورج طوماس، مندوب الشبيبات الشيوعية لباريس، بيوت — لاني — كامبي، هيلكوا ودوانونيسي في أبريل 1926)

388 بعض موقع من طرف كوستاف شامال، محكوم بعشر سنوات سحاً، ليون هوري، سبع سنوات، أندري مارتى، عشرين سنة من الأشغال الشاقة، روجي رولال، عشر سنوات سحاً، شارل تيون، ثمان سنوات من الأشغال العمومية، ب. فورتزو، عشر سنوات سحاً، ووالي، عشرين سنة، لومانيشي، 13 فبراير 1926، (ص 4).

389 خطاب ألقى في اجتماع عمومي بتورنو، في 5 يونيو 1925، AN F7 13174 (ساوود — إي — لوار).

نوري، ويُدْفَعُ الى تقدير علاقات القوة داخل البلاد. لقد سمح الاضراب العام الذي قرره الحزب الشيوعي ضدَّ حزب الريف بقياس درجة نضالية الطبقة العمالية ومقدرتها على فهم متطلبات التآخي (390).



في الأخير، لم تلتقط رغبة البروليتاريا الفرنسية في تأكيد تضامنها مع الريفيين، إلا من طرف أقلية. ومن غير الممكن إغفال هذه الأخيرة. يبقى أن نتساءل عن التبعات العملية لهذا التحريض : على العمليات العسكرية، وعلى المناضلين ضحايا القمع كما على النقاش الدائم داخل الحزب الشيوعي والمتعلق بسياسته المغربية.

الفصل السابع

اليسار الفرنسي وحرب الريف (تابع) تبعات الحملة الشيوعية

الأثر على العمليات العسكرية

استهدف التحريض الشيوعي بسعيه الى خلق حركة تضامن لصالح عبد الكريم في أوساط الجماهير، التأثير على سياسة الحكومة، وفي التحليل الأخير، تعديل مجرى العمليات العسكرية لصالح الريفين. هل ظل تدخل الحزب الشيوعي الفرنسي محصوراً في إطار الدعاية ؟ هل امتد الى تحريض أعاق لإرسال العتاد والوحدات العسكرية الى المغرب ؟ الى أي حد يمكن الحديث عن مساعدة فعلية قَدَّمَهَا الشيوعيون لعبد الكريم ؟ تبدو الوقائع هيا متباعدة ببتاريخ الأسطوري بشكل وثيق. وتفسر الصعوبة التي لاقتها الطبقة السياسية حينئذ في الفصل بينهما، الى حد ما، بردود فعلها تجاه عبد الكريم وبصفة عامة تجاه الحركات الوطنية لافريقيا الشمالية. ولم ينج اليسار الفرنسي من هذا الاضطراب.



التحريض في الشكناط ولدى البحارة

لم تكن الدعاية الشيوعية في اتجاه الوحدات العسكرية مفاجئة للحكومة. ففي نهاية 1924، انشغل وزير الداخلية بالتكوين المحتمل لبعض الخلايا داخل الجيش والبحرية وذكر ولاية المقاطعات بأن عليهم، التنسيق مع السلطات العسكرية، وذلك للحفاظ على اليقظة القصوى تجاه التصرفات المعادية للترعة العسكرية (1). وقد دأبت صحافة اليمين، على التشهير

ملكوكة 11 دجنبر 1924 (غير مرقمة)، موقعة من طرف شونود. لقد عابوا على نسخة بها في A.D حيرونند 1 M

دورها بالتحريض الشيوعي في مختلف الوحدات الميتروبوليتانية، وكانت عمليات الرّيف مُناسِبَةً لها لكي تُضاعف الاتهامات. وغالبا ما كانت هذه الأخيرة مبالغاً فيها، حسب التقارير الصّادرة عن الوّلاة (2)، وحتى المُختلّقة (3). لقد تَمَّت الإشارة، في الواقع، الى مجهود كبير للدّعاية في عدد من الحاميات الميتروبوليتانية (4). لكن لم تغض هذه الدّعاية فيما يبدو الى تحريض ذي بال مُوجّه أساساً ضدّ حرب المغرب. إننا نتوفر على قائمة كرونولوجية لـ «العقوبات المتخذة ضد العسكريين الذين استسلموا لأفعال إثارة تُحَثّ على العصيان أو على الدّعاية الشيوعية» بين يناير 1924 ومايو 1927 (5). وبشكل ملموس لم تتعد القرارات الصّادرة بين مايو 1925 ومايو 1926، وهي الفترة التي كانت فيها كثافة الحملة ضدّ حرب الرّيف في ذروتها لا في العدد ولا في الجسامة، تلك التي أثخنت قبل الهجوم أو بعد استسلام عبد الكريم. فقد كان التحريض الذي أثارته عمليات المغرب ينخرط، في فترة واسعة من معاداة النزعة العسكرية، دَشَّتْها الحَمْلَةُ ضدّ احتلال الرّور واستمرت، بعد 1926، بالحملة ضدّ التدخّل في الصّين وضدّ العلّوان الذي كانت تُخصّص له الامبريالية، حسب الحزب الشيوعي الفرنسي، ضدّ الاتحاد السوفياتي. وتستند العقوبات المُتخذة من طرف السّلطات العسكرية على ثلاثة أنواع من الجناح حيازة أو توزيع منشائر أو جرائد شيوعية وحضور اجتماع شيوعي ودّعاية معادية للنزعة العسكرية. وتتراوح العقوبات من خمسة عشر يوما الى شهرين سجنًا، بينما كان يُحكم على جنود جيش الرّائن، لنفس الأفعال، بِمُدّة تصل حتّى الى عشر سنوات سجنًا. إذ لم يكن للتحريض داخل الوحدات العاملة خارج الحُدود

- 2 انظر AN F7 13174 (موز — رسالة في 6 يونيو 1925). توضح مذكرة للوحة المركزية لشهر ماي 1926 «قواتنا داخل الثكنات» بأن الحزب الشيوعي يتوفر على 75 خلية و70 «ارتباطًا» (شيوعي واحد) في الحاميات الميتروبوليتانية. أرشيفات معهد موريس — طوزيز — السلسلة 177.
- 3 A.D. للهوط — فين، 169 I M (الحرب الشيوعي، 1924 — 1925).
- 4 لوحظ حضور المباشر والجرائد الشيوعية وكذا إلصاق الاعلانات الصنيّة سنة 1925. □ من 16 مايو الى 15 يونيو : في 18 حامية، من بينها ثلاث مرات في حامية بوردو؛ □ من 16 يونيو الى 15 يوليو : في 27 حامية، من بينها مرتين في ست حاميات (أراس — كالي، كليرمون، فيران، موله، بن وسون)؛ □ من 16 يوليو الى 15 غشت : في 8 حاميات □ من 16 غشت الى 15 شتنبر : في 12 حامية. □ من 16 شتنبر إلى 15 أكتوبر : في 8 حاميات.
- 5 حسب عروض الوّلاة ومفوضي الشرطة AN F7 13173 الى 13178. إن هذا الكشف، المورخ في 24 مايو 1927، ملحق برسالة لوزير الحربية الى وزير الداخلية؛ وهو لاييم القوات المتمركزة في شمال الريف. AN F7 13099.

نفس الدّلالة. إن الصّحافة الشيوعية نفسها لا تُحطّئ في الأمر. فنادرة هي الحوادث التي أشارت إليها وكانت ذات علاقة بحرب المغرب (٥).

أما مقاربة «تمردات» بحارة الكورني والستراسبورغ والبروفانس، التي وقعت في الأيام الأولى من صيف 1925، فإنها تتطلب تبصرا ودقة كبيرين في التحليل. لقد كانت لهذه التمردات، قبل كل شيء، دلالة معادية للنزعة العسكرية الكلاسيكية، وقد عرّضتها لومانيتي بدقة : لقد كان الاحتجاج على التّوعية الرّديئة للطعام وموقف الضباط يفسّران سلوك البحارة (٦). وتعتبر حالة الستراسبورغ خاصة : فبعد أن أُرست في مرسى طنجة تلقت الأمر بالتحرك للدّهاب من أجل قصّيف المواقع الرّيفية في آجدير، فاعترض البحارة على ذلك (٧). ولا يسمح غياب مصادر للخبر بتقييم كامل لهذه الوقائع التي صرّح وزير البحرية بأنّها «حالات معزولة»، و«مبالغ فيها بشكل إرادي» (٨). وسوف تعطيلها دعاية الحزب الشيوعي حجما مشوشا. لكن كيف لم يسارع شيوعيون علموا بأن تمرد البوطمكين له أيضا أصل غذائي، ويشعرون بتقارب كبير مع ثائري البحر الأسود، الى تعظيم حركة البحارة ؟ (٩).

إرسال التعزيزات الى المغرب

رغم شعار الحزب الشيوعي، المردد بشكل علني في مناسبات عدة، والمتعلق بضرورة مقاطعة صنع ونقل العتاد الحربي الموجه للمغرب (١١)، لم يتم تسجيل من طرف السلطات

6 «في 21 مايو، ذهب 600 محند من الفيلاق 31 و 41 من ثكنة روبي الى المغرب. وقد عرف السفر بعض الحوادث. فبعد كل توقف للقطار، كان المحمدون ينشدون الأيمّة وبعد إقلاعه من حديد يصيحون : «لتسقط حرب المغرب ! عاش الرّيفيون !»، لومانيتي، 27 مايو 1925 (ص 02) إنه لدّ دلالة كبرى تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي، المنشور من طرف الحزب في 1964 يستشهد من حديد هذا المثال الوحيد (ص 164). وفي مقال أندري فيرا «دعنا البلشفية المعادية للروح العسكرية، القوة الوحيدة للسلم»، المنشور في المحلة الشهيرة لاجوليس كومنيست، عدد 1، يوليو 1927، في AN F7 13183 يؤكد هذا الأخير بأنّ فيال عديدة تظاهر نداء لكنا لم نعرف على شيء في الأرشيفات المقاطنية للكاز.

7 لومانيتي، 4 يوليو 1925 (د رونو)

8 نفسه، 10 يوليو 1925.

9 نفسه، 14 يوليو 1925.

10 إن كامي فيحي بالأخص هو الذي أعطى، في عروض لومانيتي التي حصصها لمحاكمة الملاحين، بعدا سياسيا للتمردات : انظر 24، 26 و 28 غشت، فاتح 3 و شتير 1925. انظر أيضا مقالات لافان كارد الصّغيرة حريا عن لومانيتي، 16 — 31 يوليو و 1 — 15 شتير 1925، ومقالات لاكازير، 20 يوليو و 5 شتير 1925.

11 إنه ليس الوحيد. فالولوتير، دون أن تلتفت بكلمة «تمرد» تعتبر المشاركة في صنع الأسلحة والدحية بمثابة «غدر» - «لائيبي لأني عامل حدير هذا الاسم أن يتواطأ، بعمل يومي، في المهرجة المغربية»، 23 مايو 1925 (م ثور).

المدينة أو العسكرية لأي عمل مقاطعة. لقد رجت السلطة المركزية الولاية بأن يطلبوا شخصيا من مديري جرائد مقاطعاتهم أن يعدلوا عن نشر البيانات المتعلقة بالوحدات والعتاد الموجه للمغرب «باسم المصلحة الوطنية» (12). كما دعي المفوضون الاستثنائيون لدى المراكز السككية الكبرى الى مراقبة العناصر المشبوهة، وخاصة السككيين الشيوعيين الذين يمكن أن يسعوا الى تأخير إرسال العتاد بجعله يأخذ وجهة أخرى (13). ومع ذلك، لم يسجل أي حادث.

لقد كان ترحيل الجنود باتجاه المغرب يشغل بال الحكومة. وقد أقض حَقًا مَضْجِع بعض مفوضي الشرطة. ها هو مُفَوَّض بورديو يبعث بتقرير هذيانى الى الأمن العام حول التكتيك الذي نسبته في ذلك الظرف للحزب الشيوعي. ويتضمن هذا التكتيك، كما أكد ذلك أربع مراحل: 1. عملية توزيع منشور واسعة؛ 2. ولأن الحزب الشيوعي يتوقع عرقلة قوى الأمن، سيأمر المناضلين الذين سيُعتقلون بأن يتقادوا دون مقاومة الى المركز؛ 3. حيثُ ستقع مظاهرة أمام المُفَوَّضية، أو البلدية أو المحكمة، لكن ستكون مجرد مناورة للالهاء، 4. في نفس الوقت، سيهاجم مناضلون آخرون مركز الشرطة حيث سيُحتَجَزُ المناضلون المعتقلون! (14). وفي الواقع، باستثناء حالتين قام خلالهما بعض البحارة القدماء بتوبيخ المسكرين داعين إياهم الى عصيان ضَبَّاطَهم (15)، فإن الترحيلات العديدة التي تمت من بورديو لم يعقها أي حادث (16). وقد أقر بهذا المُفَوَّض الاستثنائي والوالي (17). وبالرغم من أن

- 12 ملكرة الأمن العام في 13 مايو 1925. AN F7 13413.
- 13 لقد ذكرت إدارة الأمن العام الأساليب الممكن استعمالها. تغير الكتابات، تبديل الياقات، ربط العبرات بقطارات أخرى تسير في خطوط مغارة. نفسه، (ملكرة 18 يوليو 1925).
- 14 AN F7 13176 (حبرود، تقرير، المفوض المركزي لوردو عن التكتيك المقرر من طرف الحزب الشيوعي في حالة ذهاب الجنود، 2 يوليو 1925).
- 15 في إحدى الحالتين، طلب الملاح المحوس، الذي اعتده الوالي مناضلا شيوعيا، أن يتلقى زيارات سكرتيرين للنفابة الكونغردالية للمسلحين الحريين «اللذان مناضلا دائما ضد التفافة الثورية للملاحين»، A.D. حبرود 1 M 404.
- 16 ذكرت السلطات المحلية الترحيلات التالية مشيرة إليها باعتبارها تمت دون حوادث: في 1925، 16 يونيو؛ 11، 9، 7، 2 و 18 يوليو؛ 10، 18، 20 و 22 عشت؛ 2، 5، 15، 17، 24 و 30 شتير؛ 8 أكتوبر؛ 20 و 30 نونبر؛ 11 دحمر؛ في 1926، فاتح و 2 و 11 مارس، 11 و 21 أبريل و 20 مايو. كما تمت الإشارة أيضا في ترحيلات الجنود المأذنين من المغرب، دون أن تنجم عنها مظاهرات، 21 دحمر 1925 و 15 و 24 مارس 1926. AN F7 13173 و 13176 و 13413.
- 17 «إن ترحيلات الجنود والذخيرة صوب المغرب قد تمت حتى الآن دون حادث، ولم يتم القيام بأية محاولة للدعاية إزاء الجنود، ولا لفرقة ترحيلات العتاد والذخيرة» A.D. حبرود 1 M 363-2 (تقرير 4 شتير 1925). نفس الإشارة في تقرير 4 نونبر 1925.

المعلومات المتعلقة بمحطّات التّرحيل الأخرى أقلّ اكتمالاً، فلا يبدو أنه وقعت مظاهرات فعلية بسبب نقل الجنود والعتاد الذي تم من الهافر، ولوربون، وروشفور، ومرسيليا (18)، أو وهران (19).

شبكات العاية الشيوعية نحو المغرب

كانت الدّعاية الشيوعية باتّجاه المغرب شبه منعدمة قبل 1925. ففي سنة 1924 وضحت التقارير الشّهيرة للحماية (20)، التي تُلجّ على ضرورة حماية البلاد من «العدوى الخارجية» بأن تلك الدعاية توشك على التغلغل داخل الامبراطورية الشريفة عبر قنوات الجرائد التونسية (21)، أو الجزائرية (22). و فقط ابتداء من الشّهور الأولى لسنة 1925، نعلم على أثر إرسال منشور من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي (23). وقد وجهت هذه المنشور سواء إلى مغاربة (24)، أو إلى عسكريين فرنسيين مُرابطين في الحماية (25). إن النصّ الوحيد لهذه الفترة الذي عثرنا عليه، وهو ذو استلهم معادي للنزعة العسكرية وسيلمي في غاية الكلاسيكية، ينتهي على هذا النحو : «لن تزحفوا ضدّ عد الكريم والرفيعين الذين يدافعون

18 لاحظ روك، مسؤول المنطقة المتوسطة، أمام اللجنة المركزية للحرب ضعف ردود فعل السكان : «في مرسيليا، يوجد الجنود على بعد عدة كيلومترات من المدينة، ورغم العمل الدؤوب حدا الذي يقوم به الرماق في الهافر، فإنه يحدث أن يذهبوا إلى المغرب دون أن يكونوا قد تعرضوا للتأثير يلزم أن تفهموا أيضا وصعوبة حدي أننا في قل أن يذهب، وقصا إزاهم بدعاية حيدة، والذي لا نجد، في لحظة الرحيل أمة مظاهرة من حاب المدنيين، على الرصيف، بحامه، أوشهفات معهد موريس — طوريز، السلسلة 142، عصر اللجنة المركزية الموسعة أيام 6 — 8 أبريل 1926

20 التي يلاحظ ج. كرماديلس بصلدها بكاء بأنه مادامت قد كانت «محصورة وسريّة»، فإنه لم يكن لديها أي سبب يُعملها تحفي وحودا شيوعيا محتملا في المغرب لو أن هذا الوجود تم كشفه، مشار إليه سابقا، الجزء الأوّل.

21 تقارير شهيرة للحماية، فبراير 1924.

22 «إن لوطري ديبون، الحريدة الشيوعية للجزائر العاصمة، المنوعة أحيوا في المغرب، لها قراء حتى في بلاد سي مطير، بين الموظفين الأهالي الشاب» لنفسه، مايو 1924.

23 لقد عر ح. كرماديلس على أثر ثلاث سلاسل لإرسال المباشر في مارس وأبريل 1925، مشار إليه سابقا، ص ص 204 — 205.

24 هذه المباشر وجهها لوطلي إلى باريس في 2 أبريل 1925، فأحبر بها رئيس الحكومة التي يرأس مهام وزير الشؤون الخارجية فوراً الداخلية. AN F7 13171. لقد عر كرماديلس على نفس المباشر موجهة إلى بعض الفرنسيين في فاس

ومكاس وكذا إلى بعض المعاربة في حرسيف وسطا، مشار إليه ألفا، ص. 205
25 SHA MAROC FES AI 530 3715 4، آلة الأُس العام للرباط، رقم 2290 في 26 فبراير 1925

عن استقلالهم وحققهم في تقرير مصيرهم (معاهدة فرساي). إن عمّال وفلاحى فرنسا يعملون من أجل عودتكم الى البلاد وهم ضدّ كلّ الحروب» (26). لقد كانت الشّروط التي انتقلت ضمنها هذه المناشير نحو المغرب موضوع تحريات، سواء في باريس أو في الموانئ المتوسطية، وخاصة في مرسيليا، وقد اعتبر أحدّهم، يُسمّى جان — بابتيسست سالومي، ويُدعى جان — «عين موسكو» حسب الشرطة — هو الذي يُنظّم نقل مُعدّات الدّعاية الشيوعية نحو إفريقيا الشمالية وسوريا (27)، بواسطة بحارة شيوعيين أو متعاطفين (28).

كانت السّلطات إذن في حالة استنفار. وكانت العلاقات المباشرة التي رغب الشيوعيون في إقامتها مع المغاربة مُراقَبة على نحو مُشدّد (29). لقد قرّرَ الحزب إرسال لجنة للتحريّ وجعلَ المؤتمّر العمّالي للمنطقة الباريسية يحتفي بالاقترح. وكان على هذه اللجنة أن تؤكّد للسّكان المغاربة تعاطف عمّال وفلاحى فرنسا ورغبتهم في العمل من أجل سلّم فوري مع الرّيفيين. لكن البعثة التي كان يقودها دوريو (30)، واجهت صعوبات في الابحار على ظهر

26 مرسل بواسطة الرسالة المشار اليها.

27 A.D. — بوش — دو — رون، M 6 10802 (رسالة 7 نونبر 1925 من المفوض الخاص لمرسيليا الى مدير الأمن العام). إنه سيحوض برنار كرانسيرغ، المسمى جاك. ويبدو أن هذا الأخير كان متندا من طرف الأمية الثالثة، حسب كرماديلس، الذي يستند الى بطاقة معلومات للمصالح المختصة، مشار اليه سابقا، الجزء الأول، ص 112.

28 لم يعم تقديم أي مثال من طرف شرطة مرسيليا يدعم هذه التأكيدات، إن لم تكن قضية باناطولي. فهذا الأخير، الذي كان نوبيا على ظهر تارودانت، اعتقل بوهران في 3 دجنبر 1925، حاملا لطرود كانت قد سلمت له في مرسيليا وتتضمن 219 «إعلانات» مطروفا لعدد الكرم كان عليه أن يسلمها الى تاجر بوهران. ولم يقبض التحري الذي تم القيام به الى أية نتيجة : فالمسمى باناطولي، الذي يتمتع «بسمعة طيبة على جميع المستويات»، لم يسبق له أن تورط أبدا في أية حركات سياسية أو نقابية. A.D. — بوش — دو — رون، M 6 10802 (إذانة قضائية لقاضي تحقيق وهران بتاريخ 14 دجنبر 1925 ومراسلة رقم 4107 و 4116 لمفوض شرطة مرسيليا في 30 دجنبر 1925). يبدو لنا طبيعيا أن شكايات تضم ملاحين قد استعملت من طرف الحزب الشيوعي. لذلك، لا يمكننا أن نمنح الثقة لكل معلومات المصالح المختصة التي لم تستند، في معظمها، الى أية واقعة واضحة.

29 أرسل الأمن العام الى والي بوش — دو — رون نسخة من رسالة موجهة الى شيوعي من روين من طرف جان كوهف، أمين صندوق النقابة الاتحادية للمسجلين المحررين لهذه المدينة. فقد أراد هذا الأخير، الذي كان يوجد بطريقة عابرة في مرسيليا، الإخبار على ظهر سفينة كانت تنقل الجنود الى المغرب : «هناك ما يمكن فعله، كتب يقول، فقط ينبغي الانتباه، فالشرطة كثيفة حتى على ظهر الباخرة». الأرشيفات المقاطعية، بوش — دو — رون، M 6 10802 رسالة رقم 5288 في 27 يونيو 1925). ويبدو أنه بلغ قصده، لأنه يذكر، في مارس 1926، خلال لقاء نظم بهوردو، يسفر قام به من مرسيليا الى المغرب، على ظهر سفينة كانت تنقل 1500 جنديا. لقد أكد بأن بعض الجنود أنشؤوا الأمية بمصاح كبير بحضور حترالين و 150 ضابطا وأن هؤلاء لم يتمكنوا من منع هذه المظاهرة. AN F7 13104 (حيرويد)، محضر الاجتماع العمومي في 27 مارس 1926).

30 في الأصل، كان على المهمة أن تضم سبعة أشخاص، أي برلمانيا واحدا (شيوعيا)، وامرأة (شيوعية) و شيوعيا شابا، واشتراكيا، وعضوين من ج.ت.ت. الوحدوية، عضوا واحدا من ال.س.ج.ت. ولم يتمكن الاشتراكي وأحد «الاتحاديين» الاثنى من الذهاب، كما عرضت لومانيي في 4 أكتوبر 1925، دون أن تعطي مع ذلك التريكة المضبوطة للجنة. إننا

باخرة متوجّهة الى المغرب، وكان عليها أن تُغيّر، خلال مرّتين، حُطَّ سَيرِها قبل أن تتوجّه الى وهران. وهناك، صار عليها أن تكتفي بالبقاء في التراب الجزائري. هذا ما أفهمها إياه رجال البوليس الذين تعقبوها انطلاقاً من مرسيليا. وقبل ذلك ببضعة أسابيع، كان دَرَكُ تلمسان قد اعتقل بيب فرناند، عضو هيئة تحرير لومانيي، في اللحظة التي كان يغيّر فيها الحدود المغربية رفقة فرنسي آخر ورهفيين (31).

المساعدة الشيوعية لعبد الكريم

لقد روينّا بتفصيل، من جهة أخرى، الاعتقال المتبوع بالطرد من المغرب الذي تعرض له بعض المناضلين المشبوهين بكونهم شاركوا في دعاية شيوعية لصالح عبد الكريم الحماية. هل ينبغي المُضيّ أبعد من هذا؟ هل يجب علينا أن نعتبر بأنه بالرغم من غياب تنظيم قوّي منغرس في إفريقيا الشّمالية له نقط اتّصال في المغرب (32)، بَدَل الشيوعيون الفرنسيون مُسَاعَدَةً مباشرة للرّيفيين، سواءً بمدّهم بأسلحةٍ وَ جَعَلِ مُدَرِّبين عسكريين تحت تصرّفهم، أو بإثارة حركات تآخي في جبهة المُحاربين؟ للإجابة عن هذه الأسئلة، وخاصةً السؤال الأوّل، نتوفّر على ثلاثة مصادر للمعلومات ذات قيمة غير مُتساوية: مُذكرات المصالح المُحتَصَنة، تُصريحات القادة السياسيين الفرنسيين، والتقارير المُنجزّة من طرف العسكريين المُرابطين في المغرب.

معرف هذه الأخيرة بواسطة رقيات المفوض الخاص لمرساليا: وتضم دوريو، هنري دارلي، فيلكس لودرو من س.ح.ت، ألبير جوريف، أنطونان دورا ولوسيان ماران. AN F7 13090 (رقية 29 عشت 1925) 13175 (بوش — دو — رود، رقية 30 غشت 1925).

31 يبار فيوان، من مواليد الجزائر في 1898، سككي سيدي لصاص، وهو ماضل شيوعي وتقالى. بعد أن طرد في 1924، تم ضمه الى هيئة تحرير لومانيي. وقد ربط علاقة مع أحدهم يدعى حيرما، وهو رجل أعمال له نواحيات في المغرب مع شركات زراعية تدعمها الإقامة وأتى يطلب من لومانيي أن تقوم عملة لصالحه! لقد اقترح عليه حيرما أن يشركه في شؤبه؛ فقل فيوان من حيث المبدأ وطلب عطلة من جريحته للذهاب الى الجزائر. وهناك التقى من حديد في فاتح يويو 1925 حيرما الذي كان، قبل ذلك، قد وكل من طرف مجموعة مالية لكي يحصل من عبد الكريم على تارلات محمية. وقد اعتقلا عمفية، رفقة اثنين من الريفيين كانا عائلتين الى البلاد بعد أن اشتعلا كحصاديين في المنطقة الوهرانية. حسب عصر استطاق فيوان من طرف الشرطة القصصالية لتلمسان، بتاريخ 13 يويو 1925. AN F7 13188.

32 «في مكثنا أن جعل نهاية حرب الريف لصالحنا، أكد دوريو أمام اللجنة المركزية للحزب الشيوعي، لو في إسكانا أن نوسع عملاً في شمال إفريقيا حيث كان سيكون لدينا قيادة وحيدة لخمسة المطقة (...) ثلاث قيادات (توس، الجزائر، وهران) ليست في صالحنا تماماً». أضيفات معهد موريس — طوريل — السلسلة 94، (معرض احتياج اللجنة المركزية لـ 19 شتير 1925).

وجهة نظر المصالح المختصة والتصريحات الحكومية

لقد جُهِّدت المصالح المختصة لتأكيد أطروحة مساعدة أجنبية قوية للزيميين. وفيما يتعلق بالتدخل الشيوعي اتهمت الأهمية مثلما اتهمت الحزب الفرنسي. لقد دأبت دورها على نشر وثائق صادرة عن الكومترن. هكذا تدعو رسالة بعث بها السكرتير العام للجنة التنفيذية للأهمية الشيوعية إلى رئيس الفرع المناهض للاستعمار في 3 يناير 1925 هذا الأخير إلى التفكير في إنشاء فرع خاص يكون عليه «دَعْمُ الحركة الوطنية في المَغْرِبَيْنِ معاً» (33). وفي تقرير لزيروفيف نوقش في 31 يناير، يبدو أن هذا الأخير قد اعتبر اللحظة مواتية للعمل في المغرب: «إن عبد الكريم سرعة فلا يزوجها ولي آخر ولا القاضي إلا لعارض، لأن أباهما بمنزلة الحاضر في البلد انقطع خبره فلا يزوج القاضي بنته إلا بعد إثبات سبب ال، وستؤدي هذه الهزيمة إلى تغييرات داخلية في إسبانيا، منها سقوط الحكومة والنظام الملكي. وسيخلو الجو حينئذ لموسكو لتركز عملها ضد فرنسا. فبدعكنا، أضاف زيروفيف على ما يبدو، سيخلق عبد الكريم بإعلانه الحرب تعقيدات خطيرة لفرنسا. إنه أخذ المؤهلين المهيمنين الذي تتوفر عليه ضد هذا البلد وستستعمله» (34). وفي 12 مايو، يبدو أن رئيس الأهمية قد كتب أيضاً: «إن وكالة الفرع العسكري للجنة التنفيذية مُزوَّدة بأعوان أكفاء ومُعَدَّات دعائية للتأثير الفعال (كذا) على القبائل المتمردة. لقد دَخَلْنَا في اتصال مع القيادة العليا للمتمردين وعملنا في الجهة في متبى التنظيم» (35). إن مصداقية هذه الوثائق مشكوك فيها، هذا أقل ما يمكن أن يُقال (36)، لكنها مُبلَّغة على سبيل «السُرِّ»، وانتشارها مُنظَّم بِحَرَصٍ كبير، سواءً بين

33 AN SOM Aff.polit.2415 (ملكرة حول الدعاية الثورية التي هم بلدان ما وراء البحار، 30 أبريل 1925).
34 نفسه.

35 1-13413-7 AN F7، ملكرة الأمن العام لـ 15 يونيو 1925، تقدم «ترجمة وثيقة مرفوعة من طرف زيروفيف»، إن هذه الوثيقة التي مرجعها «اللجنة التنفيذية للأهمية الثالثة، الفرع الإسلامي، موسكو — الكرملين، 12 مايو 1925، رقم 7816/426» موجهة «إلى المكتب المركزي الأجنبي للفرع الإسلامي بولن مع نسخ إلى فرع المديريين بباريس وإلى الفريق درويان بقسطنطينة».

36 إن الوثيقتين الأتيتين ليوحي 3 و 31 يناير 1925 مقتطعتان في الواقع من تقارير أو تصريحات مسوبة إلى زيروفيف وتوجد في ثايبا ملكرة للمصالح المختصة ثم إعدادها خاصة استناداً إلى معلومات مرسلة من طرف «مصلحة الاستعلامات لقوة أجنبية»؛ ويتعلق الأمر احتمالاً بمصلحة الاستعلامات الأسبانية. بخلاف ذلك، تم تبليغ نص رسالة 12 مايو 1925 من طرف المصالح، لكنه استيعب هامشاً خطياً من ديوان مدير الأمن العام الذي وضع: «تبدو (محددة عليه في النص) هذه الوثيقة مضبوطة، لكنها لا يمكن أن تؤكد بعد صحتها: سيتم إجراء أبحاث بهذا الصدد». في العمق، تم عملنا فقرتان من هذه الرسالة لفكر في محددة. لزيروفيف يطلب من مراسليه إقامة «صلة مع صحافة المهاجرين البيض لانتارة حلة دفاع من الجنود والعباط الروس الذين يتكاثرون بالآلاف في الميادين المغربية». من جهة أخرى ينصحهم بأن يصرفوا «بهدر، جاهلين الفوضويين وصحافتهم». في المقدمة.

هيات تحرير بعض الجرائد أو في الأوساط البرلمانية (37)، ولم يتردد بانلوفي في قراءتها من أعلى منصة المجلس (38). لقد ورطت المصالح المختصة الحزب الشيوعي الفرنسي مباشرة في تنفيذ المساعدة المبلولة لعبد الكريم. ويختلف اختيار المركز حيث نُخِزَت المَعِدَّات المُوَجَّهة للزعيم الريفى حسب المُجْبِرِينَ. لقد تمت الإشارة في الغالب إلى مرسيليا (39) ولكن أيضا إلى نيس وكورسيكا (40) أو حتى تولوز (41). غير أن تَوَع المساعدة بالضبط لم يُوضَّح دائما. هل تعلق الأمر بإرسال أسلحة أو حتى مقاتلين للقبائل المتمردة كما تؤكد ذلك لاليري؟ لقد أجاب والي ال بوش — دو — رون، عندما سُئِل من طرف وزير الداخلية بأن المعلومات المُعطاة من طرف هذه الجريدة هي إما مغلوطة أو مستحيلة المراجعة (42).

في الواقع، كانت الاتهامات الأكثر وضوحاً والمتعلقة بالتدخل الأجنبي في الريف، تستهدف الإنجليز والألمان، أساساً. فقد اتهمت المصالح المختصة الأوائل على الخصوص بتسليم الأسلحة لعبد الكريم (43)، واتهمت ألمانيا بإرسال عددٍ مُذهِل من المُدَرِّبين العسكريين (44). كما أن تواطؤ الشيوعيين مع الألمان والأتراك كان موضوعا لبعض المذكرات (45). فالريف كوميتي، وهو جهازٌ يُسيو بريطانيون، يتضمَّن بين أعضائه، حَسَب تلك المذكرات، عناصر

- 37 مذكرة الأمن العام لـ 15 يونيو 1925، المشار إليها سابقا.
- 38 لقد قرأ رئيس المجلس نص التصريحات المسبوبة إلى زينويف في 31 يناير 1925، والتي أشرنا إليه أعلاه. ولم يصف إليها ولم ينقص منها كلمة واحدة، دون أن يقول طعنا بأن الأمر يتعلق بوثيقة للمصالح المختصة. مناقشات المجلس، جلسة 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص ص 2759 — 2762. وبعد أن أكد دوريو بأن الأمر يتعلق بوثيقة مزورة (نفسه، ص 2765) أكد بانلوفي بأن النص الذي قرا مقتطف من عرض جلسات اللجنة التنفيذية للأمية الشيوعية، دون أن يعطي مرجعه (نفسه، ص 2780). خلال ذلك، صرح روزنديل: «أريد أن أسلم بأن منها (الوثائق) ما يمكن التشكيك في صحته. إنني أشير إلى خطاب زينويف، بالرغم من أننا إذا استغنيا المصادر، فإنه لن يصعب علينا العثور على نصوص لزينويف ولقادة آخرين للأمية الثالثة تتضمن التعليمات التي أشرت إليها بالضبط وهي مشابهة بالخصوص لتعليمات هذه الوثيقة التي سميتها مزورة» (نفسه، ص 2778).
- 39 A.D بوش — دو — رون، M 6 10803 (رسالة وزير الداخلية لـ 4 أبريل 1925) AN F7 13413-1 (مذكرتا 6 يونيو و 23 أكتوبر 1925).
- 40 AN F7 13413-1 (مذكرتا 21 مايو و 9 يوليو 1925).
- 41 بفضل استعماله من أجل العمل في الحرب الإسباني مذكرة حول الدعاية القوية التي يعم بلدان ما وراء البحار لـ 30 1925، المشار إليها سابقا.
- 42 AN F7 13413-2 (رسالة رقم 421 في 13 فبراير 1926).
- 43 عن النشاطات المنسوبة إلى كوردون كانيف، غاردينز و Riff Committee، أنظر الأرشيفات العسكرية (مثلا SHA VM E 24) وكلنا أرشيفات الشرطة (مثلا AN F7 13413 و APP BA 1678)
- 44 أنظر SHA VM E 24 (رسائل ومذكرات مختلفة)
- 45 AN F7 13413.

شيوعية (46). حتى أن دوريو نفسه، اعتبر الأمر من جهته وإقماً وهناً نفسه أمام اللجنة المركزية على هذا التعاون بين «رفاق شيوعيين، ورأسماليين»، لكن دون أن يكون قوله مُقنعاً جداً (47). وأمام اللجان البرلمانية، ألهم مسؤولو السياسة الفرنسية أيضاً المساعدات الأجنبية التي يستفيد منها الريفيون، لكن بطريقة أكثر اقتراناً، ولم يكن أمامهم أن يصدقوا حرفياً كل معلومات المصالح المُختصة التي أتينا على ذكرها. ومع ذلك، كيف كان بإمكانهم ألا يتأثروا بتواترها؟ فقبل الهجوم، اقتصر هيرو على الإشارة بأن عبد الكريم «مدعوم بتعزيزات بالمال أو السلاح، آتية في جانب منها من إنجلترا وفي الجانب الآخر من تركيا. لقد تلقينا، في هذه الأيام، ختم قائلًا، معلومات في متهى الدقة» (48). بَعْدَ أشهرٍ من ذلك، كان بانلوفي أقل رزانة في وصفه لبطانة الزعيم الريفي: «عصابة من أولئك الذين سميتهم باللامأجورين: ضباط الجيوش الألمانية، والروسية والتركية، ووطنيين مضربين. إننا نجد هنا مُمثلين عن كل الطموحات، كل الاستياءات، وبالأخص كل المغامرات» (49). أمّا بريان، فبدا عندما سئل بدوره منشغلاً قبل كل شيء بالحفاظ على العلاقات الفرنسية التركية، والفرنسية الألمانية. وقد كَذَّب وجود علاقات بين عبد الكريم وحكومة أنقرة. فليس هناك، وضَّح قائلًا، سوى ضابطَيْن وضابط صَفَ مَطْرُودين من تركيا يقَاتِلون لدى الريفيين. إن العناصر الأجنبية الرئيسية من أصل ألماني: وهم فارون من الفيلق الأجنبي الإسباني. لكن الحديث عن تدخل ما لألمانيا في الريف غير صحيح (50). هكذا امتنع القادة الفرنسيون عن اتهام التدخل السوفياتي مع أنه كان في إمكانهم ذلك. لقد تَوَحَّوا التمييز بين تشجيعات الدعاية الشيوعية

46 يبدو أن الريف كوميته كان يضم بين أعضائه آرترفيد، كانيغام وغراهام. ويعتبر كرماديلس الأول عصوا للحزب الشيوعي، والآخرين متعاطفين، مفار إليه، الجزء الأول ص 213، هامش 1؛ أنظر أيضا AN F 7 13413-1 (رسالة الشؤون الخارجية إلى الداخلية رقم 600 لـ 26 غشت 1925).

47 «لقد حصل عبد الكريم على مساعدة حد فعالة من طرف الدول التي تشارك بطريقة في الحرب، أقصد من طرف إنجلترا. فكل السياسة الإنجليزية منصبة على اللعب مع فرنسا والريف الذي دخل إليه رفاقا الشيوعيون، ودخل إليه الرأسماليون، فمع استعمال هذه اللجنة لفرض مساعدة لعبد الكريم. إن عبد الكريم لم يفقد كل صلة بالعالم الخارجي ويمكن القول بأن الحصار الذي تم حلقه حول الريف لم يكن له الأثر الكلي الذي كان مرتقبا من الجانب الفرنسي والجانب الإسباني»، أرشيفات معهد موريس - طويريز، السلسلة 142، (محضر اللجنة المركزية الموسعة لـ 6 - 8 أبريل 1926).

48 مجلس النواب، لجنة المالية، جلسة 17 أكتوبر 1924. لم يصف هيرو شيئا آخر. لنسجل بأنه كان قد تلقى، قبل بضعة أيام، في الكي دورساي الذي كان يتحمل مسؤوليته، إبلاغا من الإقامة العامة للرباط عن «الاضطرابات الإنجليزية في المغرب»، مؤكدا على أن الهدف المقصود من طرف إنجلترا هو «إبعاد فرنسا من مضيق حل طارق بأي ثمن»، SHA VM E 24 (رسالة أوربان ملا، رقم 1916 في 10 أكتوبر 1924).

49 مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، جلسة 17 يونيو 1925.

50 نفسه، جلسة فاتح يوليوز 1925.

والمُساعدات الفعلية التي أمكن للرّيفيين أن يستفيدوا منها. فَبَعْدَ تصرّح برهان الذي أتينا على ذكره، وَضَحَ وزير الشؤون الخارجية رأيَه أمام مجلس الشيوخ : إنّه لا يمكنه أن يَعتَبر مقالات الصحف الشيوعية مُورَطةً للحكومة السوفياتية، وعندما قاطعه أحد أعضاء المجلس : «والمال الذي يُرسِل ؟»، أجاب برهان : «أَنْ يَتِمَّ تأكيدُ احتمالي شيء، وأن يعمد وزيرُ للشؤون الخارجية، من ديوانه، إلى ذِكر أمر واقع شيء آخر» (51). أما البعثة البرلمانية التي أُرْسِلَتْ إلى المغرب مِنْ طرف لجنة الجيش بالمجلس فكانت أكثر حَذَرًا. لقد امتنعت في تقريرها عن القيام بأدنى إشارةٍ للمساعدات الأجنبية التي أمكن لعبد الكريم أن يتلقاها (52).

شهادة العسكريين

لا شيء مما أتينا على ذكره، يبدو مُقنِعاً على نَحْوِ قطعي. إنه ل يبدو لنا مُتَحَمَلاً، لحد الآن، أن تكون الحملة الشيوعية قد اقتضرت على الدّعاية ولم تُفضِ إلى مُساعدَةٍ عسكرية حقيقية لعبد الكريم. لكن لا يمكن أن تُنَحّي كلياً فرضية إرسال الأسلحة والدّخيرة والمتطوعين. وهذا معناه أن تُنظِّماً سريّاً دقيّماً قد تغلّب على المُرَاقبات العسكرية والبوليسية. يبقى إذن أن تُفَحَصَ المُشكِـل من شِقِّه الرّيفي وأن نساأل العسكريين العاملين بالمغرب عن الحضور الشّيعي لدى عبد الكريم. لقد كان عِنْدَ مِنْهُم مُقتنعين، دون ريب، بهذا الحُضور، وعبروا عن ذلك بأفعالهم وأقوالهم. لكن لم يتعلق الأمر في أغلب الحالات سوى برأي لم يُدعّمه أيّ حَدِيث جليّ. بخلاف ذلك، لا يمكننا أن تُنَحّي شهادة بعض ضباط الشؤون الأهلية، الذين مارسوا قيادتهم في منطقتي فاس وتازة. لقد كانوا يتوقّفون، بالفعل، على وسائل استخبارات قريبة بعض الشيء من عبد الكريم. فبطيـب كي دُؤسائه، أعَدَّ القبطان دوكريز، في بداية 1926، تقريراً عن تنظيم الرّعيم الرّيفي. إنّه لا يشير فيه لأيّ دعم شيوعي أو روسي، أو هو دَعَم ذو طبيعة مالية، وحتى بهذا الخصوص، يُقرُّ بأنّ الأمر يتعلق بإشاعة. وعلى الصّعيد العسكري، يسجل بأنّ الأسلحة تردّ من الغنائم، ومن ضمنها مدفعية الميدان (53). ولا يقدم رفاقه، القبطان جاكو، والمُلازِمَان الأوّلان دوسيني وسولاز، رؤساء مختلف مكاتب دائرة تازة الشّمالية، والملازم أوّل مور والضابط المُترجم كوجي من دائرة كرسيف، من جانبهم،

51 مفاوضات مجلس الشيوخ، جلسة 2 يوليوز 1925، المجلد الرسمي، ص ص 1260 — 1272.

52 لقد حرر التقرير، العام المؤرخ، ولكن الذي تم في أوائل يوليوز دون ريب من طرف النائب المحتل كي دوسونجو. SHA VM RIF 10.

53 SHA MAROC AI FES 530 3711 (تقرير القبطان دوكريز، رئيس مصلحة استعلامات باب المروج، في 19 فبراير 1926).

أي توضيح إضافي (54). وقد أجمَل العقيد هيو القول بخصوص المعلومات المتعلقة بمساعدات المتطوعين الأجانب : «لقد جرى الحديث كثيراً عن الأجانب الذين يستعملهم عبد الكريم. من وجهة النظر العسكرية، لا يبدو أن هؤلاء قد تميَّزوا إلا كمُدافعين، وهتافين، ورسامي طرق. إننا لانعرف أحداً منهم تسلَّم نوعاً من القيادة ، ولو شرفية، حتى كليمس الشهير نفسه (كلدا)، الرقيب الفارّ من فيلقنا. وقد استخدم كليمس على الخصوص لخلق نوى تنظيم دفاعي ثم إنشائها في حبهتنا» (55).

بعد استسلام عبد الكريم، أجاب الجنرال دوكان، قائد قوات المغرب، وزير الحربية الذي سأله عن الأجانب «الذين أقاموا في الريف» (56). لقد ميَّز سَبْع فئات : 1. الفارّون من الفيلق الأجنبي الفرنسي، وأخصى مِنْهُمْ اثنين وثلاثين، أغلبهم ألمان، وقد لَبِغُوا دوراً صغيراً جداً، باستثناء الرقبين : أوهم وكليمس، «الوحيدَين اللّذين كانا محل ثقة عبد الكريم»؛ 2. الفارّون من الفيلق الأجنبي الإسباني، وعددهم ثلاثة (57)؛ 3. سبعة فارّين من جنسية فرنسية، من بينهم المدعو بلاسيد جوكس من الفيلق الثالث للمدفعية، الذي «حصل في الريف على دور من المرتبة الثانية، بالأخص لدى القايد حدو، تحت إسم عبد العياشي الاسلامي»؛ 4. أربعة مدنيين فرنسيين، يُعتَبَرُ إثنان منهم، لأكسوتي و كوتور، بمثابة «داعيتين شيوعيتين»؛ 5. جنود أو مدنيون أجانب، من بينهم زيلتكينس، وهو مُقَلَّم من جيش ليتونيا، وقد اعتُقِلَ من طرف الإسبان عندما حاول أن يتوغَّل في الريف (58)، وفانسون شيان، مراسل الدائلي إكسبريس، والروداني، وهو شيوعي إسباني طردَ من إسبانيا بعد إقامة النظام الجديد وهو دجوس كلانين، طبيب من أصل نرويجي، وهو الذي يمكن أن يكون قد زوّد الريفين

54 في الموضوع نفسه.

55 نفسه. تقرير موجه من طرف العقيد هيو، قائد منطقة تازة، الى الجرال القايد الأعلى للقوات المغربية، بواسطة رقم 1042/RT في 5 مارس 1926. ينبغي أن سجل بأنه في 1941، أعد القبطان برمار، الذي كان يعمل بنفسه، تقريراً عن «الأحداث السياسية والعسكرية لـ 1925 - 1926 في منطقة وسط ورغة»، خاصة بالاستناد الى أرشيفات الدائرة، ونحن لانجد فيه أية إشارة الى مساهمة أجنبية، شيوعية أو غيرها، مباشرة أو غير مباشرة، في مشروع عبد الكريم، نفسه. AI FES 522 371.

56 SHA MAROC CSTM المكتب الثاني 620 033. إن طلب الوزير وجه تحت رقم 6918/SR في 19 يوليوز 1926، وتقرير دوغان تحت رقم 3370/2 في 9 أكتوبر 1926.

57 يوضح التقرير أن هناك بالتأكيد هارين آخرين تمكوا من الدخول الى بلدهم الأصلي عبر طنجة. إن كرماديلس يخصي استناداً الى التقارير التي أعدها الحماية، 37 هاربا من الفرقة الأجنبية الفرنسية، تم استردادهم بتاريخ 28 أكتوبر 1924 و 9 تم تسليمهم من طرف الاسان الى الفرنسيين في 1925، مشار اليه سابقا، الجزء الأول.

58 عمل ضد القوات السوفياتية في 1919. انظر لافريك فرانسيل، دحمر 1925، ص ص 653 - 654.

بالأدوية (59)؛ 6. فَارَّان جزائريان أو مغربيان (60)؛ 7. «عُملاء مسلمون»، يُشار إلى حضورهم في الرّيف من باب الاحتمال، لكن لم يحصل ثبوته (61). وقد تحتم الجنرال دوكان قائلاً: «إنّه لِمِمَّا يَلْفُثُ النَّظَرُ أَنْ نلاحظ إلى أيّ حَدٍّ امتنع الدّعاة المُسلمون، أنصار الجامعة الاسلامية، أو شيوعيو مصر، وتونس، والجزائر أو تركيا، بوجه عام، عن المجيء إلى الرّيف واكتفوا بإرسال وُعودٍ كاذبة وإعاناتٍ ماليةٍ تظلُّ أهميتها مشكوكاً فيها. لقد دُعم عبد الكريم بكلّ تأكيد وبفعالية أكبر من طرف الدّعاة والصحافة الأوربية مِنْهُ من طرف إخوانه المُسلمين.»

التآخي بالأفعال

كانت مشاركة الشيوعيين المدنيين في مشروع عبد الكريم، كما تُستخلص من هذه التقارير إذن محدودة جداً. لَنُضيفَ بأنّه لو كان في أرشيفات عبد الكريم، التي اختُزِنَتْ بعد استسلام الزعيم الرّيفي، أقلُّ شيءٍ يمكن مِنْ تَجَرِيعِهِمْ، لَمَّا تَوَرَّعَتِ السُّلْطَاتُ الفرنسية عن استغلاله. يبقى أن نتساءل عن نصيب الدّعاية الشيوعية في انتقال العسكريين إلى صُفوف عبد الكريم. إننا نستعمل هذا التعبير عن قَصْدٍ، إذ أننا نعلم أن الحزب الشيوعي الفرنسي كان يُلْحَقُ على كونه ضيِّدٌ مجرد الفرار من الجيش ويوصي بتآخي الجنود. لقد أكَدَّ بانلوفي في يونيو 1925، أمام المجلس، بأن لا عِلْمٌ لَدَيْهِ سوى بواقعة عَصِيانٍ واحدة: ففي مركزٍ مطوّقٍ، قَتَلَ الجنود الأهالي ضابط صفّهم الفرنسي وقبِلُوا ضابط الصفّ الجزائري، وسَلِمُوا أنفسهم للرّيفيين (62). نشر ييار سيلور بعد سنة من ذلك، في دفاتر البلشفية قائمة أكثر مدعاة للاندھاش حول التآخي. فهو يُوَكِّدُ بأن ثلاث كتائب انضمتْ بأسلحتها وأمتعتها إلى الرّيفيين، منها كتيبتان تنتميان للفيلق الأجنبي والكتيبة الثالثة للفوج 61 من القناصة المغاربة (63)، وبعد ذلك اقْتَدَتْ بها فصيلةٌ من القناصة الجزائريين وهذا أضاف قائلاً، دون إحصاء

59 تليه أسماء عدد من الأشخاص، المعروفين حيناً لدى المصالح المختصة، مهم عملهم (سارل، ماندي، عارديز، كانيغ، ولانغل وإيطالين (موريا، مالوسي، وماكري).

60 هذا الرقم، المزيل بغرابة، هو بعيد جداً عن الاحتمال، لكن التقرير يوضح بأن هناك «كثيراً من المشوهين».

61 من بينهم مغربيان: الحاج بوعزة بن عبد السلام، الذي أقام تنوس، والحاج الحيلالي، من أصل ريفي، استقر في القاهرة، وأحمد المصري، حسن مطري، وهو صحفي، لاحقاً بسويسرا.

62 كان المركز يضم حوالي عشرين جندياً أهلياً واثنين من المدفعية الفرنسيين، وقد قتل هذان الأخيران بينوان الريفيين مناقشات المجلس، 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2760.

63 هُنا الأخير، المكون من ستائة رجلاً، سلم نفسه للرّيفيين حسب سيلور بعد أن قتل صباطه.

التمردات التي وقعت في العديد من المراكز حيث سُجِّلَ رفضُ بعض الجنود للقتال وتقييدهم لضباطهم. لقد تمت حركات التآخي هذه التي هُمَّتْ بِضَنَعِ مَثَابٍ من الأشخاص، حسب المؤلف، في أغلبها، قبل شهر غشت 1925 (64). آيَةُ ثِقَةٍ يُمْكِنُ وَضْعُهَا فِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ ؟ لِنُسَجِّلْ فِي الْبِدَايَةِ، بَأَن لِمَقَالِ سِيلُورِ جَانِباً سِيَجَالِيّاً : لَقَدْ تَعَلَّقَ الْأَمْرُ بِالرَّدِّ عَلَى سَانَ — جَاك الَّذِي انْتَقَدَ شَعَارَاتِ الْحَزْبِ وَبِالْبَهْنَةِ عَلَى أَنَّ التَّآخِيَّ نَجَحَ جَيِّداً. أَوْ لَمْ يَغَالِ فِي بَرَهْنَتِهِ ؟ هَذَا مَا بَدَأَ أَنَّ أَغْلَبَ الْقَادَةِ يَعْتَقِدُونَهُ، لِأَنَّهُ لَمْ يَتِمَّ الْعَثُورُ، بَعْدَ ذَلِكَ، عَلَى آيَةِ إِشَارَةِ لِحَرَكَةٍ بِالْأَهْمِيَةِ الَّتِي وَصَفَ، فِي مُخْتَلَفِ مُرَاسَلَاتِ الْعَمَلِ الْمُعَادِي لِلتَّزَعَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ وَالْمُعَادِي لِلْإِسْتِعْمَارِ الَّذِي خَاضَهُ الْحَزْبُ (65). أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، عِنْدَمَا قَدَّمَ دُورِيُو أَمَامَ اللِّجْنَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ الْمَعْلُومَاتِ الَّتِي أَمَكَّنَتْهُ اسْتِقْوَامُهَا خِلَالَ سَفَرِهِ فِي الْجَزَائِرِ، بَدَأَ مَنشَغِلاً عَلَى الْخُصُوصِ بِالْمَصَاعِبِ الَّتِي تَعْتَرِضُ تَطْبِيقَ شَعَارِ التَّآخِيِّ، وَهَذَا بِالرَّغْمِ مِنْ كَوْنِ الْجُنُودِ ضَيْدَ الْحَزْبِ : «لَقَدْ مَلُوْهَا». لِنُورِدْ هُنَا نَصَّ مَحْضَرِ اللِّجْنَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ : «لَانْدِرِي إِذَا كَانَ الرِّيفِيُّونَ أَمَامَ الضُّبَابِ الْفَرَنْسِيِّينَ هُمْ الَّذِينَ خَرَبُوا كُلَّ الدَّعَايَةِ الَّتِي قَمْنَا بِهَا لِصَالِحِ التَّآخِيِّ. لَقَدْ عُرِضَتْ (كَذَا) أَمَامَ الْمُقَاتِلِينَ جِشَتِ الْجُنُودِ الْفَرَنْسِيِّينَ الْقَتْلَى، يَبْطُونُ مَبْقُورَةً، وَمَصَارِينُ مَنْدَلَقَةٍ، يُمْكِنُنَا الْقَوْلُ أَنَّ هَذَا أَفْضَلُ سِلَاحٍ لِلدَّعَايَةِ الْفَرَنْسِيَّةِ ضَيْدَ شَعَارِنَا : التَّآخِيِّ. إِنَّهُ وَضِعَ يَنْبَغِي أَنْخَذَهُ بَعَيْنِ الْإِعْتِبَارِ». رَغْمَ ذَلِكَ، نَحْتَمِ دُورِيُو قَائِلاً، «سَجَّلْنَا بَعْضَ حَالَاتِ التَّآخِيِّ» (66). بَعْضُ الْحَالَاتِ وَلَيْسَ كِتَابُ بَأَكْمَلِهَا. وَفِي أِبْرِيلِ 1926، أَكَّدَ نَائِبُ سَانَ — دُونِي بِأَنَّهُ مِنَ الضَّرُورِيِّ مُوَاصِلَةَ «تَرْوِيحِ شَعَارِ التَّآخِيِّ، لِأَنَّ وَضْعَ الْجُنُودِ أَسْوَأَ بِكَثِيرٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَاضِيَةِ. وَلِأَنَّ هَذَا الشَّعَارَ قَدْ تَغْلَغَلَ»، لَكِنَّهُ لَمْ يَذِلْ بِأَيِّ مِثَالٍ يُدْعَمُ تَأْكِيدُهُ؛ بَلْ اِكْتَفَى بِالْإِذْلَاءِ بِتَقْدِيرَاتِ أَحَدِ مُرَاسِلِيهِ الْجَزَائِرِيِّينَ حَوْلَ عَقْلِيَّةِ الْجُنُودِ (67). بَعْدَ شَهْرَيْنِ مِنْ ذَلِكَ، أَقْرَضَ ضَمْنِيَا أَمَامَ الْمُؤْتَمَرِ الْوِطْنِيِّ لِلْحَزْبِ، بِأَنَّ حَالَاتِ التَّآخِيِّ كَانَتْ اسْتِثْنَائِيَّةً (68). وَتَوَكَّدَ اسْتِجَوَابَاتُ الْفَارِيزِ الْمُعْتَقِلِينَ فِي الْمَعْسَكِ الرِّيفِيِّ الَّتِي أَمَكَّنْنَا فَحْصَهَا هَذَا الْاسْتِنْتَاجُ : فَهِيَ لَمْ تَكْشِفْ عَنْ أَيِّ حَافِزٍ ذِي طَائِعٍ سِيَاسِيٍّ، أَوْ

64 دَفَاتِرُ اللَّشْخَلِيَّةِ، 15 غُشْتَ 1926، ص 1660 — 1662.

65 يَدُو لَنَا الْكِتَابُ الصَّغِيرَ الْمَشْهُورَ مِنْ طَرَفِ لِنَوَالِيَةِ الشَّيْعِيَّاتِ الشُّيُوعِيَّةِ فِي 1927 : إِلَيْكَ أَيَا الْمَجْنُونِ إِلَيْكُمْ أَيَا الشَّهَالُونِ ! (AN F7 13183) وَالْمُخَصَّصَ بِأَكْمَلِهِ لِلدَّعَايَةِ الْمُعَادِيَةِ لِلتَّزَعَةِ الْعَسْكَرِيَّةِ ذُو دَلَالَةٍ كَبِيرَةٍ. لَقَدْ امْتَدَحَ التَّآخِيَّ، كَ «سِلَاحٍ حَقِيقِيِّ لِلتَّصَالِ الْوُثْرِيِّ» وَأَوْرَدَ الْأَمْثِلَةَ فِي بَعْضَةِ أَسْطُرٍ : كُورْمُوَّةُ نَابِرِسْ، الْجُنُودُ الْوُثْرِيُّ فِي 1917، مَلَاوُحُ الْبَحْرِ الْأَسْوَدِ، وَفِي 1923 هُنَاكَ الْجُنُودُ الْفَرَنْسِيِّينَ الَّذِينَ كَانُوا يَحْتَلُونَ الْوُثْرَ وَالَّذِينَ تَأَخَّوْا مَعَ الْعَمَالِ الْأَثَلَاءِ. وَلَيْسَتْ هُنَاكَ أَدْنَى إِشَارَةٍ لِحَرْبِ الرِّيفِ.

66 أَرْضِيَّاتُ مَعْهَدِ مَوْرِيسَ — طُورِيُو، السَّلْسَلَةُ 94، (مَحْضَرُ اللِّجْنَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ لـ 29 شَتْتِ 1925).

67 نَفْسُهُ، السَّلْسَلَةُ 142، (مَحْضَرُ اللِّجْنَةِ الْمَرْكَزِيَّةِ الْمَوْسَعَةِ لِأَيَّامِ 6 — 8 أِبْرِيلِ 1926).

68 الْمُؤْتَمَرُ الْوِطْنِيُّ الْخَامِسُ لِلْحَزْبِ الشُّيُوعِيِّ الْفَرَنْسِيِّ، لَيْلَ 20 — 26 يُونِيُو 1926، عَرْضُ، ص 200 — 201.

على الأقل من هذا الطراز (69). فضلاً عن ذلك، يبدو لنا أن مما له دلالة أن الحزب الشيوعي، المنتبه للمحاكمات السياسية، لم يستوقفه من المحكومين العسكريين، خارج نائري الكوربي، سوى جوكس، وتيسران وبالأخص كليمس. مع أننا لم نقنع مطلقاً بكون الرقيب الفيلقي الألماني الشهير، يمثل نموذجاً جيداً لسياسة التآخي وذلك رغم الرغبة العميقة للحزب الشيوعي في الدفاع عنه (70).

في الختام، نعتبر أن التآخي كان ظاهرة لم تُمكن ملاحظتها في الجبهة الريفية سوى في عدد قليل من الحالات، واهتمت على الأكثر بعض المراكز التي كانت تضم في المجموع بضعة عشرات من الرجال (71). أما التصريحات المعاكسة لهذا الواقع والتي أدلى بها زينوفييف أمام مجلس الأمة، فمردها لطابع المغالاة الأحق بهذا القائد الشيوعي (72). ومن الممكن أن تكون الدعاية الشيوعية قد أثرت، بلا مرأى، في سلوك الجنود في المغرب بمضاعفتها لحالات العصيان. هذا ما يُستنتج من تصريح ليارتو، وزير العدل، الذي عاد للأحداث بعد سنة من استسلام عبد الكريم، بمناسبة نقاش تم تنظيمه من طرف المجلس حول التحريض الشيوعي، خصوصاً في الجيش. لقد استشهد بإحصاء وضعه وزير الحرية ارتفع فيه عدد العسكريين المحكومين «لخالفهم النظام»، بين فاتح يناير 1925 و 31 يوليو 1926، أي خلال الفترة المطابقة بشكل ملموس للعمليات ضد الريف، إلى رقم 1371. ويبدو أن هذا الرقم يهم خصوصاً جنود المغرب (73). وإذا قارناه بالإشارات التي سبق أن أعطيناها، والمتعلقة بالعقوبات المتخذة

69 SHA VM RIF 3 و 4.

70 كمحمد في 1912 في الفرقة الأحسية الفرنسية، شارك في عمليات «إخماد العن» ثم مر في 1920، والتحق إلى سي ورايس، وحمل نفسه في خدمة عبد الكريم في 1923، أي في فترة لم يكن فيها بين الرعي الرعي والقوات الفرنسية أي نزاع لاثني، في قصة هذا المغامر يسمح بافتراض أنه تصرف عن قناعة سياسية. انظر لافريك فرانسوا، يونيو 1926، ص 305 — 308، التي استندت إلى شهادة فاسود شيان، وهو صحفي أمريكي أقام في الريف.

71 نلاحظ بأن بعض الصحفيين، المتعقبن لهذا النوع من الأبحاث والمستعدين لتضخيم أصغر حادث، لم يذكروا أية حالة للتآخي، انظر ح. لادري دولاشاير، حلم عبد الكريم، باريس 1925، وليفيس الكاتب، الشيوعية والمغرب الشمالية، 1929. ويشير روبر — رايو إلى «سبق كامل للدعاية حيث تصل الروح الإيمانية إلى حد الحياة»، الدعاية الشيوعية في المغرب الشمالية، باريس، 1926، ص 22، لكنه لم يعط أي توضيح. ولا حد أية إضافة في المقالات الصحفية التي خصصتها لافريك فرانسوا للعمليات العسكرية ولا في مقالات أوعست تيجي عن «إخوة» ساحل الريف (دحبر 1925 — يونيو 1926).

72 إنه يورد، أقوال «شخصية في متني الكفاة ومأدونة في العالم الساسي» توحد باريس «أحد إياها حسابه، وحسب هذه الشخصية «أحد الفرار الحماشي أحكاماً لم يسبق أن لوحظت أنفاً (التشديد في النص) في أية حرب حتى الآن. بل لقد كانت هناك حالات انتقلت فيها معرويات بأكلها إلى الخصم»، دورة اللجنة التنفيذية الموسعة الجلسة الثانية لـ 20 فبراير 1926، مراسلة دولية، 9 مارس 1926، ص 274.

73 AN F7 13099.

ضيد العسكريين داخل البلاد، يبدو لنا مرتفعاً بشكل خاص. ومع ذلك، سيكون من باب التعسف إقامة ربط خاص بين التحريض المقموع على هذا النحو والحملة الشيوعية. وبإمكاننا على الأكثر القبول بتأكيد بانلوفي الذي يرى بأنه «من غير المشكوك فيه أن (هذه الحملة) قد أثرت على المخالفات الخطيرة للنظام وللواجب العسكري» (١٧٤)، مع ملاحظته أنه في غياب وثائق أكثر وضوحاً (١٧٥)، لا شيء يسمح بقياس هذا التأثير.



في بداية 1927، عندما استقبلت عصبة حقوق الانسان نيتيك، سألته الاشتراكي كرومباش إن كانت تُوجد «براهين قطعية على التدخّل الشيوعي في الرّيف». فاكتمى المُقيم العام في المغرب، وكأنه جوزيف بر دوم جديد ١٠، بالاجابة : «لم ألاحظ شخصياً أي تدخّل شيوعي في الرّيف. لكنني أعرف بأن الشيوعيين استغلّوا أحداث الرّيف» (١٧٦). ويعدّ عشر سنوات من ذلك، عندما تحدّث روبير مونطاني الى مُوظّفين للسلطة عامليّن في إفريقيا الشمالية، أجمّل القول حول المساعدات الأجنبية التي يمكن أن يكون عبد الكريم قد استفاد منها. لقد اعتبر التدخّلات الأنجليزية والألمانية جديدة بالاهمال، ولم يعتقد أن من المُجدي الإشارة حتّى للعلوّ الذي أمكّن تقديمه من طرف السوفييات أو من طرف منظمّات شيوعية. وتحتّم مُدير مركز الدراسات العليا الادارية الاسلامية قائلاً : «لقد قيل كثيراً بأن عبد الكريم سُوّع من الخارج. إنّها واحدة من غرابياتنا المعتادة أو تُفسّر بأسباب خارجية ما عجزنا عن تفسيره بأسباب داخلية» (١٧٧).

القمع

«إن الشيوعيين يطعنون جنودنا من الخلف. ماذا تنتظر الحكومة لكي تتصرّف بقوة في باريس، معقل الدّعاية الاجرامية؟»، هكذا كتبت لافيكنتوار، جريدة كوستاف هيرفي،

74 مناقشات المجلس، 10 يونيو 1927، الجريدة الرسمية، ص 1834.

75 يجمع الاحصاء الذي يذكره الوزير المقبولات الحفيلة والأحكام القاسية. وعادة «حرق النظام» نفسها ملتصقة • فبمحصر المعنى، تبدو قاصرة على مفادرات المنصب أو على حركات تأغي التي تعبر عن حالة حسب القانون العسكري. وحده تفحص أرسيفات الهامم العسكرية، إذا سمح به يوماً ما، كليل باستجلاء المسألة.

* شخصية احرزت من طرف الرساء الكارنكاتوري هري موسى وذلك تمثيل الدحواري الصغير الضيق الألق والمعرب نفسه

76 دلائل حقوق الانسان، 10 مارس 1927، ص ص 107 — 109.

77 القضية الريلية وعهد الكرم، محاضرة عبر مشورة ألقبت لي 28 مايو 1937، CHEAM رقم 167 مكرر.

الساوي السابق، المتبحر، قبل خمسة عشرة سنة، على «الأوباش الفرنسيين» في المغرب والذي انصم الى النزعة المحافظة الأكثر تزمناً (78). ولم تكن صحافة اليمين وحدها التي نادى الحكومة الى إنزال العقاب القاسي بالشيوعيين. لقد كانت تصريحات باتلوي في مجلس النواب ثقاطاً باستمرار من طرف نواب يُطالبون بإلقاء القبض على كل قادة الحزب (79). بينما صوّت مجلس الشيوخ، بالاجماع تقريباً، على جدول أعمال يطالب بردع «الاثارات الموجهة ضد الجيش وضيد الوطن والكفيلة بتعريض حياة حنودنا للخطر» (80).

أشكال القمع

لم تنتظر الحكومة هذه الملتزمات للشروع في عمل قمعي. لقد نبهت مذكرة أولى بـ 20 مايو 1925 السلطات، بشكل خاص، الى ترصد تعليق ملصقات ضد حزب المغرب من طرف الشيبات الشيوعية. هذه الملصقات ينبغي تمزيقها، كما ينبغي اعتقال ملصقها والمتواطئين معهم وتسليمهم الى النيابة (81). وبعد بضعة أيام من ذلك، دعا نص ذو صيغة عامة الولاية الى «القمع الفوري لكل المبادرات الجُنحية التي يمكن أن تقوم بها منظمات متطرفة تسعى الى إثارة أعمال عنيف أو الى تحريض العسكريين على العصيان وذلك بسبب عملياتنا العسكرية في المغرب» (82). لقد طبقت في الجملة هذه التوجيهات بصرامة. غير أنها

78 3 يونيو 1925، نفسه، 15 مايو 1925 «الحملة الشيعة تملق حنودنا». انظر أيضاً لومانان، 15 مايو 1925 «الاقرار بالحياة الشيوعية»، لوكولوا، 18 مايو «حياة عطشى»، لاليري، 3 يونيو (كاسي آيلر : «ألقوا بهم في السحى!»).

79 انظر خاصة جلسة 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2759. تل بضعة أيام، وأمام لجنة الشئون الخارجية المختصة لكي تسمع الى باتلوي، أكد بويركس — لافيد (اليسار الراديكالي) : «إن القتل الحقيقيين لجنودنا ليسوا الريفين بقدر ما هم الشيوعيون الفرنسيون الذين ورعوا، في مينائي الذهب (كنا)، ماسير تستهدف تسميم معنوية رحالتنا...». وقد قال إدوار سولبي (الكتلة الوطنية)، مزايلا : «يمكننا أن نعود الى حد المطمحين وإلى حد المؤلفين». أما فرانكلان بويون (راديكالي — اشتراكي)، وهو رئيس اللجنة، فخم قاللا : «نعم الى حد مؤلفي بعض البرقيات» مجلس النواب، لجنة الشئون الخارجية، 17 يونيو 1925. بعد بضعة أيام من ذلك، قام روتوديل، الذي لم يقل شيئاً في اللجنة مثل زملائه الاشتراكيين أمه المجلس بالتصريح معارضة للمتابعات القضائية، مناقشات، 23 يونيو 1925، الجريدة الرسمية، ص 2779.

80 مناقشات المجلس، 3 يوليو 1925، الجريدة الرسمية، ص 1258.

81 APP BA 1676.

82 نفسه، (مذكرة 24 مايو 1925) بوضع المذكرة الأولى ناد على المتهامات أن تم طقا للقانون حول الصحافة لـ 29 يوليو 1881 ولقانون 1894 الهادف الى ردع المناورات الفوضوية. أما المذكرة الثانية فلم ترجع إلا الى القانون حول الصحافة. لنذكر أن وزير الداخلية هو السناتور شراميك، المنتمي لليسار الراديكالي. إنه هو الذي أمين من طرف الصحافة الشيوعية والتحررية، لكن يبدو لنا أن السيد الحقيقي لساحة بوفو هو حان شيامي، فهذا الأخير، الذي كان

تركزت مع ذلك للسلطات الادارية والقضائية هائش تأويل يسمح بإدخال الأمزجة الفردية والعوارض المحلية.

سلم الأمن العام لنيابة السين في 24 يوليوز 1925، تقريراً حول «الحملة الشيوعية ضد عمليات المغرب». وقد استنتج بأن الوقائع «تقلم على ما يبدو أساساً كافياً للقيام بمحاكمة» لكن «سيكون من حقنا ان ننتظر من الاجراءات القضائية التي يمكن القيام بها في مقرات المنظمات ومساكن المناضلين الرئيسيين وهي عناصر من شأنها تبهر عقاب قاسي من طرف السلطة القضائية المختصة». وتبعاً لذلك أرفقت بالتقرير لائحة بالعناوين حيث يمكن لتلك الاجراءات أن تتم (٨٦١). ومنذ شهر مايو صدر الأمر بالقيام بعدة عمليات تفتيش (٨٤١). وقد اتخذت هذه الأخيرة طابعاً منظمًا ابتداءً من شهر يونيو، وشملت مناضلي الحزب الشيوعي أو مقراته كما شملت التنظيمات النقابية. فمن مائة وثلاثة وأربعين تفتيشاً تم إحصاؤها في يونيو وبوليوز داخل البلاد، بدأ أن ثمانية وستين على الأقل غير مُجدية (٨٩١). أما عمليات التفتيش الأخرى فسمحت بحجز مراسلات، وكراسات ووسائل دعائية. كما تم حجز منشائر وملصقات في مكاتب البريد وفي المحطات. وفي حالة تعذر حجزها، كانت السلطات تعتمد إلى إثلافها، لكن تمريرها لم يكن دائماً منظمًا؛ فكان يتوقف على الوسائل المتوفرة (٨٦١) ولكن أيضاً على التقدير الشخصي لمفوض الأمن (٨٦١). لقد أظهر حُجُزُ الصحف، أكثر من أي إجراء آخر، الطابع التقديري لتدخلات السلطة. فكان يحدث أن تكون الجرائد المحجوزة مجرد

مدبراً للأمن العام، ثم تعبئة بالاضافة الى ذلك من طرف شرايك كاتبا عاما للوزارة. وقد مات لوراديكال الوير لكونه رقي هذا «الحميري» المخلص والشجاع» (7 أكتوبر 1925).

AN F7 13171 83

مثلا في مونتود، وروبي وجلفور. لقد تم في 21 مايو حفر أربعين ألف منشور تدعو الحود الى التآخي خلال حملة

تفتيش لدى دوعاد، المعلمي الباهي المتحد للحزب الشيوعي. لكن تم إخراج مائة وعشرين ألف أخرى من سلايات محصورة في الليلة التالية من طرف حوالي عشرة شاك شيوعيين حموها تحت ملاسهم، رغم حراسة الشرطة. AN F7 13173 و 13174 إلى كل التفاصيل الواردة في هذه الفقرة، ما عدا إذا أهدنا إشارة مغايرة، مصدرها الصناديق 13173 إلى 13178 و 13104 إلى 13105 التي تضم، مرتبة حسب المقاطعات، تقارير الشرطة المتعلقة بالدعاية الشيوعية ضد حزب المغرب

هذه الأرقام، المستقاة من مصدر باهسي، هي أقل بالتأكيد من الواقع، لأن الكشف الاجمالي الذي أحدثت عنه موسوم بالناسات عديدة، إذا حاسبهاا للمعطيات التي تم جمعها حسب المقاطعات.

في تقرير لبرك بركو، في 15 عشت 1925 «لقد مرزقا الاعلانات الصحية بالملات، لكن لارال منها إذ أهدت منها الكثير».

87 في تروبي، آخر مايو، وفي لوج، يوليوز 1925، اشتكى الوالدان من كون الشرطة لم تطلعهما على تعليق الملصقات الشيوعية ضد حزب المغرب. وفي سان — كيرتاد. لاحظ المفوض أن الملصقات المعلقة في 22 شتم كانت «متبعا بشكل قاطبي».

أوراق مُستَنَسَخَة مِنْ طرف خلايا شيوعية للمعامل تكون بمثابة مناشير، لكن الأمرُ تعلق في الغالب بحرائد مرخص لها قانونياً، ومن أصل محلي (88)، أو صادرة من باريس (89).

لقد قلنا أعلاه بأنّ حرب الرّيف أفسحت المجال لابتداع أغاني شُعبيّة كانت بعضها ذات استلهامٍ سلّمي. وقد حرصت قوى الأمن، من شرطة ودرك، على الخصوص، على منع ذيوها. ففي 14 يوليوز 1925، عمّد كيشار، مدير الأمن البلدي لباريس، الى إعطاء تعليماته : «هناك مغنون متنقلون، مرخص لهم أم لا، قد يغنون في مكان عمومي أغنية ضدّ حرب المغرب، فتحروا يدقّة وامنعوا. مارسوا متابعات قضائية، إذا اقتضى الأمر وأرسلوا لائحة المُتَغَنِّين الى الشرطة البلدية قسّد التشطّيب على لائحة الرّخص». (90). بعد بضعة أيام من ذلك، اعتقلت الشرطة بـ آنيار، مُغَنِّين مُتَنَقِّلِينَ، كلاهما مكفوفين، كانا يُغَنِّيَان : «في المغرب». وفي مطعم بزنقة لورك، ثمّ تحريرُ مُحَضَّر لِفنان مقهى — معنّى كان قد ردّد قصيدة مونتيوس «الى ضحايا المغرب» التي أبدعها قبل الحرب الكبرى، وذلك لكونه ردّد «أقوالاً من شأنها تحريض الجنود على العصيان» (91). لقد وقعت حوادث في الأمكنة العمومية بمناسبة بيع نصوص هذه الأغاني وتمّ اعتقال مُغَنِّين مُتَنَقِّلِينَ في 8 غشت بيسان — دوني، وفي 11 و12 غشت بباريس (92). ومع ذلك، كان هناك مديون مُفَوَّض الشرطة تردّد في المتابعة القضائية لكون الأسس القانونية واهية. إلا أن وزير الداخلية أمر بتشديد المراقبة (93)، فطغيت التّزعة القمعية. كتب الوالي الى مدير الأمن البلدي «يحكّم الظروف الرّاهنة، كتّب الوالي الى مدير الأمن البلدي، يبدو من المناسيب منع الغناء في المكان العام لكل أغنية توميء

88 إن لوكوميت دولور — أويست (عدد 5 يونيو 1925)، التي كانت إدارتها وهياة تحريرها مرميين، حيث لم يكن توزيعها يلاقي صعوبة ما، تعرضت لتوقيف هذا التوزيع على بعد 50 كلم، في إيميز، من طرف مفوض شرطة هذه المدينة. كما تم في 15 يوليوز بمحطة توركوآن حرق عدد من أعداد لوتشيني، لسان حال العدالية الشيوعية للشمال، والتي كانت تظهر دون حواشي في ليل.

89 تم حرق مائة نسخة من لاكازيط في 11 يونيو 1925 ببيد نواتي، وألف نسخة من لالاح دوجان لكوان محطة بريست في 5 يوليوز. أما لالان — كارد فقد تم حرقها منذ وصولها، في 9 يوليوز، بأوتري، قرب تولوز، وفي 15 يوليوز بتوركوا، وفي فاتح يوليوز تم بالحطة حرق ألف نسخة من لالاطاي سانديكالست، كانت موجهة الى سكرتير المقامة المستقلة لبيست، وهو ماحصل فوضوي، بينما تم في 10 يوليوز دليون، حرق حرائد فوضوية (غير مشار إلى أسماها).

90 APP BA 1676.

91 نفسه.

92 نفسه.

93 رسالة 20 غشت 1925. نفسه.

الى أحداث المغرب. هكذا ينبغي منع أغنية «تحت الشمس المغربية» وكذا أغنية «في المغرب» التي سبق أن كانت موضع منع سابق» (94).
لقد خضعت الاجتماعات العمومية لمراقبة خاصة. فقد ضُغَطَ الوُلاة على العُمد لكي يعمل هؤلاء على منعها. ولم يكن ضروريا أحيانا أن يكون ذلك الضغط قويا، لأن السُلطة البلدية كانت تسبق رغبات الولاية (95). فكان بعض العمد يلجأون للتسويق وبيع الوقت؛ إذ كانوا يرفضون منح المقرات البلدية لمُنظمي الاجتماع، ولكن يقبلون بتنظيم التظاهرة في الهواء الطلق (96). يحدث حينئذ أن يتدخل الوالي مباشرة لِمَنع الاجتماع (97). فيمضي الى حَدِّ أن يَسْحَبَ مِنَ العُمد سلطاته الأمنية (98). أما مُفَوَّضو الشرطة الذين كان عليهم حضور الاجتماعات المرخص لها والتبليغ بكل مخالفة يرتكبها الخطباء، فكانت ردود فعلهم متنوعة. لقد كان بعضهم يؤكد على الطابع المعتدل للتدخلات أو يعتبرون أن حضورهم يفسر ذلك الاعتدال (99). وكان البعض يُبدي وساوس قانونية كانت تمنعهم من تحرير المحاضر (100). بينما بدأ آخرون، بخلاف ذلك، في منتهى القمع (101).

يمكن لمَوْقف القضاء أن يستحق دراسة خاصة وإن كانت هذه الدراسة صعبة بسبب الشروط الراهنة للوصول الى الأرشيفات. وتظهر المعلومات التي يُمكن استقائها من الوثائق المتوفرة بأن السلطات القضائية أعلنت أحيانا وجهات نظر تسير في اتجاه مختلف جداً للاتجاه الذي كانت ترجوه الحكومة أو مُمَثِّلوها. هكذا، دَعَتْ تنظيمات نقابية مختلفة،

- 94 مذكورة في شتم (لم يتم توصيح اليوم). نفسه.
- 95 في أواخر يونيو 1925، أُعْلِنَ عمدة فالويس بورصة الشغل بالفتح لمح انعقاد الاجتماع المظم من طرف لجنة العمل المحلية. وفي الشق، اشتكى الشيوعيون من كون البلديات، خاصة بلديات كتلة اليسارات، أعالت حملة للقاءات التي كان ينظمونها. «إما بالامتناع عن تسليم قاعات العمدة، أو بالضغط على أصحاب القاعة»، تقرير معوي للجنة الجهوية للحزب الشيوعي للشق مرسل من طرف المفوض الخاص لمانسي، في 9 يونيو 1926. AN F7 13105 (مورث - إي - موزيل).
- 96 هكذا كان الأمر في فيغي (أفيرون)، في 3 يويه 1925 - أباء 5، 17 و 19 يوليو في لوس - أون - عوهيل (ما - دو - كالي)، مون - لاني (فستير) وسال - مريوك - في ليسي - أون - ماروا (مور)، في 7 أكتوبر.
- 97 في 16 غشت 1925، تم منع الاجتماع المقرر في عانة سال - حيرمان من طرف الوالي.
- 98 إنها حالة العمدة الاشتراكي لأوراج والعمدة الشيوعي لآلي.
- 99 أنظر عروض مفوضي شطة ألي، في 7 يوليو 1925، رئيس في 9 يويو، ميتر في 14 يويو، بينكو في 16 يونيو، فالونسيان في 25 يوليو.
- 100 «بالرغم من أن الحطيط وجهه للحمود تحريسا على العصيان (كدام) فلاسي له أن أنه يسمى تحرير محضر صده نظرا لعياب عبه المحسنة - مله بكه هاك حمود في القاعة» (مفوض شرطة ديهان، في 24 أبريل 1926).
- 101 أنظر عرض مفوضي شطة تولوز في 20 يويو 1925 (A.D. هوط - غارون M 1136)، فواكس يويو 26 و 30 يويو، «دايكيك في 15 غشت 1925.

اتحادية وكونفدرالية، في بريسث الى لقاء مشترك ضيداً حرب المغرب في 27 يونيو 1925. فعمد والي فنستير، وقد سخط لكون العملة لم يعرف أو لم يُدّ منع هذا الاجتماع، الى رفع المناشير المعلنة عن التظاهرة الى نائب الجمهورية. وقد ردّ عليه القاضي بأنه في غياب تحريضات واضحة على العصيان أو الخيانة، فإن المتابعة غير ممكنة. قتم اللقاء أمام ألف وخمسمائة شخص. لقد أبدى الوالي، الذي أرسل محضر هذا الاجتماع الى النيابة، سُخْطَةً مَرَّةً أخرى لكون نائب الجمهورية لم يعثر على أساس اتهام في الأقوال التي صدرت عن المُدْرُس كورنيك : مع أن هذا الأخير مُتَطَرَّفٌ معروف جدّاً، كما أكد الوالي في تقريره لوزير الدّاخلية. وتفسر نفسية مُمَثِّلِي النظام، بجانب العواض المحلية، كون خلافات من هذا النوع قد أمكنَ حُدُوثُها. إنها إن لم تقع القمع، فهي تدخل بعض الحرج على ممارسته. لكن الأمر كان مخالفاً كما يتضح من قرار محكمة نيم المُعلن في 3 يوليو 1925.

لقد حكم على أحدهم يُدعى بآل مِن طرف محكمة الجنج بأفينيون بثلاثة أشهر سجنًا و100 فرنك غرامة، لتحريضه لبعض العسكريين على العصيان : إذ اعترف، بالفعل، بأنه علّق ملصقات منشورة من طرف اللجنة المركزية للعمل تدعو الجنود الى التآخي مع الريفيين وتمتدح استقلال الشعوب المُستعمَرة. وقد استأنف المعني بالأمر هذا الحكم. ووضّحت محكمة نيم في قرارها بأن الجُنُحة المُقرَّرة في قانوني 1881 و1894 لا يمكن أن تُستند الى محاكم الجنج، إلّا عندما يكون هدفها فعلاً دعائياً فوضوياً، ثم أضافت «لا يبدو أبداً أن التحريض الذي يتعلّق به الأمر (...) كان يستهدف دعاية فوضوية. (...) ومن جهة أخرى، لا نعثر في نصّ المُلصَق المُجرّم على أيّ تجلٍ لمذهب أو لرأي فوضوي بشكل خاص، لأنّه لا يمكننا طبعاً أن ننعت بهذه الطريقة الرأي الميثوث فيه حول حقّ الشعوب المُستعمَرة في الاستقلال ولا الانتقادات الموجهة الى العمل العسكري لفرنسا في المغرب مهما تكن حدة صياغتها». وأخيراً، ختمت المحكمة «لا يتضمَّن هذا النصّ أيّ نداء الى العنف ضيداً الأشخاص أو ضيداً المُمتلكات، بما أنه يدعو الجنود ليس الى تصويب أسلحتهم ضيداً رؤسائهم، بل فقط الى التآخي مع الريفيين». وتبعاً لذلك، ألغى قضاء الاستئناف الدّعوى ومثّع المُتهم بالسّراج الفوري (102). لقد كانت القضية باللغة الأهمية. فيكفي أن يصير قرار محكمة نيم مرجعاً قضائياً لكي تنهار كل الأسس القانونية للقمع. لذلك بادر وزير العدل ستيك بالرد، فأمر نائب الجمهورية بأن يُطعَنَ بالتقصّض (103)، وبموازاة ذلك، طلب لإجراء

102 لقد وجه والي كازر نسخة من هذا القرار الى وزير الدّاخلية في 6 يوليو 1925، AN F7 13176 (كار).

103 لقد أحمر به المجلس. عقب سؤال ليژون، مناقشات المجلس، 10 يوليو 1925، الجريدة الرسمية، ص 3345.

تحقيق حَوْل قُضَاة محكمة الاستئناف، فأخبروا المفوض الاستثنائي بأن هؤلاء معروفون على نحو شريف وأن موقفهم السياسي «في غاية الاستقامة» (104). ومع ذلك تَقَضَّ مجلس القضاء الأعلى قرار 3 يوليوز 1925، وأحال القضية على محكمة الاستئناف بمونبولي التي أَكْثَدَتْ حُكْمَ محكمة أفينيون. وعاد كل شيء إلى مجراه الأول.

حصيلة القمع

هَلْ يُمكن وَضْعُ حصيلة للقمع ؟ لقد بلغ عدد الاعتقالات، حَسَبَ وثيقة أعدّها الأمن العام في 12 نونبر 1925، 327 في فرنسا و24 في الجزائر. فداخل البلاد، تم أكثر من نصف هذه الاعتقالات في ثماني مقاطعات : السين 63، وهي في أعلى القائمة بنسبة كبيرة، ثم نجد لاندس — إي — لوار 25، الشمال 18، لوار — أنفيرو 16، لاجيروند 14، الهوط — كارون 13، البوش — دو — رون 12، وَلَوَارْ 11. ويظهر التحليل للمناطق بأن وسط البلاد (الماسيف سنترال والبيبي دولا لوار) في المُقَدِّمة، بـ 75 اعتقالاً، متجاوزا المنطقة الباريسية نفسها 67. ثم يأتي بعد ذلك، بأرقام دُنْيَا بحوالي النصف، الجنوب الغربي، الشمال، والشرق. ثم الجنوب الشرقي ومنطقة الرّون — الب، حيث تراوَحَ عَدَدُ الاعتقالات بين 15 و25؛ وأخيراً الغرب الذي لا يتمثل سوى بأقل من عشرة. ومن ضمن 351 شَحْصاً المُعْتَقَلِينَ، تعرض 157 منهم لأحكام بَلَّغَتْ في مجموعها ما يناهز سَبْعِينَ سنة سِجْنًا (105). ومع ذلك، لا يُعْتَبَرُ هذا الجَدُولُ شامِلاً : إذ لم يكن في إمكانه أن يُدْخَلَ في اعتباره بشكل كامل القمع الذي مورس بمناسبة إضراب 12 أكتوبر. فنحن نعرف بالضبط بأنه بين 4 و11 أكتوبر، ثم 50 اعتقالاً بسبب توزيع منشور أو إلصاقها (106). وفي يوم 12 أكتوبر وحده تم 167 اعتقالاً، أغلبها بسبب «إعاقة حُرِّيَةِ العمل»، وبعضها بسبب «إهانة رجال الأمن» (107). وتظهر هذه الحصيلة فيما يخص بعض المُقاطعات أرقاماً أعلى من تلك الواردة في الجدول العام لـ 12 نونبر (108). وعليه، إذا استندنا للاحصاءات البوليسية، يبدو لنا أن الرِّقْمَ الاجمالي

104 لسجل بأنه باستثناء واحد منهم عمره ثماني وأربعون سنة، كان جميع قضاة المحكمة يتجاوزون الستين (مذكرة 3 عشت 1925).

105 AN F7 13171.

106 منهم ستة عشر في السين وثلاثة عشر في الشمال. AN F7 12919.

107 كانت نسبة الاعتقالات التي تمت في المنطقة الباريسية هذه المرة ساحقة : خمسمائة في السين، وعشرون في السين — إي — وار. نفسه.

108 مكثداً، أخطر كشف 12 نونبر ثلاثة وستين اعتقالاً في السين وثمانية عشر في الشمال، بها كانت هذه الأرقام في الأسبوع التالي من أكتوبر وحده وعلى التوالي، مائة وواحد وعشرون وواحد وعشرون.

للاعتقالات التي تمت في 1925، على إثر التحريض الذي طُوِّر ضِدَّ حَرْبِ المغرب، يمكن أن يصل إلى 500، مع هامش للخطأ من صنف 10%. أما فيما يتعلق بالمحاكمات فإن رقم 157 المُتَّار إليه أعلاه مُنْسَجَمٌ تقريباً مع الاشارات التي قَدَّمَتها لومانيتي (109). لقد كان ينبغي تَكْمِلَتُهُ بالمحاكمات التي جرت بَعْدَ 12 نونبر 1925، ونعرف أن البَعْضَ مِنْهَا لم يَنْطَلِقْ فيها إلا خلال 1926.

إن كَانَ قَدْ تَعَلَّرَ وجود حصيلة كَمِّية شاملة ودقيقة، فإن في باستطاعتنا تقديم بَعْضِ التوضيحات حَوْلَ الأشخاص المُعْتَقَلِينَ. وبإدء ذي بدء، ينبغي رفع الالتباس: إذا كان أَغْلَبُهُمْ شيوعيين — وقد افترضوا كذلك على الخصوص لأنهم اعتُقلوا بسبب توزيعهم لمناشير أو تعليقاتهم لِمُتَصَقَاتٍ منشورة من طرف الحزب الشيوعي — فإن التَّعْمِيمَ من شأنه أن يكون تعسُفياً. لقد تمَّ اعتقال عَدَدٍ من المُناضِلِينَ الفوضويين في غشت بالشَّمال (110)، ومنطقة سان — إتيان (111). وشمَلَتهم أَحْكَامٌ من سِتَّةِ أَشْهُرٍ إلى أربع سنواتٍ سجنًا من طرف محاكم باريس، وأورليانس، وريمس، وتولوز (112). أما المعلومات التي تتوفَّر عليها بشأن المناضِلِينَ المُعْتَقَلِينَ أثناء مُظَاهَرَةِ 25 شتنبر 1925 بمحطة سان — لازار وبشأن أولئك الذين سَيُعْتَقَلُونَ بَعْدَ بضعة أيام من ذلك بمناسبة إضراب 12 أكتوبر فتسمح بتوضيح بَعْضِ مُمَيِّزَاتِهِمْ (113). فمن بين 74 شخصا معتقلين في 25 شتنبر، هناك ثلاث نساء؛ وهناك سِتُّ نساء من بين 105 من الأشخاص في 12 أكتوبر بباريس. وكانت نسبة الأجانب 10% في الحالة الأولى، و20% في الثانية؛ ولكن بينما كان 19 مُضْطَرِباً أجنبيًّا من 20 ثَمَّ اعتقالهم إيطاليين، تَوَزَّعَ الفوضويون الثانية على هذا النحو: 4 إيطاليين، إنجليزيان، بلجيكي واحد وبولوني واحد، لقد كان المتظاهرون الفوضويون أكثر شباباً نسبياً مِنْ مُضْطَرِبِي 12 أكتوبر: 82% كانت لهم أَقَلُّ من ثلاثين سنة ضِدَّ 68%؛ إِلَّا أَنَّ الَّذِينَ لم يكونوا يتجاوزون العشرين كانوا أكثر عدداً نسبياً يوم الأضراب.

109 حسب اليومية الشيوعية، كان عدد المحكومين اثنين وتسعين في 4 شتنبر 1925 ومائة وثلاثة عشر في فاتح أكتوبر.

110 هوش — موران — فيليب، بيبي، ميشيل، لوليتور، 21 غشت 1925.

111 يانار، ريجيس، موريل. نفسه.

112 لقد تمَّ الحكم على فودال، إداندل، ولولا دي ستة أشهر سجنًا ساريس، وكندا على لأكروا وشازوف بأورليان، أما تريشر فثلاثية أشهر تولوز، ولوريست بأربع سنوات ريمس، نفسه والأضيقات المقاطعية للهوط — غارون، 969 M.

113 إنه لم يرَ أن نواجه بين عمود «شيوعي» وعمود «بوصوي» بتعلة أنه في 12 أكتوبر، كان الحزب الشيوعي، قبل كل شيء، هو الذي نادى إلى الأضراب. لكننا لا نعتقد بأن ظروف الاعتقالات 12 أكتوبر تسمح بمواجهة تسيطة على هذا النحو، إن طسوحنا ننحصه في أن يعرف على حو أفضل المتظاهرين الذين اعتقلوا لكونهم تظاهروا ضد حرب الريف.

لقد جمعنا في اللائحة إزاءه المعلومات المُقدَّمة عن مِهن الأشخاص المُعتقلين، سواء في الأقليم بين مايو ونونبر 1925، أو في باريس (المُظاهرة الفوضوية ليوم 25 شتبر، وكذا يوم 12 أكتوبر 1925). لنلاحظ أولاً بأن الاعتقالات مَسَّتْ مُحصُوصاً المسؤولين السياسيين والتقايين الذين لم تتم الإشارة الى أية مهنة خاصة بهم (هل كانوا كلهم مُداومين؟). مَعَ مراعاة هذا التَّحفظ، نلاحظ تفاوتا اجتماعياً أكبر بين الأشخاص المُعتقلين في الأقليم. فِيسْبَة العُمال مُرتفعة بالكاد هنا، بينما تشكُلُ الثلثين في باريس. وهناك قِطاعان، هما البناء والتَّعدين، قدَّما نصف التعدادات العمالية في المقاطعات، وقد كان وزنهما النسبي أكثر أهمية في باريس. وتفسر ظروف اعتقالات 12 أكتوبر العَدَدَ المُرتفع نسبياً لأحوال النُّقل : لقد تعلق الأمر بمستخدمي نقابة النقل الحضري وبسائقي سيارات (شاحنات وسيارات تسليم البضائع دون ريب)، وهم عناصر مُهتمة في الاضراب. ومن بَيْنَ الحِرَفِيِّين المُعتقلين في الأقليم، نُسَجِّلُ الى جانب التجارين وتجارِي الأثاث، الموجودين أيضاً في باريس، إسكافيين وخباطين وحلاقين. أمَّا بخصوص المُستخدِّمين فالتوضيحات زهيدة، باستثناء هذا التوضيح : من بَيْنَ الفوضويين المُعتقلين في باريس نجد أربعة محاسبين من بينهم امرأة. بينما سَجَّلَتْ اعتقالات قليلة بين السككين (خمسة في الأقليم، واثنان في باريس) والمُدْرَسِينَ (اثنان في الأقليم). أما الصحفيون المُعتقلون (خمسة في الأقليم، وصحفي واحد خلال المُظاهرة الفوضوية لسان — لازار)، وكذا مُدبرو المطابع (اثنان في الأقليم، وواحد في باريس)، وعُمال المطابع (أربعة في الأقليم، وثلاثة في باريس⁽¹¹⁴⁾)، ومُتَعَهِّدو المُلصقات (ستة في الأقليم، لكن هل كانوا كلهم مُتَعَهِّدين عُموميين؟) هذه الاعتقالات توضح لنا في الأخير بأنَّ القَمْعَ توجه على الخصوص الى الدعاية المكتوبة.

مهن الأشخاص المعتقلين
بمناسبة المظاهرات ضد حرب المغرب

الاقليم			باريس		
اعتقالات تمت بين ماي ونونبر 1925 مظاهرة موضوعة لي 25 شتبر يوم 12 أكتوبر 1925 1925 بسان — لآزار					
العدد	%	العدد	%	العدد	%
93	54	45	66	69	69
(23)		(16)		(26)	
(23)		(12)		(24)	
9	5	4	6	20	20
(5)		(2)		—	
(2)		(1)		(7)	
(2)		(1)		(13)	
14	8	6	9	5	5
10	6	5	7	2	2
12	7	1	2	2	2
35	20	7	10	1	1
المجموع					
173	100	68	100	99	100
للتذكير : مجموعة الأشخاص الذين لم توضح مهنتهم :					
104		6		6	

الاحتجاجات ضدّ القمع

لم تكن أقلية الحزب الاشتراكي المجتمع حول موريس موران وحدها التي احتجت ضدّ القمع (115). فقد ثارت غصبة حقوق الانسان ضدّ تطبيق القوانين المتعلقة بالمناورات

الفوضوية على الشيوعيين بخصوص تخريب العسكريين على العصيان (116). كما احتج ليون جوهو على بانلوفي الذي «ترك قضائه ورجال أمنه يعاكسون دون أدنى سبب منظمات نقابية ومناضلين. وأحيا تقليد حملات تفتيش بورصات الشغل» (117). أما جوليان فورغ، سكرتير النقابات الكنفدرالية الهوط — كارون، فاحتج على المحاكمات التي منست «رفاقاً عمالاً شيوعيين وتحريريين كانت (لهم) الشجاعة لكي يعبروا عن وجهة نظرهم حول تحريي المغرب وسوريا بوجه خاص، وحول الحرب بوجه عام» (118). وقد أدان فرع ليل للحزب الاشتراكي سياسة القمع التي «بقدرا هي مخالفة للقانون، بقدر ما هي مثيرة للسخرية وغير مُجدية» (119). أما المجلس البلدي لسان — إتيان، برئاسة السناتور الراديكالي لوي سولي، فاحتج على حملات التفتيش التي أُجريت دون علمه في بورصة الشغل (120). بينما أكد الشيوعي الحر بيتروس فور بأن «تقارير مزورة من طرف الشرطة» هي أساس القمع (121). لكن ما يلفت الانتباه، هو احتجاج النائب الاشتراكي لاباتو أمام المجلس. فقد سخط هذا البرلماني لكون رجال الدرك قدّموا، على إثر اجتماع شيوعي عمومي انعقد بضبعة أولون الصغيرة (الهوط — كارون)، التي هو عُمَدتها، لكي يُفتشوا في دار عُمَدته. إنه يعلم جيداً بأن ذلك ثمّ لأن لسكريتو في دار العمدية تعاطفات شيوعية — «ذلك شأنه، ولا يعني» — لكن ليس هُناك ما يمكن مؤاخذه به (122)، ولا يمكن لهذا بالأخص أن يُبرّر تصرف السلطات. لقد توجّه لوزير العدل، الراديكالي ستيك، أما مجلس النواب فإنه استمع في صمت لتعابير

116 AN مجموعة بانلوفي 190 AP 313 (رسالة 26 أكتوبر 1925 إلى رئيس المجلس) لتسجل بأنه لم يتم نشر هذه الرسالة من طرف دلائر حقوق الإنسان وأن مكتب العصاة لم يلج بعد بضعة أشهر لاحقاً، قال فكتور ناش مقراً : «من الأكيد أننا كما سبق احتجاً أكثر حدة ضد حزب المغرب وضد تطبيق القوانين العادية لو لم يكن زميلنا وعدينا السيد بانلوفي رئيساً للمجلس أو وزيراً للحربية» دلائر حقوق الإنسان، 30 أبريل 1926، ص 206 — 208 (حالة اللحة المبركة لفاتح أبريل 1926).

117 ليهويل، 18 دسمبر 1925.

118 A.I. للهوط — غارون، M 968 (لقاء م.ح.ت ل 16 يناير 1926).

119 لوريفي دولور، 7 يوليو 1925

120 AN مجموعة بانلوفي، 186 AP 313. على إثر اعتقال كبير، وكيل طرابلس سافولايار، بسبب تخريبه للعسكريين على العصاة، دفع المستشارون البلديون الراديكاليون الاشتراكيون والاشتراكيون، في 3 نونبر 1925، على عريضة تفتح على تطبيق قائم 28 يوليو 1894 في قمع المظاهرات الفوضوية. نفسه AN F7 13176

121 تتعلق الأمر عماسل بورداخ، الذي كان حده قد أصيب حروح خطيرة في 1870 وقتل أبوه في 14 — 18. إن له إذن أساساً وحيوة للعصاة ضد الحرب. هذا وإذا كان قد تم العثور لديه على حوالي خمسة عشر مشوراً وحوالي عشرة ملصقات، والكل في مطروف بقول لاناتو موصفاً فإنه لم يبق أي تبرع أو إلصاق لهذه الوسائل. مع ذلك، فقد حكم عليه بثلاثة أشهر سحاً لتخريبه العسكريين على العصاة. انظر الأضياف المقاتلة للهوط — غارون، M 1136 (نقريه للمالي في 8 يوليو 1926).

بلسلته : «لقد أثبتت إشتغاش عندي ...» وإذا بلاياتو يقلق لاتساع التحقيقات البوليسية : «زُد على هذا أن الأمر لا يحدث عندي فقط، إن هذا يحدث في مجموع فرنسا»، وختَم قائلاً : «ضَبُّوا حَدًّا في أقرب وقت ممكن لهذه الأزعاجات التي لا إسم لها. لا تتحدَّوا بهذا الشَّكل جمهور الشَّغالين، إنكم بذلك تجازفون بأن تثيروا في بوادينا الهادئة أشكال سخيف كبيرة ومشروعة» (123).

وعلى الصعيد المحلي كان القمع، بالفعل، مناسبة لمظاهرات جديدة. ففي فينستير، نظَّمت النقابة الاتحادية للتدريس، بمفردها أو مع الحزب الشيوعي سلسلة من الاجتماعات للاحتجاج ضدَّ الحُكْم بأربعة أشهرٍ سيخناً في حقِّ كاوناشر، وهو مُعلَّم بلينون، لكونه قدَّم ملصقاتٍ ومناشير ضدَّ حَرْب المغرب. وفي الشَّير، احتجَّت لجنة العمل المحلية بشدَّة ضدَّ الحُكْم على أليكسندر — كيوي، سكرتير المنطقة الشيوعية للمركز، ثلاثة أشهرٍ سيخناً نافذاً لكونه سلَّم رِزْمَةً مُلصقات إلى مُعلِّق ملصقات. لقد رفعت الأمر إلى السُّلطات والمُنتخبين المحليين، ودَعَتْ إلى المظاهرة. وفي 7 فبراير 1926، سارَّ حوالي ألف شخصٍ بيورج، وعقدوا لقاءً على كتب من السُّجن. لقد انضمَّ الاتحاد المُقاطعتي للس.ج.ت الإصلاحية — التي لم يتوقف الحزب الشيوعي عن انتقاد موقفها خلال تلك الفترة — إلى لجنة العمل وطالب بإطلاق سراح كيوي. وفي نانسي، ثمَّ تعليق مُلصقات جديدة من طرف لجنة العمل المحلية تحتجَّ ضدَّ الحُكْم بشهرينٍ سيخناً في حقِّ جان أليكسندر، مدير المطبعة العمالية، لكونه أصنَّعَ مناشير ضدَّ حَرْب الريف. وفي تروئي، كان خروج مارسيل كوني، سكرتير الـ س.ج.ت. الوحشية لِلُوب، من السجن، بعدَ اعتقاله غداة إضراب 12 أكتوبر، مناسبةً لتجمُّع مُهمٍّ. وفي نانت، انعقد يوم 26 فبراير 1926، لقاءٌ بهدف الاحتجاج ضدَّ النظام المُفروض على السُّجَّنين فورسْتيني وتوربان، المحكوم عليهما بسبب عملهما ضدَّ حَرْب المغرب. كما أن المجلس البلدي لسان — جونيان، المجتمع خارج الجلسة «احتجَّ بِجِدَّةٍ ضدَّ اتهام اثنين من أعضائه طبقاً لقوانين نُبِعتْ بأنها أثيمة من طرف جميع جمهوريي اليسار، ومن بينهم الرِّئيس الحالي للحكومة» (124). وكان موقف جماعة سان — يار — دي — كور، بالآندر — إي — لوار — باعثاً على العبرة بشكل خاص.

123 مناقشات المجلس، 10 يوليو 1925، الجريدة الرسمية، ص 3343 — 3344. سيدافع لاثان طريل في 1926. أمام المجلس العام للهِوط — غارون، عن رجاء «يهدف إلى الحصول على إطلاق سراح المحكوم عليهم الذين احتجوا ضد الحرب» — «هناك أحكام تشرف الذين يطلقونها» — لكنه لم يتبع من طرف زملائه الاشتراكيين والراديكاليين المجلس العام للهِوط — غارون، جلست 27 شتبر 5 أكتوبر 1926، ص 13 — 14 : 429 — 439.

124 A.D هوط — فين، I M 184.

لقد نصّح، على ما يبدو، رويسبيار هينو، العمدة الشيوعي لسان — ييار — دي — كور (125)، بتأخي القوات الفرنسية والزيفيين أثناء تجمّع عُمومي نُظِمَ بِأَمْرٍ يَوْمَ 19 يُونِيو 1925. وإذ توبع بسبب تحريضه للجنود على العصيان، تمّ اعتقاله في 30 يُونِيو. وفي اليوم التالي، عُقِدَ تَجَمُّعٌ احتجاجي أمام دار العُمَدية ضَمَّ حوالي ألف شخص؛ أعقبه زُخْفٌ ستائة منهم على تور. وفي 25 يُولْيُوز، توجّه سيككيون من تور وسان — ييار، بالزهرة الحمراء في عروبتهم، إلى أنجير ليحضرُوا الجَلْسَةَ الجَنَحِيَّةَ حيث كان على هينو أن يمثّل. لقد تجمّعوا خمسمائة متظاهر، حسب الشرطة، وخمسة آلاف حسب مراسيل لومانيي (126)، أمام المحكمة قَبْلَ أن يتوجّهوا إلى بورصة الشغل حيث تمّ ارتجال إلقاء وبعد ذلك تظاهروا أمام السجن. وقد حُكِمَ على هينو بستة أشهر نافذة سجنًا. قبل ذلك بأيام، كان والي آندر — إي — لوار قد بَلَّغَهُ بأنه ينوي توقيفه عن مهامه كعمدة. فهو يؤاخذُه ليس فقط على أقواله — التي تُبرِّرُ اتهامه — بل أيضًا «لكونه وضع وشاحه البلدي أولًا لكي يمثل أمام الثيابة وبعد ذلك عند اقتياده لسجن أنجير». لقد قام هينو بتوصيل نُسخةٍ من هذه الرسالة (127)، إلى المجلس البلدي، وردّ عليها في رسالة مفتوحة نشرتها لومانيي. إنه لم يُنكِرْ شيئًا من الأقوال المنسوبة إليه، باستثناء جملة: «تآخوا معهم» التي قيل بأن المفوض سمعها، والتي اعتبرها اختلاقًا بخصّصًا، ثم ختم قائلاً: «لدى رجال الدرك وفي السجن وفي غرفة القاضي وأمام المحكمة، وسواء كنتُ موقفًا أم لا، فإنني، عمدة سان — ييار — دي — كور بإرادة الشعب وسأبقى كذلك، ووشاحي يمثّل البروليتاريا المضطهدة في شخصي، لتسقط الحرب الامبريالية والمالية للمغرب». (128). ومن جهة، قام المجلس البلدي بالاحتجاج ونُظِمَتْ مظاهرات جديدة. لقد تحمّ على الوالي أن يتراجع. وعند خروجه من السجن، سيسترد هينو مقعده كعمدة. وخلال ذلك، كانت قد تمت محاكمة عشرة مناضلين آخرين. إن واحدًا منهم، يدعى جيرار، وهو صديق هينو، كان مُزارعًا من الوادي المنخفض للشير، ويملك حوالي عشرة هكتارات حيث كان يتعهّد زراعة مُتعدّدة ويقوم بتربية بعض المواشي. وقد أثار اعتقاله حركة تضامُن بين الجيران؛ فوقعوا على عرائض لاطلاق سراحه وساعدوا عائلته في

125. هذه المدة الصعبة، التي تمت حول شبكة سككية هامة قرب تور، كان يقطعها 6617 نسمة في إحصاء 1926.

126. لومانيي، 27 يُولْيُوز 1925

127. إن رسالة الوالي مؤرّقة في 11 يُولْيُوز 1925. وقد أُعيد نشر بعضها في سجل المداولات للمجلس في 20 عشت.

128. لومانيي، 21 يُولْيُوز 1925.

أشغال الضيعة. لكن لن يتمكن احتجاجهم مع ذلك، من تلافي البيع الجبري للملكية بعد بضعة سنوات لتسديد الغرامة التي كان جبرار محكوماً بتأديتها (129).

الانتقادات والانتقادات الذاتية

لم تكن المواقف المُتخذة من طرف الحزب الشيوعي تجاه حرب الريف تُنتقد فقط تُهاجمُ بقوة، خارج الحزب. فداخل التنظيم الشيوعي، كانت انتقادات مختلفة تعبر عن نفسها بنوع من الحرية، طوال الحملة، وكانت صحف الحزب توردها. لقد كانت تصدر عن مجموعات كانت تعترض أيضاً على جوانب أخرى من سياسة الحزب الشيوعي، إلى حد أن بعضهم بدأوا مجتمعين في معارضة حقيقية، منعوية بـ «اليمينية» من طرف الحزب الذي كان يرى في مطرودي 1924، سوفارين من جهة، وموناو وروسمر من جهة أخرى، مُرشدي تلك الحركة. وارتباط مع هذا الرُفض أو بدونه، دَفَع نقاشٌ أثير داخل الأجهزة القيادية القيادة لأن تراجع، في نهاية 1924، بعض النقاط في الحملة، ولتقوم، تبعاً للغة المتداولة، بتقيد ذاتي ستؤكد به بإسهاب أكبر في بحر السنة اللاحقة، بطلب من الأمانة. لقد كانت الانتقادات والانتقادات الذاتية تدور حول نقطتين أساسيتين.

- الدلالة المُعطاة لحرب الريف وللدعم المبذول لعبد الكريم؛
- صلاحية الشعارات التي أطلقها الحزب وقضية تحقيق جبهة موحدة.

المعارضة داخل الحزب الشيوعي

لقد انتقد بشدة الدُعم الذي قدّمه الحزب الشيوعي لعبد الكريم، كما رأينا، من طرف الاشتراكيين والتحررين الفوضويين الذين كانوا، في غالبيتهم العظمى، يعتبرون الزعيم الريفى إقطاعياً. وقد انتهى عدد من المعارضين داخل الحزب الى نفس الاستنتاج مع توقعهم في وجهة نظر ثورية، كما يلحون على ذلك. هكذا عبر باز، وماهوي ومارسيل روي، عن اتفاقهم مع دُعم التمرد الريفى، لأن الأمر يتعلق بـ «حركة فلاحية تطالب باستقلال الريف وتعلن إرادتها في القتال للحصول عليه». لكنهم، يقولون مُوضحين «لا يُعني دُعم الحركة الوطنية الثورية الاثنياد لعبد الكريم». إن الحزب مخطيء لكونه لم يقيم «بأدنى تحفيظ على العقلية الإقطاعية والدينية التي تحرك الزعيم الريفى»، ولم يُفسّر للجماهير بأن تحرير الريفين لا يمر

129 انظر لومالتي، 3 يناير 1930 بعد خمسين سنة لاحقاً، آثار فيرجيل جويرار، ابن الماضل الصديق ديو أماما نتيجة هذه الحلقة من القمع : «إن حياتي كلها تغيرت سببها، قال لنا، بما أنه لم يكن في إسكاني متاحة هراستي».

فقط عبر قتالهم ضدّ الفرنسيين والاسبان، وإنما أيضاً عبر عمل تربية وتنظيم لطبقة فلاحية مُستَغَلَّة بشكلٍ واسع «ضمن الروح الثورية» (130). لقد ذُكِبَ سان — جاك، وهو مناضِلٌ مسحدر من جزر الاتي، وعضو المجلس المركزي الاستعماري، أُنْعِدَ من هذا. فَبَعْدَ أن ذُكِرَ بأنه ليس لكلّ الحركات الوطنية، بالضرورة، محتوى تقدّمياً، وأُتخذَ بِدَوْرِهِ الدَّعْمُ اللامشروط الممنوح من طرف الحزب الشيوعي الى عبد الكريم، لم يتردّد في أن يعتبر ظروف استسلام هذا الأخير خيانةً حقيقيةً إزاء المقاتلين الثمانيين (131).

لقد انتقدت المُعَارَضَةُ أيضاً صلاحية الشعارات الشيوعية التي تساند الجلاء العسكري عن المغرب والتّآخي. فقد لاحظ باز وأصدقاؤه بأن دور شعار ما يتمثل في جمع الجماهير العريضة حول الحزب بهدف العمل. إلا أن شعار الجلاء ليس قابلاً لأن يُفْهَمَ: «إن ما ينجم عنه إذن هو إبعاد الحزب عن الجماهير» (132). أما شعار التّآخي، فيُظهِرُ بأن قيادة الحزب تُعْتَبَرُ الحَرْبَ كـ «ظاهرة مُجَرَّدَةٌ يمكن أن تُستَغْمَلَ ضِدَّهَا وسائل كفاح صالحة لكل شيء». لقد كان التّآخي مُوافِقاً لظروف كفاح بحارة البحر الأسود، في 1919، وكذا لظروف احتلال الرُّور في 1923، لأنه يفترض «نوعاً من التعادل في درجة التطور الاقتصادي للشعوب المتحاربة، وبالتالي نوعاً من التّكافؤ في التضج السياسي للجنود الحاضرين. إنه يفترض أيضاً، من هذه الجهة كما من تلك، وجود تنظيم ثوري قادر على ترويج الشعار». إلا أنه، يلاحظ أصحاب الأطروحة، «لا يكون الأمر على هذا النحو عندما يتواجد عُمَالٌ وفلاحون من بَلَدٍ دَاسِمَالِيٍّ امِبِيَالِيٍّ وفلاحون يسعون بقيادة زعيم إقطاعي الى تحقيق الاستقلال الوطني» وختموا قائلين: «ما كان ينبغي إطلاق شعار التّآخي بخصوص حرب المغرب» (133). لقد كان لِلُّورِيُو موقف مختلف. فهو لا يعترض على الشعارات إلا بقدر ما يزعم الحزب أنها شرط الجهة الوحيدة. وقد ألح على المميزات التي ينبغي توفرها في هذا التكتيك: «إن الجهة الموحدة ليست تصنعاً أو فتحاً. فإذا كان الحزب يقترحها، فإنما يفعل ذلك بشرف وصدق. (...) وهدفه هو أن يجمع كل قوى البروليتاريا في تحالفات مؤقتة، من أجل أهداف محدودة». إلا أن الجلاء العسكري عن المغرب، مثل الجلاء عن الجزائر وعن كل المُستَعْمَرات، يفترض «امتلاك السُّلْطَةِ عبر الثورة»، «ودكتاتورية البروليتاريا». فهذا الشعار لا يمكن أن يكون إلا «شيوعياً بشكلٍ نوعي». لذا فإن اقتراحه على الاشتراكيين، المعروفين كـ

130 لومانيي، 17 أكتوبر 1925 (ص. 4 «أطروحة» 30 شتر)آ

131 أنظر دفاتر الشفوية، 30 يونيو 1926، ص ص 1421 — 1423 و 31 يوليو 1926، ص ص 1606 —

1608

132 أطروحة، لـ 30 شتر المشار إليها سابقاً.

133 في الموضوع نفسه

«مُخصِّم للثورة»، «فعلٌ عبثي» و«خطأً سياسياً». لقد «دأب» مُخصِّم الحزب «على إظهار أن القصد الأساسي للشيوعيين ليس إيقاف مذبحة المغرب بقدر ما هو النيل من الحزب الاشتراكي» (134).

لقد حظيت المعارضة داخل الحزب، غداة إضراب 12 أكتوبر، بمساندات جديدة. فقد وقَّع مائتان وخمسون مناضلاً على رسالة موجهة للأمية استعادت على الخصوص بعض الانتقادات التي وجهت لحملة الحزب (135). وأضافوا بأن المؤتمرات العمالية والفلاحية لم تكن سوى «مُخدعة لا غير»، ووصفوا إضراب 12 أكتوبر بأنه كان «إخفاقاً مُحزناً». لِتوضيح أصل هؤلاء الـ «250». إن 60% منهم من المنطقة الباريسية، و20% من السين — آنفيريور، و8% من الرُون، و6% من الشمال (136). وعلى الصعيد الجهتي، فإن شغالي البناء والمعادن، هم الذين يُقدِّمون أكبر حصّة من المُعتَرِضين، ثمَّ تعقبهم السكك الحديدية، والمنتجات الكيماوية، والتغذية. لقد كان عددٌ من الموقَّعين يشغلون مسؤوليات سياسية — فنجد بينهم عشرة نواب، وثلاثة مُنتخبين محليين — ونقائية، لكن لا يوجد أيُّ عضوٍ من الشَّبَّابات الشيوعية بهذه الصِّفة ومن جهةٍ أخرى، كانت جريدة الثورة البروليتارية، التي يُنشِطها كُلٌّ من رومر ومونات، تتلقى بطيب خاطر انتقادات المعارضين. وقد عدل روجي هيربوس عن شعار التآخي الذي رأى فيه انبعاثاً للهيرفية «بما كان فيها من عبث وفضاظة» (137). أمَّا مونات، فقد اتَّهم من جانبه الحزب الشيوعي بكونه «مُخرَّب» الحملة ضدَّ حزب الريف (139).

134 رسالة 26 مايو 1925 إلى اللجنة المركزية، دلائل البلشفية، فاتح عشت 1925، ص 1619 — 1620، (التشديد في النص). خارج الحزب، تنى سولافس نفس موقف لورير فهو، مثله مثل هذا الأخير مع مبدأ الجلاء من المغرب، وهو ما تعترض عليه قيادة الحزب الشيوعي، لكنه ينكر لهذا الشعار قدرته على تمتع الجماهير؛ إنه «يصلح فقط لمقاومة الفوضى في صفوف العمال». الثورة الشيوعية، 30 أكتوبر 1925، ص 3.

135 إن رسالة الـ 250 مؤرخة في 25 أكتوبر 1925، وكوتبي، وهو سككي، وبالك السين — آنفيريور، هو الذي حررها (أنظر المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي، ليل، 20 — 26 يونيو 1926، ص 236). حسب سيمار، لم يُبلغ الرسالة للحزب في دجتر، مع الطلب بأن تُشر في ظرف ثنائي وأربعين ساعة «كإندلار نهائي» (نفسه، ص 272). وأمام رفض الحزب، نشرت المعارضة رسالتها على شكل منشور من أربع صفحات، في 14 يناير 1926 (AN F7 13090) بعد بضعة أيام من ذلك، أعيد نشر النص من طرف دلائل البلشفية (عدد مؤرخ في 15 يناير 1926).

136 هذا التوزيع بعيد طعنا عن ذلك الذي قدمته إحصائيات الحرب في 1925، أي 25% للمنطقة الباريسية، 61,8% للسين — آنفيريور، 2,8% للرُون، 10% للشمال.

137 لانيوليسون بروليتاريان، مارس 1926، ص 23.

138 نفسه.

139 نفسه فبراير 1926، ص. 5. أنظر أيضا أكتوبر 1925، ص. 30.

لقد سَعَتْ قيادة الحزب الشيوعي إلى الرُّدُّ على هذه الانتقادات. فمنذ أواسط صيف 1925، في فترة كانت تُنتظرُ فيها مِنَ المؤتمرات العمالية والفلاحية أن تُولي أهمية كبيرة لحملتها ضدَّ حرب الرِّيف. عَدَلَتْ عن المسألة الرئيسية، مسألة الجبهة الموحدة، التي توجد بصدها في خلاف مع المعارضة. مهمة «الحلافات الثانوية والمسائل المتعلقة بالتفاصيل» فقد كانت المعارضة تؤدِّ اقتراح وحدة العمل على الاشتراكيين على أساس شعار واحد هو شعار السلم. إلا أن اللجنة المركزية صرحت بأنه حتى مع افتراض أن الحكومة الفرنسية يمكن أن تُصَمِّمَ عليه، فإن السُّلم وإن كان سينجم عنه انخفاض عدد الضحايا والتخفيف من زيادة الضرائب. فهو لن يكفي لتحسين وضعية البروليتاريا بشكل واقعي لأن التحسُّن الجوهري مُستحيل في ظل النظام الرأسمالي. فمطلب الجلاء العسكري عن المغرب، مثل مطلب إقامة المراقبة العمالية في فرنسا، يصطدمان بالحُكم البورجوازي. إنهما يقودان، بالفعل، إلى الثورة، لكنَّ الجماهير تُفهم بأنَّ تغيُّر وَضْعِيَّتِها متوقَّف على الكفاح من أجل هذين المَطلَبَين : «يستحيل على البروليتاريا الفرنسيَّة أن تنتصر على بورجوازيَّتها الكبيرة والامبريالية دون التحالف مع المُضطهَدين المُستعمرين الذين يريدون الكفاح من أجل تحرُّرهم الشامل.» (140). بخلاف ذلك، من البديهي أن الزعماء الاصلاحيين لا يريدون السَّير في هذا الطريق. إن تكتيك الجبهة الموحدة يَتطلَّب تعبئة الجماهير للكفاح وعزلها عن الزعماء الذين، بارتباطهم مع البورجوازية، لا يريدون القتال. «نعم» تَمَّة فُتِحَ داخل الجبهة الموحدة، لكنه ليس الفُتْح البقيس الذي ينصبه الشيوعيون للزعماء الاشتراكيين. لكنه الفُتْح الذي ينصبه التاريخ للقيادة وللأحزاب التي لا يمكنها الكفاح مع البروليتاريا بحكم ارتباطها مع البورجوازية» (141). فالجبهة الموحدة إذن ليست اتفاقاً مع الحزب الاشتراكي لأهداف محددة في إطار الدولة الرأسمالية، إنها ليست كارتياً جديداً يُرغَمُ كل طَرَفٍ على اعتناق متطلبات الآخر، وعلى التَّنَقُّص من أهدافه الخاصَّة. فالمتطلبات مُوجَّهة هُنا عَبْرَ كفايَ ثوري يُعتَبَر الحزب الشيوعي وَحْدَهُ مُهيَّأً لقيادته. لقد عبرت المؤتمرات العمالية عن رغبة المشاركين في السير في هذا الطريق؛ ولا تعتبر لجنة العمل التي تُحدِثُ منها «تحالفاً بين الأحزاب، بل قيادة عليا للتعبئة الثورية تحركها الرُّوح الشيوعية» (142).

إنه لفي متبى الوضوح أن يُبرِّر الحزب الشيوعي شعاراته، بتموقعه في منظور ثوري. لكن يَبْقَى الالتباس قائماً : هل يعني إرغام الحكومة الفرنسية على الجلاء عن المغرب،

140 دفاتر البلشفية، فاتح عشت 1925، ص. 1569.

141 نفسه، ص. 1570.

142 نفسه.

اضعاف الامبريالية فقط أم أن الحزب الشيوعي يعتقد بأن الأمر يتعلق بضربة فاصلة ؟ إله السؤال الذي طرّخته المعارضة، في نفس الوقت، على اللجنة المركزية : هل يفكر الحزب في تحويل حرب الريف الى حرب أهلية للاستيلاء على الحكم ؟ (143)، لقد اعتبرت سيمار بأن طرّح السؤال بهذا الشكل هو من باب الاستفزاز. وكان لابد من انتظار بضعة أشهر لكي يُقر، تحت ضغوط الأمية، بأن قيادة الحزب أبدت حول هذه النقطة توجّها «يسارياً» هو الذي سمح، في الواقع، بتأويل مماثل.

«تصحيح» القيادة

مع ذلك، فمنذ خريف 1925، تخلى قادة الحزب الشيوعي جزئياً عن تصلّهم. ليس لكونهم عدّلوا عن إدانتهم لتوجّهات «اليمين»، بالعكس. لكن بينما ظلت الهوة تحفر بين اجماعاً وقيادة للحزب، بدت هذه الأخيرة متأثرة ببعض الانتقادات. مثلاً، انتقاد كونها قد تألّفت بشكل كبير في تعدادات العمال الممثّلين في المؤتمرات. لقد أقر سيمار، في التلوة الوطنية لأكتوبر، بأن «الأرقام المتهمة كانت مرتفعة بالتأكيد»، أما فيما يتعلق بمضربي 12 أكتوبر، فقد أنكر تضخيم عددهم وأكد بأن القيادة اكتفت بنشر الأرقام المبلّغة إليها من طرف تنظيمات القاعدة (144). لم يكن أمر مراجعة تكتيك الحزب وارداً، ولكن تمّ الشروع في تطوّر. أو لم يُحدّد سيمار العجبة الموحدة بعبارات جديدة، وذلك بحديثه عن «وفاقي ليس على برنامج ينكر الصراع الطبقي، ولكن على شعارات مقبولة من طرف العمال الاشتراكيين» (145). وستعمق ندوة فاتح دجنبر تبعات هذا الموقف (146). لقد ذكّر الحزب الشيوعي بأن شعاريّ التآخي والجلاء عن المغرب مطابقان لعقيدته، وأنه لا يمكن أن يتخلّى عنهما. لكنه أكد بأن الأمر لا يتعلق فقط بإطلاق شعارات صحيحة، بل بتحديد طريقة ترويجها وجمع الجماهير حولها. وقد أظهرت التجربة بأن الجلاء والتآخي كانا شعارين «مُتقدّمين جداً» على الجماهير، وأنه بالتالي كان من الخطأ قرض قبولهما كشرط للجبهة الموحدة. هذه الأخيرة،

143 رسالة 9 عشت 1925، الموجهة من طرف المعارضة الى اللجنة المركزية والملحقة بمحضر اجتماع 18 غشت (مساء)، أوشيفات معهد موريس - طوريغز - السلسلة 93

144 نفسه، السلسلة 90 (محضر المنتدى الوطني لأيام 18 - 21 أكتوبر 1925 باغري).

145 نفسه.

146 نفسه، السلسلة 91 (محضر المنتدى الوطني لفاتح دحمر 1925. انظر أيضا لوماني، 4 دحمر 1925 (مقال تران)، 5 دحمر (مقال سيمار) والأخص 6 دحمر (رسالة مطبوعة الى مناصلي الحزب، موقعة من طرف المنتدى الوطني الاشتراكي واللجنة المركزية).

سعى أن تكون، من الآن فصاعداً، مقترحة على الأساس الوحيد لـ «السلم الفوري» في المغرب.

في الشهر الأول من 1926 ضاعف الحزب من تقيده الذاتي. ففي تشرية داخلية. ألح على ضرورة تحقيق الجبهة الموحدة دون صدم الجماهير. فلاتزاعهم من تأثير الزعماء. الأصلاحيين، لا ينبغي الاكتفاء بشم هؤلاء، لأن «العمال الذين انتخبوا هؤلاء الزعماء. والذين لا تزال لديهم الثقة فيهم، لن يُنصتوا إلينا». ومن جهة أخرى، ينبغي «أن نُدخل في الاعتبار واقع كون الجماهير ليست بعد شيوعية، وأنها لن تنصت إلينا إذا اقترحنا عليها الجبهة الموحدة على أساس برنامجنا الفوري الكامل». ومعنى هذا أن على الجبهة الموحدة أن تقوم على شعارات «أكثر تواضعاً»: وشعار السلم الفوري يبدو الأكثر مواءمة لهذا الوضع (147). على الحزب إذن أن يبتجج خطابين في آن واحد: فعليه أن يستمر في الدفاع عن مُحاجة ثورية، شيوعية بمصر المعنى، تتضمن شعارتي التآخي والجلاء عن المغرب. لكن عند توجيهه للاشتراكيين، وبوجه عام لليساير غير الشيوعي، عليه أن يدعو لتشكيل جبهة موحدة من أجل عمل مشترك مُنحصر في مطلب السلم. إذا كان هذا التقيد الذاتي قد تم فهمه في مجموع المناطق (148). فإننا نسجل رد فعل المسؤول عن الفدرالية المتوسطة الذي اشتكى من كون الحزب قد سقط بعد ندوة دجنير، وبتجلة تصحيح الخط «في المفعول العكسي: لقد صار لنا شعار السلم الفوري؛ وهذا جيد للجماهير. لكننا لم نعد نرى شعارتي التآخي والجلاء (...) لقد سمعت في بعض اللقاءات الحديث عن السلم الفوري لكنني لم أسمع أبداً عن الجلاء. وقد أحسنا، في الغالب، عند غرض هذه الشعارات، بَعَلَم فهم كلي بين أعضاء الحزب. إنها ملاحظات مُكثرة» (149). لنسجل أخيراً بأن هذا التطور الجديد رافقته نظرة أكثر وضوحاً لنشاط الفدراليات في كفاحها ضد حزب الريف. لقد أعطى التشهير من

147 نشرة أخبار الحزب الشيوعي، عدد 6، 25 فبراير 1926، ص 119. مشدد عليه في النص AN F7 13104.

148 يشهد بذلك تقرير رابول كالاس في 25 مايو 1926 للمتدري الجهوي للفدرالية لانتكوسا لـ 18 يونيو: «إذا كانت الشعارات مثل: الجلاء العسكري عن المغرب، التآخي، تتقدم كثيراً على الجماهير، فإن الجماهير لا تفهمها ولا تحقق الحبة الموحدة معها. وإذا كنا نريد أن تقل هذه الجماهير حولنا الثورية، فينبغي أن نتواصل معها. إن اختيار شعارات متفرقة معها، جعل الحبة الموحدة مستحيلة. فالشعار هو ذلك الذي يمكن من جمع الطبقة العمالية حوله. ويبدو جيداً أن الشعار الصحيح في لحظة حرب المغرب كان هو: السلم الفوري في سوريا وفي المغرب». AN F7 13105 (بوبي — أورويطال).

149 تدخل روك، مسؤول المنطقة المتوسطة، أمام اللجنة المركزية الموسعة لأيام 6 — 8 أبريل 1926. أوشغيات معهد — مورييس طويريز، السلسلة 142.

طرف المعارضة نتائجه المنتظرة. وقد امتنعت قيادة الحزب عن ترديد صدّى التصريحات الموسومة بارتياح كبير.

التقاش أمام الأُمّية وأمام مؤتمر الحزب

لقد اعتبرت المعارضة بأن «تصحيح» ممارسة الجهة الموحدة الذي أُعلن عنه من طرف ندوة فاتح دجنبر، بمثابة «ارتدادة» لقيادة الحزب، لتبني وجهة النظر التي كان لوريو وأصدقائه يدافعون عنها حتى ذلك الوقت. «لأشياء أكثر خطأ من هذا»، ردُّ ثران (1951)، وسعت قيادة الحزب الشيوعي، بموازرة الأُمّية، للبهنة على أن غمة «هروّة» تفصلها عن «اليمين». وبالفعل، فقد اجتمعت اللجنة التنفيذية الموسّعة للأُمّية في أواخر فبراير 1926، وتحصّصت جانباً من جلساتها لمناقشة سياسة الحزب الشيوعي الفرنسي أمام حرب الرّيف. لقد تم اجتماع الأُمّية هذا في فترة هيمنت عليها الصّراعات على السّلطة داخل الحزب الشيوعي للاتحاد السوفياتي. فقد انتهى المؤتمر الرابع عشر لهذا الحزب، المنعقد في ديسمبر 1925 بهزيمة «المعارضة الجديدة» التي كان يقودها كلُّ من زينوفيف وكامنيف، والتي أدينت لكونها تلتقي على المستوى العقائدي مع الحركة التروتسكية. وطبعاً يدخل فحص اللجنة التنفيذية لسياسة الحزب الفرنسي والمواقف المُعبّر عنها من طرف الـ «250» الذين حَكَمُوا الأُمّية في هذا السياق. إنّنا نترك لمؤرخي الأُمّية همّ توضيح العلاقات المُعقّدة التي كانت قائمة حينئذٍ بين الأُمّية الشيوعية والحزب الفرنسي. وسنكتفي، من جانبنا، بسلسلتين من الملاحظات : تتعلق الأولى بالخط السياسي الذي ينهجه الحزب الشيوعي الفرنسي و«المعارضة» بخصوص حرب الرّيف. فلا تعتبر اللجنة التنفيذية من الضروري القيام بتحليل حقيقي للوضع المغربي ولتبعات التمرد الرّيفي في إفريقيا الشّمالية وفي فرنسا. لقد اكتفت بتصريح مبدئي – «عندما تنور قبائل مقاتلة ضدّ امبريالية الميتربولات وتخوض حرباً من أجل استقلالها، فإن علينا أن نقاتل ليس زعمائها، المشربين ربّما ببعض التعصبات، بل الامبريالية التي تُسمّى لاستعبادها» (192)، – وبتحية «الحمّلة الرائعة والشّجاعة للحزب ول س.ج.ت

150 هكذا تمّيز التقرير المعري المقدّم الى مؤتمر المنطقة الليوية لـ 24 يناير 1926 بارتياح خاص وورد «إسّا داعون بأنه كان لنا، أمام الحملة المغربية، موقف حرب شيوعي حقيقي. (.) ونحن نعتقد بأنه نادراً ما تمّ القيام بعمل مثل هذه المواقفة» (AN F7 13105 (الريون) لقد رفضت لومانيي في 7 فبراير إعادة نشر هذه التصريحات وقطعت صرامة من الأرقام التي قدمتها العدالية لتوضيح حملتها. هكذا ذكرت أنه تمّ توزيع ثلاثة آلاف منشور بدل ثلاثين ألف، وحمسة آلاف إعلان صغير بدل ستين ألفاً، وأكثر من خمسين احتجاجاً، بدل ستين

151 حوار على «الرسالة المفتوحة» لمانج دحم 1925. «دفاتر البلشفية»، 21 يناير 1926، ص 230 – 234

152 تقرير اللجنة التنفيذية للأُمّية الشيوعية عن المسألة الفرنسية مراسلة دولية، 25 مايو 1926، ص. 709.

الوحدوية ضدَّ حَرَّتَيْ المغرب وسوريا» (١٩٦١). وأكَّدَتْ أطروحات قيادتها المناهضة لليمين، لكن لبث رئيس اللجنة التنفيذية في تدخلاته، كما في تقريره حَوْل المسألة الفرنسية، في مَوْقِف سجالِي. لقد نُسِبَ التشهير بـ «العبد الكريمة» إلى «عقلية بورجوازية صغيرة»؛ وهو يلتقي بتصوّر الامبريالية. كما أن الاعتراضات التي صاغتها المعارضة ضدَّ شعارات الحزب ثُمَّت إِذَاتُهَا بِطَرِيقَةٍ إِجْمَالِيَّة. لقد قَصَّدَ سيمار الى القول بأنَّ حاجة بار حول التآخي - التي انتقدتها بقسوة - هي مُحاجَّةُ اليمين بأجمعه (١٩٤١). لقد أورد زينوفيف انتقاد الـ «250» حول الجلاء عن المَغْرِب مُتَّبِعاً إِياه بِالْجُمْلَةِ التَّالِيَةِ : «لَمْ لَا الجلاء عن نيس، عن سافو وعن كورسيكا؟» الواردة في نص «المُعَارِضَةُ» بعد حوالي مائة سطر، والتي تستند إلى الشعار «الطائش تماماً للجلاء عَن الأُلُرَّاس وَاللُّورِين»، وهذا ما سمح لرئيس الأُمِّيَّة بأنَّ يُوكِّدَ بأنَّ الأمر يتعلق بـ «خطاب اشتراكي - وطني» (١٩٥٥). ولم يتم التذكير بانتقاد لوريو المتعلِّق بِالْجَبْهَةِ الموحدة إلا للتنديد بتصريحه الذي يرى بأنه «لا يمكن تحقيق الجبهة الموحدة فوق رؤوس الزعماء». لقد كان هذا موقفاً انتهازياً على نحو نموذجي (١٩٥٦).

لقد أثير أيضاً خطر الانجراف يساري من طرف الأُمِّيَّة. سيكون مغلوطاً أن تَرَى هنا رأياً مُعَاكِساً لِادانتها لـ «اليمين». فقد احتلت هذه الادانة حيزاً كبيراً في النقاشات، وثُمَّ إِعْلَانُهَا بِقُوَّةٍ، في حين أن «الأخطاء اليسارية المتطرفة» ثُمَّت مُعَالَجَتُهَا بِإِيجَازٍ وَتَسَامُحٍ كَبِير. لقد قامت قيادة الحزب الفرنسي، منذ أواخر 1925 بِتَبْيِينِ أخطائها اليسارية، لكنَّ كان ذلك بِمُنَاسَبَةٍ مُرَاجَعَةٍ تَكْنِيكِ الْجَبْهَةِ الموحدة. وحتى هنا أَظْهَرَتْ بِأَنَّ الأَمْرَ كان يتعلق بِمُخْطِئَةٍ شَبَاب، يمكن تَفْهَمُهَا جَيِّداً في فترة كان الحزب يتقاتل فيها بِمُفْرَدِهِ ضِدَّ الحزب. ويظهر استمرار تران في مهاجمة «اليمين» جيداً، بأنه لم يكن وارداً أن يُوضَعَ في نفس المستوى الخطأ اليساري والخطأ الانتهازِي. لقد مَضَتْ الأُمِّيَّةُ أَبْعَدَ من هذا القَدْرِ الذي أَكَّدَتْ فِيهِ بِأَنَّ «الأخطاء اليسارية المتطرفة» نَاجِمَةٌ عن تقدير مُبَالِغٍ فِيهِ لِلوَضْعِ الثَّوْرِي : «ونزوع تران الى تحويل الحرب الاستعمارية الى حَرْبٍ أَهْلِيَّةٍ وَهُوَ تَحْوِيلٌ فِي رَأْيِهِ قَرِيبُ الْحَدُوثِ نَسْبِيًّا، يعتبر في تلك الظروف المُعْهَدَةَ خَطَأً سِيَّاسِيًّا فَادِحاً». لكنَّ اللُّجْنَةُ التَّنْفِيذِيَّةُ نَسَبَتْ هذا الخطأ الى

153 نفسه، ص 706.

154 «هكذا يبدو بار وأصدقائه في اليمين موضوعياً ضد إهرام الامبريالية «المتحضرة» من طرف الشعوب «المتخلفة» التي لن يتمكن الجنود من التآخي معها». مراسلة دولية، 10 مارس 1926، ص 279. انظر أيضا تقرير اللجنة التنفيذية المشار اليه سابقاً، نفسه، ص 709.

155 مراسلة دولية، 9 مارس 1926، ص 275. لقد وجهت الملاحظة الى زينوفيف؛ على أية حال، فإن تقرير اللجنة التنفيذية أعاد الاستشهاد الى سياله. تقرير مشار اليه، ص 709.

156 نفسه، ص. 711.

«النقص في تجربة الحزب في الصراع الطبقي»، وهي مستعدة لإغفرانه، لأنه «سبب ضرراً يسيراً نسبياً للحزب»، بالرغم من أنه كان من نتيجته عزله عن «بعض الشرائح العمالية والورجوازية الصغيرة» (١٩٦١).

تتعلق الملاحظة الثانية بالمشاكل التي يطرحها سير الحزب. وهي مسألة تتجاوز كثيراً حقل دراستنا، لكن ينبغي أن نتحدث عنها قليلاً، لأنها تضيء المصاعب الموجودة في إعداد وتطبيق حملة الحزب الشيوعي الفرنسي ضد حزب الريف. فبالنسبة للمعارضة، يكمن سبب الأخطاء السياسية التي شهّرت بها في «ازدراء القادة لرأي الحزب». إذ لم تناقش أية جمعة، وأي مؤتمر أو أي مجلس وطني كفاءات الكفاح ضد حزب الريف وأهدافه. وهذا بسبب «نزعة بيروقراطية صارخة وسلطوية وطائفية» (١٩٨١)، متجسدة في «مكتب سياسي مُطلق السُلطة» عرف كمي يُنشيء «جهازاً» تحت إرادته على الصعيد الجهوي والمحلي، (١٩٥٩). هذا هو ما يُفسّر إخفاق الحزب في أن «يعثر على متفقد للجماهير» (١٩٥٠). لقد ردّ الحزب مؤكداً بأن «اليمين يثور ضد النظام الشيوعي الحقيقي» (١٩٦١). فاليمين ليس خطيراً فحسب بآرائه، ألحّ سيمار، «ولكن بالأخصّ بعمل التجزئة والتخريض الخارجي الذي يواظب عليه بارتباط مع العناصر المطرودة من الـ النشرة الشيوعية لسوفارين و الثورة البروليتارية لموناوط وروسمر» (١٩٦٢). لقد شجعت اللجنة التنفيذية للأمية الاشتراكية الحزب الفرنسي على العمل «بقوة» ضد اليمين، لكنها لفتت انتباهه الى واقع أن «هذا اليمين ليس منسجماً بتاتا». وإذا كانت قد أدانت مجموعة سوفارين دون ليس فقد سلّمت بكون تأثير مجموعة لوريو - باز - دونوا من جهة ومجموعة الثورة البروليتارية من جهة أخرى، يُفسّر بسبب الانحرافات اليسارية للحزب وغياب الديمقراطية الداخلية، وهي أخطاء يُعتبر الحزب الشيوعي الفرنسي مدّعوا لتصحيحها (١٩٦١).

- 157 تقرير عن المسألة الفرنسية، مشد إلى سافنا، ص 705.
 158 رسالة 30 دله، 1925، ملحقة بمحضر اجتماع اللجنة المركزية لـ 29 يوليو 1925 أرشيفات معهد موريس طوريو، السلسلة 93
 159 حوار على «الرسالة المفتوحة» المشد إلى سافنا.
 160 نفسه.
 161 دفاتر اللشعة، 21 سـ، 1926، ص 230.
 162 مراسلة دولية، 10 مارس 1926، ص 279 («محاضر بين الحزب الفرنسي واستغراباته».)
 163 تقرير عن المسألة الفرنسية، مشد إلى سافنا، ص 711.

بَعْدَ أربعة أشهر على دَوْرَةِ اللجنة التنفيذية، انعقد المؤتمر الوطني للحزب الشيوعي الفرنسي ليْلِيل. في غضون ذلك، كان عبد الكريم قد سَلَّمَ نَفْسَهُ للقوات الفرنسية، بينما واصلت قيادة الحزب عملها في إعادة التنظيم، تحاشياً بمضاعفةً خلايا الاستقطاب. وبالنسبة للمناضلين، أثارت حملة الحزب ضِدَّ حَرْبِ الرِّيف سؤالين: ماذا كان مفعولها وأية دروس يمكن استخلاصها منها على صعيد العمل المناهض للاستعمار؟ هل قرى هذا الكفاح الحزب الشيوعي وأية تبعات ستنتج عن ذلك على صعيد سيرة؟

1. لقد اعتبر أندري مارتى التحريض الذي طوره الحزب الشيوعي غير كافٍ (١٩٤٤). بينما اُكْتُفِيَ شقيقه ميشيل بالتأسف لكون ذلك التحريض قد خَفَّ إِبَانِ هجوم ربيع 1926 (١٩٤٩). أما دوريو فاعتبر أن فعالية الدعاية كانت محدودةً لِعامِلَيْن: من جهةٍ غيابُ انغراس شيوعي داخل الحماية قابل لأن يتصدى لعمل الإدارة لدى الأهالي المغاربة وأن يُسهِّل تفكك الجيش الفرنسي (١٩٦٦)؛ ومن جهة أخرى، عَدَمُ كفاية «العمل المناهض للثورة العسكرية» التي لم تسمح بخلق الشروط الضرورية لتنفيذ تعليمات التآخي. هذا وقد توقَّف نائب سان - دوني عند الجانب الإيجابي لهذه الحملة: «لَقَدْ طَرَحَتْ مُشْكِلُ الحَرْبِ أمام الجماهير العمالية» (١٩٦٧). وقد ألح علي، وهو العضو الأفريقي الشمالي الوحيد الذي تحدَّث حول المسألة، على إرادة انتقاء الشعوب المُستَعْمَرَة التي لا يشكُّل التمرّد الرِّيفي سوى مضطراً لها. لقد اعتبَر أنَّ على الحزب أن يُسَاعِدَ الحركات الوطنية بقدر ما يكون توجه هذه الأخيرة في صالح الجماهير. وهذا يَسْتَتَبِعُ مَجْهُوداً من جانب الشيوعيين لِبَدْرَاسة «الشروط الخاصة بكل مجموعة من السُكَّان» (١٩٦٨)، وانتباهاً أكبر لمطالب الجماهير الفلاحية، وتكوين أطر قادرة على التّضال داخل المُستعمرات.

164 المؤتمر الوطني الخامس للحزب الشيوعي الفرنسي، ليل، 20 - 26 يونيو 1926، عرض مختل، ص 155 - 156.

165 نفسه، ص. 120.

166 بعد أن جرد لكون الحرب ! يكن يتوفر على «ارتباط سياسي منظم مع الشعب الذي كنا نؤارعه» وذلك «لأسباب مالية وتقنية كان من الصعب التعلل عليها» («أسباب» لم يوضحها نائب سان - دوني ولم تتر فضول أي أحد من المؤتمر) (أنظر أعلاه، الفصل الرابع، أضاف دوريو بأن هذا الارتباط كان سيمكن من «إنجاز عمل تمكيك خطير داخل الجيش الفرنسي، بواسطة الرِّيفيين أنفسهم» ومن التوصل «إلى كل القتال المغرية لمعها من مساعدة الإدارة الفرنسية، كما فعلت ذلك، حتى في الرِّيف». نفسه، ص 201 - 202.

167 نفسه، ص 203.

168 نفسه، ص 551 - 552. من المهم أن نلاحظ أن على يستعيد هنا فكرة عر عبها بقوة ش. أندري جوليان مد 1921، أنظر الفقرة التصوغة، 7 يوليو 1921، ص. 469.

2. هل نَحْرَج الحِزْبُ أَكْثَرُ قُوَّةً من الحملة التي خاضَهَا ضِدَّ حَرْبِ الرِّيف ؟ إنّه، حسب بيار سيمار، قد ضاعَفَ نفوذه، دون أن يَسْتَفِيدَ مع ذلك مباشرة من هذا الوضع (169). فليس فَحَسْبُ لَمْ «يَنْهَشِ الِيسَارَ الاشتراكي» بما فيه الكفاية، بل سَجَّلَ أيضاً انخفاضاً في عدد أعضائه تعداداته يُناقِضُ الزيادة التي يستفيد منها الحزب الاشتراكي (170). لقد نَسَبَ سكرتيرُ الحزب الشيوعي المسؤوليَّةُ مِنْ جِهَةِ «لِلْعناصرِ الفرعية» التي غادَرَتِ الحِزْبَ، ومن جِهَةِ أُخْرَى لِلْمَتَاعِبِ التي نَجُمَتْ عن إعادة التَّنْظِيمِ. وإذ لاحظ كثيرٌ من المندوبين أن شعار التَّأَخِي أَتَعَدَّ عن الحزب الشيوعي بَعْضَ المُناضِلين، عَمَّرَ علي، المنشغل بالوضع الجزائري (171)، عن ابتهاجه لهذه «التَّثْقِيَّة» (172). لكن داخل البلاد، لم يَرِ لاموران، ولارونو، اللذان يُبْدِيان مع ذلك استقلالاً كبيراً في الرَّأي، بأن انخفاض عدد الأعضاء راجع للسياسة المغربية لِلْحِزْبِ. لقد كان أكثر انشغالا بالاضطرابات التي نتجت عن تعدد خلايا المؤسسات وبالأَساليب السُلْطَوِيَّة للقيادة ولسوولي الفدراليات. وعَمَّرَ سيمار عن يقينه بأن الحزب الشيوعي سيقوَّى بمواصلة إعادة تنظيمه وبالسَّعي لأن يكون دائماً قريباً من الجماهير. وعليه أن يَطوِّرَ تكتيكه للجبهة الموحدة التي تبررها أهمية القاعدة العمالية التي يتوقَّر عليها الحِزْبُ الاشتراكي والد س.ج.ت. جبهة موحدة مُتَخَلِّصَةٌ من أخطائها اليسارية، والتي على محتواها «البروليتاري» أساساً أن يُتَحَيَّ الانحرافات الانتهازية التي يمكن أن تقود الحزب الشيوعي الى الانقياد لـ «الفرق داخل تنظيمات البورجوازية الصغيرة والكتلة الشهيرة لليسارات» (173).

يتطلب هذا التوجُّه حِزْباً مُنْتَظِماً على نَحْوِ أَفْضَل، ولا يَحْتَمِلُ، أن يكون بداخله، من الآن فصاعداً، معارضة دائمة للقيادة. لقد عَلِمَ المُؤْتَمِرُونَ بأنَّ هذا «التَّقْوِي» للحزب تُرْجِمَ بإبعاد كل من سوزان جيرو وتران من المكتب السياسي، طَلَباً لِلرَّجاء الذي عَمَّرَتْ عنه الأُمَمِيَّة. لكنَّ موران، وهو معارض معتدل، اندهش لكون الضَّرْبَةِ أصابتهما وحدهما، في حين دافع كوثني، مُمَثِّلاً «اليمين»، عن حرية تعبير «الاتجاهات» داخل الحزب. لقد أَظْهَرَ بأنَّ

169 نفسه، ص 12 — 13. يعطي طويريز، الذي لايزيد أن يقال بأن تأثير الحزب قد قل بين الجماهير، كمثال انتخابات المندوبين المرحومين في حوض ما — دو — كالي لنفسه، ص. 129.

170 يتكلم سيمار عن خمسة وخمسين ألف عضو (لنفسه، ص. 273) وهو ما يعي انخفاض قدره عشرة آلاف عضو بالمقارنة مع بداية 1925 (انظر AN F7 13096). إنه يوضح بأن أكثر الحسائر كانت «في فئة الطبقات المتوسطة» (لنفسه، ص 12) لكن بما أن هذه الفئة لا تمثل حسب تقديره سوى 5% من أعضاء الحزب، فإنه يعني أن نستنتج بأنها غادرت الحزب الشيوعي بأكملها تقريباً.

171 وضح سيمار بأن فدرالية الجزائر فقدت ثلاثة أرباع محروطها... لنفسه.

172 نفسه، ص 549.

173 نفسه، ص. 16 — 20.

الأممية الشيوعية استصوبت الانتماذات التي وجهتها المعارضة ضد تصور الجبهة الموحدة التي طوّرها الحزب الشيوعي في 1925. أما هومبيدو، وهو ممثّل آخر لـ «اليمين»، فقد اعتبر نقد القيادة الدّائي غير كافٍ وصرح بغياب الديمقراطية داخل الحزب. لقد آزره رونو جان، أcha المناضلين الأكثر احتراماً من طرف المؤتمر، الذي أكد بأن الشعارات ضدّ حرب الريف لم تُناقش من طرف اللجنة المركزيّة، وأنّ نلوة دجنبر حول «التصحيح» استُدعيّت على عجل، وأن أخطاء الحزب ناجمة عن مركزته المفرطة (174).

تشهد هذه التدخّلات بالحزب الكبيرة للمؤتمر. لكنّ تحذير سيمار كان صريحاً، فالانتقادات والاقتراحات ممكّنة الطّرج داخل الحزب. ولا يمكن من الآن فصاعداً أن يتمّ التّعير عنها باستعمال منابر غير شيوعية أو ينشر بيانات مثل رسالة الـ 250. وغير واري أكثر قبول تنظيم اتجاهات داخل الحزب. لقد طلب دوريو، في معرض حديثه عن المعارضة أمام اللجنة المركزيّة لـ 18 غشت 1925، «القيام بتبادل وجهات النظر لتعرف بأية لهجة ستعامل هؤلاء الناس» (175). حيثُ أنذى سيمار اعتراضه على إجراءات الطرد التي كان يطالب بها نائب سان — دوني. وإذا كان صحيحاً أن كثيراً من المناضلين كانوا يعيشون، سنة 1925، وسواس الطرد، فإنه يبدو بأنّ هذا الأخير لم يهمّ في الواقع، سوى عدد قليل منهم خلال الحملة ضد حرب الريف. لقد طرد كل من مهوي وروجي هيربوس، في يناير 1926؛ في حين أن المناضليين الروينتين : روان وإنجلر وجيرمين كوجون طردا في أوائل 1927، وكوتيني في أبريل 1929. فبطريقة تدريجية إذن فقط ستعمل القيادة الجديدة للحزب الشيوعي الفرنسي على فرض نظام أكثر صرامة، ولو كان بضمن انفصال مناضلين مخلصين (176). لقد شكّلت حملة الحزب ضدّ حرب المغرب، ونجاحاته كما مصاعبه وإخفاقاته مرحلة مهمّة في طريق «بلشفيت» ه. لعلها دون ريب، الدّالة التي أعطتها كلّ من الأممية الشيوعية وقيادة الحزب الشيوعي الفرنسي لتعيين طوريز، رئيس اللجنة المركزيّة للعمل، على رأس دائرة التنظيم للحزب.

174 نفسه، ص ص 110 — 112.

175 أرشيفات معهد موريس طوريز، السلسلة 93، محضر اجتماع اللجنة المركزيّة لـ 18 غشت 1925

176 ستسّى س. ح. ت. الوجودية مولفا عاتلا، كما تشهد بذلك حالة شامال، يستمر هذا الأخير، الذي طرد من الحزب الشيوعي في شتبر 1924 في المضال داخل س. ح. ت. الوجودية، حيث كان فيها ضمن الأقلية؛ وفي مؤتمر بورديو لـ 1927، اقتنع بإثارة حملة المنظمة القافية ضد حرب الريف. لقد اتهم القادة الكومندالية على الخصوص بكونها ارتكبت خطأ فادحاً، في تلك الفترة، عطافتها بين حملة استعمارية وحرب بين أمم امبريالية، وبكونها تمت عمل لـ س. ح. ت. الوجودية، بدعائها عن شعار النّاحي، من أن يصعدوا إلى حركة الاحتجاج (انظر المؤتمر الرابع لـ س. ح. ت. الوجودية، بورديو، 19 — 24 شتبر 1927، ص ص 39 — 42) لقد انتقد جيد بشدة، لكنه سيطل داخل الـ

خاتمة

أمام تمرد عبد الكريم، ردت عائلات اليسار الفرنسي بشكل متّوع. لقد كانت خشية اليساريين الليبرالي والرازيكالي كيرة. فقد اعتقدا جديا بأن عبد الكريم يهدد الإقامة الفرنسية في إفريقيا الشمالية. وتوغلت الحكومات المنحدرة من انتصار كتلة اليسارات، تدريجياً في طريق حرب شاملة ضدّ الرّيفيين رغم أنها لم تكن لها المسؤولية البدية في العمليات، ولم يكتف كل من بانلوفي وبريان، خلافا لما أشيع، بإرسال التعزيزات التي طلبها ليوطي، بل أثرا الأساليب الهجومية المتأدى بها من طرف بيتان، وتفاوضا مع اللّجنة الأسبانية الحاكمة من أجل تنسيق للعمليات سمح بإخضاع القبائل المتمردة والحصول على استسلام الزعيم الرّيفي. هكذا أعفاهما انتصار الأسلحة، رغم احتجاجات البعض، من الوفاء بالوعود المعطاة للرّيفيين والمتعلقة بإقرار وضع خاص بالريف ليس هو وضع الحماية. ثم هناك سبب آخر للارتياح : لقد مكّنتهما حرب الرّيف من التخلص من ليوطي ووضّح الحماية تحت سلطة شخص مدني. ولأن واحد من مقريهما، وهو ستيك، هو الذي خلف أول مقيم عام، فإن الراديكاليين رغبوا في أن يسلك المغرب طريقا جديدا. وقد اعتقدوا أن انشغال العسكريين بإخضاع مراكز التمرد سيؤدي الى إضعاف نفوذ الجيش في الميدان السياسي داخل الحماية وسيشرع بإسناد المسؤوليات العليا، للسلطات المدنية، وكان على هذا التطور أن يسهل في رأيهما تنمية الاستعمار ومضاعفة حركة الأعمال وتقوية الروابط الاقتصادية مع الميتروبول. وبشكل متوازي، كان ينبغي أن يتوفر لفرنسي المغرب مزيد من الحرية على نحو يشكل أفضل وإحاطة المقيم بأرائهم وتمكينه من أن يمارس تجاه الأهالي سياسة حزمٍ نير.

أما موقف اليسار الاشتراكي فقد كان مُعقّداً. لقد كان غالبية أعضائه في البدء حسّاسين تجاه نوع من الوطنية : فعندما تُهاجم فرنسا، سواء كان ذلك على ضفاف الرّايين أو على ضفاف ورغة، يُسارع الجميع الى الدّفاع عنها، دون اهتمام بالباقي. لقد كانت حماية الجمهورية في المغرب واقعا لم يحن الوقت بعد للتراجع عنه، إذ أنّ الأهالي سيخسرون أكثر ممّا سيوحدون بذهاب فرنسا. ولا يمكن مُساومة الحكومة حول سبيل ضمان سلامتها. لكن الاشتراكيين كانوا حسّاسين أيضاً تجاه كأصوات أخرى : أصوات النزعة السّلمية، وإلى حدّ ما أصوات معاداة النزعة الاستعمارية. فمنذ الاشتباكات الأولى، طالبوا بفتح المفاوضات مع عبد الكريم، وبالتسبة للعديد منهم كانت ويلات الحرب تتغلب على الدّلالة التي تمنحها الأطراف المتنازعة لمركزها. لقد رفض بعضهم التصويت على الاعترادات العسكرية ثم انضمّ

إلهم، أغلب المنتخبين الاشتراكيين وبعد ذلك لحق بهم جميعهم وذلك تحت ضغط القاعدة. وأُخذت مبادرات مختلفة سواء في الأوساط التحررية والفوضوية أو في أوساط الحزب الاشتراكي للاحتجاج ضد الحرب، وعديدة هي الفدراليات الاشتراكية التي طالبت بقطيعة نهائية مع الحكومة والعودة الى المعارضة. ومهما تكن المظان التي غدوها تجاه عبد الكريم، الذي رفضوا أن يروا فيه ديمقراطيا يدافع عن استقلال شعبه، فإن غالبية الاشتراكيين — ومعهم عدد من مناضلي عصبة حقوق الانسان — قد تأثروا بعزيمة الريفيين في القتال من أجل حرياتهم. لقد كانوا مؤيدين للحكم الذاتي وحتى لاستقلال الريف، الذي كانوا يرونه ملائما لصيانة الحماية. لكن الانتصار الفرنسي — الإسباني بدد هذه الأحلام. فقد أظهر بقوة النظام الاستعماري الفرنسي الذي لم يكن مستعداً لأي تنازل، وقوى معسكر أولئك الذين كانت لهم ثقة عمياء في الرسالة الحضارية لفرنسا في المغرب بحيث لم يعينوا لها أي حد، وأجلوا اعتناق السكان الأهالي الى وقت غير مسمى.

وفي اليسار المتطرف، رأى الحزب الشيوعي في حرب الريف تأكيداً لتحليلاته وأطروحاته التي دافع عنها منذ إنشائه من طرف الأهمية الثالثة. فمن جهة، استهدفت الامبرياليات الإسبانية والفرنسية بسط هيمنتها على أرض لم تكن حتى ذلك الوقت خاضعة، بحيث تتمكنان من الاستحواذ على ثرواتها المعدنية. ومن جهة أخرى، لم يكن الريفيون بقيادة عبد الكريم يدافعون عن استقلالهم فحسب، بل كانوا يعبرون عن رغبة الشعب المغربي قاطبة في الانعتاق من التأثير الاستعماري. ومن مصلحة البروليتاريا الفرنسية، التي هي ضحية لنفس الامبريالية، أن تتضامن مع كفاح القبائل المتمردة. وكل أولئك الذين لا يشاطرون هذا التحليل وهذا الاستنتاج، وخاصة زعماء التنظيمات الاصلاحية، يُشتعون كمتواطئين مع الامبريالية. على هذه الأسس، أطلق الحزب الشيوعي حملة ليس فقط في سبيل السلام الفوري، ولكن من أجل الجلاء عن المغرب، ودعا الى تاخي المقاتلين. لقد ظلت هذه الحملة نموذجية في تاريخ الحزب الشيوعي الفرنسي، مهما تكن الانتقادات التي عبر عنها كثير من القادة الشيوعيين أنفسهم. نموذجية بإرادتها في استنهاض الرأي ضد حرب استعمارية، وبمجهودها التنظيمي، واتساع المظاهرات والتجمعات العمومية التي تم عقدها في البلاد والتي وجدت سندها أساساً في الشببيات الشيوعية وفي التفافات التابعة لـ س.ج.ت.الوحدوية. ونموذجية أيضاً بتفاني مناضليه ضحايا القمع الممارس من طرف السلطات العمومية. لكن نتائج هذه الحملة لم تكن في مستوى آمال القادة. فباستثناء حالات قليلة، أخفق نداءهم الى تأسيس حبة موحدة، بحكم حذر الاشتراكيين، ولكن أيضاً بحكم تعصب القيادة الشيوعية التي لم تصوّر وحدة العمل إلا على شكل انخراط غير مشروط في شعاراتها. وسوف تفر بخططها

وَصَحَّحَ من موقفها، لكن بعد فوات الأوان. هذا لم يجذ الاضراب الذي نظمته الحزب الشيوعي في 12 أكتوبر 1925 ضد حرب الريف سوى صدى محدود خارج الأوساط التي تسودها الـ س.ج.ت الوحشية ولم يتوصل الى أن يحرك بصعوبة سوى بضع مئات آلاف من الشغّالين. ويبدو فشل الحملة واضحاً أيضاً إذا اعتبرنا بأنه لم يكن لها، رغم الاشاعات التي روجت، أي تأثير على توجه الجنود وسير العمليات العسكرية، وأن تعليمات التآخي على الخصوص لم تُسمع. وأخيراً، إذا كان الحزب نفسه قد خرج من هذه التجربة أفضل «نشاطاً» فإن أ. ماري قد كتب «أن المغرب، سينشط الحزب» (177)، — فإن ذلك كان يضمن انفصال عدد من المناضلين المختلفين مع سياسته أو الذين لم يقللوا بالالتزامات انضباط حزبي غداً منذ ذلك الوقت فصاعداً وطيداً.

الفصل الثامن

اليسار الفرنسي وعمليات إخماد الفتن

(1926 — 1934)

من 27 مايو 1926، يوم استسلام عبد الكريم، الى 16 مارس 1934، وهو التاريخ الذي أُلقت فيه آخر قبيلة متمردة الأسلحة، لم تتوقف الحرب، عمليا، في المغرب. وإذا كان اليمين قد رأى بأن العمل المباشر ضيِّد «المنشقين» المغاربة لم يكن مَقْوداً بما يكفي من الحزم، فإن اليسار كان منقسما على نحو عميق. أما الراديكاليون والجمهوريون الاشتراكيون، فيمنحهم الدُّعْم والمُشاركة للحكومات الناتجة عن تصفية الكارتيل، كانت لهم مسؤولية بارزة في قيادة العمليات العسكرية التي سعوا الى التَّقليل من أهميتها بتقديمها على أنها مجرد عمليات استتباب الأمن⁽¹⁾. وشجب إن الشيوعيون والاشتراكيون، الذين سيلتحق بهم لوقت قصير الراديكاليون الشبان، المرامي الامبريالية والحرب الحقيقية التي تخفيها أسطورة إخماد الفتن. ما جدوى براهينهم ؟ كيف تُفسَّر تقوية التيار الاستعماري وسط اليسار المعتدل ؟ وأخيراً، كيف ردَّ الرأي العام على الحملة التي طورها الحزب الشيوعي أساسا ضد حرب المغرب ؟ هذه هي الأسئلة التي يدعوننا لإنهاء الغزو والمقاومة المغربية الى طرحها.

اليسار الفرنسي أمام المقاومة المغربية

لم تستأثر العمليات العسكرية بين 1926 و 1934 بانتباه الطبقة السياسية والرأي العام بنفس الدرجة التي استأثرت به خلال حرب الريف. ف «الفترات الحرجة» هي تلك التي

1 لا ينبغي لعدم الاستقرار الوزاري (عشرون حكومة في الفترة التي همنا) أن يخفي استقرار نسبي في المصالح الوزارية التي كانت تتوقف عليها الحماية على المغرب وسير العمليات العسكرية. فبين مايو 1926 ومارس 1934، أي في أقل من ثمان سنوات، تم شغل الشؤون الخارجية أساسا من طرف برهان (خمسة سنوات وثمانية أشهر)، بول — بونكور (ثلاثة عشر شهرا)، وهيريو (سنة أشهر) والحربية من طرف مانلوب (ثلاث سنوات وأربعة أشهر)، ماحيتو (ستاد)، دالاديي (خمسة عشر شهرا) وبول — بونكور (سنة أشهر).

فرضتها الأنباء المتعلقة بالصعوبات التي اعترضت تقدم القوات الفرنسية واستجابات الحكومة التي أثارها. هكذا ستبرز في مايو - يونيو 1929 بشكل خاص قضية آيت يعقوب، والعمليات التي شنت في جبل صاء، خلال النصف الأول من 1933.

قضية آيت يعقوب

بين 1926 و1928، شهر الحزب الشيوعي وحده، وإلى حد ضئيل، الحزب الاشتراكي، بمواصلة العمليات العسكرية. بالنسبة للحزب الشيوعي، اعتبرت حرب الزيف مُستمرّة، رغم استسلام عبد الكريم (2). وفي الواقع، لقد توزّعت المعارك الأحيّة التي خاضتها القوات الفرنسية في هذه المنطقة في مجرى النصف الأول من 1927؛ مُنذ ذلك الوقت، لم تُعدّ هناك، رَسميًّا عمليات عسكرية، في جبال الأطلس، وفي تافيلالت، وهي آخر مواقع القرد، بل تُوزَّع سلّمي. ويوضح باللو، وزير الحرية، الأمر أمام المجلس في 28 يونيو 1928: يتركز عمل القوات الفرنسية «قبل كل شيء على شقّ الممرات والطُرق وجعلها تمرّ بالضبط، وقُدّر الامكان، قرب المُرتفعات. ومن جهة أخرى، وحتى نحافظ بشكل أفضل على هؤلاء السُكّان الذين لا يطلبون سوى حمايتنا، نقوم ببعض العمليات البسيطة ولكنها مهمة من الوجهة التكتيكية العسكرية لأن هذه المرتفعات التي نقوم باحتلالها تصلح لأن تكون معقلا لعمل دفاعي» (3).

لقد أقرّ بيرتون بأن تقدّم القوات الفرنسية، تم في بعض المناطق دون إراقة دماء «لقد ثُمّت تفرقة السُكّان ورشوتهم» بحيث تُمّ احتلال سوس على هذا النحو. «لكن بموازاة هذا التوغّل السّلمي، كان هناك استعمال للقوة»: لقد شُنّت عمليات حقيقة في الأطلس المتوسط وفي تادلة، وذكر الخطيب الشيوعي «قصفاً مفاجئاً» تعرّضت له منطقة بني ملال، ولأنه «وقع في يوم سوق، فقد تسبّب في حالة دُعر وسط السُكّان» (4). ونهت المجموعة الاشتراكية، من جهتها، من طرف آل لونكي الذين تلقوا رسالة من إيف فارغ تروي بتفصيل نفس الحدث الذي ينسبه إلى استفزاز للعسكريين سهلة غياب ستيك المؤقت، راجياً منهم عمل ما في وسعهم ل «إيقاف كل هذا، بإحداث أكثر ضجّة ممكنة، لأن انفعال الأهالي

2 لاكازون، 25 يوليوز 1926، 10 أبريل 1927.

3 مناقشات المجلس، 28 يونيو 1928، الجريدة الرسمية، ص. 2101.

4 نفسه، ص. 2100 (إلا بيرتون يستشهد لتدعيم أقواله لـ لاليجي ماروكان لـ 15 فبراير 1928). انظر أيضا جوير: «الحرب تستأب في المغرب»، دفاتر البلديات، يونيو 1928، ص ص 517 - 524 ولومانيي لـ 8 يوليوز 1928 التي نشرت نداء للحرب والشيوات الشيوعية يشهر بالعمليات المرتقة ضد الأطلس المتوسط وتافيلالت «التي اقتصر سكانها على مع الدحرج على المرأة».

كبير في الدار البيضاء»^(٩١). أما رونوديل، فعند أن عبر عن موافقته على الأعمال التي لها كهدف وحيد معاقبة «التهابيين» شجّب باسم الحزب العمليات الجارية «المُسَمَّاة مناورات والتي لها طابع عمليات عسكرية»، هذه العمليات التي بوشر فيها، على كل حال، دون علم البرلمان^(٩٢).

انفجرت في يونيو 1929، قضية آيت يعقوب. فأتى «عملية استطلاع» في أحد أودية الأطلس الكبير، فوجيء طابور فرنسي يقوده المقدم إيمانويل من طرف المتمردين فقتل غالبية أفرادهم^(٩٣). لقد كان التأثير كبيراً وعاد المغرب ليتصدّر «الصفحة الأولى» من الجرائد؛ بينما طالب الشيوعيون، والاشتراكيون والراديكاليون باستجواب الحكومة. وكان بانلوفي وبريان لا يزالان مسؤولين عن السياسة المغربية باعتبارهما وزيرين للحرية والشؤون الخارجية؛ لكنهما كانا ينتميان تلك المرة لحكومة يوانكاري التي انسحب منها الراديكاليون مُتَحَقِّقِينَ بالاشتراكيين في المعارضة. مع ذلك، ولأن كليهما جمهوريان اشتراكيان فقد ظلّا، بالنسبة لعدد كبير من البرلمانيين، ودون شك في نظر قسم من الرأي العام، رجُلَي يسار، وخاصةً بحُكم سياستها الخارجية «السلمية». إن هذا لا يعمل سوى على إبراز أكثر للتناقش الدائر في الصحافة كما في البرلمان، وهو الأول من نوعه حول القضية المغربية منذ 1926.

لقد حاكمت تشكيلات اليسار الثلاث العمليات العسكرية الفرنسية وأجمعت على شجب طابعها الهجومي. بخلاف ذلك، اختلفت أحكامها حول التمرد المغربي وخاصة حول الحلول التي توصل للخروج نهائياً من «وكر الزناير المغربي»^(٩٤). فأما بانلوفي الذي واصل التأكيد على أن الحكومة متمسكة بالتوغل السلمي — «بكل الوسائل التي عليها أن تتخذ هذا التوغل : الطريق، السكة الحديدية، التجارة، التعاون الاقتصادي وأيضاً الطيب» — فإنه يعلن أنه «لم يأمر أبداً، ولم ينصح أبداً، ولم يقبل أبداً بعمليات غزو أو بمغامرات تحت أية ذريعة»^(٩٥)، ارتأى اليسار مجابهة الحكومة بلغة الوقائع أي الاحتجاج ضد الطابع الهجومي اللفظ، وحتى «الاجرامي» للأعمال الممارسة من طرف الجنود الفرنسيين. لقد صرح كاشان بأن الأمر يتعلق بـ «حملة عسكرية كبيرة وبوسائل جبارة»^(٩٦)، في حين أكد نوبيل، وهو

5 وأبى إيف فارح كلامه قائلاً : «تصرفوا بسرعة، لأن الحمار يستمر»، رسالة في 14 فبراير 1928 أبلغ بها ر.ح. لوكي المؤلف.

6 مناقشات المجلس، 28 يونيو 1928، الجريدة الرسمية، ص. 2096.

7 تقدر الخسائر — من قتل ومفقودين — حوالي مائة رجل وقد هلك المقدم إيمانويل في التوغل

8 طلت المارة تستعمل، في سنة 1929 هذه، من طرف ليهيلير (13، 14، 23 يونيو).

9 مناقشات المجلس، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2069 انظر كذلك 25 يونيو، الجريدة الرسمية، ص. 2192.

10 لنفسه، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2067.

اشتراكي، بأنه من غير الممكن أن يكون المقدم إيمانويل قد توغل بمثل ذلك العمق في المنطقة المتمردة دون علم القيادة (11). أكا دالادي فقد تقدم بتدخل قوي وضع فيه المجلس أمام مسؤولياته : «إذا لم تضع حدا لهذه السياسة، فإنها تجازف بجر نفسها وجر البلاد الى سلسلة من المغامرات الدموية» (12). لقد شهر اليسار بـ «فريق حرب» (13). وادعى الاشتراكيون، رفقة بعض الراديكاليين، وجوده في المغرب، خاصة في الأوساط العسكرية (14). كما ورطوا رفقة الشيوعيين مسؤولية بانلوفي (15)، التي سعى كثير من الراديكاليين، هذه المرة، الى فصلها عن مسؤوليات الزركان العامة (16). وأخيرا، فإنهم جميعهم يؤكدون على «المؤازرات الخاصة» التي يلغاها فريق الحرب هذا في الصحافة الميتربوليتانية. لكن المسؤولية البديئة للعمليات تقع على عاتق أوساط رجال الأعمال. فإذا كان الشيوعيون والاشتراكيون يتهمون الرأسمالية الاستعمارية بإلغام السياسة العدوانية للحكومة (17)، فإن الراديكاليين لم يريدوا أن يبقوا منسحجين، كما يشهد بذلك، على الخصوص، تدخل دالادي (18) وبالأخص مقال مهم لفرانسوا دوتيسان (19).

ماذا يمثل التمرد المغربي بالنسبة للحكومة ؟ أية صورة كوتتها عنه أحزاب اليسار ؟ حسب الأطروحة الرسمية، التي عبر عنها بريان، «لاتزال في المغرب قبائل عديدة غير خاضعة وينبغي أن نقول بلا مراء بأن الحوادث لاتزال كثيرة الوقوع. قزمة عصابات غير منتظمة تنقض على إحدى المناطق، وتختطف السكان، وتطالب بالقديات، وتتهب وتضرم النيران...»

11 نفسه، ص. 2068.

12 نفسه.

13 العارة لدالادي، نفسه، 21 يونيو 1929، الجلسة الثانية، الجريدة الرسمية، ص 2142.

14 نفسه، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2068 (نويل)، 21 يونيو 1929، ص ص 2138 و 2140؛ ليونيل، 15 يونيو 1929، لوفر، 13 و 22 يونيو 1929؛ لانيويلك، 15 و 17 يونيو 1929؛ ليونيل، 25 يونيو 1929

15 أنظر ليونيل، 13، 18، 26 و 27 يونيو 1929.

16 غلاف لانيويلك، حرية الكفاح المندبة لدالادي، المضادة كثيرا لبانلوفي (أنظر خاصة 26 و 29 يونيو 1929)، اهتمت كل من لوفر وليونيل قل كل شيء بطمأننة الرأي العام حول أهمية معارك المغرب.

17 أنظر مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2136 (كاشان)، ليونيل، 15، 18 و 22 يونيو 1929.

18 أنظر مناقشات المجلس، 14 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2068

19 لقد أحاب فرانسوا دوتيسان حرية لولون : «عندما يخشى لنا بأن التجمعات المالية والاقتصادية لم تسع في أية لحظة الى ممارسة الضغط على السلطات العمومية وإلى إرضاء رغباتها الفعية، فإنه يتم إنكار ما هو ديني. فكل الشركات التي لها مصلحة في ساء القطار العابر للصحراء، وكل الشركات الكبرى المهمة مشككة الملاحة الجوية فوق القارة الأفريقية، وكل شركات التنقيب تسمى بخمارة أن يخلو لها الحال وأن تتمكن من العمل على كفيها في البلدان التي لم يتم بعد تطويعها من طرف قواتنا. يتعلق الأمر بأن يرى إذا كنا سنبدل أرواحا عديدة ونلقى أيضا عثبات الملايين في هذا المشروع من أجل إرضائها الفوري.» إذا كانت الحكومة لم تشهر بـ «مأورات هذه التجمعات الاقتصادية بهدف العزو الكامل للمغرب (فلأنه) يوجد في أعليتها نفسها مندوب هذه الاتحادات القوية ونواب متعاطفون معهم في العمق». لانيويلك، 27 يونيو 1929.

20. هكذا تبدو الفكرة التي قدمتها الحكومة عن التمرد — مع أنها تلافت في 1929 أن نتحدث عن الموضوع بإسهاب — قريبة جدا من تلك التي عبر عنها ممثلوا مجموعتي الوسط واليمين اللتين تساندان سياستها وتعتبران التأثيرين بمثابة قطاع طرق يستأهلون عمليات أمنية. أما أحزاب اليسار فقد اتفقت، من جهتها، على اعتبار التمرد ظاهرة ذات طابع سياسي، لم تتمكن الحكومة من تقدير أهميتها وهي ظاهرة تعبر بكل بساطة عن معارضة فئة من السكان المغاربة لتقدم الجنود الفرنسيين (21). ويمضي الشيوعيون أبعد من هذا بتبريرهم لهذه المقاومة وامتداحهم لها. فهذه القبائل كما يقول مارسيل كاشان مصرحا، «ترفض الخضوع للتيار، أولا لأن لها شعورا حادا بالاستقلال. لكنها تعرف أيضا بأن الأراضي الجماعية التي هي في حوزتها حاليا، سيستحوذ عليها الغازي غدا، لأنه يحكم كونها جماعية، فإنه يعتبرها دون مالك» (22). بالنسبة للحلول المقترحة بقيت الاختلافات التي لوحظت إبان حرب الريف قائمة. بل استفحلت أكثر. فيضع الدالاديي السياسة المغربية لحكومة المقيم لوسيان سان في الطرف المعارض «للعمل الرائع الذي أنجزه ستيك في المغرب» (23). وما يقدره في العمل الذي قام به المقيم العام السابق، هو رزائته، وحذره، اللذان لم يعرف خلفه ولا العسكريون المتحللون حوله، الاحتفاظ بهما. في العمق، يبدو الدالاديي، دون أن يقول ذلك بوضوح، مؤيدا لأسلوب «الخطوات الصغرى» الذي نصح به بانلوفي. هذا الأسلوب الذي لم يجد أي تجلٍ في العمليات الجارية. وقد دعا الحكومة باسم فريقه «إلى تطبيق سياسة إخماد الفتن، سياسة تكون منهجية، صبورة ومتساعمة، هي وحدها القادرة على أن توفر في نفس الوقت أمن المعمرين والأهالي» (24). أما الاشتراكيون فكانوا يودون لو يتم إحلال «أساليب سلمية حقاً، أي أساليب تفاوض» (25)، محل كل العمليات التي يتم القيام بها، ولو يتم الشروع في أشغال ذات نفع عام قمينة بأن تحسن مال السكان (26). وبالنسبة للشيوعيين، لا يمكن التكلم عن إخماد الفتن : وفي هذا الصدد قال كاشان مؤكدا : «إن توغلكم ليس سلميا ولا يمكن أن يكون أبدا كذلك. فلا يتم التوغل سلميا في بلد يريد سكانه أن يظلوا أحرارا ومستقلين». ف «التوغل السلمي المزعوم»، الذي يمتدحه اليوم كل من الاشتراكيين والراдикаليين و«الحملة العسكرية الكبرى» المرجوة من طرف اليمين، يعتبران معا «شكلين لعمل نفس الامبريالية».

20 مناقشات المجلس، 25 يونيو 1920، الجلسة الثالثة، الجريدة الرسمية، ص. 2216

21 «كان على كل توغل في المغرب أن يثير مقاومة سكان المنطقة الخاصة بقواتنا»، لوبولير، 13 يونيو 1929.

22 مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص ص 2135 — 2136.

23 نفسه، ص. 2141.

24 نفسه، 25 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2221.

25 لوبولير، 14 يونيو 1929.

26 مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص. 2140 (بغير).

ثمة حل واحد : الجلاء واستقلال المغرب (27). وإن الاشتراكيين، المعارضين صراحة لهذا الموقف، يؤكدون بأن سياستهم وحدها «مطابقة لفكر جوريس» (28). وكما وضع ذلك ريفيير أمام المجلس، هناك في المغرب حاليا «نوع من الأمر الواقع. فليس جميع مواطنينا — وهم عديدون هناك — مجموعون ومصاصو دماء. لقد بذل كثيرون منهم مجهودا جديرا بالاحترام الخاص، وقد رأيت بعض المعمرين الذين يستحقون عطفنا. لذلك، لا يمكن القبول بهذه العبارة التبسيطية جدا التي تم ترديدها : الجلاء اللامشروط». ثم أضاف الخطيب الاشتراكي : «يمكنني أن أؤكد أيضا، باسم كثير من الأهالي الذين استفسرناهم، بأنهم يعتبرون أنفسهم أسعد من السابق» (29).

في الواقع، لم يكن الشيوعيون أنصار مبدأ كل شيء أو لا شيء. فإن كانت صيغة الجلاء عن المغرب تترجم فكرهم على نحو عميق، إلا أنها لم تكن مطابقة للموضع، وكانوا يعرفون هذا جيدا حتى أن كاشان اكتفى في نهاية خطابه، بالمطالبة بإنهاء «الهجوم والترحيل السريع للقوات الفرنسية والجزائرية» (30). ولم يترددوا في ضم أصواتهم للرايكيين والاشتراكيين حول ملتصق قدمه الاشتراكيون ينص على القيام بتحقيق حول أحداث المغرب ثم حول ملتصق قدمه دلالي يعبر عن الرغبة في تلافي تكرار أحداث مؤسفة بذلك الشكل «أحداث آيت يعقوب»، و«يدعو الحكومة إلى أن تطبق في المغرب سياسة لإخماد فتن منهجية، صبرية ومتساعفة، هي وحدها القادرة على أن توفر في نفس الوقت أمن المعمرين والأهالي وتسمح بتطور البلاد في الهدوء والسلم» (31).

لقد اتحد اليسار، إذن في 1929 لكي يفرض السياسة المغربية لبيان وبانلوفي، لكن هذا اللقاء الاستثنائي كان خاليا من أي وهم : فالأحزاب مختلفة حول الموقف الذي ينبغي اتخاذها أمام التمرد المغربي، وسيعمل تواصل العمليات العسكرية في السنوات اللاحقة على إبراز هذه الاختلافات لدرجة أنه سيشكل أحد المواضيع الرئيسية للمجابهة بين أحزاب اليسار الثلاثة.

27 نفسه، *الجمهورية اليومية*، ص 2137.

28 إنه عواد كبير لـ *البيان* (25 يونيو 1929).

29 مناقشات المجلس، 21 يونيو 1929، الجلسة الثانية، *الجمهورية اليومية*، ص 2139.

30 نفسه، ص 2137.

31 نفسه، 25 يونيو 1929، *الجمهورية اليومية*، ص 2231.

مسؤوليات راديكالية، تصليب الشيوعيين، انقسامات اشتراكية

رغم المقاومة وإراقة الدماء التي طبعت سنة 1929، استمر تقدم القوات الفرنسية في اتجاه تافيلالت وتادلة، بطريقة منهجية، ولن يتم إخضاع معظم المقاومة المغربية، المتجمعة في جزء من الأطلس الكبير، إلا سنة 1933، في أعقاب عمليات تمثلت على الخصوص في المعارك التي دارت في جبل صاغرو، في حين ستستمر الجيوب الأخوية للـ «متمردين» الذين تحركوا إلى الجنوب الغربي، بين الأطلس الصغير والمحيط الأطلسي، في القتال حتى ربيع 1934. لقد بدا اليسار منقسما أكثر من أي وقت مضى. وكان الراديكاليون قد انضموا إلى معسكر اليمين المتطرف. وفي الجهة المعاكسة، شدد الشيوعيون موقفهم، وحكموا بقسوة على الاشتراكيين، مصنفيهم من بين الأنصار العلنيين أو المتلمنين للحزب المغربية. وفي الواقع، ترددت الحزب الاشتراكي بحكم انقسامه في اتخاذ موقف قوي، رغم ضغط أقلية كانت وجهات نظرها قريبة من وجهات نظر الشيوعيين.

منذ مغادرة طارديو للسلطة، في 1932، صار الراديكاليون في الحكومة. فلم يعد واردا بالنسبة لهم السماح بالاعتراض على العمليات العسكرية الجارية في المغرب؛ زد على هذا أنه كان لهذه الأخوية طابع دفاعي يحصر المعنى، وقد استعاد دلالي حرقيا تقريبا توضيحات بانلوفي وبريان، التي كان يعتبرها، قبل أربع سنوات غير مقبولة : «لايتعلق الأمر في المغرب مطلقا بحرب حقيقية... إن (عددا من القبائل) مكونة، لن أقول من لصوص، ولكن من رجال متمردين على نفوذنا، يلوذون بالجبال ومن هناك يقومون من حين لآخر بغارات، بأعمال نهب ضد القبائل التي قبلت الحماية الفرنسية أو حتى طلبتها (...) وفي هذه الحالة، عندما يكون علينا أن ندافع عن القبائل الصديقة، نجد أنفسنا مرغمين على التدخل» (32).

لقد استحسن الصحافة الراديكالية هذا الاجراء دون تردد، سواء تعلق الأمر بـ لاريوبليك * لامليل روش، بلوفر * لجان بيو (33)، الذي سيصير مع ذلك عضوا للجنة رعاية الوطنيين المغاربة الشبان، أو بليرونوفيل * التي أضفت لهجة حربية خاصة على سردا لعمليات «إخماد الفتن» التي تشن بتعزيزات كبيرة من المدفعية ضد جيليين لائذين بالمغاور (34). لكن هناك تحفظ مع ذلك، ففي صفحة خاصة من لاريوبليك، كانت تخصص وتنداك للمغرب

32 نفسه، 30 يونيو 1933، الجريدة الرسمية، ص. 3273.

La République *

L'Ouvrier *

33 ذاته، 1933.

L'Œuvre nouvelle *

34 ليرنوفيل، 21 عشت 1933.

مرة كل شهر (35)، هاجم أحدهم يدعى أ. نيلو بقسوة مصلحة الشؤون الأهلية ناعنا إياها بأنها «جهاز محمد للفتن (...) لا يمكن أن تكون له سوى وظيفة حربية لكي يتوصل إلى إخضاع المنشقين» (36). بينما ابتهج مارازاني، رئيس الفدرالية الراديكالية للمغرب، لكون الانشقاق «قد تكسرت شوكة تقريبا» بفضل المقيم العام سان الذي عرف كيف «بحقن دماء جنودنا بقدر ما سمحت له بذلك المبادرات المتهورة أحيانا لأركان عامة متعطشة للنصر والمجد»، تساءل يلو في عمود مجاور : «منذ 1928، ينبغي إحصاء الخسائر الفرنسية في التخوم الصحراوية بالآلاف. ترى هل يتطلب إخضاع مئات من العائلات المنشقة خسائر من هذا القبيل ؟» (37). لقد مثل هذا الصوت الناشر الخلافات التي ستنتج فيما بعد في صفوف الراديكاليين عن غو «السياسة الأهلية» وبروز حركة الشبان المغاربة. لكن في الوقت الراهن لم يكن له داخل الحزب أي صدى.

لقد لاحظ الشيوعيون أن العمليات العسكرية لاتزال متواصلة بنفس وقعها الدموي وأنها لم تقطع دابر المقاومة لدى «الشعب المغربي» (38). وقد صرح عابريل يري من منتصف المجلس «إن الجلبين الذين تشن عليهم الحرب يريدون العيش أحرارا» وأضاف قائلا : «إنني أكرر، باسم حزبي، بأننا نجد هذه الإرادة في منتهى الشرعية، وأنها لا نعتقد بوجود أدنى مصلحة مشتركة بين شغالي فرنسا والمستفيدين من المغامرة المغربية التي نشهر بها هنا» (39). فإلى جانب تأكيد الشغاليين الفرنسيين على تعاطفهم وتضامنهم مع أولئك الذين يكافحون للحفاظ على أرضهم وحرمتهم، يكون عليهم أن يظهروا إرادتهم في توجيه ضربة قوية للامبريالية (40). إذ في نية هذه الأخيرة التعجيل بالغزو النهائي للمغرب، ليس فحسب لكي تحسن مواقعها الاقتصادية، بل لأن السيطرة الكلية على الأرض المغربية تشكل عنصرا هاما من ترتيبات الحرب الأوربية الجديدة التي تهيئها (41). وبقيام الشيوعيين الفرنسيين بتعبئة الشغاليين

35 إن تحريرا تسهر عليه الفدرالية الراديكالية الاشتراكية للحماية.

36 لانيهليك، 2 يوليو 1933.

37 نفسه، 5 غشت 1933، أنط كذلك، لفس الاسم، «سيلر» وصل ما انقطع»، 2 شتن 1933.

38 أنظر لوماني، 14 أكتوبر 1930، 11 يونيو 1931، 18 يناير 1932، 14 غشت 1933.

39 مناقشات المجلس، 30 يهيو 1933، المفردة الرسمية، ص 3272.

40 أنظر لوماني، 25 فبراير 1933، 19 يناير 1934.

41 «إن المقل السهم للسلح، ولكن قل كل شيء لحيد إفريقيا السوداء نحو الساحل المتوسطي ضرورة أولية بالنسبة لفرنسا في حالة حرب امبريالية في أوروبا. إلا أن هذا المقل لا يمكن أن يد بالسرعة والأمن الضروريين إلا إذا عدت سيطرة الامبريالية الفرنسية على الجنوب المغربي كاملة، سواء تعلق الأمر بالمقل الحربي أو بالمقل السار أو بالنقل بواسطة السكك الحديدية» دفاور البلشفي، فاتح غشت 1933 (ه كلتي، «الحرب في المغرب» ص ص 1312 — 1320). وكان أوتافيو (نايس) أقل استلهاما عندما تحدث في المراسلة الدولية (2 دحر 1933، ص ص 1212 — 1213) عن تزويد المغرب للمتيروبول بالترول والعصم من إنتاجهما كان هتذاك معدما تقريبا.

من أجل الجلاء و«الاستقلال الفوري» سيعملون على إضعاف امبرياليهم الخاصة «التي ستنتقصها القوة لمقاومة كفاح شغالي الميتروبول»، وسيؤمن «الشعب المغربي كحليف في كفاح (هم) المناهض للامبريالية» (42).

لقد ترجم تصلب الحزب الشيوعي من خلال موقفه تجاه الاشتراكيين والراديكاليين. فهو يؤكد على مسؤولية حكومات «اليسارات» في حرب المغرب. فهي برأيه تواصل «عمل» ليوطي: «كل البورجوازية الفرنسية متضامنة، عندما يتعلق الأمر بالقتل والتقتيل» (43). لكن الانتقادات القاسية يخصص بها الحزب الاشتراكي. إنه يذكر مرارا بـ «موقفه الاستعماري» (44)، ويؤاخذه على كونه «متواطئا» في الحرب. لقد تطورت الانتقادات ابتداء من صيف 1933 واستمرت حتى أبريل 1934. فقد تحدثت لومانيتي عن «نفاق الزعماء الاشتراكيين» الذين يشفقون على الضحايا ومعلنين عن رجائهم في نهاية المعارك، في حين يدعمون حكومة دلادبي المصممة على مواصلة العمليات مهما يكن الثمن (45). ففي شتنبر 1933 تبنى المجلس الإداري الدائم للحزب الاشتراكي بيانا يتهم الحكومة بتوريط فرنسا في «حرب حقيقية» مرغوب فيها من طرف العسكريين ورجال المال، وذلك دون موافقة البرلمان: «إن الصحافة الرأسمالية الكبرى تخفي ببراعة الطابع الحقيقي (للعمليات العسكرية)، مكففة بتحقيق الأهالي التعساء الذين يدافعون عن مساكنهم». «ويعلن الحزب الاشتراكي في هذا البيان عن احتجاجه الساخط ضد هاته العمليات العسكرية الاجرامية الخرقاء»، وسيطرح السؤال من منصة البرلمان بمجرد الشروع في السنة التشريعية الجديدة (46). يتعلق الأمر هنا بالنسبة لأندرى فيرا، المكلف بالقضايا الاستعمارية لدى الحزب الشيوعي، بـ «بيان مخادع» توقف فيه فقط عند كونه يهاجم الأركان العامة لكي يبرئ مسؤولية دلادبي: «كيف يتأتى الكفاح ضد الحرب عندما يكون هنا الأول هو التغطية على الحكومة المحرصة على الحرب بالاتفاق معها» (47)؟ وفي أوائل 1934، أخذ الشيوعيون الاشتراكيين مرة أخرى بـ «تجاهل»

42 دافار البلشفية، مقال مشار إليه.

43 لومانيتي، 11 يوليو 1933. لقد تم تقديم سارو وبول — بونكور من طرف اليومية الشيوعية كـ «حلايين للشعب المغربي» 25 فبراير 1933. انظر كذلك 8 عشت، 27 و 39 شتنبر 1933.

44 نفسه، 14 أكتوبر 1930، 9 عشت 1933 (الصفحة 4 محصنة بأكملها، تحت إشراف أندري فورا، لظهور «الأحزاب الاشتراكية في عمدة الاستعمار» — 20 يونيو 1933 (ضد الحزب الاشتراكي للمغرب «المتشبع بالماسوية» (و) الذي يشارك في حمار الاضطهاد الامبريالي مباشرة) 29 نونبر 1933 («الحزب الاشتراكي من أجل الاضطهاد الاستعماري»).

45 14 يوليو 1933.

46 لومانيتي، 7 شتنبر 1933، مغرب، شتنبر 1933، ص 24.

47 لومانيتي، 8 شتنبر 1933.

الحرب، ذاهبين، أحيانا، الى حد اتهامهم بأنهم لم يتكلموا عنها أبدا : «لم تكتشف الجريدة الناطقة باسم الحزب الاشتراكي حرب المغرب إلا الباردة أي في فاتح أبريل 1934» (48). يظهر فحص موقف الحزب الاشتراكي بأن التأكيدات الشيوعية ثابتة في جزء منها، ومبالغ فيها، بل مغلوطة، في جانب آخر.

(1) لنذكر بأنه ظهرت في فترة الثلاثينات تيارات عديدة للرأي داخل احزب الاشتراكي بخصوص السياسة الاستعمارية (49). ونلاحظ تقدما للأطروحات الاندماجية، دون أن يكون في إمكاننا مع ذلك تصنيف جميع أنصارها ضمن المواقف «الاستعمارية» التي يقف عندها بعض قادة الفدرالية الجزائرية (50). ويعتبر كل من جان لونكي وزيرومسكي مثلا، أكثر تحميذا من فيلسيان شالاي أو مارسو ييفير لتوجيه البلدان المستعمرة نحو قانون استقلال داخلي، وحتى نحو نظام استقلال على المدى القريب جدا. ومهما تكن الاختلافات المذهبية التي تفرق بين القادة الاشتراكيين فكلهم يجمعون على إدانة أطروحة الجلاء عن الأراضي المستعمرة وخاصة منها المغرب. ولم تأت سنوات الثلاثينات بالنسبة لهذه النقطة بأي جديد.

(2) فيما يتعلق بسير العمليات العسكرية في المغرب، نلاحظ في مقام أول أن الحزب الاشتراكي عبر عن شتجه لتلك العمليات تحت حكومتي لافال وطارديو بتعابير معتدلة نسبيا (51). ثم أبرزت انتخابات 1932 التي جاءت بأغلبية يسارية الى المجلس، وأدت الى وصول الراديكاليين للحكم، انقسام الاشتراكيين بين مناصرين للمشاركة في المسؤوليات الوزارية ومعارضين لها. لقد تلافت أغلبية الحزب المضي بعيدا في انتقاد الحكومات الراديكالية. لكن ها أن شابا ومناضلا متحمسا، هو روبرير — جان لونكي، الذي قرر بأن يخصص جزءا هاما من نشاطه لمشاكل المغرب الكبير، لم يتبنى نفس التحفظ (52). لقد تمكن من التعبير في لوبوبلير بقوة لا تختلف في شيء عن قوة الشيوعيين، عن شهادته حول التوغل السلمي : فهذا الأخير، كتب قائلا، «يتم بطلقات المدافع والرشاشات وبمعمونة قصف جوي فظيع. إن قرى بأكملها تباد بنسائها وأطفالها (...) وتمنى قواتنا بخسائر عديدة (...) فهذه الحرب ترضي أثرياءنا المعمرين الذين يأملون في مساحات جديدة من الأراضي المشتراة من مغاربة تعساء

48 نفسه، 2 أبريل 1934

49 تحليل على تحليل مانيولا سميدي «الاشتراكيون الفرنسيون والمشكل الاستعماري بين الحزبين»، المجلة الفرنسية للعلم السياسي، المجلد 18، عدد 6، دجنر 1968، ص ص 1115 — 1154.

50 مثل سيفانفاري، أنظر بشكل خاص مقاله : «الاشتراكية والاستعمار» في لالي سوسالست، عدد 113، 13 أكتوبر 1928، ص ص 12 — 14.

51 أنظر لوبوبلير، 17 يناير، 28 أبريل و 10 مايو 1932.

52 عن ر.ج. لونكي (اس. جان لونكري) وصلاته بالمغرب والوطنين المغاربة، أنظر الجزء الثالث.

ومطرودين بأجنس الأثمان» (53). وفي أبريل 1933، عاد من سفر جديد إلى المغرب وحمل لحزبه معلومات عن «المعارك الدامية» التي ترتبت عن غزو جبل صاغرو (54). وفي المجلة التي كان يديرها، وهي «مغرب»، دعا المغاربة الشباب بالكتابة فيها، فوصف أحدهم «المتمردين» بأنهم «مضايقون في حريتهم ومرغمون على العيش في حيز محدود حيث يقعون تحت طغيان زعيم أجنبي» (55). لقد جعل ر.ج. لونكي، وبعض أصدقائه وهم دانيال كيران، موريس وماكدالين باز، الجريدة اليومية الاشتراكية، تشهر بشدة، خلال الصيف، بالعمليات التي تشن في الأطلس الكبير (56). كما استعمل مغرب لكي يضغط على الحكومة: «لقد نفذ صبرنا (...) يلزمنا لفهم حكومة «اليسار» بأننا نريد: 1) أن نعرف بالتالي وبشكل دقيق ما يحدث في المنطقة العسكرية. 2) أن يتم الكبح الفوري للعسكريين وإيقاف هذه الحرب التي لا تدور إلا لهدف واحد: تمكين مجموعات مالية قوية، مثل شنابير ودوكروز، من المناجم، وتمكينها أيضا من بيع عتادها الحربي لقواتنا بثمان باهظ. (...) ونطالب بأن ترسل لجنة برلمانية متمتعة بكل السلطات، فورا، إلى المنطقة العسكرية، مهما يكن رأي السيد دلادي الذي اعتقد أن عليه أن يرفض مؤخرا الترخيص لبرلمانيين بالذهاب للتحقيق في المنطقة العسكرية، وهو ما يحملنا على الاعتقاد في خطورة الوقائع التي يرام كتمها بأي ثمن (...) لقد طلبنا ولازلنا نطلب من الحكومة بأن تعمل على إيقاف هذه الحرب!» (57).

3) كانت المجموعة البرلمانية الاشتراكية أبعاد ما تكون عن مشاطرة وجهة النظر هذه. ففي 30 يونيو 1933، أفسحت حزب المغرب المجال لنقاش أمام المجلس (58)، فلم تنتدب

53 لوبويلر، 22 غشت 1932.

54 أنظر مغرب، شتنر 1933، ص. 1

Maghreb *

55 «إن السعادة التي يراد حملها اليكم ليست في النهاية سوى السعادة الحمراء: فالقوى والتجمعات الدينية تحرق، وتائل بأكملها مدمرة، وآلاف العائلات التي كانت تتكون منها، عدت مفلسة ومرغمة على الرأس» بعد أن صحت بالقوة الجبوية بالقوة الأرضية مغرب، أبريل 1933، ص 34 — 36 (لدور، «إخماد الفتن»).

56 لوبويلر، «كفى من الدم المراق في المغرب!» 13 يوليو 1933؛ «الدم لا يزال يسيل في المغرب» 14 يوليو؛ «عشرة قتل آخرون وإثنان وعشرون جرحا في المغرب!» (...) ونعرف أي موت يوحه «القتل» للذين يأتون لغزو وطنهم!»، 8 غشت؛ «إن «التوغل السلمي» يبدو مكل واقعه الكره»، 9 غشت. إنه ليس «شيئا آخر سوى مشروع لصوعية كبرى لمائدة الرأسمالية الاستعمارية ومناسبة لبعض ذوي الرتب العسكرية لكي يرمخوا شارات وياشروا دم الحنود الفرنسيين والأهالي المتصاه. (...) إن صمت الحكومة ذو دلالة وسترغمها على الخروج من هذا الصمت سواء أرادت ذلك أم لم ترده»، 11 غشت.

57 مغرب، شتنر 1933، ص. 2.

58 بمبادرة من كيرنو الراديكالي، وعازيريل يوري، الشيوعي، اللذين طالبا باستفسار الحكومة. فمتد 1929، لم تتر العمليات العسكرية في المغرب أي نقاش برلماني وأمام لجنة الشؤون الخارجية للمجلس، المختصة لسماع عرض لكيرنو، الذي كان حديث العودة من المغرب؛ (أنظر أدناه)، امتنع فيفو سياسة التوغل السلمي «التي تسمح لنا باحتلال»

المجموعة الاشتراكية أيا من أعضائها للمنصة، لدرجة أن الحزب الشيوعي وحده اهتم السياسة المغربية للحكومة (١٩). وعند الدخول البرلماني رفضت استفسار الحكومة كما طالبت بذلك اللجنة الإدارية للحزب الاشتراكي، وبالرغم من تذكير جان لونكي بذلك (٢٠). إن الحزب الشيوعي لم يكن يأبه تماما لاقامة فروق بين القادة الاشتراكيين : «اه ! نعرف هذا جيدا، إنه خطأ المجموعة البرلمانية، هيا إذن ! الحزب الاشتراكي كله مدان» (٢١). وإذا بلومانيتي تقوم بمقارنات في متبى الاعتبار، متهمة مغرب بالاتفاق مع الحكومة (٢٢)، ولونكي ورونوديل بكونهما يعارضان التخلي عن العمليات العسكرية (٢٣).

4) تبقى نقطة هامة. خلال الشهور الأولى من سنة 1934، كان التباين صارخا بين تعاقب المقالات المخصصة لحزب المغرب من طرف الصحافة الشيوعية (٢٤) وصمت الاشتراكيين. لقد تابع الحزب الشيوعي حملته حتى أواخر شهر أبريل. إلا أن آخر القبائل المنشقة ألفت السلاح في 16 مارس. لقد نهت لومانيتي قراءها : ينبغي الاحتراز من التصريحات الرسمية؛ فالحزب لم تضع أوزارها بعد، بل هي ممتدة إلى وادي الذهب وموريطانيا؛ لنغادر المغرب (٢٥). لقد ضمنت هذا الموقف تقديرا مغاليا لمقدرة مقاومة المغاربة أمام الوسائل العسكرية الهائلة المستعملة لاحتضاعهم (٢٦). ألا ينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار أيضا الضغط، القوي على الخصوص في تلك الأشهر الأولى من 1934، الذي كان يمارسه الحزب الشيوعي

عموم المغرب، دون إراقة الدم وبأن يحصل في الوقت نفسه على ثقة وإعزاز القائل الأكثر احتراماً. فرد عليه جان لونكي بأن «التوغل لم يكن دائما سلميا» وأورد أقوال الجنرال توكيس : «يلزم إتهام هؤلاء الناس تفوق فرنسا بطلاقات المدفع» مجلس النواب، لجنة الشؤون الخارجية، محضر جلسة 16 دوبر 1932.

59 أنظر أعلام. استهدف استفسار كيرلو في الواقع دعم سياسة الحكومة.

60 لوبويلر، فاتح نونر 1933.

61 لومانيي، 14 يوليوز 1933 (مشدد عليه في النص).

62 نفسه، 23 يوليوز 1933 (في تحفي لوبوانير : «في المغرب»)؛ عن ليوانير ومغرب، أنظر الجزء الثالث.

63 نفسه، 9 غشت 1933 (ص 4، «السياسة الاشتراكية — الأبرهالية في إفريقيا الشمالية»).

64 ثم استرعاه انتهاء قراء لومانيي الى حرب المغرب بمعدل اثني عشرة مرة في شهر يناير، سبع مرات في فبراير، ست عشرة مرة في مارس وخمس عشرة مرة في أبريل وذلك بأشكال مختلفة (مقالات، تعليقات صحفية، صور).

65 شعار رد أيضا في 16 أبريل.

66 في 7 مارس 1934، أكدت لومانيي بأن هناك «تمردات تتدلع حلف طواير العزاة الامبرياليين (...) وأن الكفاح يمتد الآن من تافيلالت الى الأطلس».

على الاشتراكيين لحملهم على قطع العلاقة براديكالي الحكومة (67)، والتوجه نحو وحدة عمل كانت الجماهير تفرضها تدريجيا على الأركان العامة للحزبين (68).

يبدو جيدا بالنسبة للاشتراكيين أن كل شيء انتهى منذ أمد طويل. فبالنسبة لروبير - جان لونكي، الذي لاعتبر معاداته للنزعة الاستعمارية عمل شبيهة، ليس بالامكان قلب موازين القوى داخل المغرب. وهو يعتبر، من جهة أخرى، أن معركة المغاربة انتقلت منذ الظهير البربري الصادر في 1930، إلى الصعيد السياسي (69). ولم يكن أغلب الاشتراكيين يرون إلى البعيد. ترى هل يفسر رفضهم لتشديد مهاجمتهم لسياسة الحكومة باعتبارات التكتك العام فقط ؟ يبدو لنا أن رفضهم ذاك كان يعبر عن موافقتهم العميقة على القضاء على التمدد. لقد كانوا ينفرون في مجموعهم دون ريب من استعمال القوة؛ لكن يبدو أنهم كانوا مدفوعين بقوة إلى الاعتقاد بأن الشيوعيين ويسار حزبهم يبالغون حول أهمية العمليات العسكرية الجارية. وقد عمل الصمت الذي لزمته الفدرالية الاشتراكية للمغرب، في هذا الشأن، على طمأنتهم، ألا يعتبر رفاقهم بالمغرب أول المقتنعين بأن مقاومة الثائرين لم يعد لها أي دلالة سياسية وأن من مصلحة هؤلاء إلقاء السلاح والسماح لفرنسا بمتابعة عملها الحضاري ؟ أو لم يحمل إميل فاندرفيلد نفسه، الذي عاد مغلوب اللب من سفر إلى المغرب، ضمانا الاشتراكية الدولية للحماية (70) ؟ إن تطور موقف عصابة حقوق الإنسان إزاء «إخماد فتن» المغرب ينير الفرضية التي نصوغها هنا حول انزلاق الأغلبية الاشتراكية نحو مواقف أكثر تفهما لأهداف الاستعمار بالمغرب.

67 كان الحرب الشيوعي وقتذاك يدمج كلا من الراديكاليين والاشتراكيين الأحرار في «السطافيسقراطيين»؛ وكان الضغط على الحرب الاشتراكي يستعمل بعمق هذا العصر السحالي : «بتواطؤ الحزب الاشتراكي، شنت حكومة سطايفسكي الحرب على مائتي ألف معري (...) إن قبائل الجنوب المغربي تقاتل بسلحها النظام الشنيع المثل باستحقاق من طرف فضيحة سطايفسكي» لوماني، 10 فبراير 1934. «متى سيحيب رئيس الحكومة وزير الحرية، وزير الشؤون الخارجية في حكومة سطايفسكي عن أسلعتنا المهددة حول تقتيل مغاربة الجنوب ؟» لنفسه، 12 يناير 1934.

68 «لجندب العمال الاشتراكيين، الذين لايقوم حزبهم بشيء ضد المحرم الراهن، لكي يتحسوا معنا» لوماني، 27 فبراير 1934. «لجندب العمال الاشتراكيين لكي يتحسوا معنا. حبة موحدة بروليتارية ضد الحرب من أجل الجلاء عن المغرب» لنفسه، 11 مارس 1934. إن على العمال أن يحققوا «الحبة الموحدة للعمل داخل لجان تضال ضد الفاشية والحرب» لنفسه، 12 مارس 1934.

69 أنظر الجزء الثالث.

70 في مقالين ظهرا في لاديش الثورية، أنظر الجزء الثالث.

تطور عصبية حقوق الانسان

لقد انصرفت الفترة التي كانت العصبية، مهزوزة بعمق بحرب الريف، تستفسر فيها الحكومة بقوة وتطالب للريفيين بحق إدارة أنفسهم بحرية. والرد الذي خصصت به، في أوائل 1930، اقتراح شارل جيد، الرامي الى إطلاق سراح عبد الكريم — «(هذا) الرجل الذي حكم عليه بدون مقاضاة والذي كان ينبغي أن يعامل في الأكر كأمير حرب» (71) — ذو دلالة في هذا الصدد. فقد أكد كيزنو، السكرتير العام، في تقريره «لا يمكن أن نقول بأنه كانت هناك حرب؛ كان هناك تمرد أو انشقاق، وهو ما كان يسمح لنا بإعدام عبد الكريم عند أسره بدون قيد أو شرط. ثم لاهد من التفكير في المصير الذي كان سيلقاه على يد السلطان، لو كان هذا الأخير هو القاضي الوحيد. وإذن فإن عبد الكريم محظوظ جدا في نهاية الأمر لكونه لم يتعرض سوى للنفي، وكل ما يمكن للعصبية أن تطلبه، «هو أن يكون هذا النفي لطيفا وإنسانيا قدر الامكان» (72).

منذ ذلك الوقت، لم يعد واردا بالنسبة للعصبية أن تحتج على مبدأ العمليات العسكرية. لكن ذلك لم يرد دون مصاعب، خصوصا مع فليسيان شالاي، نصير الاحتجاج على العمليات العسكرية الجارية (73)، وفي نونبر 1932 عند عودته من سفر الى المغرب، عبر كيزنو أمام العصبويين عن الاعجاب الذي يحس به تجاه «العمل الخارق» الذي أنجز من طرف ضباط الشؤون الأهلية لدى القبائل. لقد قام بتقديم لوحة مثالية؛ ثمة طرقات بنيت، وأسواق فتحت، ومراكز تمريض أعدت. لقد سهّل التركيب الديمقراطي للبربر عملية إخماد الفتن : ف «ما إن تشكل أغلبية قوية لصالح الخضوع، فإن الأقلية تقبل أو تهاجر الى قبيلة مجاورة تظل متمردة، فيصير في مكنة الجيش أن يتقدم دون مخاطر». لاتزال هناك دون ريب بعض مناطق الانشقاق ويمثّل إخضاعها بعض الصعوبات؛ إذن هناك «يلوذ المحكوم عليهم، والفارون، أو المتعصبون للاستقلال؛ لكن التقدمات سريعة بصفة عامة» (74).

مع ذلك، كشف النقاش الذي أعقب عرض كيزنو، عن ارتباك العصبويين، ففكتور باش يشك «بأن المنشقين يسلمون أنفسهم لنا عن اقتناع عميق بالمزايا التي نعملها لهم. لكن هل حادتهم السيد كيزنو ؟ هل يعرف ما يدور في سرائرهم ؟ فهم لا يمكن أن ينظروا الى الفرنسيين إلا كغزاة، ومن حقهم أن يعترضوا بكل الوسائل على نظام لم يختاروه» (75).

71 دفاتر حقوق الانسان، 10 يناير 1930، ص 15 (عرض جلسة المكتب لـ 5 دجنبر 1929).

72 نفسه، 10 مايو 1930، ص 302 (عرض جلسة المكتب لـ 20 مارس). مشد عليه في النص.

73 أنظر نفسه، 10 دجنبر 1932، ص 738.

74 الدفاتر، 20 فبراير 1933، ص 117 — 119 (محضر جلسة اللجنة المركزية لـ 17 نونبر 1932).

75 نفسه.

أما إميل كان، المقتنع بمبدأ التوغل السلمي، فبدأ منشغلا مع ذلك بمعرفة ما إذا تم استعمال الرشوة، وهو ما يجعل الخضوعات، في رأيه، قصيرة الأمد. بينما ارتأى لايري، من جانبه، أن يعارض معاملات ضباط الشؤون الأهلية بأساليب أولئك «الذين يقدمون من فرنسا لوقت وجيز مصممين على الاستفادة من عبورهم للمغرب لربح الشارات» (76). وبالنسبة لبارتيلمي، «أن يكون التوغل سلميا أم عنيفا، فإن الأمر يتعلق في كل الأحوال بغزو» (77). وطلب من العصابة ألا تقيم تمييزا بين الأسلوبين وأن تعترض على كل غزو جديد؛ إذ يكفي، في الأكثر، الحفاظ على المواقع المكتسبة. لكن كيرنو رجل سياسة براغماتي، تتغلب لديه الفعالية — ينبغي فهم الفعالية بمعنى تقوية الحضور الفرنسي — على مسائل المبدأ والأخلاق (78). فدافع عن فحوى تقريره مؤكدا بأنه سأل الأهالي؛ فقد سعى لكي يعرف أسباب خضوعهم، فأجاب البعض بجلد: «هذه إرادة الله». وقال البعض له: «إن للفرنسيين مدافع ورشاشات»، وأخيرا صرح آخرون: «لكي أحصل على السلم واستمتع في سلم بثار عملي». إن هناك دون ريب فئتين من العسكريين في المغرب «لكن الفئة المسموعة أكثر فأكثر والتي يجب الانتصا لها على الخصوص هي فئة ضباط الشؤون الأهلية الذين يعرفون البلاد، واللغة، والعادات ورجال البلاد، والذين يبدلون الجهود للانعقاد، لا للقتال». ألا ينبغي حماية الفرنسيين المستقرين هناك، وكذا «الأهالي المهادنين»، من «النهايين»؟ أما بالنسبة للرشوة، فهذا صحيح: «إذ يتم إعطاء هدايا صغيرة وبعض المؤن للأهالي الوافدين الى الأسواق، كما يتم منح امتيازات لأهم للزعماء؛ فقد كان من عادة ليوطي أن يقول، كما ذكر كيرنو بذلك بأن ذلك يكلف أرخص كثيرا من طلقات المدفع» (79). وإذا بالقرار الذي تم تبنيه من طرف العصابة يشهد بأن البقطة القلقة للعصبيين قد تراجعت أخيرا أمام ضرورة طمأنة النفس وطمأنة الرأي بإعطائها شهادة رضى للعمل الفرنسي في المغرب: فاللجنة المركزية تعتبر «بأن أساليب التوغل السلمي عبر الطريق، عبر السوق، عبر الطبيب، قد أعطت نتائج مرضية وأن هذا التوغل السلمي ينبغي أن يحل في كل الأحوال والأمكنة، محل التوغل بالأسلحة» (80).

في مارس 1933، بعد أن أعلنت الصحافة نبأ هجوم قامت به القوات الفرنسية في المغرب، اعتبر الرئيس فكثور باش بـ «أنه من غير المقبول أن تشن عملية عسكرية من هذا

76 نفسه.

77 نفسه.

78 «هل كان الذهاب الى المغرب خطأ أم صوابا؟ إنه مسموح طعنا بطرح السؤال. لكنا فيه» نفسه.

79 نفسه.

80 نفسه، 20 دجنر 1932، ص. 756.

القبيل دون أن يكون ذلك في علم البرلمان والبلاد» (81). ودعا العصبة لأن تطلب توضيحات من وزير الحربية. وبموازاة ذلك، تم استفسار فدرالية المغرب؛ وبعد أن ذكرت هذه الأخيرة عددا كبيرا من القتل والجرحى، «احتج» المكتب «مرة أخرى على أساليب التوغل العسكري التي تبقى المغرب في حالة حرب» (82). لكن احتجاجها لم يستمر، فبعد أن واجه وزير الحربية بالصمت الاجراءات التي قامت بها العصبة، صبرت هذه الأخيرة شهورا طويلة، ثم اعتبرت، في الأخير، أنه ليس في مستطاعها «التدخل بشكل مجدي على (أساس) معلومات الصحافة التي ليس في مقدرتها ضمان صحتها» (83).

قيمة حجج اليسار حول أساليب «إخماد الفتن»

هل تتوفر على معلومات تسمح بتقدير قيمة الحجج التي أدلى بها اليسار حول «التوغل السلمي» في المغرب؟ يمكننا، على الأقل، أن نسعى لاضاءة النقاشات التي تمحورت حول الأساليب المستعملة لاختضاع المغرب. كما يمكن مقارنة التصريحات الرسمية ببعض الملفات التي من المحتمل أن الطبقة السياسية كانت قد اطلعت عليها، على الأقل جزئيا. حول هذين الجانبين المرتبطين بشكل وثيق، وهما مسؤولية العمليات العسكرية والدلالة المعطاة لـ «الانشقاق» ولـ «إخماد الفتن»، تقدم أرشيفات بانلوفي، بالفعل، توضيحات هامة (84).

1) أولا، إنها تؤكد صحة الأطروحة التي دافع عنها ممثلو اليسار والمتعلقة بالطابع الهجومي للعمليات المشنونة في 1929. فقد انخرطت هذه الأخيرة فعلا في مخطط تم إنضاجه والتحضير له طويلا من طرف الأركان — العامة :

□ في مذكرة بتاريخ 7 مارس، يعتبر المارشال فرانشي ديسبييري، المفتش العام لافريقيا الشمالية، أن من الضروري، من جهة، احتلال هضبة وادي العبيد، في تدلة، ومن جهة أخرى احتلال تافيلالت، «مكان الأسلحة الطبيعي للجيش التي تأتي لتقلق مواصلتنا مع الجنوب المغربي ومع التراب الجزائري لعين الصفرة»؛ وهذه العملية الأخيرة «ناضجة»، وقد وضح مراحلها (85)؛

81 نفسه، 10 أبريل 1933، ص 236.

82 نفسه، 25 — 30 مايو 1933، ص. 359.

83 نفسه، 30 مارس 1934، ص 229.

84 AN مجموعة نانلوفي 207 AP 313.

85 نفسه، «وضعية المغرب في بداية 1929. عمليات عسكرية مرتقطة»، (نسخة أصلية من البحث).

□ في 14 مارس، طلب المقيم العام لوسيان سان موافقة الشؤون الخارجية على العمليات التي كان يرغب في القيام بها، يتعلق الأمر حسب قوله، بـ «توطئات صغيرة» ينوي تنفيذها في أراضي الجنوب، وتستهدف من جهة، احتلال بلاد آيت حديدو في زيز الأعلى، وفي وادي آيت يعقوب، ومن جهة أخرى احتلال الجرف والفرن، غرب أرفود. وتبدو له هذه العمليات «مطابقة كلياً لروح التعليمات التي تلقاها من الحكومة» وهي، كما قال موضحاً، «لائتورطنا في شيء في مسألة تافيلالت التي لا يمكن النظر فيها حالياً» (86).

□ لقد استشارت الشؤون الخارجية وزارة الحربية، وفي 22 مارس، علق فرانشي ديسيربي، في مذكرة لبيتان، نائب رئيس المجلس الأعلى للحربية، على اقتراحات المقيم العام. لقد لاحظ بأنه من العمليتين المرتقتين، تجاوز الأولى، وهي عملية آيت حديدو، بأن تكون مكلفة من أجل نتيجة هزيلة. أما بالنسبة للعملية التي تستهدف الجرف والفرن، ذكر بأنها «تدخل في البرنامج الذي عرضه عليه : إنها تبدأ محاصرة تافيلالت» (87).

أجاب وزير الحربية في 6 أبريل 1929 بأنه لا يتعرض على البرنامج المقدم، فأعطت الشؤون الخارجية موافقتها للمقيم العام (88).

هكذا، فمن جهة، أعطى وزير الحربية موافقة على عمليات عسكرية في الجنوب المغربي يعرف طابعها الهجومى، وبعد خمسة عشر يوماً ذكر وزير الشؤون الخارجية المقيم العام بأن السياسة العسكرية للحماية ينبغي أن تظل دفاعية بحصر المعنى (89). وطبعاً، هذا التوجيه الأخير هو الذي أورده بريان أمام المجلس. على الصعيد المحلي، ذكر المقيم العام السلطة العسكرية بأنه قد صدرت «تعليمات من الحكومة تمنع أعمال القوة المتفلسة بوسائل ثقيلة و(أنه) لن يتم النظر هذه السنة سوى في توطئات ذات طابع سلمي بشكل واضح، تطلبها قبائل راجية حمايتها، وتنفذ بتعاون وثيق وصادق معها» (90). تظهر الممارسة بأن مختلف درجات القيادة كان لها تأويل مطاطي لهذه التعليمات. لكن في هذه الحالة الخاصة نسجل بأن احتلال الجرف والفرن تم في 8 أبريل؛ وهذا معناه أن البرنامج الذي أوصى به فرانشي ديسيربي وصادق عليه المقيم العام والشؤون الخارجية والذي يتضمن أيضاً «محاصرة تافيلالت»، قد دخل حيز التنفيذ قبل التعليم الإزفامية.

86 نفسه، رسالة رقم CMC/189 في 14 مارس 1929. التشديد منا.

87 نفسه، التشديد منا.

88 نفسه، برقية رقم 640 في 9 أبريل 1929.

89 برقية 23 مارس 1929، المشار إليها آنفاً.

90 SHA MAROC CSTM 22002 (رسالة رقم CMC/262 تاريخ فاتح مايو 1929 من المقيم العام الى الحرابل

القائد الأعلى للقوات المغرب).

وحول ظروف اشتباك آيت يعقوب نفسها، تورد المراسلة الموجهة من الرباط الى باريس بشكل صريح مسؤولية الجنرال فرايدنبرغ، المتهم من طرف اليسار، والمدافع عنه من طرف وزيره (91).

2) من جهة أخرى، توضح التقارير المعدة من طرف الأركان العامة للطابع الوهمي لـ «التوغل السلمي» الذي يتباهى به وزير الحربية. فبشكل مترابط، تعيد هذه التقارير لـ «المنشقين» صفة «محارين» التي تابر كل من بانلوفي وبريان على نفيها. لقد كتب فرانثي ديسيري في تقرير بتاريخ 20 يونيو 1929: «إن المغرب لا يزال بعيد الخضوع؛ ويتطلب إخماد الفتنة استعمال القوة» (...) فالاقناع لا يعرف سبيلا الى سكان محارين بالجبل مثل سكان المغرب إلا إذا قهروا أولا بالقوة» (92). بعد بضعة أيام من ذلك، توجه بيتان للوزير بقوله: «إن القضية المؤسفة لآيت يعقوب تضع الأصبع على وهم ومخاطر ما اصطلاح على تسميته بـ «التوغل السلمي» (...) هذه العبارة (...) لاتخدع سوى الناس غير المحرجين. فعلى كل عسكري واع بمسؤولياته، في بلد حديث الاحتلال، أن يكون دائما في حالة قتال في أفضل الظروف، وإلا فإن التوغل المسمى سلميا يقود دوما الى نكبة. واستنتاجي، سواء قبل أم رفض، هو أن الجبهة الجنوبية للمغرب هي حاليا جبهة قتال. (...) وأمامنا يوجد عدو». (93). بعد أربع سنوات من ذلك، لاحظ الجنرال ثيفيني بأن القوة وحدها يمكن أن تقطع الدابر: «كما منشقي تازكزوات في 1932، وصاغرو في 1933، فإن منشقي الأطلس الكبير سيتمتعون أولا عن المفاوضات، ولن يقع استسلامهم احتالا إلا بقوة الضرورة، وذلك بعد بضعة ردود فعل قوية تكسرها بسهولة بأسلحتنا الأوتوماتيكية، ومدافعنا المركزة في المواقع المختارة، وطيراننا المداوم على الارتباط بمجنودنا، وأمام استحالة تكسير الأزمة التي ستشتد عليهم، سيعمد المتمردون، منهكين بالجوع والعطش، ومبادين بالنار، وبعد أن يكونوا قد أنقذوا الشرف، إلى الاستسلام أخيرا. حيثئذ سنجردهم من أسلحتهم ونكون بذلك قد أقمنا فتنة الجبل بأكمله». (94).

نعكس هذه الأحكام لزعماء الجيش الفرنسي رأي الجيش التقليدي. هل يجب أن نعارضها، كما قصد كيرنو الى ذلك، بوجهة نظر ضباط الشؤون الأهلية، الاختصاصيين في

91 أطر 313 AP 207 AN (رسالة رقم 312/CMC لي 13 يونيو 1929)

92 313 ap 207 AN (تقرير رقم S/S المجلس الأعلى للحرب حول «إخماد الفتنة في المغرب»).

93 نفسه، رسالة رقم 1579/S لي 24 يوليو 1929 (مشدد عليه لي العس)

94 لافرانس ملحق، 29 يوليو 1933. «في الأطلس المتوسط، ذكر الجنرال كيوم، لم تأت أية قبيلة إلينا بحركة عفوية. ولم تستسلم أية واحدة دون أن تقاتل، ودون أن تستلذ بعضها وسلل مقاربتها عن آخرها». الزهر المغاربة واتحاد فتن الأطلس المتوسط (1912 - 1933) باريس، 1946، ص 73.

التهدئة ؟ لنضع الكلام هؤلاء : ولنبدأ بموريس لوكلاي (95)، الذي عندما دعي في 1928 لالقاء محاضرة في هذا الموضوع أمام رفاقه الشبان، وضع الأشياء في نصابها : إن «التوغل السلمي» «عبارة حقيقية بصورة مطلقة، لأن مشاريعنا سلمية في غاياتها. فأن تضطروا عند تنفيذها الى ممارسة القوة وأن تدوي من أجلها طلقات البنادق، فإن هذا لايفير شيئا من المعنى العميق للعمل نفسه، ولا من الكلمات التي تشير اليه» (96). أما القبطان سعيد كتون فينصح ببعض التقنيات للتهدئة يعتبرها مهياة على الخصوص للطبع البربري : «إن الوسيلة الوحيدة للتعبيل بالخضوع (...) هو أن يكون في مراكزنا خيالة عديدون جسورون وقادرون على اختطاف القطعان ومنع المراعي وحقول الحرث، أي باختصار، تفقير الدواوير الثائرة ثم منحهم عذر الفقر، الذي بدونه لايمكنهم الاستسلام بدون تلطيخ شرفهم» (98).

في أطروحة دكتوراه في القانون دافع عنها في 1934، وصف ييار فاليري، قبطان الشؤون الأهلية، بدقة متناهية، مختلف أساليب التهدئة (99). إنه يميز على الخصوص العمل السياسي الذي يستهدف جلب تعاطف الزعماء أو إذا تعذر ذلك إثارة بعضهم على البعض الآخر، والعمل الاقتصادي؛ ويكتسي هذا الأخير شكلين متعارضين : شكلا سلطويا حيث يرافق الضغط العسكري تدابير الحصار، و«شكل اجتذاب» يتضاءل معه العمل العسكري. لكن فاليري يعتبر أن الحصول على خضوع القبائل دون اللجوء الى القوات النظامية يشكل «للأسف الحالة الاستثنائية. ففي أغلب الأوقات، يكون على العمل العسكري أن يمد يد العون للعمل السياسي» (100). وإذ يشير الى خطاب كيزنو، في مجلس النواب، الذي طالب فيه بتعميم أساليب «التوغل السلمي» يؤكد الضابط الطابع الخيالي لهذا الرجاء، إذ أن القبائل غير مستعدة مطلقا لقبول الهيمنة الفرنسية (101).

- 95 صابط استحضارات من طراز آخر وأحد ملهمي السياسة البربرية للوطي وهو مؤلف روايات وقصص قصص وحكايات مغربية.
- 96 عن التوغل، محاضرة أقيمت في الطور الاعادي لمصلحة الشؤون الأهلية، في 3 أبريل 1928، الدار البيضاء، 1928، ص 6 (مشدد عليه في النص)
- 97 قبائل من الحرائر، تطوع في يناير 1902، وصار ملازما في أكتوبر 1912 ومنذ 1910 قصص كل مأموريته تقريبا في النادية بالمغرب. ألف على الخصوص، الجبل البربري (الرباط، 1933) الذي طهر في يناير 1929 في استعلامات استعمارية.
- 98 الجبل البربري، مشار اليه، ص 328 (مشدد عليه في النص).
- 99 الفزاة والمغزرون في المغرب؛ مساهمة في الدارسة السوسولوجية الاتصال الشعوب، باريس، 1934.
- 100 مشار اليه سابقا، ص 102 — 103.
- 101 نفسه، ص. 83.

لايعلل مسئولوا السياسة المغربية أنفسهم إذن بأي وهم حول واقع «التوغل السلمي». فالخشية من البرلمان ومن الرأي العام هي التي تفسر، حسب الجنرال كيوم، «سياسة جمود» السلطات المدنية والعسكرية وذلك مباشرة بعد حرب الريف، (102) كما تفسر ابتداء من 1928، الاخفاء المنظم للطابع الحقيقي للعمليات العسكرية المشنونة ضد المنشقين (103).

تقوية التيار الاستعماري

من المحتمل أن الطبقة السياسية لم تكن غافلة عن الدعاية الحكومية وأنها كانت تخبر بوقائع إخماد الفتن، كما تم التذكير بها بفضل شهادات ضباط الشؤون الأهلية. كيف نفسر، في هذه الحالة، التفهم المفصح عنه أكثر فأكثر من طرف قطاع من اليسار الفرنسي تجاه العمليات العسكرية التي كان يراقبها بعين يقظة حتى قضية آيت يعقوب ؟ هل يفسر الاهتمام الطارئ، الممنوح للمسائل ذات الطبيعة الاقتصادية من جهة، وذات الطبيعة الاستراتيجية من جهة أخرى، هذا التطور ؟

ثقل المصالح الاقتصادية

لايفصل تاريخ غزو المغرب عن المشاريع الكبرى الموضوعة من طرف مجموعات اقتصادية قوية لكي تضمن لنفسها السيطرة على الثروات الحقيقية أو المفترضة للإمبراطورية الغنية. هل ينبغي الذهاب أبعد من هذا وإقامة علاقة سببية واضحة بين مشاريع الأبنك والشركات الكبرى والعمليات العسكرية التي شنتها القوات الفرنسية للحماية ؟ وهل يتوجب علينا، من جهة أخرى، أن ننسب تقوية التيار الاستعماري إلى توافؤ بين هذه المجموعات الاقتصادية وبعض القادة السياسيين لليسار ؟

عن النقطة الأولى، ادعى مجموع اليسار الشيوعي والاشتراكي، الذي انضم إليه اليسار الراديكالي لوقت قصير، كما رأينا، أن الهجمات التي شنت خصوصا في الأطلس الكبير، وتافيلالت، وتادلة، وصاغرو، كانت مبررة بالرغبة في الاستئثار بالثروات المعدنية، والمصادر المائية، والأراضي الصالحة للاستعمار. لقد قدم هذه الاتهامات بشكل عام، وعندما كان يعطيها شكلا دقيقا، على نحو استثنائي لم يكن يرفقها بأي عنصر إثبات. لقد كان الأمر

102 مشار إليه آفا، ص 86.

103 نفسه، ص ص 250 — 251

بالسبة للكثيرين نديها دون شك. لذا لايسع المؤرخ المتشدد أكثر، ولكن المحروم من تصريحات القادة السياسيين والعسكريين ومن أرشيفات الأبنك والشركات الكبرى وهذا هو الأسوأ — أن يقدم اليوم سوى توجيهات عامة تبقى بحاجة الى البحث.

الأبحاث المنجمية

على الصعيد المنجمي، ينبغي أن نسجل بأن النظام القابل للتطبيق في المناطق الحساسة لم يكن يعوق التنقيب عن المناجم. لقد أرفق منذ 1923، النع المبدئي للأبحاث المنجمية في هذه المناطق، (104)، برخص خاصة للتنقيب عموقت : فمنحت ترخيصات من طرف قائد المنطقة المعني للمعتمدين من طرف مصلحة مناجم الحماية؛ ولا ينبغي إغفال العلاقات التي تكونت في ظل هذه القوانين، داخل المناطق المتنازع فيها من طرف القبائل المتمردة وذلك بين المنقبين، الذين يمثلون الشركات المنجمية الكبرى، والضباط المكلفين بقيادة عمليات إخماد الفتنة. فهذه العلاقات تغذي وعي الشؤون الأهلية بضرورة امتداد النشاط العسكري الى نشاط ذي طابع اقتصادي.

لقد تم إنشاء الشركات المنجمية للأبحاث والاستغلال في حالات كثيرة قبل سنوات عديدة من إخماد الفتنة في الأراضي المعنية :

□ منجم الحديد لحنيقرة. في 1925، تمكنت مصلحة مناجم الحماية، بوسائلها الخاصة، من أن تستكشف، في قلب منطقة متمردة، مناجم هاما للحديد، قرب خنيقرة. وفي مايو 1926، طلب اتحاد مكون من عدد من الشركات المنجمية والمعدنية الفرنسية أن يسند اليه هذا المنجم. في غشت 1927، انخرط بنك باريس والبيي با والشركة العامة للمغرب في هذا الاتحاد الذي سيأخذ عما قريب اسم نقابة المناجم والصناعات بالمغرب. وبينما كان المنجم المطموح فيه لايزال في منطقة خطيرة (105)، سعت السلطات العمومية بواسطة مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية (106)، الى إشراك مصالح أجنبية «مؤهلة بالاشتراك الذي كان لها في النشاط المنجمي الشريفي» مع المصالح الفرنسية (107). لقد جرت محادثات انتهت في

104 «... جمعا، في مناطق الخطر بين منع التنقيبات المعدنية ومع المضاربات العقلية، بعد عنها مرهد من الأحاسن، الأمر الذي هو هدهما الأساسي» (رسالة ليوطي في 4 يوليو 1914 الى وزير الشؤون الخارجية، في منطقة الخطر، دراسة (مترجمة) لمصلحة تشريع الإقامة العامة للرباط، 1952، ص. 10

105 سطل هاك الى عاية 1929

106 إن مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية، مشروع استعلائي للدولة، تم إنشاؤه من طرف الحماية في دحمر 1928، لاثارة المبادرات الخاصة، وتوزيع القرص المعدني على المشاريع التي تطله وأخذ مشاركة أقلية في رأسمال بعض شركات الاستعلائي عند الاقتضاء.

107 إننا نعيد عن طرد الأحاب «هدهما الأساسي» حسب ليوطي

الأخير إلى إنشاء شركة الدراسات والاستغلال المنجمية لتادلة، وهي نموذج متميز للمركز العمودي (108).

□ **منجم المنغنيز لسوس وسيرو.** رغم الميع الرسمي للتنقيبات في هذه المنطقة، تمكن منجميون عديدون وشركات قوية من العثور على آثار معدنية بواسطة بعض الأهالي وبعض الأوربيين القلائل الذين، عدا العسكريين، كانوا متواجدين هناك بحكم وظائفهم : وهم سائقون في قطاع الأشغال وناقلون على الخصوص. بهذا يفسر الامتياز في استكشاف المنجم الأكثر سهولة في المنطقة، وهو الامتياز الذي حول بشكل خاص للشركة العامة للنقل والسياحة المسماة ستيام. ودون انتظار فتح المنطقة، ولو جزئيا، شكلت ستيام، منذ مارس 1930، شركة تسمى شركة تيفنوت - تيرانيمين، لدراساتها واستغلالها المحتمل (109).

ولم يكن تدخل الشخصيات المغربية البارزة عديم التأثير على شروط إسناد المناجم وفتح المناطق الخطرة :

□ **منجم الكوبالت في بوعازر.** يعتبر الحسين الدمناقي، وهو بورجوازي كبير ذو تكوين عصري، وقريب بالزواج من المجموعة الصناعية جاني، أول من اكتشف، سنة 1925، الكوبالت في بوعازر، بالأطلس الصغير، جنوب ورزازات (110). ولأن هذه المنطقة كانت ممنوعة أمام أشغال التنقيب، لم تحصل شركته وهي الشركة المنجمية للمغرب، على ترخيص للبحث واكتفت بتحليل عيناتها. إلا أن باشا مراكش، التهامي الكلاوي، الذي كان المنجم يوجد في منطقة نفوذه، وجان إبيينا، الذي كان يوجد خصوصا على رأس آل ستيام، السالفة الذكر، تابرا بدورهما للحصول على فتح المنطقة وعلى الأولوية في الترخيصات. وذلك لمصلحتهما الخاصة. لقد سعت القبائل، التي اعتبرت نفسها دائما مالكة لباطن الأرض، إلى اعتراض الأشغال التي كان الكلاوي قد شرع فيها بتغطية من العميد شاردون، رئيس المنطقة. لكن في

108 شركة الدراسات والاستغلال المعدنية لتادلة، وهي شركة شريعية مجهولة الاسم أنشأت في 19 يوليوز 1930، وكانت تضم من بين مداريها ممثلين عن بنك باريس وباني ما (أحدهم كان رئيسه)، وعن الأمران العالية لرويس، ز شاتيون - كومونري، وعن شركة موقعا الحديد، وعن شايدر وشركاه، وعن شركة السكك الحديدية للمغرب، عن الشركة الملحكية دوكري - مايباي، وعن الشركة التجارية للمحيط، وعن المجموعة المولدية مولر وعن مكتب الأبحاث والمساهمات المعدنية. هو مهر وموشوي، صبح حديفة للتنظيم المعدني الإفريقي، باريس، 1933، ص 196 - 200.

109 نفسه، ص ص 203 - 204.

110 عن شخصية الحسين الدماقي ونشاطاته يسمي الرجوع إلى الصفحة التي أعدها المقدم لوباح، قائد دائرة إنتركان في 1948. SHA AI SAC 711 313. وستفي المادة الأساسية لهذه الفقرة من هذه الصفحة، وكذا من التقرير «السري» للقطاع شويش عن باشا مراكش (1938)، ويقع في (1940) - الذي تم إبعاده ودها من طرف السيد فانسون موشوي.

باريس، عملت الحكومة، المشغلة فحسب بالنزاع بين المجموعتين، على إجبارهما على التفاهم، وهكذا تم، في فاتح أكتوبر 1931، إنشاء الشركة المنجمية لبوعازر والكعارة التي عين الكلاوي رئيسا لمجلسها الإداري.

□ منجم المنغيز لايميني. منذ استكشافه سنة 1918، أثار هذا المنجم اهتمام شركات دولية مهمة. وكان يوجد في منطقة خطيرة، ولو أنه على بعد 70 كيلو مترا من قصبة تيلويت، مركز قيادة كلالوة. ويسعى باشا مراكش، «مزدريا قوانين الجماعات» التي لها حقوق معتادة على هذه المناجم الى الاستفادة من تدخلاته. فحصل في 21 يناير 1928 من شركة مقطع الحديد على عقد يخول له 5% من المعدن المنتج. ثم ظهرت منافسات أخرى، فشجعت إدارة الحماية على مفاوضة بين مختلف المجموعات أدت، منذ نهاية شتبر 1929 وقبل أي فتح للمنطقة، إلى إنشاء شركة بحث واستغلال (111).

هل من المجازفة التفكير بأن الشركات الفرنسية والدولية المعنية، وكذا حلفاءها، مارسوا في هذه الحالات نوعا من الضغط على الحكومة الفرنسية للتعجيل بعمليات إخماد الفتن ؟ لقد كان ذلك في مصلحتها، لكن كان في مقدورها أيضا، دون شك، إبراز المصلحة العامة للاقتصاد الفرنسي، الخاضع للخارج في تمويلاته بالمنغيز والمعادن الأخرى. مهما يكن، فإن الدور الذي لعبته الدولة، سواء في مرحلة التنقيب المنجمي أو في مرحلة إنشاء شركات استغلال، يسمح بتصويب الخطأ التي كان اليسار يفسر وقفها : فالدولة لاكتفتي بالخضوع لضغط المجموعات الخاصة. بل تتوفر على قدرة للمبادرة لايمكن إغفالها. فبجمعها لشركات كانت حتى ذلك الوقت متنافسة، وباستقطابها لمجهوداتها، ساهمت بشكل واسع في تنمية قدرة تدخل تلك الشركات، وإذن في تنمية تبعيتها الخاصة ومن جهة أخرى أضفت بفضل سياستها في المشاركة صبغة مصلحة عامة على القرارات العسكرية والإدارية التي تساهم في جرد الثروات المنجمية واستغلالها.

التوسع الاستعماري الزراعي

إن الضغوط الممارسة من طرف المعمرين (112)، بهدف التعجيل بالعمليات العسكرية تجلت هنا بقوة، دون أن يكون اللجوء الى مؤازرة الأبنك والشركات الكبرى ضروريا دائما. لقد

111 شركة شريعة مجهزة الاسم للدراسات المعدنية

112 انتقل عدد المعمرين من 1600 في أواخر 1925 الى 2800 في أواخر 1929، وانتقلت المساحات المملوكة من 500 000 الى 700000 هكتار تقريبا. وبين 1930 و 1934، تارخ انتهاء العمليات العسكرية ضد التمرد المغربي، ازداد عدد المعمرين حوالي 500، والمساحات المملوكة - 150 000 هكتار.

تعرضت أساليب إخماد الفتن المستعملة من طرف ستيك، والمعتبرة عديمة الفعالية، لادانة شديدة من طرف غالبية المعمرين الذين تطور هيجانهم بشكل خاص بين نهاية 1927 ونهاية 1928⁽¹¹⁶⁾، أي خلال الفترة التي عرفت فيها العمليات العسكرية توفقا نسبيا⁽¹¹⁴⁾. فبالنسبة لهم، صار انعدام الأمن باديا للعيان. ويؤكد اتحاد الجمعيات الزراعية للمغرب الذي يضم حوالي ثلاثين تجمعا في ملتقى أعمال تم اعتماده في 28 نونبر 1928 «أن هناك شعورا كامنا بالتمرد والمخومات السريعة، لا يزال متجذرا بقوة في عادات قبائل الداخل، وبالتالي ينبغي كبسها»؛ ويطالب بالحاح بأن يعود العمل بمبدأ المسؤولية الجماعية للقبائل، ويعتبر في الأخير «أن من الضروري التوصل الى إخماد نهائي للفتن في المغرب»⁽¹¹⁵⁾.

هذا الاتحاد للفتن ضروري فعلا إذا كانت هناك رغبة في تأمين أراضي جديدة للاستعمار، خاصة في تادلة، حيث يوفر سقي سهل بنى عمير للحراث مستقلا خصبا، لكن ينبغي، قبل ذلك، الاحتلال النهائي للمرتفعات الجبلية التي تشرف على السهل والتي تشكل «مقل المقاومة البربرية»⁽¹¹⁶⁾. لقد انضاف هنا الى ضغط المعمرين، دون ريب، ضغط شركة الطاقة الكهربائية للمغرب، وهو فرع مستقل لبنك باريس والبني با، منحتها الحماية في 1923 إنتاج الطاقة الكهربائية ذات التيار العالي ونقلها. فقد قامت الطاقة الكهربائية للمغرب بمجرد الغزوات المائية للبلاد وأدخلت، في برنامجها، بناء مركب مائي — كهربائي ضخيم على وادي العبيد في أطراف تادلة، حيث أمكنها أن تقوم سنة 1927، في قلب المنطقة التي يتعدى فيها الأمن بالاستكشافات الأولى⁽¹¹⁷⁾.

حساسية القيادة العسكرية والأوساط السياسية لليसार بالمصالح الاقتصادية

لا تتوقف على وثائق كافية لتقدير وزن الاعتبار والمصالح الاقتصادية في سير العمليات العسكرية. على مستوى القيادة العليا العامة، سنأخذ شهادة الماريشال فرانشي ديسبري فقد

- 113 احتجحات العفة الفلاحية للرباط في 5 نونبر 1927؛ جمعية المزارعين ومربي المواشي لتادلة ووادي زم، في 15 دحمر 1927، جمعية معمرى سيدي سليمان في 5 شتبر 1928؛ العفة التجارية للقيطرة في 15 شتبر 1928؛ معمرى أعمال المغرب في 29 شتبر 1928. أندري كوليلر، حمايتا المغربية، باريس، 1930، ص 318 — 319.
- 114 في مجموع الفترة 1912 — 1934، تعتبر سنة 1928 هي التي سجل فيها رسميا أقل عدد من الخسائر في الجانب الفرنسي ستة وأربعين قتيلًا وأثلاث وثمانين جرحيًا (لافريك فرانسيوز، «استعلامات استعمارية»، عشت — شتبر 1936، ص 141). لكن كوليلر، الذي هو معمر عجز، يرى بأنه «في كل يوم يقتل مجزى، أو أحد الأنصار (المخد من طرف القوات الفرنسية»، مشار إليه سابقا، ص 318.
- 115 نفسه، ص. 319.
- 116 «إن الرغبة في استصلاح سهل بني عمير دون السيطرة على هضبة وادي العبيد مثل الرعم باستغلال للآليات دون التحكم في مرتفعات أوفيري لاند من احتلال الحبل» نفسه، ص 494.
- 117 النشرة الاقتصادية والاجتماعية للمغرب، أبريل 1949، ص 186. التجهيزات الكبرى، الدار البيضاء 1954، ص 192.

كانت الأهداف التي عينها للقوات الفرنسية في 1929، كما رأينا تتمثل في احتلال تافيلالت وشعاب واد العبيد. ولم يكن للأولى في نظره سوى أهمية استراتيجية (118)، لكن مقرر ميزانية الشؤون الخارجية بالبرلمان شدد على «الثروات المعدنية الماثلة» للمنطقة التي تفرض تأمين «السلامة الكاملة للقوافل» (119). وقد شاطرته لجنة الشؤون الأهلية هذا الرأي (120). بخلاف ذلك، لا تفسر العملية الثانية في رأي فرانشي ديسبري، سوى بكونها «تسمح باستغلال الأراضي الغنية للضفة اليسرى لألم الرين» (121).

هل ثمة أسباب تدعو للاعتقاد بأن قسما من رجال السياسة المتتمين لليسار الفرنسي كانوا متأثرين على الخصوص بالحجج الاقتصادية للتهدئة، للرجة أن بعضهم كتبوا وسأوسهم التقليدية وأبدوا تفهما إزاء العمليات العسكرية الجارية؟ بالنسبة لروبير — جان — لونكي، هذا أمر لا ريب فيه، فقد لاحظ، بعد لوماني، تجديدا للعمل العسكري منذ وصول الراديكاليين للحكم، واعتبر أن من المسلم به تواطؤهم مع بنك باريس والبنكي با، هذه الأداة الممتازة للسيطرة الرأسمالية على المغرب (122)، لكن الواقع يبدو لنا أعقد من هذا.

من البديهي أن جميع البرلمانيين تقريبا، باستثناء الشيوعيين، كانوا متأثرين بالحجة المقدمة من طرف أحدهم الذي دافع أمام المجلس عن مشروع قرض شريفي، ألا وهي حجة كون المغرب «يمثل سوقا كبيرة، على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لفرنسا» (123). لقد كان كثيرون منهم مهينين للاعتقاد بأن تفوق العمليات العسكرية يشترط الحفاظ وتوسيع موارد الحماية التي تشغل بفرنسا «عشرات الآلاف من الشغالين من كل الفئات» (124). هل يمكن أن نذهب أبعد من هذا وأن نعتبر بأنه كانت توجد بالنسبة لبعض رجال السياسة مصالح شخصية في الرهان؟ يمكننا أن نذكر بأنه كان يجلس على مقاعد اليسار المعتدل والراديكالي، دون ريب رجال ذوو صلة وثيقة بمجموعات مصرفية أو صناعية. وكان بعضهم يوسعون

118 AN 207 AP 313 («ح» 7 مارس 1929).

119 وثيقة برلمانية رقم 4875، المجلد الرسمى، 1928، ص 1491.

120 في دراسة مؤرخة في ديسمبر 1927، حذر الملازم أول كورليس حديثه قائلا: «مضروبة احتلال تافيلالت، لأسباب سياسية، ولكن أيضا لأن الوقت قد حان لدى «المغرب النافع» لـ «أمن الأعمال، والتجارة والصناعة» (الذين يتمتعون بالثروات المعدنية للجنوب والتي لا تعمل سوى على استئثار إمبركياتنا»، لالويك فرانسيه، استعمارات استعمارية، مارس 1928، ص 189.

121 «ح» 7 مارس 1929.

122 «إنه لمعرف أن نسلح بأنه في كل مرة تصعد حكومة راديكالية إلى الحكم، تستأنف حرب الغزو في المغرب. معروف بأن بنك باريس وبانك نا هو سيد المغرب. ويعرف بأنه يرغم دعم السياسة الراديكالية. هل هذا هو التفسير؟» معروف، شتير 1933، ص 2. أنظر أيضا: ر.ج. لونكي في لومويلر، فاتح أبريل 1934.

123 تقرير هنري لوران وثائق برلمانية: مجلس النواب، رقم 6843، المجلد الرسمى، 1943، ص 602.

124 نفسه.

نشاطاتهم الى المغرب. فليون باريتي مدير شركات عديدة (125)؛ وبوركس لافون، سليل عائلة كبيرة من الصيرافة وصيرفي هو الآخر، وهو مدير البنك الفرنسي في المغرب، المختص في الشؤون العقارية، نعلم أيضا بأنه في الوقت الذي كانت تشن فيه عمليات عسكرية جديدة، منحت تجزئات استعمارية من طرف الحماية لمسيحي، وهو عضو راديكالي في مجلس الشيوخ، ووزير سابق لبان الزحف على فاس، ومقرر لجنة المالية، ثم رئيس لجنة الجيش، ومدير صحيفة راديكالية بدوياري سماها لافولونتي * (126).

هذه الاشارات تبقى مجزأة جدا، وقد يمكن البحث في إقامة ترابطات أخرى. لكن ما يبدو لنا أكثر أهمية هو اعتبار كون المصالح المالية والسياسية والعلاقات الشخصية قد اتفقت حينئذ على تشجيع تقوية التيار الاستعماري. فقد كان النواب وأعضاء مجلس الشيوخ للجزائر المرتبطون بالأوساط الاستعمارية المنتمين لليسار الراديكالي يتمتعون لدى زملائهم في الحزب والبولان بقوة إقناع متأية من المعرفة المنسوبة لهم للوسط الاستعماري أكثر من كونها صادرة عن مصالحهم الخاصة. وشكل ليون باريتي — الذي كانت جريدة لوتون * والصحافة الاستعمارية تدعوه بـ «نائب المغرب» — مجموعة برلمانية مغربية تنتمي الى تيارات سياسية مختلفة (127)، وجمعية اعتادت أن تجتمع كل شهر، حول مائدة غداء، لتناقش شؤون الحماية. ويبدو لنا أنه كانت لأحد أعضائها، وهو فرانسوا بياتري، مكانة خاصة. إنه لم يكن رجل يسار، لأنه كانت تقصه كثير من مقوماته؛ لكن خلال الفترة التي تعيننا — من نونبر 1929 إلى نونبر 1934 — شارك في تسعة دواوين وزارية حيث كانت له حقائب المستعمرات، والمالية، والحرية، لقد ظل هذا المعاون السابق لليوطي قريبا من الحماية؛ فهو مدير (لاروايال أو ستريان) للمناجم، التي ستأخذ مكانا هاما في استغلال ثروات باطن

125 شركة الملاحة المخططة، شركة أحواض وخازن مرسيها، الشركة العقارية الفرنسية — الأفريقية. وغاللا إشارة قدمها صحافة اليسار المتطرف، لم يكن ملهتي وتلك مدير الشركة المرسيه للقرض.

* La volonté

126 216 هكتارا في المغرب لمسيحي، و 100 هكتار في تادلة لدوياري، وذلك حسب ما أوردته ريفوليسون بروليتاين (10 غشت 1933). فيما يتعلق بهذا الأخير، ذكرت لوكاتار أولشيني، بالتوصية التي كان موضوعها بواسطة رسالة موجهة في 12 يونيو 1930 من طرف أندري طارديو، رئيس الحكومة، الى المقيم العام (28 مارس 1934). ولأن دوياري كان متورطا في قضية سطامسكي، عبر غابرييل جيران، مراسل لاجون ريفوليك، وهي صحيفة مسيحية ديمقراطية، من المغرب حيث يعمل مدرسا، عداء أيام فبراير 1934، عن استنكاره : «نمكن أحدهم يدعي دوياري من الحصول على منطقة دار ولد يندوح (تادلة)، بواسطة أعلى التذيمات، على قطعة أرض من 4000 هكتار، موجهة لتزويد «الدفاع الوطني» بالخروج... أو لامتلاك سمعة سيد الساعة» 11 فبراير 1934.

* Le Temps

127 كانت هذه المجموعة تق. في 1932 حسب أ. بوزار مائة واثنتين وثلاثين نائلا، لافريك فرانسيز، دجنبر 1932، ص 730 — 731.

الأرض المغربية، بينما كان أخوه مديرا للبنك التجاري للمغرب. وقد خولت له سلطته في المسألة المالية وصفاته كمتحدث لا مع صيتنا دائما. يلزمنا أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار العلاقات التي كانت قائمة بين رجال الأعمال للمغرب والحزب الراديكالي. لقد ظل أنطوان ماس، وهو صيريفي بالدار البيضاء ومؤسس أهم مجموعة صحفية للمغرب، عضوا بالفدرالية الراديكالية للرون؛ أما ابنه بيار فجاهد ليحتفظ بفرع الدار البيضاء داخل تيار اليمين. وكان ينتمي لهذا الفرع أيضا لوبو، رئيس الغرفة الفلاحية. وقد استقبلت اللجنة المركزية لصناعي المغرب، المؤسسة سنة 1934، بمجرد استقرارها، ميسيمي الذي كان في مهمة رسمية بالمغرب، وروكس — فرايسينغ، سناتور وهران (128).

لقد تمكن النفوذ المكتسب من طرف هذه المجموعات من عرقلة مجهودات وعمل بعض الفئات المعادية للاستعمار والتي كانت ما تزال موجودة داخل اليسار الراديكالي. والشاهد على ذلك هو تطور لاريوبليك جريدة دلادبي منذ أن صار إميل روش، الذي ينشط الفدرالية الراديكالية للشمال، مديرا لها. فهذه الجريدة التي كانت تشهر في 1929، بقلم فرانسوال دوتيسان، بـ «مناورات مجموعات الأعمال بهدف الغزو الكامل للمغرب»، احتفت بعد بضع سنوات، بالامكانيات الممنوحة للرأسماليين عبر استغلال ثروات الحماية (129).

الاعتبارات الاستراتيجية

لا تتوفر حاليا على وثائق تسمح بإضاءة كافية للعلاقات التي أمكن أن تقوم على هذا النحو بين بعض الساسة والادارة وأوساط الأعمال المعنية بـ «إخماد الفتن» واستغلال المغرب، على كل حال، سيكون من التهور أن نعزو تطور موقف جزء من اليسار الفرنسي تجاه التمرد المغربي فقط لتواطؤات من هذا القبيل. إذ هناك اعتبارات أخرى، من طبيعة استنادية، ذلك ما يذكره بول — بونكور.

موقف بول — بونكور

كاشتراكي سابق ابتعد عن أصدقائه بالحزب الاشتراكي، صوت بول بونكور بانتظام على الاعتمادات العسكرية الضرورية لغزو المغرب، لكن قضية أيت يعقوب أثارت غضبه الشديد. فأق ليقول من منبر المجلس بأنه تعب من أن يكون «موضوعا دائما في الخيار بين

128 نشرة اللجنة المركزية لصناعي المغرب، عدد 2، 1934. إن ثلاثة دواب راديكاليين وهم إيليل، كريسيل، وروان، هم الذين راقوا في 23 فبراير 1935 ولذا عن هذا الجهاز عد بيار لافال، وزير الشؤون الخارجية، نفسه عدد 5، (1935).

129 لاريوبليك، 14 فبراير و 28 مارس 1933 ب و 20 يونيو 1934.

أن يفارق أصدقاءه (هـ) أو أن يغادر رأياً تم إبدائه غالباً بشكل متهور» وبالتالي ضم صوته الى أصوات زملائه الشيوعيين، والاشتراكيين والراديكاليين لادانة سياسة إخماد الفتن التي كان ينجحها كل من بانلوبي وبريان (130)، بعد ثلاث سنوات من ذلك، صار يتحمل مسؤوليات بارزة في الحرية، ثم في الشؤون الخارجية على مستوى اقتراح وتسيير العمليات العسكرية الأخيرة التي رأينا كيف كانت دموية بوجه خاص (131). لقد بدت له القرارات التي اقتنع باتخاذها، خاصة في أواخر 1933، ضرورة ليس فحسب بالنسبة للوضع في المغرب بل أيضاً من طرف الوضع الدولي. فمنذ قطيعة ألمانيا مع مؤتمر نزع السلاح وعصبة الأمم، بدا له النزاع بين فرنسا وألمانيا حتمياً. وعليه، صار من أبسط مبادئ الحذر إنهاء عملية إخماد الفتن المغربية حتى لا يكون هناك اضطراب لتجميد جزء من القوات الفرنسية فوق تراب الحماية وحتى يسمح للمغرب بمساعدة الميتروبول (132)، عند الاقتضاء.

ينبغي تلقي شهادتي بول - بونكور، والجنرال كيوم الذي يعززه (133)، المكتوبتين معا بعد الحرب العالمية الثانية، باحتراس دون ريب، لكن لا يبدو لنا مع ذلك أنه بالامكان تنحيتهما بسرعة. إذ يشهد تطور موقف اليسار من القطار العابر للصحراء فعلاً بالاهتمام المتزايد الذي كان يوليه للاعتبارات الاستراتيجية.

القطار العابر للصحراء

يستجيب مشروع ربط سكي بين النيجر والبحر الأبيض المتوسط للحاجيات العسكرية بقدر استجابته للحاجيات الاقتصادية. إذ بإمكان هذا الربط أن يشكل أداة أساسية في خدمة «التهدئة الفرنسية»، كما يمكنه أن يسهل تعبئة الوحدات المتمركزة في إفريقيا ونقلها في حالة نشوب نزاع أوربي. لقد نشأ المشروع وتطور بمساندة الأوساط السياسية

- 130 مناقشات المجلس، 25 يوليو 1929، الجلسة الثالثة، الجريدة الرسمية، ص. 2218.
 131 كان زعيماً للحرية في حكومة مينيرو، من 3 يوليو إلى 14 دجنبر 1932، ووزيراً للشؤون الخارجية من 18 دجنبر 1932 إلى 27 يناير 1934 في الحكومة التي ترأسها، ثم في الحكومات التي قادها على التوالي دالادي، سارو وشوتون.
 132 ج. بول - بونكور، بين حريين، باريس، 1945 - 1946، الجزء الثاني، ص 408 - 409.
 133 تطلب القيادة العليا إنهاء العمليات في 1934، حتى يمكن تحويل الى جهات أخرى القوات المنددة بالمغرب، الحداد كيوم، مشار إليه، ص 87.

المعتدلة (134). وذلك دون اكتراث اليسار أو حتى بمعاداته (135)، لكنه لم يفلح في الخروج الى حيز الواقع. رغم الضغط الجبار الممارس على السلطات العمومية، وسيمده احتلال تافيلالت بقوة جديدة (136) منذ ذلك الوقت صار قسم من اليسار مفتونا به، وعندما بادر مائتان وسبعة وعشرون نائباً، بتحريك من روكس - فرايسينغ، بدعوة الحكومة الى بناء القطار العابر للصحراء بصورة مستعجلة، كان محمسان منهم يجلسان على مقاعد الراديكاليين والاشتراكيين الأحرار (137). صحيح أن المشروع الذي دافع عنه أندري هيس سيفرض من طرف المؤتمر الراديكالي لأكتوبر 1933، لكن لم تكن الفكرة هي التي قسمت المؤتمرين بقدر ما كانت أساليب تنفيذها، خصوصاً أن «الفريق المغربي» كان يعمل في ذلك الوقت على تحضير تخطيط آخر للسكة الحديدية للقطار العابر للصحراء (138).

ابتداء من 1935، سيولي مجموع اليسار تقريباً، من الراديكاليين الى الشيوعيين، اهتماماً متزايداً للدور الاستراتيجي الذي تلعبه بلدان ما وراء البحار، وبالأخص افريقيا الشمالية، في حالة نشوب نزاع أوربي، وسيكون لهذا الاعتقاد، كما سنرى، انعكاسات خطيرة على الموقف الذي كان لهذه الأحزاب إزاء الحركات الوطنية. لنسجل بأننا نشهد حالياً مع العمليات العسكرية الأخيرة في المغرب، تغيراً في اتجاه قسم من اليسار لصالح الجيش. ويمكن القول أن معاداة الراديكاليين للنزعة العسكرية قد ولت : فمن الانتقادات اللاذعة ضد ليوطي، والتشهير بمؤامرات الأركان العامة في 1929، صارت هناك منذ ذلك الوقت مشاعر قريبة جداً من التباهي الوطني سيسمح التعبير عنها بالدفاع عن سياسة التهدئة المغربية لدى الرأي العام.

134 أُنشأت لجنة القطار العابر للصحراء في يونيو 1927 ووضعت تحت رئاسة الكونت إد. دو وارد، بينما أشرف على كتابتها العامة روبر - راينو، وسرعان ما صار روكس - فرايسينغ الساطق بلسانها في مجلس النواب، لافريك فرايسيز، استعاضات استعمارية، يونيو 1927، ص 223.

135 أنظر المعارضة الاشتراكية في مناقشات المجلس، 23 نونبر 1927 الجريدة الرسمية، ص 3176 (الوطناني) والمعارضة الشيوعية، نفسه، 21 يونيو 1929، الجريدة الرسمية، ص 2136 (كاشان) والانتقادات الراديكالية، لالومير، 16 غشت 1930. أما «اليسار الاستعماري» فقد انضم الى المشروع منذ أيامه الأولى، مع مورينو والارزي، ثم فيرليط، ولي 1930 مع ستيمك ويسيس.

136 من بين الأسباب التي كانت تدفع الى احتلال تافيلالت، يورد باغانود، مقرر ميزانية الشؤون الخارجية لسنة 1928، سبب تنفيذ مشروع القطار العابر للصحراء. فإذا تم احتيار وهران كرأس للخط (كما لرأي المجلس الأعلى للدفاع الوطني) فإن التخطيط سيحاذاي تقريباً تافيلالت : «يبدو أن هذه الراحات إذن بمثابة شرط مسبق لتنفيذ مشروع القطار العابر للصحراء» وثيقة برلمانية، رقم 4875، الجريدة الرسمية، ص 1491.

137 أي حوالي خمسون راديكالياً اشتراكياً، وعشرون راديكالياً حراً وخمسة عشر اشتراكياً حراً. وثيقة برلمانية، رقم 1372، ملحقة بمحضر الجلسة الثانية لـ 7 فبراير 1933، ص 165 - 167.

138 انظر لاليجي ماروكان، 26 و 29 أبريل 1934.

الرأي لعام وعملية إخماد الفتن

خلال صيف 1933، لفتت الثورة البروليتارية «، وهي مجلة ذات نزعة تروتسكية، الانتباه إلى «اللامبالاة المطلقة والصمت المتواطئ» الذي تدور فيه العمليات العسكرية الجديدة بالمغرب. وقد اهتمت على التوالي كلا من الحزب الاشتراكي، وهو «حزب سلمي على نحو بارز كانت تكفي كلمة منه لإرغام دلادي على إيقاف الحرب» والحزب الشيوعي، الذي يكتفي بالدعوة إلى «مؤتمرات ذات فوجية كبيرة (...)» حيث تلقى خطب ضد الحرب بصفة خاصة، وضد الفاشية بصفة عامة، لكنه يمتنع بالفعل عن مواجهة الحرب الموجودة، الحرب المغربية، بكفاح ملموس ومخصص» (139). ويبدو فعلا أن النداء الذي تم إطلاقه بواسطة البيان الاشتراكي في شهر شتنبر لصالح التحريض لم يكن مرفقا بأي توجيه واضح ولم ينجم عنه تأثير. بخلاف ذلك، قام الحزب الشيوعي، الأكثر تهيؤا في هذا الاطار، بتنظيم حملة عبر قناة تنظيماته ينبغي رصد حصيلتها.

الحملة الشيوعية

لقد وضعت منذ 1927 الشبيبات الشيوعية وهي أداة الحزب المفضلة ضد المشاريع العسكرية، دعايتها ضد حرب المغرب ضمن منظور أكثر عمومية وهو منظور النضال ضد الامبريالية، المسؤولة عن الحروب الاستعمارية، مثلما هي مسؤولة عن الحروب الأخرى التي هي متهمه بالتحضير لها ضد الاتحاد السوفياتي. لقد استهدفت تلك الدعاية المجندين، والبحارة والجنود. وأفسحت المجال أمام مخططات أوسع (140)، كما تطورت عبر صحافة متخصصة (141).

La Révolution prolétarienne *

- 139 لانيهوليسون بروليتانان، 25 يوليو 1933 («الحرب الحديثة للمغرب»).
- 140 تم إعطاء أمثلة منها من طرف لفرة الفدرالية، وهي نشرة داخلية لفدرالية الشبيبات الاشتراكية (عدد 3، أكتوبر 1927، محصص في معظمه للحملة المادية للزعة العسكرية، في AN F7 13143، عدد آخر (1930) في AN F7 13184). أنظر أيضا «خطاطة درس للالتقاء على المجندين الشيوعيين» في المعادي البلشفي للزعة العسكرية، كتيب منشور من طرف فدرالية الشبيبات الشيوعية في أكتوبر 1927، محصص في معظمه للحملة المادية للزعة العسكرية، في AN F7 13143، وعدد آخر (1930) في AN F7 13184)، أنظر أيضا «خطاطة درس للالتقاء على المجندين الشيوعيين» في المعادي البلشفي للزعة العسكرية، كتيب منشور من طرف فدرالية الشبيبات الشيوعية في أكتوبر 1932 (AN F7 13185).
- 141 لاكلون، أسوسية؛ إلاب دوجان لوكوان، نصف شهرة للملاحين؛ لوكويسكري، كانت تظهر مرتين في السنة.

ومناشير (142)، وكراسات (143). وتؤكد النداءات الموجهة للمحتدين والعسكريين على التضامن الأساسي الذي يربطهم بالمستعمرين : فهم جميعا ضحايا الرأسمالية، ورفضهم للذهاب الى ساحات القتال أو بتأخيرهم هناك مع الذين يؤمرون بمحاربتهم، يكونون قد تمكنوا من «إنقاذ جلدتهم»، وسمحوا في نفس الوقت بانعتاق الشعوب الواقعة تحت الهيمنة. منذ ذلك الوقت فصاعدا لم تعد تتم الإشارة الى حرب المغرب إلا باعتبارها مرجعا مثلها مثل حرب سوريا أو أحداث الصين، ناهيك عن أن هذه الأخيرة بدأت تأخذ تدريجيا مكانا أكبر. لكن هوس عدوان ضد الاتحاد السوفياتي هو الذي كان يهيمن في تلك الفترة، وشعار التآخي قد خلط منذ ذلك الوقت بين رفض مقاتلة «المستعمرين» كخطوة أولى نحو التحرر، والانتقال الى صفوف الجيش الأحمر، تمهيدا للثورة (144).



لقد سعى الحزب الشيوعي الى إعطاء أساس جماهيري للاحتجاج على العمليات العسكرية في المغرب. عبر قناة العصبة الفرنسية ضد الامبريالية والقمع الاستعماري. فقد أنشأت العصبة، كما رأينا في 1927 ومع ذلك، يبدو أنها لم تبد اهتماما خاصا بأحداث المغرب إلا ابتداء من سنة 1933 (145). ولم يكن لديها مندوبون في الحماية، لكن كانت ليو وانيو، الحركة الرئيسية لمكتبها المركزي (146)، عضوا في لجنة الدراسات المسماة بالعصبة الفرنسية

- 142 عهد بها في مختلف صناديق الأرشيفات الوطنية، خاصة في 13184، 13145، 13144 F7.
- 143 أنظر عل الخصوص . إيلك أيتا المجند، إيلك أيتا الشغال، (1931). 13185.
- 144 أنظر لوكوكسكري، أكتوبر 1927 ومارس 1931 وبالأخص مستطيل في اتجاه الجيش الأحمر هو كتب مشور من طرف قدرالية الشبيبات الشيوعية أعيد فيه نشر الخطاب الذي ألقاه النائب الشيوعي بيرون في المجلس، في 2 دجنر 1930، خلال مناقشة مشروع قانون يتعلق بفتح اعتمادات من أجل حاحيات الدفاع الوطني. 13145 AN F7 و الى الهجوم أيتا الرفاق، مكتب مشار اليه (1931)، يصبح بالتصغير مد التكة لـ «التآخي مع العمال والشعوب المستعمرة والانتقال الجماعي الى صفوف الجيش الأحمر» (ص 27)
- 145 مع ذلك، تم في 1929 توزيع مشور من طرف «فرع الشباب» للعصبة، يرجع الى «المعهد الحديدي (الذي) ش مؤمرا في المغرب» 50 AN SOM SLOT FOM III.
- 146 كانت ليو وانيو، المزدادة باسم ليوني بوجير، سنة 1886، مورغ — أول — بريس، عصوة الحرب الشيوعي العربي وكان لديها، حسب أندري فيزا ور ح لوبكي، استقلال «مالي كبير، فكانت تخصص وقتها ديد كلل لشاطات عضالية. ويبدو أنها كانت قل وصول هطر الى الحكم، سكرتيرة عامة للجنة التضادلات الين مدرسية الفرنسية — الألمانية؛ وقد اهتمت نشاطا بعصبة النساء من أجل السلم. كما كانت تهم حصوصا بالبلاد العربية، فسافرت اليها بانتظام، وستكون في 1934 — 1935، مع فرسيس حورودان، الذي كان عضوا مثلها في الحرب الشيوعي العربي، وروبير — حاك لوبكي، الاشتراكي، مشطة للعديد من اللقاءات والتجمعات ستجمع معلومات السار. والوطنى الأمانة الشماليةين. أطر الجزء الثالث.

لمكافحة الحرب والفاشية وللتحقيق في «عملية إخماد الفتن»، وذلك رفقة هنري بونتلون، سكرتير الفدرالية البرهيدة الاتحادية (147). وتختلف استنتاجات تقريرهما بشكل محسوس عن التحليل الشيوعي المعتاد : فـ «المتحردون» سيخضعون فوراً إذا تخلفت فرنسا عن سياسة القوة وضمنت لهم أرواحهم وأملاكهم. لكن البنك اعترض على هذا وسعى إلى تمديد العمليات مستعملاً أسلوب الخداع (148). وقد شددت ليو وانير في مقالتهما التي وجهتها إلى لوموند، «أسبوعية هنري باربوس، على قسوة الحرب - «حيث يتجابه الضباط الفرنسيون والزعماء المنشقون ويتبادلون الكمائن وحيث يعامل الأسرى بمنتهى الوحشية» (149) - كما شددت على يؤس الأهالي الذين ينتهي الغزو إلى تجريدهم من أملاكهم (150). إلا أن العصبية لم تنتظر سفرها لكي تحتج بقوة على العمليات المسماة بـ «إخماد الفتن» (151). لقد نددت بأولئك الذين اعتبرت أنهم «المستفيدون» من هذا الوضع : معمرين أثرياء، شركات رأسمالية، جنرالات. وشهرت بمخاطر نزاع بين القوى الامبريالية يكون المغرب هو تعلقها، وطالبت بانسحاب القوات وبحق الشعب المغربي في الاستقلال (152). ونادت وفق هذه الأسس إلى اتحاد «الشغاليين السلميين، والاشتراكيين، والفوضيين، والشيوعيين، والذين لاحتزب لهم» الذين دعته إلى تقوية صفوفها وتوقيع عرائض قامت بترويجها (153). لقد عاقتها في هذا العمل الصعوبات التي تلاقيها كل حركة جماهيرية في تعبئة مناضليها والحد، إن لم يكن العداء الذي استثارته مبادراتهما لدى اليسار غير الشيوعي بصفة عامة (154). وفي نهاية 1933، لاحظت العصبية «قلة اهتمام الجماهير بالأحداث الجارية في المستعمرات (155) مكن ضعفاً» 1933.

- 147 لوموند، 24 يونيو 1933 إن الولد كان يضم، حسب تقرير للشؤون الخارجية، عصر ثالث، غاستون فيدي، ماحد س. ح. ت. AN SOM SLOT FOM III 45 (تقرير 12 أكتوبر 1933)
- 148 لوموند 24 يونيو 1933.
- Monde *
- 149 نفسه، 2 شتنر 1933.
- 150 نفسه، 26 عشت 1933.
- 151 نشرة العصبية...، فبراير 1933، فاتح مايو وفاتح يوليو 1933. جريدة الشعوب المضطهدة، نونر 1933، يناير - فبراير، مارس وأبريل 1934.
- 152 نشرة...، مارس 1933، شين، أبريل 1933 («المطالبة بالاستقلال من أجل الشعب المغربي، بحق الشعوب في تقرير مصيرها هذا الحق الذي صحن ملايين الأشخاص بأنفسهم من أحله»). جريدة الشعوب المضطهدة، نونر 1933، يناير - فبراير ومارس 1934 («الحلاء عن المغرب، المغرب للمعارضة»).
- 153 نشرة...، فبراير 1933؛ لالي دولاليك، (يناير أو فبراير 1934). طلت جريدة الشعوب المضطهدة كذلك من قرائها في عددتها لمايو - يونيو ويوليو - عشت 1934 أن يقوموا بتوزيع العرائض وأن يساهموا حالياً إذا اقتضى الأمر حتى يمكن للعمل الذي تقوم به العصبية ضد حرب المغرب أن يستمر ويتطور.
- 154 أنظر دفاتر حقوق الانسان، 30 نونر 1932، ص ص 713 - 714
- 155 لالي دولاليك، عدد 2، دجنر 1933.

وعندما ينضم مناضلون اشتراكيون وسلميون وغير منظمين الى عصابة أمستردام - بليل تدرجيا، فإن حوافزهم كانت تكمن خصيصا في المشاكل الداخلية والظرف الأوربي : فقد شكل الكفاح ضد الفاشية الفرنسية وضد الفاشية الدولية، وتهديد حرب أوربية قطبين محرّكين لا يضاهاهما الكفاح ضد العمليات العسكرية في المغرب.



أعطى استمرار العمليات العسكرية في الحماية، أخيرا، فرصة للحزب الشيوعي لكي يتوجه مباشرة للأفارقة الشماليين حتى يؤكدوا تضامنهم مع المعركة التي يخوضها المغاربة ضد تقدم القوات الفرنسية. إننا لا نتوفر على ما يكفي من الوثائق لتقدير تعاقب هذه النداءات. يمكننا أن نفترض بأنها كانت مرتبطة بالأخبار التي كانت ترد الى فرنسا حول وضع العمليات العسكرية وأن نلاحظ بأنها تمت على الخصوص خلال سنوات 1928، و1929 و1933. وتسمح لنا المناشير التي عثرنا عليها في الأرشيفات بإضاءة مفيدة لسياسة الحزب الشيوعي تجاه المشكل الوطني المغربي.

لقد انشغل الشيوعيون في وقت مبكر جدا بالتوجه للجنود المستعمرين. غير أنه من النادر أن نعر على نداءات تمهمهم بوجه خاص. إن النداء المعلنون به إبراهيم، قناص الريفي يسترعي الانتباه على الخصوص، لأنه، بالإضافة الى تموقعه في إطار الدعاية التقليدية المعادية للنزعة العسكرية التي كانت تطورها الشبيبات الشيوعية، سعى للإجابة على المشاكل التي كان يطرحها استعمال الأفارقة الشماليين من طرف الجيش الفرنسي في المغرب. فهو يحكي قصة، قصة إبراهيم، الذي لم يتم توضيح أصله : فيعد أن انتزع من قريته، اقتيد الى الدكنة حيث صار قناصا؛ وقد تعلم «فغظاظات ذوي الرتب العسكرية» ثم أرسل بسرعة «الى بلد شبيه ببلده يدعى المغرب». ولأن المغاربة يريدون البقاء أحرارا، كانوا يقاتلون ضد الغزاة مثلما كان يفعل جد إبراهيم. لكن، تحت تهديد مجلس الحرب «أطلق إبراهيم النار على المغاربة وساعد المستعمرين على سحق إخوانه». وبعد المغرب أرسل لقتال السوريين الذين كانوا يكافحون هم أيضا من أجل الاستقلال، ثم لقتال ابعمال ابلدين كانوا مضربين في فرنسا. لقد كان مآل إبراهيم أكثر مشقة من مآل مجندي الميتربول : فدون مال ودون ترخيص، لم يكن في إمكانه أن يزور عائلته، وبينما كان الجنود الفرنسيون يتمتعون بالحرية بعد ثمانية عشر شهرا، تم الاحتفاظ به هو طيلة أربعة وعشرين شهرا من الخدمة : «كل هذه الآلام وكل هذه المظالم جنحت بإبراهيم الى التفكير : حيثد تبين له أن أولئك الذين اقتادوه للشكنة، ثم أرسلوه الى

المغرب، وإلى سوريا، وإلى فرنسا كانوا أعوان المعمرين الذين سرقوا أرض آبائهم، وأعوان أرباب الشغل الكبار والحكومة الذين يضطهدون ويقضون باليوس على الجزائريين والتونسيين، والمغاربة، وعمال فرنسا. «إن الاستنتاج واضح: عليه أن ينضم إلى إخوانه وإلى الفرنسيين الذين يكافحون ضد الامبريالية. وسيطالب مع القناصة والجنود الفرنسيين بتحسين وضعيتهم: وذلك بالزيادة في الراتب، وتقديم تغذية أفضل، وإلغاء المعاملات السيئة، ومساواة فترة الخدمة. «لكن إبراهيم يعرف، فوق ذلك، بأن استقلال بلده وحده قمين بأن يرجع له هو نفسه ولإخوانه الخيرات التي استحوز عليها الامبرياليون، كما يمكن أن يرجع لهم الحريرات. لذلك سعى إلى إفساد نظام جيش عنوه، وإفساد الامبريالية، وقام بترويج فكرة جيش وطني شعبي سيعمل على تحرير بلده» (196).

هناك نداء آخر، من المحتمل أن يكون قد جاء عقب النداء السابق ببعضه أشهر، وقد توجه لـ الجزائريين، والتونسيين، والمغاربة (157). لقد كان له شكل برهنة من ثلاث نقاط: ففي مقام أول، تم التذكير بوضعية الأفارقة الشماليين الذين أدخلوا «بالقوة» في الجيش الفرنسي وتمت مجابهم بالقبائل المستقلة التي تقاتل في الجنوب المغربي، مواصلين بذلك معارك الريف. لقد تم هنا إرفاق التشهير بالامبريالية بمسئلات دقيقة. أما النقطة الثانية فاستهدفت ضرورة تجاوز الانقسامات الموجودة بين الأفارقة الشماليين المقاتلين ضمن الجيش الفرنسي والمتمردين المغاربة. بينما دعت الحاشية إلى التآخي مع المغاربة الثائرين وربطت «استرداد الأراضي التي سرت منكم من طرف الامبريالية وخدامها» بالحصول على الاستقلال. هكذا يشكل هذا النص ملخصا متماسكا ومتينا للأطروحات التي كان يروجها الشيوعيون حول حرب المغرب، مع عدم احتفاظه سوى بتلك المتعلقة بالأفارقة الشماليين.

بموازاة المناشير الموجهة للعسكريين الأفارقة الشماليين العاملين بالمغرب، تم إرسال نداءين من باريس إلى السكان المغاربة. وإذا كان فحواهما عاديا - إذ تعلق الأمر بتوضيح كون الكفاح الذي يخوضه مقاتلو الأطلس ضد «الامبريالية الفرنسية» هو في صالح الشعب

156 RSD 91. تم إرسال نسخة من المنشور بالفرنسية من طرف رئيس الأمن الجهوي للدار البيضاء في 6 فبراير 1928 إلى الأمن العام بالرباط. وقد تم العثور على نسخة بالفرنسية، وبالغربية في الظاهر، في نفايات الفرقة السادسة المراقبة بكونميناتي، فأرسلت من طرف المفوض الخاص لنوي إلى الأمن العام لباريس، وفي 25 فبراير 1929، AN F 13144. 7.

157 كان يحمل كميون. «الحزب الشيوعي، 120، زقة لأفايت، باريس» (المقر المركزي للحزب الشيوعي) ويشار إلى اسم وعنوان المطبعة. إما حد منه نسخة أصلية بالفرنسية في AN F 7 13171 ومن جهة أخرى بحث معه من طرف الشؤون الخارجية، بواسطة رسالة رقمها 1451 في 27 غشت 1928 إلى الإقامة العامة للرباط، مع توضيح أنه قد سحب منه مائة ألف نسخة. SHA MAROC AI FES 530 3715.

المغربي قاطبة - فإن شكلهما قد اختلف عن اللهجة المألوفة للدعاية الشيوعية. لقد كانت هذه الأخيرة تسعى تقليدياً إلى إدانة العمليات العسكرية الفرنسية وتحسيس المقاومة المغربية. وتبعاً لذلك، لم تكن تلح أبداً على الصعوبات التي يلاقيها مقاتلو الريف والأطلس، باستثناء استنكارها لأساليب الحرب التي كانوا ضحاياها. إن منشوري يا أيها المغاربة ويا أيها الشعب المغربي روحاً مغايراً : لقد أظهرنا الحرب من الداخل، إن أمكن القول فالأول على الخصوص، موسوم بحزن عميق، سواء تعلق الأمر بملاحظته انعدام تفهم الشعب المغربي للمعركة التي يخوضها الريفيون، أو بوصف تبعات انتصار «الامبرياليين» والهزيمة المحتملة لآخر مقاتلي الأطلس (158). أما النص الثاني فكان أقل تشاؤماً. فإذا كان يعود لانقسام وعزلة الريفيين وهما السبب الأول لخسارتهم (159)، فإنه يلح في ضرورة أن يساعد جميع المغاربة إخوانهم في الأطلس وأن يتحدوا وراء زعيم حرّي وحيد. وأخيراً، يؤكد لهم صداقة وتضامن العمال الفرنسيين، الذي هم مثلهم «مستغلون من طرف الرأسمالية» (160).

ومن جهتهم، دعي السكان الجزائريون والتونسيون إلى إظهار تضامنهم مع المقاتلين المغاربة، خاصة بواسطة الملصقات والمناشير (161). «إن على أمتنا الأفريقية، الراسقة في الأغلال والعبودية، أن توجه كل عنايتها الودية نحو الشعب المغربي، بطل الحرية والسباق من بين كل الذين يقاتلون الامبريالية الفرنسية». فتمتة عمليات ذات نطاق واسع تهيئاً للقضاء على «مقاومتهم» (162). وقد دعا الشيوعيون في تونس، البروليتاريين العرب والأوربيين، الدستوريين والاشتراكيين إلى إظهار استنكارهم (163).

- 158 SHA MAROC RSD 79 et 91 (منشور موحدة «إلى معظم تجار مدينة فاس» ووجهت نسخ عديدة منه تم حجبها في البلاد، إلى الرباط من طرف رئيس منطقة فاس، تحت رقم 102/RC5/2 في 24 أبريل 1928).
- 159 «.... لانتسو بأنه طالما استمر الوفاق بين الريفيين، تمكن هؤلاء من هزم الامبريالية الفرنسية ! لانتسو أيضاً بأن النصر النهائي كان سيكون حليفهم لو ساعدتهم بقية إخوانهم المغاربة ! ولا تنسو أخيراً بأنهم اهزموا لأنه تم رزع بطور الصراحة في صفوفهم ولأنهم لم يتلقوا أية مساعدة من الشعب المغربي ! ليكن هذا الدرس، الفادح الثمن، عبرة لكن هذه المرة، على الأقل، حتى تعملوا على تحرير المغرب من أغلال الامبريالية...» SHA RSD 79 et 91 (رُفِعَ إلى الأمانة العامة من طرف المفوض عميد أمن الرباط تحت رقم 4561 في 26 أبريل 1928).
- 160 تقوينا اللهجة العامة لهذه المنشورين إلى التكبير بأههما حرراً من طرف أفارقة شماليين وأن الصين اللذين تتوفر عليهما ترجماً من العربية.
- 161 أنظر ملصق «الدم يسيل في المغرب» المعلق بالجزائر العاصمة في أواخر 1929، AN F7 13144 والأعلانات الصغيرة التي عر عليها بالتيروان في أبريل 1927، SHA MAROC AI FES 532 375.
- 162 SHA MAROC RSD 79 (IIIb). ترجمة منشور بالعربية «مورع في 6 أكتوبر 1933 من طرف شيوعيين أهالي في أحياء تونس». إنها المرة الأولى التي نعرف فيها في هذه النصوص الدعاية على عبارة «أمة افريقية». ومن جهة أخرى، تم نعت المتمردين المغاربة أيضاً بـ «الشخصان الثوريين»، وهي عبارة غير مستعملة كذلك.
- 163 نفسه.

فشل الحملة

إذا كانت دعاية الحزب الشيوعي الفرنسي تشهد باستمرار عدائه لغزو المغرب، فإنها لم تفض إلى أية مظاهرة جماهيرية أو أي عمل ملموس، من شأنهما التذكير بالحملة ضد حرب الريف ولو من بعيد. لقد كانت قيادة الحزب واعية بهذا النقصان. ففي 1929، لاحظت الفدرالية الشيبيات الشيوعية بأنه «منذ استئناف العمليات العسكرية (في المغرب) بدأ عمل الحزب والشيبيات وأهنا ولم يباشر بما يكفي من الاستمرارية. فحتى الآن، ترى الفدرالية، سجلت الحكومة انتصارا بما أن البروليتاريا الميتروبوليتانية وشعوب إفريقيا الشمالية لم تقم بأي رد فعل أو تقريبا وذلك لضعف تجنيدها من طرف تنظيمها الطلائعي» (164). وفي 22 غشت 1933، نشرت لومانيتي بلاغا مطولا للسكرتارية يدعو إلى «تنظيم الاحتجاج الشعبي بجميع أشكاله ضد حرب المغرب». وبعد أن نوه هذا البلاغ بتضامن الشغاليين الفرنسيين مع الشعب المغربي، طالب بتعبئة حقيقية للمناضلين : في خلايا المؤسسات، ولجان الدوائر، وداخل حدكة أمستردام - بلابل. وعي ابشبيات، ولدى البلديات وفي البرلمان، وأعلن عن اقتناعه بأن «كل شيوعي، وكل تنظيم للحزب، سيعرفان كيف يتصرفان لاجتذاب المناضلين إلى العمل مثلما كان عليه الأمر في 1925-1926» وفي أكتوبر، طالب هنري مكارتي بأن يتم الشروع في عمل توضيحي كبير «داخل الحزب وخارجه، وذلك لأفهام البروليتاريا أن عليها أن تتموقع صراحة إلى جانب المغاربة وأن تساهم بكل الوسائل المتوفرة لديها في اندحار الامبريالية الفرنسية وانتصار «المتمردين». ينبغي النضال قبل كل شيء بمظاهرات جماهيرية ثورية ضد إرسال العتاد الحربي إلى المغرب» (165). وأخيرا، في اللحظة بالذات التي وحدث فيها القبائل المنشقة نفسها مرغمة على إلقاء السلاح، كتب أندري فيرا أيضا : «ينبغي منع نقل العتاد الحربي والذخيرة إلى المغرب، وينبغي أن يوضح للجنود دورهم وواجبهم» (166).



هل ينبغي أن ننسب الصعوبات التي تمت ملاقاتها في تعبئة المناضلين ضد حرب المغرب، وبصفة عامة، ضعف تأثير الحملة الشيوعية إلى السمات الخاصة لهذه الحملة ؟ لقد

164 حياة الفدرالية، عدد 12، يونيو 1929 (AN F7 13181).

165 دوائر البلشفية، فاتح أكتوبر 1933 («الحرب في المغرب» ص 1312 - 1320)، مشدد عليه في النص.

166 نفسه، 15 مارس 1934 («إلى مساعدة المغاربة في الكفاح» ص 338 - 347) بين 1927 و 1934، لم

يجم عن نقل المخود والعتاد الحربي والذخيرة إلى المغرب أي حادث حسب علماء، فلا الصحافة والمطهرات الشيوعية،

ولا الأرشيفات التي استندت عليها تحدثت عن ذلك.

أظهرت التجربة أن تضامن المصالح للبروليتاريا الفرنسية والفلاحين المغاربة المكافحين من أجل حريتهم فكرة لم تحظ بتقبل عام (167). ويتعقد المشكل ابتداءً من اللحظة التي يراد فيها إعطاء تعبير ملموس لشعور التضامن هذا. لقد احتفظ الحزب بشعار التأخي مع أنه أقر في 1926 بأن تقبله من طرف الجماهير كان سيئاً، ربما يفسر هذا الحفاظ بالدعوة إلى الالتحاق بصنف الجيش الأحمر، في حالة نشوب حرب ضد الاتحاد السوفياتي. ألا يمكن أن يثير هذا التقارب بين الحرب في المغرب والحرب الامبريالية المحتملة ضد الاتحاد السوفياتي، من جهة أخرى، بعض التحفظات لدى غير الشيوعيين ؟ وأخيراً، ألا يمكن للتهجمات على الزعماء الاشتراكيين الشديدة غالباً، أن تحد من انضمام مناضلي القاعدة إلى سياسة الجبهة الوحيدة المنصوح بها من طرف الحزب الشيوعي الفرنسي ؟ حتى لو كانت تلقى صدى ايجابيا في بعض الأوساط الثقافية، مثل الجماعة السورالية (168).

يدو أن هذه المصاعب لم تغرب عن قيادة الحزب. ففي بداية 1930، انتقدت اللجنة التنفيذية الأومية الشيوعية للشبان الشيوعيين الشباب الفرنسيين الذين «اعتري الضعف عملهم المعادي للاستعمار وللإمبريالية» وشهرت بـ «خطر اليمين الأكثر تهديداً»، وهو الذي يتجلى بالخصوص في غياب عمل قوي معاد للنزعة العسكرية، لكن أيضاً بخطر اليسار، الموسوم بالطائفية، والارتقاء في «اللاشرعية الإرادية، بدون مرورات حدية للاعتزال فيها» (169). فبسبب مواقفهم المتياسرة، تم إبعاد ثلاثة أعضاء من المكتب السياسي للشبيبات الشيوعية، وهم نيديليك، ولولاندي وكاريسميل (170). وفي نوفمبر 1931، عزت نفس السلطة نقصان الدعاية المعادية للنزعة العسكرية والعمل من أجل السلم لمجموعة باربي - سيلور (171). ومع ذلك تشهد النصوص التي ذكرناها أعلاه بأن الطائفية لم تنته أبداً وأنها استمرت في الظهور إلى غاية نهاية الحملة الشيوعية ضد حرب المغرب.



- 167 «لحارب العقيلة الاستعمارية في صغولنا ؟» طلب هنري كارتزي لومانتي، 25 يناير 1933.
- 168 أنظر منشور «لاندوها إلى المعرض الاستعماري» AN SOM SLOT FOM III 5.
- 169 رسالة مفتوحة إلى جميع فروع الأومية الشيوعية للشباب، مرفقة بقرار رئاسة المجلس الأعلى للجنة التنفيذية للأومية الشيوعية للشباب حول تقرير اللجنة المركزية للشبيبات الشيوعية لفرنسا، كتيب، ص 16 صفحة (AN 1930) F7 13184.
- 171 رد اللجنة التنفيذية للأومية الشيوعية للشباب على الشبيبات الشيوعية لفرنسا. (ميسكو، نوسر 1931، كتيب مسحور في مائة وثلاثين ألف نسخة AN F7 13185. «سذ سنوات عديدة، عم إهمال العمل المعادي للاستعمار الذي يقوم به الحرب بطريقة غير مقبولة إلى مجموعة باربي - سيلور - لوبراي في هذه المسألة أكثر المسؤوليات» دفاتر الشخصية، فاتح مارس 1934، ص 334 وما يليها.

مهما يكن نقصان الحملة الشيوعية ضد عملية إخماد الفتن، ومهما تكن أخطاؤها، فإن هذه الأخيرة لم تسهم، في رأينا، سوى بقسط ضئيل في عدم اهتمام السكان الفرنسيين بالعمليات العسكرية الجارية في المغرب. وتفسر هذه اللامبالاة في نظرنا، الى حد بعيد، بالضعف النسبي للخسائر الفرنسية. ففي الواقع، إذا رجعنا الى الأرقام الرسمية نلاحظ بأن عدد القتلى الذي يبلو أنه قد كان 2504 خلال سنتي 1925 و1926، كان 1818 خلال فترة 1927 - 1934. لكن إذا كانت هذه الأرقام تهم الخسائر «الفرنسية»، فإن هذه الأخيرة مست من جهة بعض الأوربيين، ومن جهة أخرى بعض «الأهالي»؛ إلا أنه، بالمقارنة مع المجموع، انخفضت نسبة الخسائر الأوربية كثيرا : فنجد 37,3% بالنسبة لـ 1925 - 1926، و26,9% في 1927 - 1929 و21,3% فب 1930 - 1934 (172). لقد استدعى الاستعمال الأكثر كثافة للجنود الأهالي، وبالأخص لـ «الاضافيين» المغاربة، الذي تفصح عنه هذه الأرقام ردتى فعل متناقضتين كليا لليساى الفرنسي.

من جهة، ندد أراغون بـ «البورجوازية الفرنسية (التي) تجد أن من الخلق أن ترمي البربر بإخوانهم من الجزائر أو حتى من المغرب» (173) بينما تحدث ر - ج. لونكي عن «هؤلاء التعساء المغاربة «المجندين» من طرفنا، والمؤطرين بما يشبه حراس المساجين، الذين يرغمون على القتال ضد إخوانهم، والذين هم أول من يرسلون، طبعا، الى الهجوم، الى المذبحة» (174). وفي الجهة المعارضة، ارتأى كيزنو أن يطعن زملاءه في عصبية حقوق الانسان بتوضيحه لهم بأنه بفضل كثافة الوحدات الأهلية المستعملة في العمليات العسكرية، فإن الخسائر الفرنسية قليلة نسبيا (175). لكن هذا الارتياح يتجلى دون ريب و بصلافة هادئة في مريان * التي تمثل ضمن اليسار «جريدة النخبة» : «إن ما يسترعى الانتباه هو العدد القليل للجنود والضباط الفرنسيين. أكثر من 80% من الجنود هم من الأهالي ! لقد وجب على الفرنسيين أن يتسلحوا بكثير من الديلموماسية منذ 1912، وفي كل مرحلة من الغزو، بحيث استفادوا من الكراهية

172 اسماءات استعمارية، غشت - شتنبر 1936، ص. 141، وتقرير ميسمي أمام مجلس الشيوخ (وثيقة برلمانية، 1932، رقم 704، الجريدة الرسمية ص ص 1023 - 1036).

173 لظرات، 15 غشت 1933، مستشهد به من طرف مغرب، شتنبر 1933، ص 39

174 مغرب، شتنبر 1933، ص 2. عن شروط حلب «المتطوعين المرعفين» أنظر نفسه، مارس 1933، ص ص 38 - 39.

* Marianne

75 دفاىر حقوق الانسان، 20 فبراير 1933، ص ص 117 - 119. إن هذا القول لم ير أية ملاحظة من أعضاء اللجنة المركزية.

المبادلة بين القبائل، فتمكنوا من أن يجندوا أفرادا مغاربة يقاتلون، باختصار، ضد إخوانهم الذين لا يزالون متمردين وذلك «من أجل السلطان ومن أجل الجمهورية». (176). هل من المغامرة أن تفكر بأن رد الفعل الثاني هذا تطابق وقتذاك مع شعور أغلبية الفرنسيين ؟

في الحقيقة، كانت المعارك الأخوية التي خاضها اليسار المتطرف الشيوعي والاشتراكي ضد العمليات العسكرية في المغرب في الاتجاه المعاكس للرأي العام. لقد فهم الراديكاليون هذا جيدا، وهم الذين ساهمت صحافتهم، الى حد لا يستهان به، في هذا «التوسيع للوعي الاستعماري» الذي لاحظته راوول جيراردي ابتداء من الثلاثينات (177). لقد تبدلت الفترات التي كانوا يهتمون فيها العمل «السلموي» والطوية الطبية لبيان أو لبانلوفي. فصاروا يسعون من الآن فصاعدا الى إخماد القلق والوساوس التي يمكن أن تثيرها مقاومة المغاربة للتوغل الفرنسي والتي كانوا يرجعون صداها قبل سنوات من ذلك. لقد تم صرف اهتمام الجمهور عن العمليات العسكرية لصالح أصغر المسائل ذات المنفعة الاقتصادية أو السياحية، وتم شد خياله وحساسيته الى مفاتيح اللون المحلي والى بطولة فروسية تخفي فظايع الحرب (178). وكان كل شيء صالحا للالهة، وبينما كانت تدور معارك طاحنة ضد المنشقين قصفت القوات الفرنسية خلالها تجمعات سكانية مغربية، لم تزد جريدة مثل لوفرو في أن تنادي قراءها لأن يتعاطفوا مع مآل... الحميم الذين يسيء الأهالي معاملتهم (179). وقد كان استسلام آخر زعماء الانشقاق مناسبة لاستعادة المقاومة المغربية، والتأكيد على الطابع المغلوط لقتالها، وذلك ضمن تأويل أسطوري يمتدح القوة والشهامة الفرنسييتين (180).

- 176 ماريان، 18 أبريل 1934.
177 الفكرة الاستعمارية في فرنسا 1871 - 1961، باريس، 1972، ص 118 وما يليها.
178 إن لاضع الرأي، كأثر من بين آثار أخرى، نحو الحواش المربعة والكريمة لمعارك حل صاغرو لكي لا يحتفظ سوى عوت القبطان بورنايل ملفوفا في برسه الأحمر. وقد أوردت ماريان مع ذلك، في تحقيق مطول عن المغرب، «أغالي حرب بالسة، مرتحلة في السوات الأخوية من طرف النساء الدهرييات ولا تزال مسموعة في الأسوا الى اليوم : أيها القذائف، لقد حفرت المدينة، لقد رأيت حدران الأحمر تتهاوى على الأرض يا للأمكنة النيسة، إنها لن تعرف السعادة أبدا ! وما أيها الرجال الأحرار، سألني عنك الأرض شيامي»، لكن دون إساقفة أي تعليق ودون إنشاء أدنى تحفظ حول العمليات العسكرية، 18 أبريل 1934.

L'Oeuvre *

- 179 14 يونيو 1933، رسالة مفتوحة الى السيد المقيم العام للمغرب، من طرف هيلين كوسي.
180 أنظر ماريان، مقال مشار إليه، عن حمي «روح المقاومة الدهرية النهائية». أما إذا عادت ليوفول، الى الماضي، فتذكرت عبد الكريم... عبد القادر : «كما عبد القادر في الحواش من قبل، كان عبد الكريم في المغرب عدوا محيفا. وقد جعلنا من كليهما صديقين لنا. إنها نتيجة يمكن أن نغفلنا عليها أكثر من قوة استعمارية» 2 يوليو 1933.

خاتمة

خلال السنوات الخمس عشرة التي تلت نهاية النزاع العالمي الأول جابهت حربُ الريف وعمليات إخماد الفتن في المغرب اليسار الفرنسي بالمشكل الوطني المغربي. لقد جنحت المصالح المختصة، منذ الثورة الروسية وإنشاء الأهمية الثالثة، الى نسب المقاومة المغربية الى الدسائس البلشفية، رغم أن الحضور الشيوعي كان ضئيلا في الحماية. لكن من المؤكد أن شروط سياسة معادية للاستعمار، في فرنسا، تغيرت على نحو عميق فقد انحاز الحزب الشيوعي علانية، باسم معاداة الامبريالية والتضامن بين بروليتاريا البلاد والسكان الواقعيين تحت الهيمنة الاستعمارية، للمقاتلين المغاربة وطالب بالجلء عن المغرب. مع ذلك لم يتمكن التحريض الذي طوره من تغيير مجرى الحرب. أما اليسار غير الشيوعي فكان منقسما وسرعان ما اقتنعت عناصره الأكثر اعتدالا، والمدرية من طرف الراديكاليين والجمهوريين الاشتراكيين، بضرورة إلحاق المملكة الشريفة بالامبراطورية الاستعمارية الفرنسية ويعمل كل ما في الامكان للحفاظ عليها. لقد اعتبر الاشتراكيون الحماية أمرا واقعا ومرحلة ضرورية لتحرير الشعب المغربي. لكن كثيرين منهم كانوا يدينون، بقوة أحيانا، العمليات العسكرية.

انتهت الحرب في 1934. وستواصل تجريد القبائل من السلاح لسنوات طويلة، بينما الادارة ستحافظ حتى نهاية الحماية على وجود منطقة خطيرة. لكن بعد ما يناهز ربع قرن، تمكنت القوات الفرنسية من التغلب على مقاومة عسكرية منظمة، وقد كتب أ. برنار «سيكون الانشقاق من الآن فصاعدا، داخل المغرب لا في حدوده» (181). وبالفعل، فمنذ أربع سنوات، ومع إعلان الظهير البربري، نعلم بأن هناك في المدن الرئيسية، وخاصة في فاس، شبانا مغاربة يتحركون وسيأخذ احتجاجهم، ذو الطابع السياسي، تدرجيا، محل الانشقاق المسلح، الذي لن يكف إلا مع الاستقلال. وستتوقع مختلف تيارات اليسار الفرنسي انطلاقا من مواقفها تجاه الشباب الوطني والحركة الوطنية المغربية.

فهرس الجزء الثاني

5.....	مقدمة
	الفصل الرابع : «المؤامرة البلشفية»
7.....	العمل الشيوعي في المغرب : من الواقع الى الأسطورة
7.....	الزقائع
7.....	أسس مواقف الحزب الشيوعي الفرنسي من الاستعمار
8.....	الامبريالية
8.....	السياسة
13.....	التنظيم
17.....	الحضور الشيوعي في المغرب حتى 1935
19.....	شيوعيون أم اشتراكيون
22.....	قضية أرمونكو — فالونتان
23.....	قضية دومون
25.....	المغرب الأحمر
27.....	الأسطورة
27.....	عناصر الأسطورة
28.....	تواطؤ اعداء فرنسا
34.....	«عملاء موسكو»
38.....	التسرب الشيوعي داخل الجيش
41.....	هوس الهيجان
43.....	عمل الكومترن : ملف مالاكا
49.....	تنفيذ الأسطورة
49.....	مصادر الأسطورة
55.....	الأساليب
62.....	وظائف الأسطورة
62.....	تقييد الحريات العامة

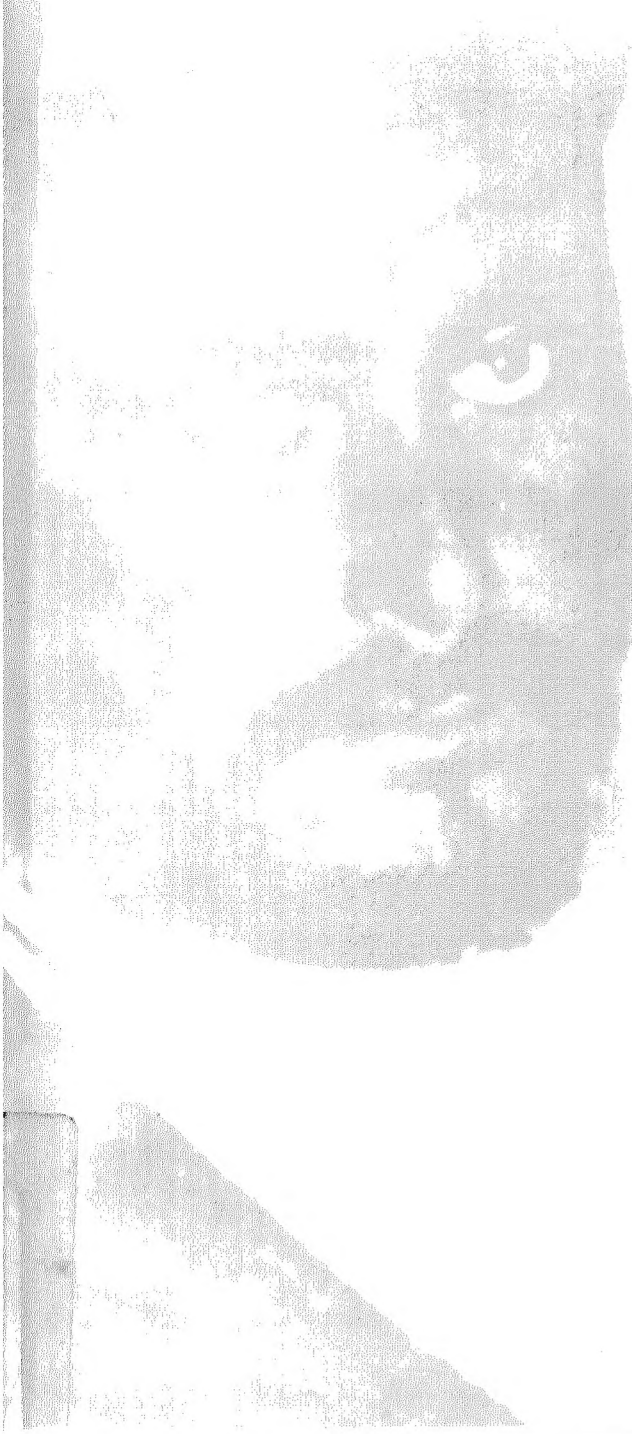
79.....	الفصل الخامس : اليسار الفرنسي وحرب الريف : اليسار أمام عبد الكريم.
82.....	اليسار والحرب
82.....	المسؤوليات
87.....	قيادة النزاع
97.....	قيادة العمليات
105.....	اليسار والسلم
105.....	مبدأ التفاوض مع عبد الكريم
110.....	استقلال، استقلال ذاتي أم خضوع الريف ؟
121.....	الفصل السادس : اليسار الفرنسي وحرب الريف
121.....	الحملة الشيوعية
	سؤال أولي : هل بادرة الحملة الشيوعية متوجبة
122.....	على الحزب الشيوعي الفرنسي أم على الأهمية الثالثة
123.....	التوجيهات والتنظيم
123.....	الشعارات والتكتيك
126.....	نخبة العمل ضد حرب المغرب
129.....	تنظيم الدعاية
131.....	تحريض في جمع الاتجاهات
132.....	حملة التجمعات العمومية
133.....	النقابات العمالية
138.....	الفلاحون
140.....	الشبان
145.....	النساء
148.....	قدماء المحاربين

155.....	تطبيق خطة الجبهة الموحدة واختفاؤها
157.....	المؤتمرات العمالية والفلاحية
158.....	المبادرات المحلية وردود فعل الأركان العامة
165.....	إضراب 12 أكتوبر
166.....	الدلالة
168.....	التنظيم
168.....	اختيار المسؤولين
170.....	موقف النقابات
174.....	اختيار التاريخ
176.....	الحصيلة
186.....	احتجاج اليسار غير الشيوعي
186.....	الفوضيون التحرريون والفوضيون
190.....	الاشتراكيون والكونفدراليون
196.....	خاتمة
201.....	الفصل السابع : اليسار الفرنسي وحرب الريف (تابع)
201.....	الأثر على العمليات العسكرية
201.....	التحريض في الثكنات ولدى التجارة
205.....	شبكات الدعاية الشيوعية نحو المغرب
207.....	المساعدة الشيوعية لعبد الكريم
208.....	وجهة نظر المصالح المختصة والتصريحات الحكومية
211.....	شهادة العسكريين
213.....	التأخر بالأفعال
216.....	القمع
217.....	أشكال القمع
222.....	حصيلة القمع
225.....	الاحتجاجات ضد القمع
229.....	الانتقادات والانتقادات الذاتية
229.....	المعارضة داخل الحزب الشيوعي

233.....	تصحيح القيادة.....
235.....	النقاش أمام الأهمية وأمام مؤتمر الحزب.....
241.....	خاتمة :.....
245.....	الفصل الثامن : اليسار الفرنسي وعمليات إخماد الفتن.....
245.....	اليسار الفرنسي أمام المقاومة المغربية.....
246.....	قضية آيت يعقوب.....
251.....	مسؤوليات راديكالية، تصلب الشيوعيين، انقسامات اشتراكية.....
258.....	تطور عصبة حقوق الانسان.....
260.....	قيمة حجج اليسار حول أساليب «إخماد الفتن».....
264.....	تقوية التيار الاستعماري.....
264.....	ثقل المصالح الاقتصادية.....
265.....	الأبحاث المنجمية.....
271.....	الاعتبارات الاستراتيجية.....
271.....	موقف بول بونكور.....
272.....	القطار العابر للصحراء.....
274.....	الرأي العام وعملية إخماد الفتن.....
274.....	الحملة الشيوعية.....
280.....	فشل الحملة.....
284.....	خاتمة.....

—صادرات—
دار توبقال للنشر
توزع في
البلاد العربية
—وأروبا—

دار توبقال للنشر
خليل 3 (لافيليت)، زنقة 15، رقم 24،
الدار البيضاء 05 (المغرب).
الهاتف . 24 06 05



«... في المغرب، شعب متوقّد،
حرّ، وممانع، له، أكثر مما نتصور
وأكثر مما نعرف، أنفة تاريخه القديم،
يتذكّر أنّه طرد من أرضه، على
التوالي، كلا من البرتغال، والإسبان،
والإنجليز، وأنّه زَعَزَعَ نَيِّرَ الأتراك.
إنه يتذكّر حتى الأزمنة البطولية
عندما كان سيّداً على جزءٍ من اسبانيا.
لقد كان له قادة، لكنه هو الذي عَظَّمَهُم
وعزلهم بحرية منه. ليس بالشعب
المستسلم، ولا الشعب المعتاد على
التحمل الصّامت لهيمنة طاغية، ولا
بالشعب الذي يمكن أن يُعامل يوماً
كشيءٍ قابل للتبادل. إنّه شعبٌ مُحارَبٌ.
شعبٌ أبى...»

ج. جوريس